297.09

اليهم وأقام ينتظر جوابهم وقدومهم وكان الذى بعثه بالكتب التى لليمن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فمرت الايام حتى قدم أنس رضى الله عنه يبشره بقدوم أهل اليمن وقال يا خليفة رسول الله وحقك على الله ماقرأت كتابك على أحد الا وبادر الى طاعة الله ورسوله وأجاب دعوتك وقد تجهزوا فى العدد والعديد والزرد النضيد وقد أقبلت اليك يا خليفة رسول الله مبشرا بقدوم الرجال وأى رجال وقد أجابوك شعثا غبرا وهم أبطال اليمن وشجعانها وقد ساروا اليك بالذرارى والاموال والنساء والاطفال وكأنك بهم وقد أشرفوا عليك ووصلوا اليك فتأهب الى لقائهم قال فسر أبو بكر رضى الله عنه بقوله سرورا عظيما وأقام يومه ذلك حتى اذا كان من الغد أقبلوا الى الصديق رضى الله عنه وقد لاحت غبرة القوم لأهل المدينة قال فأخبروه فركب المسلمون من أهل المدينة وغيرهم وأظهروا زينتهم وعددهم ونشروا الاعلام الاسلامية ورفعوا الألوية المحمدية فما كان الاقليل حتى أشرفت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضا قوم فى اثر قوم وقبيلة فى اثر قبيلة فكان أول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حمير وهم بالدروع الداودية والبيض العادية والسيوف الهندية وامامهم ذو الكلاع الحميرى رضى الله عنه فلما قرب من الصديق رضى الله عنه أحب أن يعرفه بمكانه وقومه وأشار بالسلام وجعل ينشد ويقول

أتتك حمير بالاهلين والولد * أهل السوابق والعالون بالرتب
أسد غطارفة شوس عمالقة * يردوا الكماة غداة الحرب بالقضب
الحرب عادتنا والضرب همتنا * وذو الكلاع دعا فى الاهل والنسب
دمشق لى دون كل الناس أجمعهم * وسأكنها أهويهم الى العطب

قال فتبسم أبو بكر الصديق رضى الله عنه من قوله ثم قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه يا أبا الحسن أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل أولادها فابشر بنصر الله على أهل الشرك أجمعين فقال الامام على صدقت وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنس رضى الله عنه وسارت حمير بكتائبها وأموالها وأقبلت من بعدها كتائب مذحج أهل الخيل العتاق والرماح الدقاق وأمامهم سيدهم قيس بن هبيرة المرادى رضى الله عنه فلما وصل الى الصديق رضى الله عنه جعل يقول صلوا على طه الرسول

أتتك كتائب منا سراعا * ذووالتيجان أعنى من مراد
فقدمنا أمامك كى ترانا * نبيد القوم بالسيف النجادى

قال فجزاه أبو بكر رضى الله عنه خيرا وتقدم بكتائبه ومواليه وتقدمت من بعده قبائل طى يقدمها حارث بن مسعد الطائى رضى الله عنه فلما وصل هم أن يترجل فأقسم عليه أبو بكر رضى الله عنه بالله تعالى أن لا تفعل فدنا منه فصافحه وسلم عليه وأقبلت الازد فى جموع كثيرة يقدمها جندب بن عمرو الدوسى رضى الله عنه ثم جاءت من بعدهم بنو عبس يقدمهم الامير ميسرة بن مسروق العبسى رضى الله عنه وأقبلت من بعدهم بنو كنانة يقدمهم عيثم بن أسلم الكنانى وتتابعت قبائل اليمن بعضها بعضا ومعهم نساؤهم وأموالهم فلما نظر أبو بكر رضى الله عنه الى نصرتهم [illegible] وشكر الله تعالى وأنزل القوم حول المدينة كل قبيلة متفرقة عن صاحبتها واستمروا وأضر [illegible] من قلة الزاد وعلف الخيل وجدوبة الارض فاجتمع أكابرهم عند الصديق رضى الله عنه وقالوا يا خليفة رسول الله انك أمرتنا بأمر فأسرعنا الله ولك رغبة فى الجهاد وقد تكامل جيشنا [illegible] والمقام قد أضر بنا لان بلدك ليست بلد جيش ولا حافر ولا عيش والعسكر نازل فان كنت قد بدات فيما عزمت عليه فأمرنا بالرجوع الى بلدنا وأقبل الجميع وخاطبوه بذلك فلما [illegible] كلامهم قال أبو بكر رضى الله عنه بأهل اليمن ومن حضر من غيرهم أما والله ما أريد لكم الا [illegible] دنا تكامل كم قالوا انه لم يبق

فى الله حق جهاده وبلغت دعوته سائر البلاد وعلى من ورث حاله من الآل والاصحاب ومن تبعهم الى يوم التناد آمين ﴿أما بعد﴾ فيقول كثير المساوى عبد الله بن حجازى الشهير بالشرقاوى انه لما حل ركاب الصدر الاعظم والوزير الافخم والدستور الاكرم حضرة مولانا الوزير يوسف باشا بلغه الله تعالى من المرادات ماشا بمدينة بلبيس فى شهر رمضان المعظم سنة أربع عشرة ومائتين بعد حصول الصلح بينه وبين طائفة الفرنساوية فى قلعة العريش وذهبت مع بعض علماء مصر لملاقاته طلب منى

من ورائنا أحد فاعزم على بركة الله تعالى ﴿قال المؤلف رحمه الله تعالى﴾ لقد بلغني ان أبا بكر رضى الله عنه قام من ساعته يمشى على قدميه وحوله جماعة من الاصحاب منهم عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين وخرجوا الى ظاهر المدينة ووقع النداء فى الناس وكبروا بأجمعهم فرحا لخروجهم واجابتهم الجبال لدوى أصواتهم وعلا أبو بكر على دابته حتى أشرف على الجيش فنظر اليهم قد ملؤا الارض فتهلل وجهه وقال اللهم أنزل عليهم الصبر وأيدهم ولا تسلمهم الى عدوهم انك على كل شئ قدير وكان أول من دعاه أبو بكر يزيد بن أبى سفيان وعقد له راية وأمره على ألف فارس من سائر الناس ودعا بعده رجلا من بنى عامر بن لؤى يقال له ربيعة بن عامر وكان فارسا مشهورا فى الحجاز فعقد له راية وأمره على ألف فارس ثم أقبل أبو بكر على يزيد بن أبى سفيان وقال له هذا ربيعة بن عامر من ذوى العلا والمفاخر قد علمت صولته وقد ضممته اليك وأمرتك عليه فاجعله فى مقدمتك وشاوره فى أمرك ولا تخالفه فقال يزيد حبا وكرامة وأسرعت الفرسان الى لبس السلاح واجتمع الجند وركب يزيد بن أبى سفيان وربيعة ابن عامر وأقبلا بقومهما الى أبى بكر رضى الله عنه فأقبل يمشى مع القوم فقال يزيد يا خليفة رسول الله الناجى من غضب الله من رضيت عنه لا نكون على ظهور خيولنا وأنت تمشى فاما أن تركب واما أن ننزل فقال ما أنا براكب وما أنتم بنازلين وسار الى أن وصل الى ثنية الوداع فوقف هناك فتقدم اليه يزيد فقال يا خليفة رسول الله أوصنا فقال اذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك فى مسيرك ولا تغضب على قومك ولا على أصحابك وشاورهم فى الامر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور فانه لا أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم واذا لقيتم القوم فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا تعقروا بهيمة الا بهيمة المأكول ولا تغدروا اذا عاهدتم ولا تنقضوا اذا صالحتم وستمرون على قوم فى الصوامع رهبانا يزعمون انهم ترهبوا فى الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم وستجدون قوما آخرين من حزب الشيطان وعبدة الصلبان قد حلقوا أوساط رؤسهم حتى كانها مناحيض العظام فاعلوهم بسيوفكم حتى يرجعوا الى الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقد استودعتكم الله ثم عانقه وصافحه وصافح ربيعة بن عامر وقال يا عامر اظهر شجاعتك على بنى الاصفر بلغكم الله آمالكم وغفر لنا ولكم قال وسار القوم ورجع أبو بكر رضى الله عنه بمن معه الى المدينة قال فجد القوم فى السير فقال ربيعة بن عامر ما هذا السير يا يزيد وقد أمرك أبو بكر أن ترفق بالناس فى سيرك فقال يزيد يا عامر ان أبا بكر رضى الله عنه سيعقد العقود ويرسل الجيوش فأردت أن أسبق الناس الى الشام فلعلنا أن نفتحها قبل تلاحق الناس بنا فيجتمع بذلك ثلاث خصال رضاء الله عز وجل ورضاء خليفتنا وغنيمة نأخذها فقال ربيعة فسر الآن ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال فأخذ القوم فى السير على وادى القرى ليخرجوا على تبوك ثم على الجابية الى دمشق قال واتصل الخبر للملك هرقل من قوم من عرب اليمن المتنصرة كانوا فى المدينة فلما صح عند الملك ذلك جمع بطارقته فى عسكره وقال لهم يا بنى الاصفر ان دولتكم قد عزمت على الانهزام ولقد كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتقيمون الصلاة وتؤتون الزكاة التى أمركم بها الآباء والاجداد والقسوس والرهبان وتقيمون حدود الله التى أمركم بها فى الانجيل لا جرم انكم ما قصدكم ملك من ملوك الوشاة ونازعكم على الشام الا وقهرتموه ولقد قصدكم كسرى بجنود فارس فانكسروا على أعقابهم والآن قد بدلتم وغيرتم فظلمتم وجرتم وقد بعث اليكم ربكم قوما لم يكن فى الامم أضعف منهم عندنا وقد رماهم شدة الجوع الينا وأتى بهم الى بلادنا وبعثهم صاحب نبيهم ليأخذوا ملكنا من أيدينا ويخرجونا من بلادنا ثم انه حدثهم بالذى سمعه من طرسيسه فقالوا أيها الملك نردهم عن مرادهم ونصل الى مدينتهم ونخرب كعبتهم قال فلما سمع مقالتهم وتبين اغتياظهم جرد

بعض الاخوان من اتباع ذلك الصدر الاعظم أن أجمع كتابا متضمنا للواقعة الحال المذكورة فأجبته الى ذلك مستعينا بعون القادر المالك وذكرت فيه ما يتعلق بمصر وحكامها من أول الزمان الى وقتنا هذا ﴿وسميته﴾ تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ورتبته على مقدمة وثلاثة أبواب

﴿المقدمة﴾ فى فضائل مصر وما ورد فيها من الآيات والاخبار ومن كان فيها من الانبياء والصديقين وغير ذلك

﴿الباب الاول﴾ فى خلافة الخلفاء الاربعة

قوله بطارقة جمع بطريق كـكبريت وهو كما فى القاموس القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل اهـ

منهم ثمانية آلاف من أشجع فرسانهم وأمر عليهم خمسة من بطارقتهم وهم البطاليق وأخوه جرجيس
وصاحب شرطته ولوقا بن سمعان وصليب بن حنا صاحب غزة وكانت هذه الخمسة البطارقة يضرب بهم المثل
فى الشجاعة والبراعة ثم تدرعوا وأظهروا زينتهم وصلت عليهم الامة صلاة النصر فقالوا اللهم انصر من كان
منا على الحق وبخروهم ببخور الكنائس ثم رشوا عليهم من ماء المعمودية وودعوا الملك وساروا وأمامهم
العرب المتنصرة يدلونهم على الطريق (قال) حدثنى رفاعة عن ياسر بن الحصين قال بلغنى أن اول من
وصل الى تبوك كان يزيد بن أبى سفيان وربيعة بن عامر ومن معهما من المسلمين قبل وصول الروم بثلاثة
أيام فلما كان فى اليوم الرابع والمسلمون قد هموا بالرحيل الى الشام اذ أقبل جيش الروم فلما رآه المسلمون
أخذوا على أنفسهم وكمن ربيعة بأصحابه الالف وأقبل يزيد بأصحابه الالف ووعظهم وذكر الله تعالى
وقال لهم اعلموا أن الله وعدكم النصر وأيدكم بالملائكة وقال الله تعالى فى كتابه العزيز كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقد قال صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف وأنتم
أول جند دخل الشام وتوجه لقتال بنى الاصفر فكانكم بجنود الشام واياكم أن تطمعوا العدو فيكم
وانصروا الله ينصركم فبينما يزيد يعظ الناس واذا بطلائع الروم قد أقبلت وجيوشها قد ظهرت فلما رأوا
قلة العرب طمعوا فيهم وظنوا أنه ليس وراءهم أحد فبربر بعضهم على بعض بالرومية وقالوا دونكم ومن
يريد أخذ بلادكم واستنصروا بالصليب فانه ينصركم ثم حملوا وتلقاهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بهمم عالية وقلوب غير دانية ودار القتال بينهم وتكاثرت الروم عليهم وظنوا أنهم فى قبضتهم اذ خرج
عليهم ربيعة بن عامر رضى الله عنه بالكمين وقد أعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير
وحملوا على الروم حملة صادقة فلما عاينت الروم من خرج عليهم انكسروا وألقى الله الرعب فى قلوبهم
فتقهقروا الى ورائهم ونظر ربيعة بن عامر الى البطاليق وهو يحرض قومه على القتال فعلم أنه طاغية
الروم فحمل عليه وطعنه طعنة صادقة فوقعت فى خاصرته وطلعت من الناحية الاخرى فلما نظرت الروم
الى ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ونزل النصر على طائفة محمد المختار *(حدثنا)* سعد بن أوس عن
السرية التى أنفذها أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع يزيد بن أبى سفيان وربيعة بن عامر قال قد اجتمعنا
بعساكر الروم فى أرض تبوك مع البطاليق وهزمهم الله تعالى على أيدينا وكان جملة من قتل منهم ألفا
ومائتين ومن قتل من المسلمين مائة وعشرين رجلا قال وان القوم لما انهزموا قال لهم جرجيس وهو أخو
المقتول ياويلكم بأى وجه ترجعون الى الملك وقد عملوا فينا عملا ذريعا وملؤا الارض من قتلانا ولا أرجع
حتى آخذ بثار أخى أو ألحق به قال واجتمع القوم وسمعوا منه ذلك ورجع بعضهم الى بعض وعادوا الى
القتال فلما استقروا فى خيامهم بعثوا رجلا من العرب المتنصرة اسمه القداح وقالوا له امض الى بنى عمك
وقل لهم يبعثوا الينا رجلا من كبارهم وعقلائهم حتى ننظر مايريدون منا قال فركب القداح جواده وأقبل
نحو جيش المسلمين فلما رأوه مقبلا اليهم استقبله رجال من الاوس وقالوا له ماذا تريد فقال لهم ان البطارقة
يريدون رجالا من عقلائكم ليخاطبوهم فيما يريد الله به صلاح شأن الجمعين قال فاخبروا يزيد وربيعة
بما قال المتنصر فقال ربيعة بن عامر أنا أسير الى القوم فقال يزيد يا ربيعة أنا أخاف عليك من القوم لانك
قد قتلت كبيرهم بالامس فقال ربيعة قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل
المؤمنون وانى أوصيك والمسلمين أن تكون همتكم عندى فاذا رأيتم القوم غدروا بى فاحملوا عليهم ثم ركب
جواده وسار حتى أتى جيش الروم وقرب من سرادق أميرهم فقال القداح عظم جيش الملك وانزل عن
جوادك فقال ربيعة رضى الله عنه ما كنت بالذى أنتقل من العز الى الذل ولست أسلم جوادى لغيرى
وما أنا بنازل الا على باب السرادق والا رجعت من حيث جئت لانكم بعثتم الينا الينكم بل أنتم بعثتم الينا قال
فأعلم القداح الروم بما تكلم به ربيعة بن عامر فقال بعضهم لبعض صدق العربى فى قوله دعوه ينزل حيث
أراد قال فنزل ربيعة على باب السرادق وجثا على ركبته وأمسك عنان جواده بيده وسلاحه معه فقال له

ومن ولى بعدهم وهو الحسن
ابن على وفى دولة بنى أمية
والدولة العباسية ومن ولى
مصر من نواب الخلفاء
والدولتين المذكورتين
ومن دخل فى ذلك بالتغلب
من ابن طولون والاخشيدية

(الباب الثانى)
فى دولة الفواطم والدولة
الايوبية والدولة التركية
المعروفين بالمماليك
البحرية ودولة الجركسية

(الباب الثالث)
فى دولة آل عثمان المؤيده
بالنصر فى كل وقت وأوان
أدام الله بقاءها مادام
الفرقدان بجاه سيد ولد
عدنان وفيمن تصرف فى مصر
من نوابهم وايراد أخبارهم
ومدة مقامهم بالديار المصرية
واحكامهم

جرجيس يا أخا العرب لم تكن أمة أضعف منكم عندنا وما كنا نحدث أنفسنا انكم تغزوننا وما الذى تريدون منا فقال ربيعة نريد منكم أن تدخلوا فى ديننا وأن تقولوا بقولنا وان أبيتم تعطونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون والا فالسيف بيننا وبينكم فقال جرجيس فما منعكم أن تقصدوا الفرس وتدعون الصداقة بيننا وبينكم فقال ربيعة بدأنا بكم لانكم أقرب الينا من الفرس وان الله تعالى أمرنا فى كتابه بذلك قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال جرجيس فهل لك أن تعقد الصلح بيننا وبينكم وأن نعطى كل رجل منكم دينارا من ذهب وعشرة أوسق من الطعام وتكتبوا بيننا وبينكم كتاب الصلح لا تغزون الينا ولا نغزوا اليكم قال ربيعة لا سبيل الى ذلك وما بيننا وبينكم الا السيف أو اداء الجزية أو الاسلام قال جرجيس أما ما ذكرت من دخولنا فى دينكم فلا سبيل الى ذلك ولو نهلك عن آخرنا لاننا لا نرى لديننا بدلا وأما اعطاء الجزية فان القتل عندنا أيسر من ذلك وما أنتم بأشهى منا الى القتال والحرب والنزال لان فينا البطارقة وأولاد الملوك رجال الحرب وأرباب الطعن والضرب قال جرجيس لاصحابه على بأنفس صقالبة حتى يناظر هذا البدوى فى كلامه قال وكان الملك هرقل قد بعث معهم قسيسا عظيما عارفا بدينهم مجادلا عن شرعهم قال فأتى الحاجب به فلما استقر به الجلوس قال له جرجيس يا أبانا استخبر من هذا الرجل عن شريعتهم وعن دينهم فقال القسيس يا أخا العرب انا نجد فى علمنا أن الله تعالى يبعث من الحجاز نبيا عربيا هاشميا قرشيا علامته ان الله تعالى يسرى به الى السماء أكان ذلك أم لا قال نعم أسرى به وقد ذكر ربنا فى كتابه العزيز بقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا قال القسيس انا نجد فى كتابنا أن ربنا يفرض على هذا النبى وأمته شهرا يصومونه يقال له شهر رمضان قال ربيعة نعم وقد قرأنا فى القرآن العظيم شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فقال القسيس انا وجدنا فى كتابنا أن من أحسن حسنة تكتب بعشرة قال ربيعة نعم قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قال القسيس انا نجد فى كتابنا ان الله يأمر أمته بالصلاة عليه قال ربيعة نعم وقد قال الله فى كتابه العزيز ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال فعجب القسيس من كلامه وقال للبطارقة ان الحق مع هؤلاء القوم فقال بعض الحجاب ان هذا هو الذى قتل أخاك فلما سمع ذلك ازورت عيناه وغضب غضبا شديدا وهم ان يثب على ربيعة ففهم ربيعة ذلك منه فوثب من مكانه أسرع من البرق وضرب بيده الى قائم سيفه وعاجل جرجيس بضربة فجدله صريعا قتيلا ووثب على فرسه فركبها فأسرعت البطارقة اليه وهو راكب فحمل فيهم ونظر يزيد بن أبى سفيان الى ذلك فقال للمسلمين ان أعداء الله قد غدروا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدونكم واياهم فحمل المسلمون على المشركين واختلط الجيش بالجيش وصبرت الروم لقتال العرب فبينما هم فى القتال اذ أشرفت جيوش المسلمين مع شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر المسلمون الى اخوانهم فى القتال حملوا على القوم حملة صادقة وحكمت سيوفهم فى الروم (قال الواقدى) لقد بلغنى أن الثمانية آلاف المذكورة من الروم لم ينج منهم أحد لان العرب التقطوهم بسبق الخيل بعد الشام من تبوك ثم ان المسلمين أخذوا أموالهم وخيامهم ثم سلموا على شرحبيل ومن معه وجمعوا المال والغنائم فقالوا نبعث الجميع الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فرضوا بذلك وبعثوا الجميع الا العدة والسلاح وبعثوا مع الغنائم والاموال شداد بن أوس رضى الله عنه فى خمسمائة فارس ولما أن وصل بالمال الى المدينة المنورة وعاين المسلمون أموال المشركين رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم وسمع الصديق بقدوم شداد بن أوس رضى الله عنه ومن معه من المسلمين ففرح بذلك فرحا شديدا ثم أقبلوا الى الصديق وأعلموه بالفتح بعد أن

(المقدمة فى فضائل مصر وما ورد فيها الى آخر ما سبق)
اعلم ان مصر قد ذكرت فى القرآن العزيز فى أكثر من ثلاثين موضعا كما قاله السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية * قال تعالى اهبطوا مصرا * أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال الذى اشتراه من مصر ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين أليس لى ملك مصر وقال نسوة فى المدينة ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فأصبح فى المدينة خائفا يترقب وجاء رجل من أقصى المدينة

سلموا عليه فسجد لله عز وجل ثم كتب كتابا الى أهل مكة يستدعيهم بالجهاد مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم
من أبي بكر الى أهل مكة وسائر المؤمنين فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
أما بعد فاني قد استنفرت المسلمين الى الجهاد وفتح بلاد الشام وقد كتبت اليكم والى المسلمين أن تسرعوا الى
ما أمركم به ربكم تبارك وتعالى اذ يقول الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم
في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وهذه الآية فيكم وأنتم أحق بها وأهلها وأول من صدق وقام
بحكمها من ينصر دين الله فالله ناصره ومن بخل استغنى الله عنه والله غني حميد فسارعوا الى جنة عالية
قطوفها دانية أعدها الله للمهاجرين والانصار فمن اتبع سبيلهم من الاولياء الاخيار وحسبنا الله ونعم
الوكيل قال وختم الكتاب ودفعه الى عبد الله بن حذافة فأخذه وسار حتى وصل مكة وصرخ في أهلها
فاجتمعوا اليه فدفع اليهم الكتاب فقرؤه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعوه قام سهل
ابن عمرو والحرث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وقالوا أجبنا داعي الله وصدقنا قول نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم فأما عكرمة فانه قال الى متى نبسط لانفسنا وقد سبقنا القوم الى المواطن وقد فاز من فاز
بالصدق وان كنا تأخرنا عن السبق فالحاق السباق فلعلنا نكتب في الخال ثم خرج عكرمة بن أبي جهل في
بني مخزوم وخرج الحرث بن هشام معهم وتلاحق أهل مكة خمسمائة رجل وكتب ابو بكر للطائف فخرجوا
في أربعمائة رجل (قال الواقدي) خرج بهم سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص وكان غلاما نجيبا واذ ذاك أتى
سعيد بن خالد الى الصديق رضي الله عنه فقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انك أردت أن
تعقد لابي خالد راية ويكون قائدا من قواد جيشك فتكلم فيه المتكلمون فعزلته وحين رجع من بعثتك
وقد حبس نفسه في سبيل الله عز وجل ولم ازل مجاهدا وتلك في بعثك فهل لك أن تقدمني على هذا الجيش
فوالله لا يراني الله وانيا أبدا ولا عاجزا عن الحرب قال وكان سعيد بن خالد غلاما نجيبا أنجب من أبيه
وأفرس فعقد له أبو بكر راية ودفعها اليه وأمره على ألفين من العرب قال فلما سمع عمر بن الخطاب كلام
سعيد بن خالد وأنه خير من أن يكون أميرا كره له ذلك وأقبل على الصديق رضي الله عنه وقال يا خليفة
رسول الله عقدت هذه الراية لسعيد بن خالد على من هو خير منه ولقد سمعته يقول عندما عقدتها على رغم
الاعادي والله لتعلم أنه ما يريد بالقول غيري والله ما تكلمت في أبيه قال الواقدي فثقل ذلك على أبي بكر
وكره ان يعقد له وكره ايضا ان يخالف عمر لمحبته له ونصحه ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم ووثب قائما
ودخل على عائشة رضي الله عنها وأخبرها بخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما كان من كلامه فقالت
عائشة قد علمت ان عمر ينصر الدين ويريد النصر لرب العالمين وما في قلب عمر بغض للمسلمين قال فقبل
قول عائشة رضي الله عنها ثم دعا بأبازد الدوسي وقال له امض الى سعيد بن خالد وقل له رد علينا رايتك قال
فردها وقال والله لأقاتلن تحت راية ابي بكر حيث كان فاني قد حبست نفسي في سبيل الله (قال الواقدي)
وقد بلغني ان الصديق جعل يفكر فيمن يقدم طليعة الجيش قال فتقدم اليه سهل بن عمرو وعكرمة بن
أبي جهل وهشام بن الحرث وقالوا اشهدوا انا قد حبسنا انفسنا في سبيل الله فلا نرجع عن القتال ابدا
فقال ابو بكر اللهم بلغهم افضل ما يؤملون ثم ان أبا بكر دعا عمرو بن العاص فسلم اليه الراية وقال قد
وليتك على هذا الجيش يعني أهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب فانصرف الى ارض فلسطين
وكاتب أبا عبيدة وانجده اذا اراد ولا تقطع امرا الا بمشورته امض بارك الله فيك وفيهم قال فأقبل عمرو
ابن العاص على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له يا أبا حفص أنت تعلم شدتي على العدو وصبري على
الحرب فلو كلمت الخليفة أن يجعلني اميرا على ابي عبيدة وقد رأيت منزلتي عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم واني ارجو أن يفتح الله على يدي البلاد ويهلك الاعداء قال عمر رضي الله عنه ما كنت بالذي كذبك
وما كنت بالذي اكلمه في ذلك فانه ليس على ابي عبيدة امير ولابو عبيدة عندنا افضل منزلة منك واقدم
سابقة منك والنبي صلى الله عليه وسلم قال فيه ابو عبيدة امين الامة قال عمرو ما ينقص من منزلته اذا

يسعى وجعلنا ابن مريم وأمه
آية وآويناهما الى ربوة ذات
قرار ومعين وهي مصر لان
الربا لا تكون الا بها قال
اجعلني على خزائن الارض
وكذلك مكنا ليوسف في
الارض فلن أبرح الارض
حتى يأذن لي أبي ان فرعون
علا في الارض ونريد أن
نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونمكن لهم في
الارض الا أن تكون
جبارا في الارض يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين
في الارض أو ان يظهر في
الارض الفساد أتذر موسى
وقومه ليفسدوا في الارض
ان الارض لله يورثها من
يشاء من عباده عسى ربكم
ان يهلك عدوكم ويستخلفكم

كنت والياعليه قال عمر بن الخطاب ويلك ياعمرو وانك ماتطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف فاتق
الله ولا تطلب الاشرف الآخرة ووجه الله تعالى فقال عمرو بن العاص ان الامر كماذكرت ثم أمر الناس
بالمسير تحت رايته فساروا وتقدم أهل مكة وتبعهم بنو كلاب وطيء وهوازن وثقيف وتخلف المهاجرون
والانصار ليسيروا مع أبي عبيدة بن الجراح وتقدم عمرو بن العاص وسار قال أبو الدرداء كنت مع عمرو بن
العاص في جيشه فسمعت أبا بكر يقول وهو يوصيه اتق الله في سرك وعلانيتك واستحيه في خلواتك فانه
يراك في عملك وقد رأيت تقدمتي لك على من هو أقدم منك سابقة وأقدم حرمة فكن من عمال الآخرة
وأرد بعملك وجه الله وكن والدا لمن معك وارفق بهم في السير فان فيهم أهل ضعف والله ناصر دينه ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون واذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد بن وربيعة
وشرحبيل بل اسلك طريق ايليا حتى تنتهي الى ارض فلسطين وابعث عيونك ياتوك باخبار ابي عبيدة
فان كان ظافرا بعدوه فكن أنت لقتال من في فلسطين وان كان يريد عسكرا فانفذ اليه جيشا في اثر
جيش وقدم سهل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل والحرث بن هشام وسعيد بن خالد واياك أن تكون وانيا
عما ندبتك اليه واياك والوهن ان تقول جعلني ابن أبي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي به وقد رأيت ياعمرو
ونحن في مواطن كثيرة ونحن نلاقي مانلاقي من جموع المشركين ونحن في قلة من عددنا ثم رأيت يوم
حنين مانصرالله عليهم واعلم ياعمرو أن معك المهاجرين والانصار من أهل بدر فأكرمهم واعرف حقهم
ولا تتطاول عليهم بسلطانك ولا تداخلك نجدة الشيطان فتقول اغا ولاني أبو بكر لأني خيرهم واياك
وخدائع النفس وكن كأحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك والصلاة ثم الصلاة أذن بها اذا دخل
وقتها ولا تصل صلاة الا بأذان يسمعه أهل العسكر ثم أبرز وصل بمن رغب في الصلاة معك فذلك أفضل
له ومن صلاها وحده أجزأته صلاته واحذر من عدوك وأمر أصحابك بالحرس ولتكن أنت بعد ذلك
مطلعا عليهم وأطل الجلوس بالليل على أصحابك وأقم بينهم واجلس معهم ولا تكشف أستار الناس
واتق الله اذا لاقيت العدو واذا وعظت أصحابك فاوجز وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك فالامام ينفرد الى
الله تعالى فيما يعلمه ومايفعله في رعيته واني قد وليتك على من قد مررت من العرب فاجعل كل قبيلة على
حميتها وكن عليهم كالوالد الشفيق الرفيق وتعاهد عسكرك في سيرك وقدم قبلك طلائعك فيكونوا أمامك
وخلف على الناس من ترضا واذا رأيت عدوك فاصبر ولا تتأخر فيكون ذلك منك نفرا والزم اصحابك
قراءة القرآن وانههم عن ذكر الجاهلية وما كان منها فان ذلك يورث العداوة بينهم واعرض عن زهرة
الدنيا حتى تلتقي بمن مضى من سلفك وكن من الائمة الممدوحين في القرآن اذ يقول الله تعالى وجعلناهم
أئمة يهدون بامرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين قال فكان
أبو بكر رضي الله عنه يوصي عمرو بن العاص وابو عبيدة حاضر ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وقاتلوا
أعداء الله وأوصيكم بتقوى الله فان الله ناصر من ينصره قال فسلم المسلمون عليه وودعوه وسار وافي
تسعة آلاف مع من ذكرنا يريدون اخذ فلسطين فلما كان بعدهم بيوم واحد عقد العقود والرايات الى أبي
عبيدة بن الجراح وامره بان يقصد بمن معه أرض الجابية وقال ياأمين الامة قد سمعت ماوصيت به عمرو
ابن العاص وودعه المسلمون فلما عاد ابو بكر والمسلمون دعا بخالد بن الوليد وعقد له راية وكانت راية
النبي صلى الله عليه وسلم وأمره على لخم وجذام وضم له جيش الزحف وكانوا شجعانا مامنهم الامن شهد
الوقائع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ياأباسليمان قد وليتك على هذا الجيش فاقصد به أرض
العراق وفارس وأرجو الله أن ينصركم ثم انه ودعه وسار خالد بمن معه يطلب العراق (قال) حدثني ربيعة
ابن قيس قال كنت في الجيش الذي وجهه أبو بكر الصديق مع عمرو بن العاص الى فلسطين [illegible] وكان
صاحب رايته سعد بن خالد قال وبعث أبو بكر مع كل جيش أميرا وهو يدعو لهم بالنصر وأخذه القلق
على المسلمين حتى عرف ذلك في وجهه فقال له عثمان بن عفان رضي الله عنه [illegible] هذا الغم الذي نزل بك

في الارض فينظر كيف
تعملون وأورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها
يريد أن يخرجكم من أرضكم
في الموضعين ان هذا لمكر
مكرتموه في المدينة
فأخرجناهم من جنات
وعيون وكنوز ومقام كريم
قيل المقام الكريم الفيوم
وقيل ما كان لهم من المنابر
والمجالس التي يجلس فيها
الملوك كم تركوا من
جنات وعيون وزروع
ومقام كريم ولقد بوأنا بني
اسرائيل مبوأ صدق كمثل
جنة بربوة ادخلوا الارض
المقدسة قيل هي مصر أولم
يروا أنا نسوق الماء الى
الارض الجرز وقد أحسن

فقال اغتممت على جيوش المسلمين وارجوا الله أن ينصرهم على عدوهم فقال عثمان والله ماخرج جيش
مررت به الا هذا الجيش الذى سار الى الشام وهذا الذى أوصى الله نبيه به وليس فى قوله خلف وانا
سنظهر على الروم وفارس ولكن ماندرى متى يكون أفى هذا البعث أو غيره ولكن أحسن الظن بالله قال
وبات الصديق فرآى فى منامه كأن عمرو بن العاص فى وجهه طرمة هو وأصحابه ثم قصد عمرو أرضا
خضرة سهلة وفرجة فحمل على فرسه ثم أتبعه أصحابه فاذاهم فى أرض واسعة فنزلوا واستراحوا قال
وانتبه أبو بكر من منامه فرحا بما رأى فقال عثمان يدل على فتح الا انه يوشك أن يلقى عمرو فى قتال
المشركين مشقة عظيمة ثم يخاص منها (قال الواقدى) كانت الساقطة تنزل المدينة فى الجاهلية والاسلام
يقدمون بالبر والشعير والزيت والتين والقماش ومايكون فى الشام فقدم بعض الساقطة الى المدينة وأبو
بكر ينفذ الجيوش وسمعوا كلام أبى بكر لعمرو بن العاص وهو يقول عليك بفلسطين وايليا فال فساروا
بالخبر الى الملك هرقل فلماسمع ذلك جمع أرباب دولته وبطارقته واعلمهم بالحديث الذى جرى وقال
يابنى الاصفر هذا الذى كنت حذرتكم منه قديما وان أصحاب هذا النبى لابدأن يملك ماتحت سريرى
هذا وقد قرب الوعد وان خليفة محمد قد أنفذ لكم الجيوش وكأنكم بهم وقد أتوكم وقصدوا نحوكم فحذروا
أنفسكم وقاتلوا عن دينكم وعن حريمكم فان تهاونتم ملكت العرب بلادكم وأموالكم قال فبكى القوم
فقال لهم دعوا عنكم البكاء ثم قال له وزيره أيها الملك قد اشتهينا ان تدعو بعض من قدم بهذا الخبر عليك
فامر هرقل بعض حجابه ان يأتى برجل من المتنصرة ممن قدم عليه بالاخبار فأتى برجل منهم فقال له الملك
كم عهدك قال منذ خمسة وعشرين يوما قال فمن المتولى عليهم قال له رجل يقال له أبو بكر الصديق وجه
جيوشه الى بلدك قال هل رأيت أبا بكر قال نعم وانه أخذ منى شملة بأربعة دراهم وجعلها على كتفه وهو
كواحد منهم وهو يمشى فى ثوبين ويطوف بالاسواق ويدور على الناس يأخذ الحق من القوى للضعيف
قال هرقل صفه لى قال هو رجل آدم اللون خفيف العارضين فقال هرقل وحق دينى هو صاحب أحمد
الذى كنا نجد فى كتبنا أنه يقوم بالامر من بعده ونجد فى كتبنا أيضا ان بعد هذا الرجل رجلا آخر
طويلا كالاسد الوثاب يكون على يديه الدمدمة والجلاء قال فشهق المتنصر من قول هرقل وقال ان
هذا الذى وصفته لى رأيته معه لا يفارقه قال هرقل هذا الامر والله قد صح وقد دعوت الروم الى الرشد
والصلاح فابوا أن يطيعونى وان ملكى سوف ينهدم ثم عقد صليبا من الجوهر وأعطاه قائد جيوشه
روبيس وقال له قد وليتك على الجيوش فسيروا لمنع العرب من فلسطين فانها بلد خصب كثيرة الخير وهى
عزنا وجاهنا وتاجنا فتسلم روبيس الصليب وصار من يومه الى أجنادين وأتبعه جيش الروم (قال الواقدى)
لقد بلغنى أن عمرو بن العاص توجه الى ايليا حتى وصل الى أرض فلسطين هو ومن معه قال فلما نزل
المسلمون بفلسطين جمع عمرو المسلمين المهاجرين والانصار وشاورهم فى أمرهم فبينما هم فى المشورة
اذا اقبل عليهم عدى بن عامر وكان من خيار المسلمين وكان كثيرا مايتوجه الى بلاد الشام وداس أرضهم
وعرف مساكنها ومسالكها فلما أشرف على المؤمنين داروا به وأوقفوه بين يدى عمرو بن العاص فقال له
عمرو بن العاص ما الذى وراءك يا ابن عامر قال ورائى المتنصرة وجنودهم مثل النمل فقال له عمرو ياهذا
لقد ملأت قلوب المسلمين رعبا وانا نستعين بالله عليهم فقال له فكم حذرت القوم فقال أيها الامير انى
قد علوت على شرف من الجبال عال فرأيت من الصلبان والرماح والأعلام ما قد ملأ الآجم وهو أعظم جبل
بأرض فلسطين وهم زيادة عن مائة ألف فارس وهذا ما عندى من الخبر قال فلما سمع عمرو ذلك قال لا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم أقبل على من حضر من كبار المسلمين وقال أيها الناس انا وايا كم فى هذا
الامر بالسواء فاستعينوا بالله على الاعداء وقاتلوا عن دينكم وشرعكم فمن قتل كان شهيدا ومن عاش
كان سعيدا فماذا أنتم قائلون قال فتكلم كل رجل بما حضر عنده من الرأى فقالت طائفة منهم أيها الامير
ارجع بنا الى البرية حتى نكون فى بطن البيداء فانهم لا يقدرون على فراق القرى والحصون فاذا

بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو فجعل الشام بدوا وسمى مصر مصرا ومدينة وقد اشتهر على ألسنة كثير من الناس فى قوله تعالى سأريكم دار الفاسقين قال مصيرهم فصحفت بمصرهم (وقد ورد) فى مصر عدة أخبار منها ماروى عن كعب بن مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا افتتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما (وفى صحيح مسلم) عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتحون مصر وهى ارض يسمى فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما

جاءهم الخبر ان اذا توسطنا البرية يتفرق جمعهم وبعد ذلك نعطف عليهم وهم على غفلة فنهزمهم ان شاء الله تعالى فقال سهل بن عمرو ان هذه مشورة رجل عاجز فقال رجل من المهاجرين لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نهزم الجمع الكثير بالجمع القليل وقد وعدكم الله النصر وما وعد الصابرين الاخيرا وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال سهل بن عمرو وأما انا فلا رجعت عن قتال الكفرة ولا رددت سيفى عنهم فمن شاء فلينهض ومن شاء فليرجع ومن نكص على عقبيه فانا وراءه بالمرصاد قال فلما سمع المسلمون أن وافقه على ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قالوا أحسنت يا أبا الفاروق قال ثم ان عمرو بن العاص عقد راية واعطاها عبد الله بن عمر بن الخطاب وضم اليه الف فارس فيهم رجال من الطائف ومن ثقيف وامرهم بالمسير فسار عبد الله وجعل يجد السير بقية يومه الى الصباح واذا بغبرة القوم قد لاحت فقال عبد الله بن عمر هذه غبرة عسكر واظنها طليعة القوم ثم وقف ووقف امامه اصحابه فقال قوم من البادية اتركنا نرى ما هذه الغبرة فقال لا تتفرقوا من بعضكم حتى نرى ما هى فوقف الناس واذا بالغبرة قد قربت وانكشفت عن عشرة آلاف من الروم وقد بعث معهم روبيس بطريقا من أصحابه وكانوا قد ساروا يكشفون خبر المسلمين فلما نظرهم عبد الله بن عمر قال لاصحابه لا تمهلوهم لانهم لا بد لهم منكم والله ينصركم عليهم واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف قال فأعلن القوم بقول لا اله الا الله محمد رسول الله فلما جهروا بها أجابهم الشجر والمدر والدواب والحجر وكان أول من حمل عكرمة بن أبي جهل وتبعه سهل بن عمرو والضحاك أيضا بالحملة وصاح فى رجاله وحمل المهاجرون والانصار معهم والتقى الجمعان وعمل السيف فى الفريقين قال عبد الله بن عمرو بينما أنا فى الوقعة اذ نظرت من القوم بطريقا عظيم الخلقة وهو كالحائر البليد وهو يركض يمينا وشمالا فقلت ان يكن لهذا الجيش عين فهذا عين الجيش وصاحب الطلائع وهو مرعوب من الحرب فلما حملت عليه ومددت قناتى اليه نفر فرسه من الرمح فقربت منه وأوهمته انى أريد الانهزام ثم عطفت عليه وطعنته فوالله لقد خيل لى أنى ضربت بسيفى حجرا وسمعت طنين السيف حتى حسبت ان سيفى انفصل واذا هو صريع ثم عطفت عليه وأخذت لامته فلما رأى المشركون صاحبهم مجندلا داخلهم الفزع والهلع وصدمهم المسلمون فى الضرب والقتال فلله در الضحاك والحرث بن هشام لقد قاتلا قتالا شديدا ما عليه من مزيد فما كان غير قليل حتى انهزم الكفار من بين أيديهم هاربين قال فرجع المسلمون واجتمع بعضهم على بعض وجمعوا الغنائم والاموال وقال بعضهم لبعض ما فعل الله بعبد الله بن عمر قال قائل منهم الله خبير بحسن زهده وعبادته وقال آخرون قد أصبنا بابن عمر فما كان يساوى هذا الفتح شعرة من رأسه قال عبد الله بن عمرو وأنا مع ذلك اسمع كلامهم خلف الراية فاعلنت بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وهززت الراية فلما نظر المسلمون الراية سارعوا الى وقالوا أين كنت فقلت اشتغلت بقتال صاحبهم فقالوا أفلح والله وجهك فهذا والله فتح قد رزقنا الله اياه ببركتك قال عبد الله وبوجوهكم ثم حازوا الاموال والغنائم والخيل وستمائة أسير او قتل من المسلمين سبعة نفر فوارهم وصلى عليهم ابن عمر وانعطف الجيش الى عمرو بن العاص وحدثوه بما جرى ففرح وحمد الله تعالى ثم دعا بالاسرى واستنطق منهم بالعربية فما كان فيهم غير ثلاثة نفر من انباط الشام فسألهم عن خبرهم وخبر أصحابهم فقالوا يا معشر العرب ان هذا روبيس قد أقبل فى مائة ألف فارس وقد أمره الملك أن لا يدع أحدا من العرب يصل ايليا وانه بعث بهذا البطريق طليعة وقد قتل وكان كبيرا فقال عمرو ان الله يقتله كما قتل صاحبكم ثم عرض عليهم الاسلام فما احد منهم أسلم فقال عمرو للمسلمين كأنكم بصاحبهم وقد أتى يأخذ ثارهم وهؤلاء تركهم علينا بلاء ثم أمر بضرب أعناقهم وصاح بالمسلمين استعدوا فانى أظن ان القوم سائرون فان أتوا الينا فهم فى شدة وقوة وسنلاقى منهم تعبا فى القتال وان سرنا اليهم نرجو من الله النصر والظفر بهم كما ظفرنا بغيرهم وما عودنا الله الاخيرا قال أبو الدرداء وبتنا مكاننا فلما اجاء الله بالصباح رحلنا فما بعدنا غير قليل حتى أشرفت

علينا

وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض فقال أبو بكر ولم يارسول الله قال لانهم وازواجهم فى رباط الى يوم القيامة (وأما حديث) ان مصر ستفتح فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها دارا فانه يساق اليها أقل الناس اعمارا فهو حديث منكر جدا وقد أورده ابن الجوزى فى الموضوعات * ومن الآثار الموقوفة فى فضل مصر * ما أخرجه ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو قال قبط مصر أكرم الاعاجم كلها وأسمحهم يدا وأفضلهم عنصرا وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش

علينا عشرة صلبان تحت كل صليب عشرة آلاف فارس فلما أشرف الجيش على الجيش أقبل عمرو ورتب أصحابه وجعل فى الميمنة الضحاك وفى الميسرة سعيدا وأقام على الساقة أبا الدرداء وثبت عمرو فى القلب ومعه أهل مكة وأمر الناس يقرؤن القرآن وقال لهم اصبروا على قضاء الله وارغبوا فى ثواب الله وجنته ثم انه جعل يصفهم ويعبيهم تعبية الحرب ونظر روبيس بطريق الروم الى عسكر المسلمين وقد صفهم عمرو ابن العاص لا يخرج سنان عن سنان ولا عنان عن عنان ولا ركاب عن ركاب وهم كأنهم بنيان مرصوص وهم يقرؤن القرآن والنور يلمع من نواصى خيولهم فشم منهم رائحة النصر وتبين من نفسه الجزع وعلم أن كل من معه كذلك فوقف ينظر ما يكون من المسلمين وانكسرت حميته قال وكان أول من برز من جيش المسلمين سعيد بن خالد رضى الله عنه وهو أخو عمرو بن العاص من أمه فلما برز نادى برفيع صوته ابرزوا يا أهل الشرك ثم حمل على الميمنة فألجاها الى الميسرة وحمل الى الميسرة فألجاها الى الميمنة وقتل رجالا وجندل أبطالا ثم اقتحم فيهم فشوشهم وزعزع جيشهم قال فاجتمعوا عليه فقتلوه رحمة الله عليه قال فحزن المسلمون على قتله حزنا عظيما وأكثرهم عمرو بن العاص وقال واسعيداه لقد اشترى نفسه من الله عز وجل ثم قال يا فتيان من يحمل معى هذه الحملة حتى ننظر ما يكون من أمرها وانظر حال سعيد قال فاسرع بالاجابة ذو الكلاع الحميرى وعكرمة بن أبى جهل والضحاك والحرث بن هشام ومعاذ ابن جبل وأبو الدرداء وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين قال عبد الله وكنا سبعين رجلا وحملنا حتى دنونا من القوم وهم لا يفكرون من حملتنا الا انهم جبال من حديد (قال الواقدى) رحمة الله عليه فلما رأى المسلمون ثبات الروم صاح بعضنا ببعض ابعجوا دوابهم فما هالا كهم غير ذلك قال فبعجنا دوابهم بالاسنة فتنكسوا فبعد انتكاسهم تفرق بعضهم عن بعض وحملوا علينا وحملنا عليهم وكنا فيهم كالشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود وكان شعارنا يوم فلسطين لا اله الا الله محمد رسول الله يارب انصر أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال أبو الدرداء فلقد شغلنى الحرب عن مناشدة الاشعار ولقد كان أحدنا لا يدرى أهو يضرب أخاه أو عدوه من كثرة القتام قال فثبت المسلمون مع قتلهم وفوضوا أمرهم الى الله عز وجل وما كان أحد من المسلمين يضرب الا وظهره ناطق بالدعاء يقول اللهم انصرنا على من يتخذ معك شريكا قال عبد الله بن عمر بن الخطاب فلم يزل الحرب بيننا الى وقت الزوال وهبت الرياح والناس فى القتام اذ نظرت الى السماء وقد انفرج فيها فرج وخرجت منها خيول شهب تحمل رايات خضر اسنتها تلمع ومناد ينادى بالنصر أبشروا يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أتاكم الله بالنصر قال فما كان غير قليل اذ نظرت الى الروم منهزمين والمسلمون فى أعقابهم لان خيل العرب أسبق من خيل الروم قال ابن عمر فقتلنا فى هذه الوقعة قريبا من خمسة عشر ألف فارس وأكثر ولم نزل فى آثارهم الى الليل وعمرو بن العاص قد فرح بالنصر وقلبه متعلق بالمسلمين لاسراعهم وراء العدو وقال عمرو بن غياث فنظرت الى عمرو بن العاص والراية فى يده وقد أوفى القناة على عاتقه وهو يحركها بيده ويقول من يرد الناس على رد الله عليه ضالته اذ نظرت العرب قد عطفت راجعة كعطفة الام على ولدها فاستقبلهم عمرو وهو يقول هنيألهذه الوجوه التى تعبت فى رضا الله تعالى أما كان لكم كفاية فى أن خولكم الله حتى اتبعتم العدو فقالوا اما أردنا الغنيمة بل القتال والجهاد قال ولما رجع المسلمون لم يكن لهم همة الا افتقاد بعضهم بعضا ففقد من المسلمين مائة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالسعادة منهم سيف بن عبادة ونوفل بن دارم والاهب بن شداد والباقى من اليمن ووادى المدينة قال فاغتم عمرو لفقدهم ثم راجع نفسه وقال قد نزل بهم خير وأنت يا عمرو تأبى ذلك ثم ندب الناس الى الصلاة كما أمره أبو بكر الصديق رضى الله عنه فصلى ما فاته كل صلاة باذان واقامة قال ابن عمر ما صلى خلفه الا القليل بل صلى الناس فى رحالهم من تعبهم ولم يجمعوا من الغنائم الا القليل وبات الناس فلما أصبح عمرو أذن وصلى بهم وأمر الناس بجمع الغنائم وان يخرجوا اخوانهم المؤمنين من الروم فجعلوا يلتقطونهم قال فاخرجوا مائة وثلاثين رجلا ووجد واسعيد بن خالد فلما

خاصة ومن أراد ان ينظر الفردوس او ينظر الى مثلها فى الدنيا فلينظر الى ارض مصر حين تخضر زروعها وتنمو أثمارها (وأخرج ابن عبد الحكم) عن أبى رهم السماعى الصحابى رضى الله عنه قال كانت مصر قناطر وجسور ابتقدير وتدبير حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك قوله تعالى فيما حكى عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ولم يكن فى الأرض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتى النيل من

نظر عمرو الى ما نزل به بكى وقال رحمك الله فلقد نصحت لدين الله وأديت النصيحة ثم جعله فى جملة المسلمين
وصلى عليهم وأمر بدفنهم وذلك قبل أن يخمس شيأ من الغنائم ثم بعد ذلك جمعها اليه وكتب الى أبى عبيدة
كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص الى أمين الامة أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله
الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانى قد وصلت الى أرض فلسطين ولقينا عساكر الروم مع
بطريق يقال له روبيس فى مائة ألف فارس فمن الله بالنصر وقتل من الروم خمسة عشر الف فارس وفتح
الله على يدى فلسطين بعد أن قتل من المسلمين مائة وثلاثون رجلا فان احببت الى سرت اليك والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته ودفع الكتاب الى أبى عامر الدوسى وأمره أن يسير الى أبى عبيدة قال فاسرع
أبو عامر بالكتاب فوجد أبا عبيدة وهو نازل بأرض الشام وجاهر بالدخول اليها غير أنه أمره كما أمره
أبو بكر قال فلما وصل أبو عامر قال له أبو عبيدة ما وراءك قال خير هذا كتاب من عمر بن العاص يخبرك
بما فتح الله على يديه ثم سلم اليه الكتاب فلما اقرأه خر ساجدا فرحا بنصر الله ثم قال والله قتل من المسلمين
رجالا أخيارا منهم سعيد بن خالد قال أبو عامر فكان خالد والده جالسا فلما سمع بان ولده قد قتل قال
وا ابناه وجعل يبكيه حتى بكى المسلمون لبكائه ثم ان خالدا أسرع الى فرسه فركبها وعزم الى أرض فلسطين
لينظر الى قبر ولده فقال أبو عبيدة كيف تسير وتدعنا فقال انما أنظر قبر ولدى وأرجو الله أن يلحقنى به
قال وكتب أبو عبيدة كتابا لعمرو بن العاص يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم انما أنت مأمور فان كان
ابو بكر أمرك أن تكون معنا فسر الينا وان كان أمرك بالثبات فى موضعك فاثبت والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى خالد بن سعيد وسار مع أبى عامر الى أن أتيا الى جيش عمرو
ابن العاص فدفع له الكتاب وهو يبكى فوثب عمرو وصافح خالدا ورفع منزلته وعزاه فى ولده سعيد وعزاه
المسلمون فقال خالد يا أيها الناس هل أروى سعيد رمحه وسيفه فى الكفار قالوا نعم فلقد قاتل وما قصر ولقد
جاهد فى الدين ونصر فقال أرونى قبره قال فأروه اياه فأقام على القبر وقال يا ولدى رزقنى الله الصبر عليك
وألحقنى بك وانا لله وانا اليه راجعون والله ان مكننى الله لآخذن بثارك يا ولدى عند الله احتسبتك ثم قال
لعمرو بن العاص انى أريد أن أسرى بسرية فى طلب القوم فلعل أن أجد فيهم فرصة أو غنيمة وأكون قد
أخذت بثار ولدى فقال عمرو ان الحرب امامك يا ابن الام فاذا رأيت الروم فلا تبق عليهم فقال خالد والله
لأسيرن اليهم ثم أخذ خالد أهبته للسير وعزم أن يسير وحده فركب معه ثلثمائة فارس من فتيان حمير
فساروا يومهم ذلك أجمع وأرادوا النزول فى الاودية ليعلفوا دوابهم ويسيروا فى ليلتهم اذ نظر خالد بن
سعيد الى اشباح على ذروة جبل هناك عال منيع فقال لاصحابه انى أرى أشباحا على ذروة هذا الجبل
ونحن فى هذا الوادى ثم قال كونوا فى أماكنكم ثم نزل عن فرسه وتقلد سيفه والتحف بازاره وقال اعلموا
ان القوم ما علموا بنا ولو نظروا الينا ما ثبتوا فى أماكنهم فمن منكم يبذل نفسه ويصنع كما أصنع قالوا كلنا
لك قال فطافوا فى الجبل حتى أشرفوا على القوم وهم فى أماكنهم فعند ذلك قال خذوهم بارك الله فيكم
فأسرع اليهم المسلمون فقتلوا منهم ثلاثين وأسروا أربعة فسألهم خالد بن سعيد فاذا هم من انباط الشأم عن
حالهم فقالوا نحن من أهل هذا البقيع والجامعة وكفار القرية وقد عظم علينا دخول العرب الى بلادنا
وقد فزعنا منهم فزعا عظيما وقد هرب أكثرنا الى الحصون والقلاع وقد اعتصمنا نحن بهذا الجبل لانه ليس
فى الرستاق احصن منه فعولنا عليه وأنتم كبستمونا قال خالد فما بلغكم عن جيش الروم قالوا باجنادين
وهذا البطريق أقبل الينا ليأخذ الميرة والعلوفة وقد جمعوا له الدواب والبغال والحمير تحمل الميرة وهم مع
ذلك خائفون ان تلحقهم خيل العرب وهذا خبر قومنا ولا شك انهم رحلوا من يومهم قال فلما سمع خالد بن
سعيد مقالتهم قال غنيمة للمسلمين ورب الكعبة ثم قال اللهم انصرنا عليهم ثم سأل على أى طريق سار
القوم قالوا على هذه الطريق التى انتم عليها لانها أوسع الطرق كلها وأما الميرة فانها مجموعة من حول
البلاد فلما سمع خالد كلامهم قال لهم اسلموا فقالوا والله ما نعرف الا دين الصليب ونحن فلاحون قال فهم خالد

بقتلهم

أوله الى آخره من الجانبين
جميعا ما بين أسوان الى
رشيد سبعة خلج خليج
الاسكندرية وخليج سخا
وخليج دمياط وخليج منف
وخليج الفيوم وخليج
المنهى وخليج سردوس
جنات متصلة لا ينقطع منها
شئ والزرع ما بين الجبلين
من أول مصر الى آخرها
وكان المسافر يسير من
اسكندرية الى اسوان بلا
زاد فى ظل وأشجار وفواكه
الى ان يصل الى مدينة
اسوان * (وعن عبد الله بن
عمر رضى الله عنهما) قال
لما خلق الله تعالى آدم مثل
له الدنيا شرقها وغربها
سهلها وجبلها وأنهارها
وبحارها وبناءها وخرابها

بقتلهم فقال رجل من اصحابه دعهم يدلونا على الطريق الى ميرة القوم فأجابوهم الى ذلك وساروا وهم
يدلونهم الى تل عظيم قال فتوافق القوم وهم يحملون دوابهم حول التل ومعهم ستمائة لابس من القوم
فلما نظر خالد الى ذلك قال لاصحابه اعلموا ان الله تعالى قد وعدكم بالنصر على عدوكم وفرض عليكم الجهاد
وهذا جيش العدو أمامكم فارغبوا فى ثواب الله تعالى واسمعوا ما قال الله عز وجل ان الله يحب الذين
يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وها أنا أحمل فاحملوا ولا يخرج أحد عن صاحبه ثم ان خالدا
حمل وحمل اصحابه قال فلما رأونا استقبلونا وانهزم من كان مع الدواب من الفلاحين وصبرت الخيل
لقتالنا ساعة من النهار قال فبينما ذو الكلاع الحميرى يشجع اصحابه ويقول يا اهل حمير أبواب الجنة
قد فتحت والحور العين قد تزخرفت واذا بصاحب القوم قد لقيه خالد فعرفه بلامته وحسن زيه قال فاستقبله
وصرخ فيه فأرعبه ثم قال يا لثار ولدى سعيد وطعنه طعنة صادقة فجندله صريعا كأنه برج من حديد وما
بقى أحد الا قتل من الروم قال فلما رأى الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وقتل منهم ثلثمائة
وعشرون فارسا وولى الباقون منهزمين وتركوا الاثقال والبغال والميرة وأخذ المسلمون الجميع بعون
الله تعالى قال وأطلق سبيل الفلاحين وعاد خالد ومن معه بالغنائم والميرة الى عمرو بن العاص ففرح
بسلامتهم وشكر فعلهم وكتب كتابا الى أبى بكر الصديق وذكر له ماجرى مع الروم وبعث الكتاب مع أبى
عامر الدوسى رضى الله عنه وأخذه وقدم به المدينة وأعطاه أبا بكر الصديق رضى الله عنه فلما قرأه على
المسلمين فرحوا وضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم ان أبا بكر استخبر عن أبى
عبيدة فقال له عامر انه قد أشرف على أوائل الشام ولم يجسر على الدخول اليها وانه سمع أن جيوش الملك
قد اجتمعت من حول اجنادين وهم أمم لا تحصى وقد خاف على المسلمين أن يتوسط بهم عدوهم فلما سمع
ابو بكر ذلك علم أن ابا عبيدة لين العريكة وغيره لا يصلح لقتال الروم وعول أن يكتب الى خالد بن الوليد
ليوليه على جيوش المسلمين وقتال الروم قال واستشار المسلمين فى ذلك فقالوا الرأى ما تراه وكتب كتابا
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق بن ابى قحافة الى خالد بن الوليد سلام عليك أما بعد فانى
أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانى قد وليتك على جيوش المسلمين
وأمرتك بقتال الروم وأن تسارع الى مرضاة الله عز وجل وقتال أعداء الله وكن ممن يجاهد فى الله حق
جهاده ثم كتب يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم الآية وقد جعلتك الامير
على أبى عبيدة ومن معه وبعث الكتاب مع نجم بن مقدم الكنانى فركب على مطيته وتوجه الى العراق
فرأى خالدا رضى الله عنه قد أشرف على فتح القادسية فدفع اليه الكتاب فلما قرأه قال السمع والطاعة
لله ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتحل ليلا وأخذ طريقه عن اليمين وكتب كتابا الى ابى عبيدة
يخبره بعزله وبسيره الى الشام وقد ولانى ابو بكر على جيوش المسلمين فلا تبرح من مكانك حتى أقدم عليك
والسلام وبعث الكتاب مع عامر بن الطفيل رضى الله عنه وكان أحد أبطال المسلمين فأخذه وتوجه
بطلب الشام وأما خالد فلما وصل الى ارض السماوة قال أيها الناس ان هذه الارض لا تدخلونها الا بالماء
الكثير لانها قليلة الماء ونحن فى جيش عظيم والماء معكم قليل فكيف يكون الامر فقال له رافع بن عميرة
الطائى رضى الله عنه أيها الامير انى أشير عليك بما تصنع فقال يا رافع أرشدك الله بما تصنع وفقك الله
مولانا جل وعلا للخير قال فاخذ رافع ثلاثين جملا وعطشها سبعة أيام ثم أوردها الماء فلما رويت حزم
افواهها ثم ركبوا المطايا وجنبوا الخيول وساروا فكانوا كلما نزلوا منزلا أخذوا عشرة من الابل يشقون
بطونها ويأخذون ما يجدون من الماء فى بطونها فيجعلونه فى حياض الادم فاذا برد سقوه للخيل وأكلوا
اللحم ولم يزالوا كذلك حتى تمت الابل وفرغ الماء وقطعوا مرحلتين بلا ماء وأشرف خالد ومن معه على
الهلاك فقال خالد لرافع بن عميرة يا رافع قد أشرفنا على الهلاك والتلف أتعرف لنا ماء ننزل عليه (قال
الواقدى) وكان رافع رمدت عيناه فقال أيها الامير انى رمد كما ترى ولكن اذا أشرفتم على أرض سهلة

ومن يسكنها من الامم ومن
يملكها من الملوك فلما رأى
مصر رأى أرضا سهلة ذات
نهر جار مادته من الجنة تنحدر
فيه البركة وتمزجه الرحمة
ورأى جبلا من جبالها
مكسوا أنوارا لا يخلو من نظر
الرب اليه بالرحمة فى سفحه
أشجار مثمرة فروعها فى
الجنة تسقى بالرحمة فدعا آدم
فى النيل بالبركة ودعا فى أرض
مصر بالرحمة والبر والتقوى
وبارك فى سهلها وجبلها
سبع مرات (وعن عبد
الله بن سلام) قال مصر أم
البركات تعم بركتها من حج
بيت الله الحرام من أهل
المشرق والمغرب وان الله
تعالى يوحى الى نيلها فى كل
عام مرتين عند جريانه يوحى

فاعلمونى قال فلما أشرفوا عليها أعلموا رافعا بذلك قال فرفع طرف عمامته عن عينيه وسار على راحلته
يضرب يمينا وشمالا والناس من ورائه الى أن أقبل على شجرة من الاراك فكبر وكبر المسلمون ثم قال
احفروا هنا قال فحفر العرب واذا الماء قد طلع كالبحر فنزل الناس عليه وشكروا الله تعالى وأثنوا عليه
وعلى رافع خيرا ثم وردوا الماء وسقوا خيلهم وابلهم ثم جدوا فى طلب من انقطع من المسلمين ومعهم القرب
بالماء قال فسقوهم فارتجعت قوتهم ثم لحقوا بالجيش واراحوا أنفسهم ثم فى ثانى يوم جدوا فى المسير الى أن
بقى بينهم وبين أركة مرحلة واحدة فبينما هم كذلك اذ أشرفوا على حلة عامرة وأغنام وابل قد سدت
الفضاء والمستوى فأسرع المسلمون الى الحلة واذا براع يشرب الخمر والى جانبه رجل من العرب مشدود
قال فتبينه المسلمون واذا هو عامر بن الطفيل الذى أرسله خالد قال فأقبل خالد بن الوليد مسرعا حتى وقف
عليه فلما رآه تبسم وقال يا ابن الطفيل كيف كان سبب أسرك قال عامر أيها الملك الامير انى أشرفت
على هؤلاء القوم فى هذه الحلة وقد اصابنى الحر والعطش فملت الى هذا الراعى ليسقينى من اللبن فوجدته
يشرب خمرا فقلت له يا عدو الله أتشرب الخمر وهى محرمة فقال لى يا مولاى انها ليست بخمر وانما هى ماء
زلال فانزل كى تراه واستنشق ما فى الجفنة فان كان خمرا فافعل ما بدا لك فلما سمعت كلامه أنخت المطية
ونزلت عن كورها وجلست على ركبتى فى الجفنة واذا أنا بالعبد قد طلبنى بعصا كانت الى جانبه وضربنى على
رأسى فشجنى شجة موضحة فانقلبت على جانبى فاسرع العبد الى وشدنى كتافا وأوثقنى رباطا وقال لى
أظنك من أصحاب محمد بن عبد الله واست أدعك من بين يدى أو يقدم سيدى من عند الملك فقلت له ومن
سيدك من العرب فقال القداح بن واثلة وانى عند هذا العبد كما ترى أشرب الخمر أحضرنى كما ترى وألقى على
فضلة من كاسه قال فلما سمع خالد بن الوليد كلام عامر بن الطفيل اشتد به الغضب ومال على العبد وضربه
ضربة هائلة فتجندل صريعا ونهب المسلمون المال والاغنام والابل وقلعوا الحلة بما فيها واطلق عامرا
وقال له أين رسالتى يا عامر فقال يا مولاى هى فى طرف عمامتى لم يعلم بها العبد فقال خالد انطلق بها يا عامر
على بركة الله تعالى قال فركب عامر وسار يطلب الشام وارتحل خالد من موضعه ذلك فنزل باركة وهى رأس
الامانة لمن يخرج من العراق وكانت الروم تمسك بها القوافل وكان عليها بطريق من قبل الملك فاغار خالد
عليها واخذ ما كان فيها وتحصن أهلها بحصنها وكان يسكن فيها حكيم من حكماء الروم وقد طالع الكتب
القديمة والملاحم فلما رأى المسلمين وجيشهم انتقع لونه وقال اقترب الوقت وحق دينى فقال أهل اركة
وكيف لك قال ان عندى ملحمة فيها ذكر هؤلاء القوم وان أول راية تشرف من خيلهم هى الراية المنصورة
وقد دنا هلاك الروم فانظر وان كانت رايتهم سوداء واميرهم عريض اللحية طويل ضخم بعيد ما بين
المنكبين واسع الهيكل فى وجهه اثر جدرى فهو صاحب جيشهم فى الشام وعلى يديه يكون الفتح قال فنظر
القوم واذا الراية على رأس خالد وهى كما قال حكيمهم قال واجتمعوا على بطريقهم وقالوا له أنت تعلم أن
الحكيم معمان لا ينطق الا بالحق والحكمة وقد قال كذا وكذا والذى وصفه انار أيناه عيانا ونرى من الرأى
أن نعقد بيننا وبين العرب صلحا ونأمن على حريمنا وأنفسنا فلما سمع ذلك بطريقهم قال أخرونى الى غد لأرى
من الرأى قال فانصرفوا من عنده وبات البطريق يحدث نفسه ويدبر أمره وكان عارفا عاقلا خبيرا بالامور
وقال ان انا خالفتهم خفت ان يسلمونى للعرب وقد تحقق أن رويس سار بجيش عظيم فهزمهم العرب ولم
يزل يراود نفسه الى أن أصبح الصباح فدعا قومه وقال على ماذا عولتم قالوا عولنا على أننا نقيم الصلح بيننا
وبين العرب فقال البطريق انا واحد منكم مهما فعلتم لا اخالفكم قال فخرج مشايخ اركة الى خالد وكلموه
فى الصلح فاجابهم الى الصلح والان الكلام لهم وتلقاهم بالرحب والسعة لم يسمع بذلك أهل السخنة وبلغ
الخبر لاهل تدمر وكان الوالى عليهم بطريق اسمه كوكب فجمع رعيته وقال لهم بلغنى عن هؤلاء العرب انهم
فتحوا اركة والسخنة وان قومنا يتحدثون بعدلهم وحسن سيرتهم وانهم لا يطلبون الفساد وهذا الحصن
مانع لا سبيل لاحد علينا ولكن نخاف على نخلنا وزرعنا وما يضرنا ان نصالح العرب فان كان قومنا هم

الغالبين

اليه ان الله يأمرك أن تجرى
فجرى كما يؤمر ثم يوحى اليه
ثانيا ان الله يأمرك أن
تغيض حميدا فيغيض وان
بلد مصر بلد معافاة وأهلها
أهل عافية وهى آمنة ممن
يقصدها بسوء من أرادها
بسوء كبه الله على وجهه
ونهرها نهر العسل ومادته
من الجنة وكفى بالعسل طعاما
وشرابا وعن كعب قال فى
التوراة مكتوب مصر خزائن
الله كلها من أرادها بسوء
قصمه الله وعن عقبة بن مسلم
يرفعه ان الله يقول يوم
القيامة لساكنى مصر يعدد
عليهم النعم أما أسكنتكم
مصر فكنتم تشبعون من
خبزها وتروون من مائها
وقال أبو الربيع السائح نعم

الغالبين فبعثنا صالحهم وان كان العرب ظافرين كنا آمنين قال ففرح قومه بذلك وهيؤا العلوفة والضيافة
حتى خرج خالد رضى الله عنه من اركة ونزل عليهم فخرجوا اليه بالخدمة وصالحهم على ثلثمائة أوقية من
الذهب وكتب لهم كتابا بالصلح ثم ارتحل عنها الى حوران وبلغ عامر بن الطفيل كتاب خالد الى ابى عبيدة فلما
قرأه تبسم وقال السمع والطاعة لله تعالى وللخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اعلم المسلمين بعزله
وولاية خالد بن الوليد وكان ابو عبيدة وجه شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
بصرى فى أربعة آلاف فارس قال فسار على فنائها وكان على بصرى بطريق عظيم الشان والقدر عند
الملك وعند الروم اسمه روماس وكان قرأ الكتب السالفة والاخبار الماضية وكان يجتمع اليه الروم من
أقصى بلادها ينظرون الى عظيم خلقته ويسمعون ألفاظ حكمته وكانت آهلة بالخلق عامرة بالناس
وكان فيها ألف فارس وكان العرب يقصدونها ببضائعهم وتجاراتهم من أقصى اليمن وبلاد الحجاز فاذا كان
فى ايام الموسم ينصب لبطريقهم كرسى ليجلس عليه ويجتمع الناس اليه ويستفيدون من علمه وحكمته
فبينما هم قد اجتمعوا اليه وقعت الفجة بقدوم شرحبيل بن حسنة وعسكره فبادروا الى جواده فركبه
وصاح فى قومه فأجابوه وقال لا تحدثوا حتى نسمع كلام القوم وما عندهم ثم سار حتى قرب من شرحبيل
ابن حسنة وجيشه ونادى يامعشر المسلمين انا روماس وانى أريد صاحبكم قال فخرج اليه شرحبيل فلما
قرب منه قال البطريق من انتم قال شرحبيل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم النبى الامى القرشى
الهاشمى المنعوت فى التوراة والانجيل فقال روماس مافعل الله به فقال شرحبيل قبضه الله اليه فقال
البطريق فمن ولى الامر بعده قال عتيق بن ابى قحافة بن ابى بكر بن عثيم بن مرة فقال روماس وحق دينى لقد
أعلم بانكم على الحق ولابد لكم ان تملكوا الشام والعراق وانا اشفق عليكم اذا انتم فى جمع يسير ونحن فى
جمع كثير ولكن ارجعوا الى بلادكم فانا لانتعرض لكم واعلم يا اخا العرب ان ابا بكر هو صاحبى ورفيقى
ولو كان حاضرا ماقاتلنى فقال شرحبيل لو كان ولده أوابن عمه لما دفعناه الان يكون من أهل ملته
وليس له من الامر شئ لانه مكلف وقد امره الله ان يجاهدكم ولسنا نبرح عنكم الا باحدى ثلاث اما أن
تدخلوا فى ديننا أو تؤدوا الجزية أو السيف فقال روماس وحق ما أعتقده من دينى لو كان الامر الى
ما قاتلتكم لانى أعلم انكم على الحق وهؤلاء طواغية الروم وقوم مجتمعون وانى أريد أن ارجع اليهم
وأنظر ماعندهم فقال شرحبيل ارجع اليهم فلابد لكم مما ذكرت قال فعاد روماس الى قومه وجمعهم
وقال يا اهل دين النصرانية وبنى ماء المعمودية ان الذى كنتم تعتقدونه فى كتبكم من الخروج من بلادكم
ودياركم ونهب أموالكم قد قرب وهذا وقته وزمانه ولستم بأعظم جيشا من روبيس سار الى شرذمة من
العرب بارض فلسطين فقتل وقتل من معه وانهزم الباقون ولقد بلغنى أن رجلا منهم خرج من أرض
السماوة صوب العراق اسمه خالد بن الوليد وقد فتح أركة والسخنة وتدمر وحوران وهو عن قريب يحضر
اليكم والصواب أن تؤدوا الجزية عن يد الى هؤلاء العرب وينصرفون عنكم قال فلما سمع قومه ذلك
غضبوا وشوشوا وهموا بقتله فقال روماس ياقوم انما أردت ان أختبركم وأرى حمية دينكم والآن
دونكم والقوم وانا فى أولكم قال فرجعت الروم الى عددها وعديدها وتظاهروا بالدروع البيض وقادوا
الجنائب وتهيؤا للحملة فلما رأى شرحبيل بن حسنة ذلك وعظ أصحابه وقال اعلموا رحمكم الله أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت ظلال السيوف وأحب ماقرب الى الله قطرة دم فى سبيل الله
أو دمعة جرت فى جوف الليل من خشية الله قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن
الا وأنتم مسلمون ثم حمل وحمل المسلمون على جيش بصرى قال عبد الله بن عدى واجتمع علينا العدو
وطمعوا فينا وحملوا علينا فى اثنى عشر ألف فارس من الروم ونحن فيهم كالشامة البيضاء فى جلد البعير
الاسود وصبرنا لهم صبر الكرام ولم يزل القتال بيننا وبينهم الى أن توسطت الشمس فى قبة الفلك وقد
طمع العدو فينا فرأيت شرحبيل بن حسنة قد رفع يده الى السماء وهو يقول ياحى ياقيوم يا بديع السموات

البلد مصر يحج منها بدينارين
ويغزى منها بدرهمين يريد الحج
من بحر القلزم والغزو الى
الاسكندرية وسائر سواحل
مصر وقيل ان يوسف عليه
السلام لما دخل مصر وأقام
بها قال اللهم انى غريب
فحببها الى كل غريب فمضت
دعوته فليس يدخلها غريب
الا أحب المقام بها وكان بها
من حكماء الطب والهندسة
والكيمياء وعلم النجوم
والرصد والطلسمات والحساب
عدة منهم أفلاطون
وبطليموس وسقراط
وارسطاطاليس وجالينوس
وكان فى الازمنة الاول
يذهب الى مصر أرباب العلوم
والحكم لتكون اذهانهم
على الزيادة وقوة الذكاء

والارض ياذا الجلال والاكرام اللهم انصرنا على القوم الكافرين قال فوالله مااستتم شرحبيل كلامه
ودعاءه حتى جاء النصر من عند الله العزيز الحكيم وذلك أن القوم داروا بنا فرأينا غبرة قد أشرفت علينا
من صوب حوران فلما قربت لنا رأينا تحتها سوابق الخيل فلاحت لنا الاعلام الاسلامية والرايات
المحمدية وقد سبق الينا فارسان أحدهما ينادى ويزعق ياشرحبيل يا ابن حسنة أبشر بالنصر لدين الله أنا
الفارس الصنديد والبطل المجيد أنا خالد بن الوليد والآخر يزعق ويقول أنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
وأشرفت العساكر من كل جانب قال واشرفت راية العقاب يحملها رافع بن عميرة الطائى (قال) حدثنا
سالم بن عدى عن ورقاء بن حسان العامرى عن ميسرة بن مسروق العبسى قال والله لقد خمدت أصوات
الروم عند زعقة خالد رضى الله عنه وأقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض وأقبل شرحبيل بن حسنة
الى خالد بن الوليد وسلم عليه فقال خالد ياشرحبيل أما علمت أن هذه مينا الشام والعراق وفيها عساكر الروم
وبطارقتهم فكيف غررت بنفسك وبمن معك من المسلمين قال كله بأمر أبي عبيدة فقال خالد أما
أبو عبيدة فانه رجل خالص النية وليس عنده غائلة الحرب ولا يعلم عواقبها ثم أمر الناس
بالراحة فنزلوا وارتاحوا من أوزارهم فلما كان فى اليوم الثانى زحفت جيوش بصرى على
المسلمين فقال خالد ان الروم زحفوا لعلمهم بتعبنا وتعب خيولنا فاركبوا بارك الله فيكم واحملوا على
بركة الله تعالى قال فركب المسلمون وأخذوا أهبتهم للحرب فجعل فى الميمنة رافع بن عميرا الطائى وجعل فى
الميسرة ضرار بن الازور وكان غلاما فاتكا فى الحرب وجعل على الدرك عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
ثم قسم جيش الزحف فجعل على شطره المسيب بن نجيبة الفزارى وعلى الشطر الآخر مذعور بن غانم
الاشعرى وأمرهم أن يرزفوا الخيل اذا حملت قال وبقى خالد فى الوسط وهو يعظ الناس ويوصيهم وقد
عزموا على الحملة واذا بصفوف الروم قد انشقت وخرج من وسطها فارس عظيم الخلقة كثير الزينة يلمع
ما عليه من الذهب الاحمر والياقوت فلما توسط الجمعين نادى بلسان عربى كأنه بدوى يامعشر العرب لا
يبرز لى الا أميركم فانا صاحب بصرى قال فخرج اليه خالد رضى الله عنه كالاسد الضرغام وقرب منه
فقال له البطريق أنت أمير القوم قال كذلك يزعمون أنى أميرهم مادمت على طاعة الله ورسوله فان
عصيته فلا امارة لى عليهم قال البطريق انى رجل عاقل من عقلاء الروم وملوكهم وان الحق لا يخفى على
ذى بصيرة واعلم أنى قرأت الكتب السابقة والاخبار الماضية فوجدت أن الله تعالى يبعث نبيا قرشيا
واسمه محمد بن عبد الله قال خالد والله نبينا قال انزل عليه الكتاب قال نعم القرآن قال روماس البطريق
أحرم عليكم فيه الخمر قال خالد نعم من شربها حددناه ومن زنى جلدناه وان كان محصنا رجمناه قال أفرضت
عليكم الصلوات قال نعم خمس صلوات فى اليوم والليلة قال أفرض عليكم الجهاد قال خالد ولولا ذلك ما
جئنا كم نبغى قتالكم قال روماس والله أنى لأعلم أنكم على الحق وانى أحبكم وقد حذرت قومى منكم
وانى خائف منكم فأبوا فقال خالد فقل أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله يكون لك مالنا وعليك
ما علينا فقال انى أسلمت وأخاف أن يعجل هؤلاء بقتلى وسبى حريمى ولكن أنا أسير الى قومى وأرغبهم
فلعل الله أن يهديهم فقال خالد ان رجعت الى قومك بغير قتال يكون بينى وبينك خفت عليك ولكن
احمل على حتى لا يتهموك وبعد ذلك اطلب قومك فحمل بعضهم على بعض وأرى خالدا الفريقين أبوابا
من الحرب حتى أبهر روماس فقال لخالد شدد على الحملة حتى يرى الديرجان فانى خائف عليك من بطريق
بعث به الملك يقال له الديرجان فقال خالد ينصرنا الله عليه ثم شدد على روماس الحملة حتى انه انهزم من بين
يديه الى قومه فلما وصل الى قومه قال ما الذى رأيت من العرب قال ان العرب اجلاد مالكم بقتالهم طاقة
ولا بد لهم أن يملكوا الشام وما تحت سريرى هذا فادخلوا تحت طاعتهم وكونوا مثل أركة والسخنة قال
فلما سمعوا كلامه زجروه وأرادوا قتله وقالوا له ادخل المدينة والزم قصرك ودعنا لقتال العرب فانصرف
روماس وقال لعل الله ينصر خالدا ثم ان أهل بصرى ولوا عليهم الديرجان وقالوا اذا فرغنا من المسلمين

ووليها عدة من الانبياء
وهم موسى وأخوه هرون
ويوشع بن نون ودخل اليها
عيسى وتوجه الى الصعيد ثم
أقام بقرية هناك تسمى
اهناس ودخلها أيضا
ابراهيم الخليل ويعقوب
ويوسف والاسباط وأرميا
ودانيال ولقمان الحكيم
عليهم السلام ودفن بها
من الصحابة والتابعين
جماعة كثيرة وكان من
أهلها مؤمن آل فرعون
الذى أثنى عليه الله فى
كتابه وكذا آسية امرأة
فرعون وسحرة فرعون
الذين آمنوا فى ساعة واحدة
مع كثرتهم وقال المسعودى
ان كل قرية من قرى مصر
تصلح أن تكون مدينة

سر نامعك الى الملك ونسأله ان ينزع روماس و يوليك علينا قال الديرجان وما الذى تريدون قالوا نحمل ونطلب قتال العرب قال فخرج الديرجان وطلب خالدا فقال عبد الرحمن لخالد يا أميرأنا اخرج اليه فقال دونك يا ابن الصديق فخرج عبد الرحمن وحمل على الديرجان فما لبثوا غير ساعة وقد أحس الديرجان من نفسه بالتقصير فولى منهزما وراح الى قومه فلما رأوا ذلك منه نزل الرعب فى قلوبهم وعلم خالد ما عند القوم من الفزع فحمل وحمل عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وحمل المسلمون فلما نظر أهل بصرى الى حملة المسلمين حملوا وتلاقى الفريقان وضجت الرهبان بكلمة كفرهم فقال شرحبيل بن حسنة اللهم ان هؤلاء الأنجاس يتهللون بكلمة كفرهم ويدعون معك الها آخر لا اله الا أنت ونحن نبتهل اليك بلا اله الا أنت وان محمدا عبدك و رسولك الا مانصرت هذا الدين على أعدائك المشركين ثم حملوا حملة واحدة فلم يكن للروم ثبات مع العرب فولى المشركون الادبار وكنوا الى الفرار فلما حطوا داخل المدينة أغلقوا الابواب وتحصنوا بالاسوار و رفعوا الصلبان وعولوا أن يكتبوا للملك ليمدهم بالخيل والرجال قال عبد الله بن رافع فلما تحصنوا رجعنا عنهم وافتقدنا أصحابنا فوجدنا قد قتل منا مائة وثلاثون فارسا وقتل من الاعيان بدريان قال وغنم المسلمون الاموال وصلى خالد على الشهداء وأمر بدفنهم فلما كان الليل تولى الحرث عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق ومعمر بن راشد ومائة من جيش الزحف فبينما هم يدورون حول العسكر واذا بروماس صاحب بصرى قد أقبل عليهم وقال لهم أين خالد بن الوليد فأخذوه وأتوا به الى خالد فلما رآه رحب به فقال أيها الامير بعد أن فارقتك طردنى قومى وقالوا الزم قصرك والا قتلناك فلزمت قصرى وهو ملاصق للسور ولما وقع لهم ماوقع وانهزموا وتحصنوا فلما جن الليل امرت غلمانى بحفر السور وفتحوا فيه بابا فأتيتك فارسل معى من تعتمد عليه من اصحابك تستلمون المدينة فلما سمع خالد هذا الكلام أمر عبد الرحمن بن أبى بكر أن يأخذ مائة من المسلمين و يسير وامعر روماس قال ضرار بن الازور وكنت ممن دخل المدينة فلما صرنا فى قصر روماس فتح لنا خزانة السلاح فلبسنا من سلاحهم وقسمنا أربعة أقسام كل جانب خمسة وعشرون رجلا وقال لنا عبد الرحمن اذا سمعتم التكبير فكبروا فلما صرنا حيث أمرنا أخذنا انفسنا بالحملة على القوم * قال الواقدى بلغنى عمن اثق به من الرواة ان عبد الرحمن لما فارق اصحابه لبس سلاحه وسار هو وروماس يطلبون الدرج الذى عليه الديرجان وسار معهم ضرار ورافع وشرحبيل ابن حسنة فلما اقرب عبد الرحمن من الدرج الذى فيه الديرجان قال الديرجان من أنتم فقال أنا روماس فقال لا أهلا ولا مرحبا بك ومن الذى معك قال معى صديق لك ومشتاق الى رؤياك قال ويحك ومن هو يا روماس قال هذا ابن أبى بكر الصديق فلما سمع الديرجان ذلك هم أن يقتله فلم تطاوعه نفسه فحمل عليه عبد الرحمن وهز سيفه فى وجهه وضربه على عاتقه فتجندل صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار قال وكبر عبد الرحمن فاجابه روماس وسمع أصحابه التكبير فكبروا من جوانب بصرى قال وأجابتهم الاحجار والاشجار قال وكبر المسلمون من جوانب بصرى ووضعوا السيف فى الروم وسمع خالد التكبير فصرخوا واذا بغلمان روماس وأولاده قد فتحوا لهم الأبواب فعبر خالد ومن معه من المسلمين فلما نظر أهل بصرى الى الابواب وقد فتحت بالسيف قهرا ضجوا باجمعهم يقولون الامان الامان فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ارفعوا السيف عنهم واقام خالد الى الصباح واجتمع اليه اهلها وقالوا يا أيها الامير لو صالحناك ماجرى شئ من ذلك ولكن نسألك بالذى ايدك ونصرك ما الذى فتح لك ابواب مدينتنا فاستحى خالد رضى الله عنه ان يقول فوثب روماس وقال انا فعلت ذلك يا اعداء الله وأعداء رسوله وما فعلته الا ابتغاء مرضاة الله وجهادا فيكم فقالوا اولست منا فقال اللهم لا تجعلنى منهم رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا و بالكعبة قبلة وبالقرآن اماما وانا اشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال ففرح خالد بذلك واما أهل بصرى فغضبوا من كلامه واضمروا له شرا وعلم بذلك روماس فقال لخالد انا لا اريد المقام عندهم وانى اسير معك حيث سرت فاذا فتح الله على يديك الشام وصار الحكم الامر ردونى اليها

صلى انفرادها وقال القضاعى لم يكن فى الارض اعظم من ملك مصر فانها لوزرعت جميع الوقت بخراج الدنيا بأمرها ويوجد فى مصر فى كل شهر نوع من المأكول أو المشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبه ورميس أى خروف امشير واين برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل أبيب وعنب مسرى والسبع زهرات التى تجتمع فى اواخر الشتاء فى وقت واحد ولا تجتمع فى غيرها من البلاد وهى النرجس والبنفسج والورد النصيبى والهبانى وزهر النارنج والياسمين

لان الوطن عزيز (قال الواقدى) حدثنى معمر بن سالم عن جده قال كان روماس يجاهد معنا جهادا
حسنا حتى فتح الله على أيدينا الشام فكان أبو عبيدة يكاتب به عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أيامه
فولاه على بصرى فلم يلبث الا يسيرا حتى توفى رحمه الله وخلف عقبا يذكر به قال وأمر خالد رجالا يعينونه
على اخراج رحله وماله من المدينة ففعلوا ذلك واذا بزوجته تخاصمه وتطلب فراقه فقال لها المسلمون
ما الذى تريدين قالت أريد أمير جيشكم يحكم بيننا فجاؤا بها الى خالد فقالت له أنا أستغيث بك من روماس
فقال لها خالد وكيف ذلك فقالت انى كنت البارحة نائمة اذ رأيت شخصا ما رأيت أحسن منه وجها كان
البدر يطلع من بين عينيه وكأنه يقول ان المدينة فتحت على يد هؤلاء القوم والشام والعراق فقلت له ومن
أنت ياسيدى قال أنا محمد رسول الله ثم دعانى الى الاسلام فأسلمت ثم علمنى سورتين من القرآن قال
فحدث الترجمان خالدا بما كان منها فقال ان هذا العجب ثم قال خالد للترجمان قل لها تقرأ السورتين فقرأت
الفاتحة وقل هو الله أحد ثم جددت اسلامها على يد خالد بن الوليد وقالت يا أيها الامير اما أن يسلم روماس
والا يتركنى أعيش بين المسلمين قال فضحك خالد من قولها وقال سبحان الله الذى وفقهما جميعا ثم قال
للترجمان قل لها ان روماس أسلم قبلها ففرحت بذلك ثم ان خالدا أحضر أهل بصرى وقررهم على أداء
الجزية وولى عليهم من اتفق رأيه عليه ثم كتب الى أبى عبيدة كتابا يبشره بالفتح ويقول له ياصاحب رسول
الله قد ارتحلنا الى دمشق فالحقنا اليها ثم كتب كتابا آخر الى أبى بكر الصديق يخبره برحيله ويقول له يوم كتبت
اليك هذا الكتاب ارتحلت الى دمشق فادع لنا بالنصر والسلام عليك ومن معك ورحمة الله وبركاته
ثم بعث الكتابين كلاهما ثم ارتحل خالد الى نحو دمشق حتى أشرف على موضع يقال له الثنية فوقف
هناك وركز راية العقاب فسميت بذلك ثنية العقاب ثم ارتحل منها الى الدير المعروف الآن بدير خالد وكان
أهل السواد قد التجؤا الى دمشق وقد اجتمعت خلائق وأمم لا تحصى من الرجال وأما أصحاب الخيل
فكانوا اثنى عشر ألفا وقد زينوا أسوارهم بالطوارق والبيارق والصلبان وأقام خالد على الدير ينتظر
قدوم المسلمين (قال الواقدى) واتصلت الاخبار الى الملك هرقل وما فتح خالد من الشام وكيف قدم على
دمشق فغضب وجمع البطارقة وقال يا بنى الاصفر قد قلت لكم وحذرتكم فأبيتم وهؤلاء العرب قد فتحوا
أركة وتدمر والسخنة وبصرى وقد توجهوا الى الربوة ففتحوها فافوا كرباه لان دمشق جنة الشام وقد
سارت اليها الجيوش وهم أضعاف العرب ثم قال أيكم يتوجه الى قتال العرب ويكفينى أمرهم فان هزمهم
أعطيته ما فتح وملكا فقال بطريق من البطارقة اسمه كاوس بن حنا وكان من فرسانهم وقد عرفت
شجاعته فى عساكر الروم والفرس أيها الملك أنا أكفيك وأردهم على أعقابهم منهزمين قال فلما سمع الملك
قوله سلم اليه صليبا من الذهب وقدمه على خمسة آلاف فارس وقال له قدم صليبك امامك فانه ينصرك قال
فأخذه كاوس وسار من يومه من انطاكية الى أن وصل حمص فوجدها مزينة بالسلاح فلما بلغ أهلها
قدومه خرجوا الى لقائه وقد خرجت القسوس والرهبان واستقبلوه ودعوا له بالنصر وأقام بحمص يوما وليلة
ثم ارتحل الى مدينة بعلبك فخرج اليه النساء لاطمات الخدود وقالوا أيها السيد ان العرب فتحوا اركة
وحوران وبصرى فقال لهن كيف قدرت العرب على حوران وبصرى فقالوا أيها السيد ان الذين
ذكرتهم لم يبرحوا من أماكنهم وان هذا الرجل قد أقبل من العراق وهو الذى فتح اركة فقال وما اسمه قالوا
خالد بن الوليد قال فى كم يكون من العساكر قالوا فى ألف وخمسمائة فارس فقال وحق المسيح لاجعلن رأسه
على رأس سنانى ثم رحل فلم ينزل الا بدمشق وكان واليها بطريق من قبل الملك هرقل اسمه عزازير فلما
قدم كاوس اجتمع عليه عزازير وأصحابه وقرؤا عليهم منشور الملك ثم قال لهم أتريدون انى أقاتل عدوكم
وأصده عن بلادكم قالوا نعم فقال أخرجوا عزازير عنكم حتى أكون وحدى فى هذا الامر فقالوا أيها
السيد وكيف ينبغى أن يخرج صاحبنا من بلدنا وهذا العدو قاصد الينا قال فغضب عزازير فى وجه كاوس
من كلامه وقد اتفق رأيهم على ان كل واحد يقاتل العرب يوما فثبتت عداوة عزازير فى قلب كاوس

والنسرين * وان أهل
مصر الغالب عليهم الافراح
واتباع الشهوات
والانهماك فى اللذات
وتصديق المحالات وفى
اخلاقهم رقة وعندهم
بشاشة وملقة ومكر وخداع
ولا ينظرون فى عواقب
الامور وعندهم قلة الصبر
فى الشدائد والقنوط من
الفرج وشدة الخوف من
السلطان ويخبرون بالامور
المستقبلة قبل أن تقع
ويقال مصر بأقوالها ذكر
ذلك فى جواهر البحور
(وأول من سكن مصر)
شيث بن آدم عليهما السلام
وذلك ان آباه آدم أوصى له
فكان فيه وفى بنيه النبوة
والدين وأنزل الله عليه

(قال الواقدي) ولقد بلغني انهم كانوا يخرجون كل يوم من باب الجابية مقدار فرسخ ينظرون قدوم أبي
عبيدة بن الجراح فلم يشعروا حتى قدم اليهم خالد بن الوليد من نحو الثنية *(قال حدثنا)* يسار بن محمد
قال أخبرنا رفاعة بن مسلم قال كنت في جيش خالد بن الوليد لما نزل على الدير المعروف به واذا بجيش الروم
قد زحف علينا وهو كالجراد المنتشر فلما نظر خالد ذلك تدرع بدرع مسلمة ثم صرخ في وجه المسلمين
وقال هذا يوم ما بعده يوم وهذا العدو قد زحف بخيله فدونكم والجهاد فانصروا الله ينصركم وكونوا ممن
باع نفسه لله عز وجل وكانكم باخوانكم المسلمين وقد عموا عليكم مع أبي عبيدة بن الجراح ثم بعد ذلك
استقبل الجيش وصرخ بل رأسه فارعب المشركين من صرخته وحمل شرحبيل بن حسنة وعبد الرحمن
ابن أبي بكر وضرار بن الازور ومذ حمل ضرار لم يول عنهم بل قتل من الميمنة خمسة فرسان ومن الميسرة
كذلك ثم حمل ثاني مرة فقتل منهم ستة فرسان ولولا سهام القوم لما رد عن قتالهم فشكره خالد بن الوليد
وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه احمل بارك الله فيك قال فحمل عبد الرحمن وفعل كما فعل ضرار
ابن الازور وقاتل قتالا شديدا ثم حمل من بعده خالد بن الوليد ورفع رمحه وأرى العسكر من أمور الحرب
حتى جزع الروم من شجاعته فلما نظر اليه البطريق كاوس علم انه أمير الجيش وعلم انه يقصده فتأخر
كاوس الى ورائه من مخافته فلما نظر خالد الى قهقرة كاوس الى ورائه حمل عليه ليرده فوقعت عليه البطارقة
ورموه بالسهام فلم يلتفت اليهم خالد ولم يعبأ بهم ولم يرجع حتى قتل عشرين ثم انثنى بجواده بين الصفين
وجال بجواده بين الفريقين وطلب البراز فلم يجبه أحد وقالوا أخرجوا غيره منكم فقال ويلكم ها أنا
رجل واحد من العرب وكلنا في الحرب سواء فما منهم من فهم كلامه فاقبل عزازير على كاوس وقال
أليس الملك قد قدمك على جيشه وبعثك الى قتال العرب فدونك حام عن بلدك ورعيتك فقال كاوس
أنت أحق مني بذلك لانك أقدم مني وقد عزمت أنك لا تخرج الا باذن الملك هرقل فما بالك لا تخرج الى
قتال أمير العرب فقال لهما العسكر تقارعا فمن وقعت عليه القرعة فلينزل الى قتال أمير العرب فقال
كاوس لا بل نحمل جميعا فهو أهيب لنا قال وخاف كاوس أن يبلغ الملك ذلك فيطرده من عنده أو
يقتله قال فتقارعا فوقعت القرعة على كاوس فقال عزازير اخرج وبين شجاعتك فقال كاوس
لاصحابه أريد أن تكون همتكم عندي فان رأيتم مني تقصيرا فاحملوا وخلصوني فقال أصحابه هذا
كلام عاجز لا يفلح أبدا فقال يا قوم ان الرجل بدوي ولغته غير لغتي فخرج معه رجل اسمه جرجيس
وقال له انا اترجم لك فسار معه فقال كاوس اعلم يا جرجيس ان هذا رجل ذو شجاعة فان رأيته غلبني
فاحمل أنت عليه حتى نقضي يومنا معه ويخرج له غدا عزازير فيقتله ونستريح منه وأتخذك أنا صديقي فقال
له ما أنا أهل حرب وانما أخوفه بالكلام قال فسكت وسارا حتى قربا من خالد ونظر اليهما قال فهم ان يخرج
اليهما رافع بن عميرة فصاح فيه خالد وقال مكانك لا تبرح فاني كفؤهما فلما دنوا من خالد قال كاوس
لصاحبه قل له من أنت وما تريد وخوفه من سطوا تنا فقرب جرجيس من خالد وقال له يا أخا العرب أنا
أضرب لك مثلا ان مثلكم ومثلنا كمثل رجل له غنم فسلمها الى راع وكان الراعي قليل الجراءة على
الوحوش فاقبل عليه سبع عظيم فجعل يلتقط منه كل ليلة رأسا الى ان انقضت الاغنام والسبع ضار
عليها ولم يجد له مانعا عنها فلما نظر صاحب الغنم ما حل بغنمه علم انه لم يؤت الا من الراعي فانتدب لغنمه غلاما
نجيبا فسلمه الغنم فكان كل ليلة يكثر الطوفان حول الغنم فبينما الغلام كذلك اذ أقبل عليه السبع على
عادته الاصلية واخترق الغنم فهجم الغلام على السبع وبيده منجل فضربه فقتله ولم يقرب الغنم وحش
بعدها وكذلك أنتم تتهاونون بامركم لانه ما كان أضعف منكم لانكم جياع مساكين ضعفاء وتعودتم
أكل الذرة والشعير ومص النوى فلما خرجتم الى بلادنا وأكلتم طعامنا وفعلتم ما فعلتم وقد بعث لكم الملك
رجالا لا تقاس بالرجال ولا تكترث بالابطال ولا سيما هذا الرجل الذي بجانبي فاحذر منه أن ينزل بك
ما أنزل الغلام بالاسد وقد سألني ان أخرج اليك وأتلطف بك في الكلام فاخبرني ما الذي تريد قبل أن

تسعا وعشرين صحيفة وجاء
الى أرض مصر وكانت تدعى
بابلون فنزلها هو وأولاد
اخيه قابيل فسكن شيث
فوق الجبل وسكن أولاد
أخيه قابيل أسفل الوادي
(واستخلف شيث) ولده
أنوش (واستخلف أنوش)
ابنه قينان (واستخلف
قينان) ابنه مهلاييل
(واستخلف مهلاييل)
ابنه يزد ودفع الوصية اليه
وعلمه جميع العلوم وأخبره
بما يحدث في العالم ونظر في
النجوم وفي الكتاب الذي
نزل على آدم (وولد ليزد)
أخنوخ وهو هرمس أي
ادريس عليه السلام
(وكان) الملك في ذلك
الوقت تبليل ونبىء ادريس

يهجم عليك هذا الفارس فلما سمع خالد منه ذلك قال يا عدو الله والله لا نحسبكم عندنا فى الحرب الا كقابض الطير بشبكة وقد قبضها عيناوشما لا فلم يخرج الا ما انفلت منها وأما ما ذكرت من بلادنا وأنها بلاد قحط وجوع فالامر كذلك الا ان الله تعالى أبدلنا ما هو خير منه فأبدلنا بدل الذرة الحنطة والفواكه والسمن والعسل وهذا كله قد رضيه لنا ربنا ووعدنا به على لسان نبيه وأما قولك ما الذى تريدونه منا فنريد منكم احدى ثلاث خصال اما أن تدخلوا فى ديننا أو تؤدوا الجزية أو القتال وأما قولك ان هذا الرجل الذليل الذى هو عندكم مسكين فهو عندنا أول القليل وان يكن هو ركن الملك فانا ركن الاسلام أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد أنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال الواقدى رحمه الله تعالى فلما سمع جرجيس كلام خالد تأخر الى ورائه وقد تغير لونه فقال له كلوس يا ويلك رأيتك فى بدايتك تهجم كالسبع فما لك قد تأخرت فقال وحق المسيح ما أعلم انه الفارس الجحجاح وبطلهم الفصاح هذا صاحب القوم الذى ملأ الشام شرا فقال كلوس يا جرجيس اساله ان يؤخر الحرب بيننا الى غد فالتفت الى خالد وقال له يا سيد قومك هذا صاحبى يريد أن يرجع الى قومه ليشاورهم فقال خالد ويحك أتريد ان تخدعنى بالكلام وأقبل برمحه فى وجه جرجيس فلما نظر جرجيس ذلك انعقد لسانه وولى هاربا فلما رأى خالد ذلك طلب كلوس وحمل عليه وتطاعنا واحترز البطريق من طعنات خالد فلما نظر خالد احتراز البطريق حط يده فى اطواقه وجذبه فقلعه من سرجه فلما نظر المسلمون فعل خالد كبروا باجمعهم وتسابق الفرسان الى خالد فلما اقربوا منه رمى لهم البطريق وقال أوثقوه كتافا فصار يبربر بلسانه فاتى له المسلمون برو ماس صاحب بصرى وقالوا له اسمع ماذا يقول فقال لهم يقول لكم لا تقتلونى فانى اجبت صاحبكم فى المال والجزية فقال خالد استوثقوا منه ثم نزل عن جواده وركب جوادا أهداه له صاحب تدمر وعزم أن يهجم على الروم فقال ضرار بن الازور أيها الامير دعنى أنا أحمل على القوم حتى تستريح أنت فقال يا ضرار الراحة فى الجنة غدا ثم عول خالد على الحملة فصاح به البطريق كلوس وقال وحق دينك ونبيك الا ما رجعت الى حتى أخاطبك فرجع خالد اليه وقال لروماس اسأله ما يريد فقال أعلمه أنى صاحب الملك وقد بعثنى اليكم فى خمسة آلاف فارس لاردكم عن بلده وأهله ورعيته وقد تحاججت أنا وعزازير متولى دمشق وقدم الى معه كذا وكذا وأنا أسألك بحق دينك اذا خرج اليك فاقتله وان لم يخرج اليك فاستدعه واقتله فانه رأس القوم فان قتلته فقد ملكت دمشق فقال خالد لروماس قل له انا لا نبقى عليك ولا عليه ولا على من أشرك بالله تعالى ثم انه بعد ذلك الكلام حمل وهو ينشد ويقول

لك الحمد مولانا على كل نعمة * وشكرا لما أوليت من سابغ النعم
مننت علينا بعد كفر وظلمة * وانقذتنا من حندس الظلم والظلم
وأكرمتنا بالهاشمى محمد * وكشفت عنا ما نلاقى من الغمم
فتمم اله العرش ما قد نرومه * وعجل لاهل الشرك بالبؤس والنقم
وألقهم ربى بسر يعابغيهم * بحق نبى سيد العرب والعجم

﴿قال الواقدى﴾ لقد بلغنى عمن أثق به أنه لما ولى جرجيس هاربا من بين يدى خالد الى أصحابه رأوه يرتعد من الفزع فقالوا له ما وراءك فقال يا قوم ورائى الموت الذى لا يقاتل والليث الذى لا ينازل وهو أمير القوم وقد آلى على نفسه أن يطلبنا أينما كنا وما خلصت روحى الا بالجهد فصالحوا الرجل قبل ان يحمل عليكم باصحابه فلا يبقى منكم أحدا فقالوا له ما يكفيك انك انهزمت وقد هموا بقتله فبينما هم كذلك اذ أقبل أصحاب كلوس على عزازير وهم خمسة آلاف وصاحوا به وقالوا له ما أنت عند الملك أعز من صاحبنا وقد كان بيننا وبينك شرط فاخرج أنت الى خالد واقتله أو أسره وخلص لنا صاحبنا والا وحق المسيح والمذبح والذبيح شننا عليك الحرب فقال عزازير وقد رجع به مكره ودهاؤه يا ويلكم أتظنون أنى جزعت من الخروج الى هذا البدوى من أول مرة ولكنى ما تأخرت عن الخروج اليه وتقاعدت عن قتاله حتى يتبين

عليه السلام وهو ابن أربعين سنة وأراده الملك بسوء فعصمه الله وأنزل عليه ثلاثين صحيفة ودفع اليه أبوه وصية جده والعلوم التى عنده وولد بمصر وخرج منها وطاف الارض كلها ورجع ودعا الخلق الى الله تعالى فاجابوه وأطاعه ملك مصر وآمن به فنظر فى تدبير أمرها وكان النيل يأتيهم سحا فيتحازون عن مسيله الى اعالى الجبال والاراضى العالية حتى ينقص فينزلون ويزرعون حيثما وجدوا فى الارض تربة وكان يأتى فى وقت الزراعة وفى غير وقتها فلما جاء ادريس جمع أهل مصر وصعد بهم الى أول مسيل اليها ودبر وزن

عجز صاحبكم وسوف ينظر الفريقان أينا أفرس وأشجع وأثبت فى مقام القتال اذ نحن تشابكنا
بالنصال ثم انه فى الحال ترجل عن جواده ولبس لامته وركب جوادا يصلح للجولان وخرج الى قتال
سيدنا خالد بن الوليد الفارس الصنديد رضى الله عنه فلما اقترب منه قال يا أخا العرب ادن منى حتى أسالك
وكان الملعون يعرف العربية فلما سمع خالد ذلك قال يا عدو الله ادن أنت على أم رأسك ثم هم أن يحمل
عليه فقال على رسلك يا أخا العرب أنا ادنو منك فعلم خالد أن الخوف داخله فامسك عنه حتى قرب منه
فقال يا أخا العرب ما حملك أن تحمل أنت بنفسك أما تخشى الهلاك فلو قتلت بقيت أصحابك بلا مقدم فقال
خالد يا عدو الله قد رأيت ما فعل الرجلان من أصحابي لو تركتهم لهزموا أصحابك بعون الله تعالى وانما هى
رجال وأى رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما ثم قال له خالد من أنت فقال اوما سمعت باسمى أنا فارس
الشام أنا قاتل الروم والفرس أنا كاسر عساكر الترك فقال خالد ما اسمك فقال أنا الذى تسميت باسم ملك
الموت اسمى عزرائيل ﴿قال الواقدى﴾ فضحك خالد من كلامه وقال يا عدو الله تخوفنى ان الذى تسميت
باسمه هو طالبك ومشتاق اليك ليرديك الى الهاوية فقال له البطريق ما فعلت باسيرك كلوس فقال هو
موثق بالقيود والاغلال فقال له عزازير وما منعك من قتله وهو داهية من دواهى الروم فقال خالد منعنى
من ذلك أنى أريد قتلكما جميعا فقال عزازير هل لك أن تأخذ ألف مثقال من الذهب وعشرة أثواب من
الديباج وخمسة رؤس من الخيل وتقتله وتأتينى برأسه فقال له خالد هذه ديته فما الذى تعطينى أنت عن
نفسك قال فغضب عدو الله من ذلك وقال ما الذى تأخذ منى قال الجزية وأنت صاغر ذليل فقال عزازير
كما زدنا فى كرامتكم زدتم فى اهانتنا فخذ الآن لنفسك الحذر فانى قاتلك ولا أبالى فلما سمع خالد كلام
عزازير حمل عليه حملة عظيمة كأنه شعلة نار فاستقبله البطريق وقد أخذ حذره وكان عزازير ممن يعرف
بالشجاعة فى بلاد الشام فلما نظر خالد الى عدو الله أظهر شجاعته وبراعته تبسم فقال عزازير وحق المسيح
لو أردت الوصول اليك لقدرت على ذلك ولكنى أبقيت عليك لانى أريد ان أستاسرك ليعلم الناس انك
أسيرى وبعد ذلك أطلق سبيلك على شرط انك ترحل من بلادنا وتسلم لنا ما أخذت من بلاد الشام فلما سمع
خالد كلام عزازير قال له يا عدو الله قد داخلك الطمع فينا وهذه العصابة قد ملكوا تدمر وحوران وبصرى
وهم ممن باعوا انفسهم بالجنة واختاروا دار البقاء على دار الفناء وستعلم اينا من علك صاحبه ويذل جانبه ثم
ان خالدا أرى البطريق ابواب الحرب قال فندم عزازير على ما كان منه من الكلام وقال يا أخا العرب
اما تعرف الملاعبة فقال خالد ملاعبتى الضرب فى طاعة الرب ثم ان الملعون هاجم خالدا ولوح اليه بسيفه
وضربه به فلم يقطع شيأ فذهل عدو الله من جولان خالد وثباته وعلم انه لا يقدر عليه ولا على ملاقاته فولى
هاربا وكان جواده أسبق من جواد خالد قال عامر بن الطفيل رضى الله عنه وكنت يوم حرب دمشق فى
القلب وشاهدنا ما جرى بين خالد وعزازير لما ولى هاربا وقصر جواد خالد عن طلبه فوقع فى قلبه الطمع
وقال كأن البدوى خاف منى ومالى الآن أقف حتى يلحقنى وآخذه اسيرا ولعل المسيح ينصرنى عليه
فلما وقع ذلك فى نفسه وقف حتى لحق به خالد وقد حل فرسه العرق فلما اقترب منه صاح عزازير وقال
يا عربى لا تظن أنى هارب خوفا منك وانما أبقيت عليك خوفا على شبابك فارحم نفسك وان أردت
الموت أسوقه اليك انا قابض الارواح انا ملك الموت فعند ذلك ترجل عن جواده وسحب السيف وسار
اليه كأنه الأسد الضارى فلما نظر عزازير الى ذلك والى ترجل خالد زاد طمعه فيه وحام حوله وهم اليه
يريد أن يعلو رأسه بالسيف فزاغ خالد عنها وصاح فيه وضرب قوائم فرسه بضربة عظيمة فقطعها فسقط
عدو الله على الارض ثم ولى هاربا يريد أصحابه فسبقه خالدا وقال يا عدو الله ان الذى سميت باسمه قد
غضب عليك واشتاق اليك وها هو قد أقبل عليك يقبض روحك ليوديك الى جهنم ثم هجم عليه وهم
أن يجلد به الارض ونظرت الروم الى صاحبها وهو فى يد خالد فهموا أن يحملوا على خالد ويخلصوه من يده
اذ قد أقبلت جيوش المسلمين وأبطال الموحدين مع الامير أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وكان قد

الارض ووزن الماء على
الارض وأمرهم باصلاح
ما أراد من خفض المرتفع
ورفع المنخفض وغير ذلك مما
رأى فى علم النجوم والهندسة
والهيئة وكان اول من تكلم
فى هذه العلوم وأخرجها من
القوة الى الفعل ووضع فيها
الكتب ورسم فيها التعاليم
ثم سار الى بلاد الحبشة
والنوبة وغيرها وجمع
اهلها وزاد فى مسافة جرى
النيل ومات ادريس بمصر
ذكر ذلك فى حسن المحاضرة
وقيل رفع الى السماء وهو
ابن ثلثمائة وعشرين وقيل
وستين سنة وقد ملك مصر
بعده أربعة وثلاثون فرعونا
أقلهم عمرا مائتا سنة
وأكثرهم عمرا ستمائة سنة

سار من بصرى فوجده وقد أخذ عزازير فى تلك الساعة فلما نظرت عساكر دمشق الى جيوش المسلمين قد أقبلت داخلهم الجزع والفزع فوقفوا عن الحملة * قال حدثنى عمرو بن قيس عن شعيب عن عبد الله من هلال القشم قال لما قدم الامير أبو عبيدة سأل عن خالد فقالوا انه فى ميدان الحرب وقد اسر بطريق الروم فدنا أبو عبيدة اليه وهم ان يترجل فاقسم عليه خالد أن لا يفعل واقبل عليه وصافحه وكان أبو عبيدة يحب خالد المحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لخالد يا أبا سليمان لقد فرحت بكتاب أبى بكر الصديق حين قدمك على وأمرك على وما حقدت فى قلبى عليك لانى أعلم مواقفك فى الحرب فقال خالد والله لا فعلت امرا الا بمشورتك ووالله لولا أمر الامام طاعة لما فعلت ذلك أبدا لانك أقدم منى فى دين الاسلام وأنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت قال فيك أبو عبيدة أمين هذه الامة فشكره أبو عبيدة وقدم لخالد جواده فركبه وقال خالد لابى عبيدة اعلم ايها الامير ان القوم قد خذلوا ووقع الرعب فى قلوبهم وأهينوا باخذ كلوس وعزازير قال وسار مع أبى عبيدة يحدثه بما صار من البطريقين وكيف نصره الله عليهما الى أن اتيا الدير فنزلا هنالك وأقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض فلما كان الغد ركب الناس وتزينت المواكب وزحف أهل دمشق للقتال وقد أمروا عليهم توما ظهر الملك هرقل ولما أقبلوا قال خالد لابى عبيدة ان القوم قد انخذلوا ووقع الرعب فى قلوبهم فاحمل بنا على القوم قال أبو عبيدة افعل قال فحمل خالد وحمل أبو عبيدة وحمل المسلمون على عساكر الروم حملة عظيمة وكبروا باجمعهم فارتجت الارض من تكبيرهم ووقع القتل فى الروم وجاهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جهادا عظيما وذهلت منهم الكفار قال عامر بن الطفيل لقد كان الواحد منا يهزم من الروم العشرة والمائة قال فما لبثوا معنا ساعة واحدة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار واقبلنا نقتل فيهم من الدير الى الباب الشرقى فلما نظر أهل دمشق الى انهزام جيشهم اغلقوا الابواب فى وجه من بقى منهم قال قيس بن هبيرة رضى الله عنه فنهم من قتلناه ومنهم من أسرناه فلما رجع خالد عنهم قال لابى عبيدة ان من الرأى ان أنزل انا على الباب الشرقى وتنزل انت على باب الجابية فقال أبو عبيدة هذا هو الرأى السديد * قال حدثنا سهل بن عبد الله عن أوس بن الخطاب ان الذى قدم مع الامير أبى عبيدة من المسلمين من أهل الحجاز واليمن وحضرموت وساحل عمان والطائف وما حول مكة كان سبعة وثلاثين ألف فارس من الشجعان وكان مع عمرو بن العاص تسعة آلاف فارس والذى قدم بهم خالد بن الوليد رضى الله عنه من العراق الف فارس وخمسمائة فارس فكان جملة ذلك سبعة وأربعين الفا وخمسمائة غير ما جهز عمر بن الخطاب فى خلافته وسنذكر ذلك اذا وصلنا اليه ان شاء الله تعالى هذا وان خالد انزل بنصف المسلمين على الباب الشرقى ونزل أبو عبيدة بالنصف الثانى على باب الجابية فلما نظر أهل دمشق الى ذلك نزل الرعب فى قلوبهم ثم ان خالدا أحضر البطريقين بين يديه وهما كلوس وعزازير فعرض عليهما الاسلام فابيا فامر ضرار بن الازور ان يضرب عنقيهما ففعل قال فلما نظر أهل دمشق ما فعل بالبطريقين كتبوا الى الملك كتابا يخبرونه بما جرى على كلوس وعزازير وقد نزلت العرب على الباب الشرقى وباب الجابية وقد نزلوا بشبانهم وأولادهم وقد قطعوا أرض البلقاء وارض السواد ووصفوا له ما ملك العرب من البلاد فادركنا والا سلمنا اليهم البلاد ثم سلموا الكتاب الى رجل منهم وأعطوه أوفى أجرة وادلوه بالحبل من أعلى الاسور فى ظلمة الاعتكار (قال الواقدى) وان الرجل وصل الى الملك هرقل وهو بارض انطاكية فاستأذن اليه فامر له بالدخول فلما دخل سلم الكتاب اليه فلما قرأه الملك رماه من يده وبكى ثم انه جمع البطارقة وقال لهم يا بنى الاصفر لقد حذرتكم من هؤلاء العرب واخبرتكم انهم سوف يملكون ما تحت سريرى هذا فاتخذتم كلامى هزؤا واردتم قتلى وهؤلاء العرب خرجوا من بلاد الجدب والقحط وأكل الذرة والشعير الى بلاد خصبة كثيرة الاشجار والثمار والفواكه فاستحسنوا ما نظروه من بلادنا وخصبنا وليس يزجرهم شىء لما هم فيه من العزم والقوة وشدة الحرب ولولا انه عار على لتركت الشام

ورحلت

ولم يكن فيهم أعتى والأشر من فرعون موسى * قال وهب بن منبه كان فرعون موسى قصيرا وقيل كان طوله ستة اشبار وطول لحيته سبعة اشبار وقيل كان طوله قدر ذراع وقال قتادة الفراعنة ثلاثة أولهم سنان ابن الأشل صاحب سارة كان فى زمن الخليل بمصر الثانى الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف الثالث الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى وهو عات وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة اه وكان من جملة الفراعنة الذين ملكوا مصر سبعة من الكهان لهم الاعمال العجيبة والامور الغريبة (الاول) اسمه مصيلم وهو أول

ورحلت الى القسطنطينية العظمى ولكن ها أنا اخرج اليهم وأقاتلهم عن أهلى ودينى فقالوا أيها الملك
مابلغ من شأن العرب ان تخرج اليهم بنفسك وقعودك أهيب قال الملك هرقل نبعث اليهم قالوا عليك
أيها الملك بوردان صاحب حمص لانه ليس فينا مثله فى القوة وملاقاة الرجال ولقد بين لنا شجاعته فى
عساكر الفرس لما قصدونا قال فامر الملك باحضاره فلما احضر وردان قال له الملك اعلم انى قدمتك لانك
سيفى القاطع وسندى المانع فاخرج من وقتك وساعتك ولا تتأخر فقد قدمتك على اثنى عشر ألفا
فاذا وصلت الى بعلبك فانفذ الى من بأجنادين بأن يتفرقوا فى ارض البلقاء وجبال السواد فيكونوا هناك
ولا تتركوا أحدا من العرب يلحق بأصحابه يعنى عمرو بن العاص رضى الله عنه فقال وردان السمع
والطاعة لك أيها الملك وسوف يبلغك الخبر انى لا أعود الا برأس خالد بن الوليد ومن معه أهزمهم جميعا
وبعد ذلك أدخل الحجاز ولا أخرج حتى أهدم الكعبة ومكة والمدينة قال فلما سمع الملك هرقل قوله قال
وحق الانجيل لئن أنت فعلت ذلك ووفيت بقولك لأعطينك ما فتحوه حرثا وخراجا وكتبت كتاب العهد
أنك الملك من بعدى ثم سوره وتوجه وأعطاه صليبا من الذهب وفى جوانبه أربع يواقيت لاقيمة لها
وقال اذا لاقيت العرب فقدمه أمامك فهو ينصرك قال فلما تسلم وردان الصليب من وقته دخل
الكنيسة وانغمر فى ماء المعمودية وبخروه ببخور الكنائس وصلى عليه الرهبان وخرج من وقته فضرب
خيامه خارج المدينة قال وأخذت الروم على انفسهم بالرحيل فلما تكاملوا ركب الملك هرقل وسار
لوداعهم وصحبته أرباب دولته فوصل معهم الى جسر الحديد بها فودعه الملك وسار الى أن وصل الى حماة
فنزل بها وأنفذ من وقته كتابا الى من باجنادين من جيوش الروم يأمرهم ليتفرقوا فى سائر الطرقات
ليمنعوا عمرو بن العاص ومن معه ان يصلوا الى خالد فلما سار الرسول بالكتاب جمع وردان اليه البطارقة
وقال لهم انى أريد أن أسير على حين غفلة على طريق مارس حتى أكبس على القوم ولا ينجو منهم أحد
فلما كان الليل رحل على طريق وادى الحياة (قال حدثنى شداد بن أوس) قال لما دخل خالد بن
الوليد رضى الله عنه بعد قتل البطريق امر المسلمين أن يزحفوا الى دمشق قال فزحف منا الرجال من
العرب وبأيديهم الجحف يتلقون بها الحجارة والسهام فلما نظر أهل دمشق الينا ونحن قد زحفنا اليهم
رمونا بالسهام والحجارة من أعلى الاسوار وضيقنا عليهم فى الحصار وأيقن القوم بالدمار قال شداد بن
اوس فقمنا على حصارهم عشرين يوما فلما كان بعد ذلك جاءنا ناوى بن مرة واخبرها عن جموع الروم
باجنادين وكثرة عددهم فركب خالد نحو باب الجابية الى أبى عبيدة يخبره بذلك ويستشيره وقال ياامين
الامة انى رأيت أن نرحل من دمشق الى اجنادين ونلقى من هناك من الروم فاذا نصرنا الله عليهم عدنا الى
قتال هؤلاء القوم قال ابو عبيدة ليس هذا برأى قال خالد ولم ذلك قال أبو عبيدة اذا رحلنا يخرج أهل
المدينة فيما يكون مواضعنا فلما سمع خالد ذلك من ابى عبيدة قال ياامين الامة انى اعرف رجلا لا يخاف
الموت خبيرا بلقاء الرجال قد مات أبوه وجده فى القتال قال ومن هذا الرجل يا أبا سليمان قال هو ضرار بن
الازور بن طارق قال أبو عبيدة والله لقد صدقت ووصفت رجلا بازلا معروفا فافعل قال فرجع خالد الى
بابه واستدعى بضرار بن الازور وجاء اليه وسلم عليه فقال ياابن الازور انى أريد ان أقدمك على خمسة
آلاف قد باعوا أنفسهم لله عز وجل واختاروا دار البقاء والآخرة على الاولى وتسيروا الى لقاء العدو
هؤلاء القوم الذين وردوا علينا فان رأيت لك فيهم طمعا فقاتلهم وان رأيت أنك لا تقدر عليهم فابعث
الينا رسولك فقال ضرار بن الازور وافرحتاه والله ياابن الوليد ما دخل قلبى مسرة أعظم من هذه
فاتركنى أسير وحدى قال خالد لعمرى انك ضرار ولكن لا تلق نفسك الى الهلاك وسر بما ندب معك
من المسلمين قال فقام ضرار رضى الله عنه مسرعا فقال خالد ارفق بنفسك حتى يجتمع عليك الجيش فقال
والله لا وقفت ومن علم الله فيه خيرا أدركنى ثم ركب ضرار وأسرع الى ان وصل الى بيت لهيا وهو الموضع
الذى كان يصنع فيه الاصنام فوقف هناك حتى لحق به أصحابه فلما تكاملوا نظر ضرار واذا بجيش الروم

من اتخذ مقياسا لزيادة النيل
وعمل بركة من نحاس وعليها
عقابان ذكر وأنثى وفيها
قليل من الماء فاذا كان أول
شهر يزيد فيه النيل
اجتمعت الكهنة وتكلموا
بكلام فيصفر أحد العقابين
فان كان الذكر كان
النيل عاليا وان كان
الانثى كان النيل ناقصا
(الكاهن الثانى) اسمه
اعشامش من اعماله
العجيبة انه عمل ميزانا فى
هيكل الشمس وكتب على
الكفة الاولى حقا وعلى
الثانية باطلا وعمل تحتها
فصوصا فاذا احضر الظالم
والمظلوم اخذ فصين وسمى
عليهما اماريد وجعل كل
فص منهما فى كفة فتثقل

يتحدر كأنه الجراد المنتشر وهم غائصون فى الدروع وقد أشرقت الشمس على لاماتهم وطوارقهم فلما نظر
اليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لضرار أما والله ان هذا الجيش عرمرم والصواب اننا
نرجع فقال ضرار والله لازلت أضرب بسيفى فى سبيل الله وأتبع سبيل من أناب الى الله ولا يرانى الله
مهزوما ولا أولى الدبر لان الله تعالى يقول فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال
أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وتكلم رافع بن عميرة الطائى وقال ياقوم وما الخليفة من هؤلاء
العلوج أما نصركم الله فى مواطن كثيرة والنصر مقرون مع الصبر ولم تزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة
والجموع اليسيرة فاتبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين وقولوا كما قالت قوم طالوت عند
لقائهم جالوت ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فلما سمع ضرار كلامهم
وأنهم اشتروا الآخرة على الاولى كبن بهم عند بيت لهيا وأخفى أمره وجلس عارى الجسد بسراويله على
فرس له عربى بغير سلاح وبيده قناة كاملة الطول وهو يوصى القوم (قال الواقدى) هكذا حدثنى تميم
ابن أوس عن جده عمرو بن دارم قال كنت يوم بيت لهيا ممن صحب ضرار بن الازور رضى الله عنه وهو بهذه
الصفة رغبة منه فى الشهادة فلما قارب العدو كان أول من برز وكبر ضرار بن الازور قبل فاجابه المسلمون
بتكبيرة واحدة رعبت منها قلوب المشركين وفاجؤهم بالجملة ونظروا الى ضرار بن الازور وهو فى أول
القوم وهو فى حالته التى وصفناها فهالهم أمره وكان وردان فى المقدمة والاعلام والصلبان مشتبكة على
رأسه قال فما طلب ضرار غيره لانه علم انه صاحبهم فحمل عليه غير مكترث به وطعن فارسا كان فى يده العلم
فتجندل من على فرسه قتيلا ثم انه طعن آخر فى الميمنة فارداه وحمل يريد القلب وكان قد عاين وردان
والصليب على رأسه يحمله فارس من الروم والجواهر تلمع من أربع جوانبه فعارضه ضرار وطعن حامله
طعنة عظيمة فخرج السنان يلمع من خاصرته قال فسقط الصليب منكسا الى الارض فلما نظر وردان الى
الصليب أيقن بالهلاك وهم أن يترجل لاخذه أويميل فى ركابه ليأخذه فما وجد لذلك سبيلا لما قد أحدق
به وترجل عليه قوم من المسلمين ليأخذوه وقد اشتغل كل عن نفسه ونظر ضرار الى من ترجل لاخذ
الصليب فقال معاشر المسلمين ان الصليب لى دونكم وأنا صاحبه فلا تطمعوا فانى اليه راجع اذا فرغت من
كلب الروم قال فسمع ذلك وردان وكان يعرف العربية فعطف من القلب يريد الهرب فقالت البطارقة
الى أين أيها السيد أتفر من الشيطان فما رأينا أدنى من منظره ولا أهول من مخبره ونظر ضرار اليه وقد
عطف راجعا فعلم أنه قد عزم على الهرب فصاح بقومه ثم اقتحم فى أثره ومد رمحه وهمز جواده فتصارخت
به الروم وعطفت عليه المواكب من كل جانب فأنشد يقول

الموت حق أين لى منه المفر * وجنة الفردوس خير المستقر
هذا قتالى فاشهدوا يامن حضر * وكل هذا فى رضا رب البشر

ثم اخترق القوم وحمل عليهم وحمل المسلمون فى أثره فأحدقوا بهم من كل مكان ونظروا الى ضرار وقد قصده
وردان صاحب حمص عندما علم أنه اخترق القوم فمد اليه رمحه وقد أحدقت به بطارقته وضرار عائم
عن نفسه يمينا وشمالا فما طعن أحدا الا أباده الى أن قتل من القوم خلقا كثيرا وهو يصرخ بقومه
ويقول ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قال وأكبت عليه جيوش الروم
من كل جانب ومكان واشتعل الحرب بينهم ووصل همدان بن وردان الى ضرار بن الازور ورماه بسهم
فأصاب عضده الايمن فوصل السهم اليه فأوهنه وأحس ضرار بالألم فحمل على همدان وصمم عليه
برمحه وطعنه فأصاب بالطعنة فؤاده فوصل السنان الى ظهره فجذب الرمح منه فلم يخرج واذا به قد اشتبك
فى عظم ظهره فخرج الرمح من غير سنان فطمعوا فيه وحملوا عليه وأخذوه أسيرا فنظر أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى ضرار وهو أسير فعظم الامر عليهم وقاتلوا قتالا شديدا ليخلصوه فما وجدوا الى
ذلك سبيلا وأرادوا الهرب فقال رافع بن عميرة الطائى يا أهل القرآن الى أين تريدون أما علمتم أن من لوى

كفة المظلوم وترتفع كفة
الظالم (الكاهن الثالث)
عمل مرآة من المعادن
ينظر فيها الاقاليم السبعة
فيعرف ما أخصب منها وما
أجدب وما حدث من
الحوادث وعمل فى وسط
المدينة صورة امرأة جالسة
فى حجرها صبى كأنها ترضعه
فان امرأة أصابها وجع
فى جسمها مسحت ذلك
الموضع من جسد تلك
الصورة فتبرأ من ساعتها
(الكاهن الرابع) عمل
شجرة أغصانها من حديد
بخطاطيف اذا قرب منها
الظالم خطفته وتعلقت به
فلا تفارقه حتى يقر بظلمه
وعمل صنما من كدان اسود
وسماه عبد زحل يتحاكمون

ظهره لعدوه فقد باء بغضب من الله وان الجنة لها أبواب لا تفتح الا للمجاهدين الصبر الصبر الجنة الجنة
يا أهل الكتاب كروا على الكفار عباد الصلبان وها أنا معكم فى أوائلكم فان كان صاحبكم أمير أو قتل
فان الله حى لا يموت وهو يراكم بعينه التى لا تنام فرجعوا وحملوا معه قال ووصل الخبر الى خالد أن ضرارا
قد أسر بيد الروم وأنه قتل من الروم خلقا كثيرا فعظم ذلك على خالد وقال فى كم العدو قالوا فى اثنى عشر
ألف فارس فقال والله ما ظننت الا أنهم فى عدد يسير ولقد غررت بقومى ثم سأل عن مقدمهم من يكون
قيل وردان صاحب حمص وقد قتل ضرار ولده همدان فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم أرسل
الى أبى عبيدة يستشيره فبعث اليه أبو عبيدة يقول له اترك على الباب الشرقى من تثق به وسر اليهم فانك
تطحنهم باذن الله تعالى فلما وصل الجواب الى خالد قال والله ما أنا ممن يبخل بنفسه فى سبيل الله ثم أوقف
بالمكان ميسرة بن مسروق العبسى رضى الله عنه ومعه ألف فارس وقال له احذر أن ينفذ من مكانك
فقال ميسرة حبا وكرامة وعطف خالد بالناس وقال لهم أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة فاذا أشرفتم
على العدو فاحملوا حملة واحدة لتخلص فيها ضرارا ان شاء الله تعالى ان كانوا أبقوا عليه والله ان كانوا
عجلوا عليه لنأخذن بثاره ان شاء الله تعالى وأرجو أن لا يفجعنا به ثم تقدم امام القوم وجعل يقول

اليوم يوم فاز فيه من صدق * لا أرهب الموت اذا الموت طرق
لأروين الرمح من ذوى الحدق * لأهتكن البيض هتكا والدرق
عسى أرى غدا مقام من صدق * فى جنة الخلد وألقى من سبق

فبينما خالد يترنم بهذه الابيات اذ نظر الى فارس على فرس طويل وبيده رمح طويل وهو لا يبين منه
الا الحدق والفروسية تلوح من شمائله وعليه ثياب سود وقد تظاهر بها من فوق لامته وقد حزم وسطه
بعمامة خضراء وسحبها على صدره ومن ورائه وقد سبق أمام الناس كأنه نار فلما نظره خالد قال ليت
شعرى من هذا الفارس وايم الله انه لفارس شجاع ثم اتبعه خالد والناس وكان هذا الفارس أسبق
الناس الى المشركين قال وكان رافع بن عميرة الطائى رضى الله عنه فى قتال المشركين وقد صبر لهم هو
ومن معه اذ نظر خالد وقد أنجده هو ومن معه من المسلمين ونظر الى الفارس الذى وصفناه وقد حمل على
عساكر الروم كأنه النار المحرقة فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم ثم غاب فى وسطهم فما كانت
الا جولة الجائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء من الروم وقد قتل رجالا وجندل أبطالا وقد عرض
نفسه للهلاك ثم اخترق القوم غير مكترث بهم ولا خائف وعطف على كراديس الروم فى الناس وكثر
قلقهم عليه فأما رافع بن عميرة ومن معه فما ظنوا الا أنه خالد وقالوا ما هذه الحملات الا لخالد فهم على ذلك
اذ أشرف عليهم رضى الله عنه وهو فى كبكبة من الخيل فقال رافع بن عميرة من الفارس الذى تقدم
أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته فقال خالد والله انى أشد انكارا منكم له ولقد أعجبنى ما ظهر منه ومن
شمائله فقال رافع أيها الامير انه منغمس فى عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا فقال خالد معاشر المسلمين
احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامى عن دين الله قال فأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة والتصق بعضهم
ببعض وخالد أمامهم اذ نظر الى الفارس وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار والخيل فى أثره وكلما لحقت به
الروم لوى عليهم وجندل فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس المذكور الى جيش المسلمين قال
فتأملوه فرأوه وقد تخضب بالدماء فصاح خالد والمسلمون لله درك من فارس بذل مهجته فى سبيل الله وأظهر
شجاعته على الاعداء اكشف لنا عن لثامك قال فمال عنهم ولم يخاطبهم وانغمس فى الروم فتصايحت
به الروم من كل جانب وكذلك المسلمون وقالوا أيها الرجل الكريم أميرك يخاطبك وأنت تعرض عنه
اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيما فلم يرد عليهم جوابا فلما بعد عن خالد سار اليه بنفسه وقال له
ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبى بفعلك من أنت قال فلما ألح عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه
بلسان التأنيث وقال انى يا أمير لم أعرض عنك الا حياء منك لانك أمير جليل وانا من ذوات الخدور

اليه فمن زاغ عن الحق ثبت
مكانه ولم يقدر على الخروج
حتى ينتصف من نفسه
ولو أقام سنين (الكاهن
الخامس) عمل شجرة من
نحاس فكل وحش وصل
اليها لم يستطع الحركة حتى
يؤخذ فشبعت الناس لحما
فى أيامه وعمل على باب
المدينة صنمين صنما عن يمين
الباب وصنما عن يساره
فاذا دخل أحد فان كان
من أهل الخير ضحك الصنم
الذى عن يمين الباب وان
كان من أهل الشر بكى
الصنم الذى عن يسار الباب
(الكاهن السادس) عمل
درهما اذا ابتاع صاحبه
شيأ اشترط على البائع أن
يزن له بزنته من النوع

وبنات الستور واغاحملنى على ذلك انى محرقة الكبد زائدة الكمد فقال لها من أنت قالت أنا خولة بنت الازور المأسور بيد المشركين أخى وهو ضرار وانى كنت مع بنات العرب وقد أتانى الساعى بأن ضرارا أسير فركبت وفعلت مافعلت قال خالد نحمل بأجمعنا ونرجو من الله أن نصل الى أخيك فنفكه قال عامر بن الطفيل كنت عن يمين خالد بن الوليد حين حملوا وحملت خولة أمامه وحمل المسلمون وعظم على الروم مانزل بهم من خولة بنت الازور وقالوا ان كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة ولما حمل خالد ومن معه اذا بالروم قد اضطربت جيوشهم ونظر وردان اليهم فقال لهم اثبتوا للقوم فاذا رأوا ثباتكم ولوا عنكم ويخرج أهل دمشق يعينونكم على قتالهم قال فثبت المسلمون لقتال الروم وحمل خالد بالناس حملة منكرة وفرق القوم يمينا وشمالا وقصد خالد مكان صاحبهم وردان عند اشتباك الاعلام والصلبان واذا حوله أصحاب الحديد والزرد النضيد وهم محدقون به فحمل خالد عليهم حملة منكرة واشتبك المسلمون بقتال الروم وكل فرقة مشغولة بقتال صاحبها وأما خولة بنت الازور فانها جعلت تجول يمينا وشمالا وهى لاتطلب الا أخاها وهى لاترى له اثر ولا وقفت له على خبر الى وقت الظهر وافترق القوم بعضهم عن بعض وقد أظهر الله المسلمين على الكافرين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة قال وتراجعت كل فرقة الى مكانها وقد كمدت أفئدة الروم مما ظهر لهم من المسلمين وقد هموا بالهزيمة وما عسكهم الا الخوف من صاحبهم وردان فلما رجع القوم الى مكانهم أقبلت خولة بنت الازور على المسلمين وجعلت تسألهم رجلا رجلا عن أخيها فلم تر من المسلمين من يخبرها انه نظره أو رآه أسيرا أو قتيلا فلما أيست منه بكت بكاء شديدا وجعلت تقول يا ابن أمى ليت شعرى فى أى البيداء طرحوك أم بأى سنان طعنوك أم بالحسام قتلوك يا أخى اختك لك الفداء لو أنى أراك أنقذتك من أيدى الاعداء ليت شعرى أترى انى أراك بعدها أبدا فقد تركت يا ابن أمى فى قلب اختك جمرة لايخمد لهيبها ولا يطفأ ليت شعرى لحقت بأبيك المقتول بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فعليك منى السلام الى يوم اللقاء قال فبكى الناس من قولها وبكى خالد وهم أن يعاود بالحملة اذ نظر الى كردوس من الروم قد خرج من ميمنة العقبان فتأهب الناس لحربهم وتقدم خالد وحوله أبطال المسلمين فلما قربوا من القوم رموا رماحهم من أيديهم والسيوف وترجلوا ونادوا بالامان فقال خالد اقبلوا أمانهم واتئونى بهم فأتوا اليه فقال خالد من أنتم فقالوا نحن من جند هذا الرجل وردان ومقامنا بحمص وقد تحقق عندنا انه مالطيقكم ولا يستطيع حربكم فاعطونا الامان واجعلونا من جملة من صالحتم من سائر المدن حتى نؤدى لكم المال الذى أردتم فى كل سنة فكل من فى حمص يرضى بقولنا فقال خالد اذا وصلت الى بلادكم يكون الصلح ان شاء الله تعالى ان كان لكم فيه أرب ولكن نحن ههنا لانصالحكم ولكن كونوا معنا الى أن يقضى الله ماهو قاض ثم ان خالدا قال لهم هل عندكم علم من صاحبنا الذى قتل ابن صاحبكم قالوا لعله عارى الجسد الذى قتل منا مقتلة عظيمة وفجع صاحبنا فى ولده قال خالد عنه سألتكم قالوا بعثه وردان عندنا أسيرا على بغل ووكل به مائة فارس وانفذه الى حمص ليرسله الى الملك ويخبره بما فعل قال ففرح خالد بقولهم ثم دعا برافع بن عميرة الطائى وقال يارافع ما أعلم أحدا أخبر منك بالمسالك وأنت الذى قطعت بنا المفازة من أرض السماوة وأعطشت الابل وأوردتها الماء ووردتنا أركة وماوطئها جيش قبلنا الفازتها وأنت أوحد أهل الارض فى الحيل والتدبير فخذ معك من أحببت واتبع اثر القوم فلعلك أن تلحق بهم وتخلص صاحبنا من ايديهم فلئن فعلت ذلك لتكونن الفرحة الكبرى فقال رافع بن عميرة حبا وكرامة ثم انه فى الحال انتخب مائة فارس شدادا من المسلمين وعزم على المسير فأتت البشارة الى خولة بمسير رافع بن عميرة ومن معه فى طلب أخيها ضرار فتهلل وجهها فرحا واسرعت الى لبس سلاحها وركبت جوادها وأتت الى خالد بن الوليد ثم قالت له أيها الامير سألتك بالطاهر المطهر محمد سيد البشر الا ماسيرتنى مع من سرحت فلعلى ان اكون مشاهدة لهم فقال خالد لرافع

الذى يشتريه فاذا وضع فى الميزان ووضع فى مقابلته كل ماوجد من الصنف الذى يريد شراءه لايعدله ووجد هذا الدرهم فى كنوز مصر فى أيام بنى امية (الكاهن السابع) كان يعمل اعمالا عجيبة من جملتها انه كان يجلس فى السحاب فى صورة انسان عظيم فاقام مدة ثم غاب فأقاموا بلا ملك الى ان رأوه فى صورة الشمس فى برج الحمل فاعلمهم انه لايعود اليهم وان يولوا فلانا بعده وسبب تولية الوليد بن مصعب الذى هو فرعون موسى على مصر كما اخرجه ابن عبد الحكم ان ملك مصر لما توفى تنازع الملك

انت تعلم شجاعتها انخذها معك فقال له رافع السمع والطاعة وارتحل رافع ومن معه وسارت خولة فى اثر القوم ولم تختلط بهم وسار الى ان قرب من سلمية قال فنظر رافع فلم يجد للقوم اثرا فقال لاصحابه ابشروا فان القوم لم يصلوا الى ههنا ثم انه كمن بهم فى وادى الحياة فبينما هم كامنون اذا بغبرة قد لاحت فقال رافع لاصحابه أيقظوا خواطركم وانتبهوا فأيقظ القوم هممهم وبقوا فى انتظار العدو واذا بهم قد أتوا وهم محدقون بضرار فلما رأى رافع ذلك كبر وكبر المسلمون معه وحملوا عليهم فلم يكن غير ساعة حتى خلص الله ضرارا وقتلوهم جميعا وأخذوا اسلابهم قال واذا بعساكر الروم قد أقبلت منهزمة واولهم لا يلتفت الى آخرهم فعلم رافع ان القوم انهزموا فأقبل يلتقطهم بمن معه قال وكان خالد لما أرسل رافع بن عميرة فى طلب ضرار ليخلصه ومعه المائة فارس صدم وردان صدمة من يحب الشهادة ويبتغى دار السعادة وصدم المسلمون الروم فما لبثوا ان ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وكان اولهم وردان واتبعهم المسلمون واخذوا اسلابهم واموالهم ولم يزالوا فى طلبهم الى وادى الحياة فاجتمع المسلمون برافع بن عميرة الطائى وضرار بن الازور وسلموا عليهم وفرحوا بضرار رضى الله عنه وهنوه بالسلامة قال واثنى خالد على رافع خيرا ورجعوا الى دمشق وفرح المسلمون بالنصر واتصل الخبر الى الملك هرقل وان وردان قد انهزم وقتل ولده همدان قال فأيقن بزوال ملكه من الشام فكتب الى وردان كتابا يقول فيه أما بعد فانى قد بلغنى ان جياع الاكباد عراة الاجساد قد هزموك وقتلوا ولدك رحمه المسيح ورحمك ولولا اعلم انك فارس الحرب ومجيد الطعن والضرب وليس النصر آتيك لحل عليك سخطى والآن مضى ما مضى وقد بعثت الى اجنادين تسعين الفا وقد أمرتك عليهم فسر نحوهم وانجد أهل دمشق وأنفذ بعضهم ليمنعوا من فى فلسطين من العرب وحل بينهم وبين اصحابهم وانصر دينك وصاحبك قال وأنفذ اليه الكتاب مع خيل البريد فلما ورد عليه الكتاب وقرأه سرى عنه بعض ما كان يجده وأخذ الاهبة الى اجنادين فسار فوجد الروم قد تجمعوا وأظهروا العدد والزرد وخرجوا الى لقائه وسلموا عليه وتقدموا بين يديه وعزوه فى ولده فلما استقر قراره قرأ عليهم منشور الملك فاجابوا بالسمع والطاعة وأخذوا على انفسهم (قال حدثنى) روح بن طريف قال كنت مع خالد بن الوليد على باب شرقى حين رجعنا من هزيمة وردان واذا قد ورد علينا عباد بن سعد الحضرمى وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصرى يعلم خالدا بمسير الروم اليه من اجنادين فى تسعين ألف فارس فخذ أهبتك للقائهم قال فلما سمع خالد ذلك ركب الى ابى عبيدة وقال له يا أمين الامة هذا عباد بن سعد الحضرمى قد بعث به شرحبيل بن حسنة يخبر ان طاغية الروم هرقل قد ولى وردان على من تجمع باجنادين من الروم وهم تسعون ألفا فما ترى من الرأى يا صاحب رسول الله فقال ابو عبيدة اعلم يا ابا سليمان ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقون مثل شرحبيل بن حسنة بأرض بصرى ومعاذ بن جبل بحوران ويزيد بن ابى سفيان بالبلقاء والنعمان بن المغيرة بأرض تدمر واركة وعمرو بن العاص بأرض فلسطين والصواب ان تكتب اليهم ليقصدونا حتى نقصد العدو ومن الله نطلب المعونة والنصر قال فكتب خالد الى عمرو بن العاص كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان اخوانكم المسلمين قد عولوا على المسير الى اجنادين فان هناك تسعين الفا من الروم يريدون المسير الينا يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون فاذا وصل اليك كتابى هذا فاقدم علينا بمن معك الى اجنادين تجدنا هناك ان شاء الله تعالى والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وكتب نسخة الكتاب الى جميع الامراء الذين ذكرناهم ثم أمر الناس بالرحيل فرفعت القباب والهوادج على ظهور الجمال وساقوا الغنائم والاموال فقال خالد لابى عبيدة قد رأيت رأيا ان اكون على الساقة مع الغنائم والاموال والبنين والولدان وكن انت على المقدمة مع خاصة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة بل اكون أنا على الساقة وانت على المقدمة مع الجيش فان وصل اليك جيش الروم مع وردان يجدوك على أهبة فتمنعهم من الوصول الى الحريم

جماعة من ابناء الملك ولم يكن للملك عهد لاحد ولما اشتد الامر بينهم تداعوا الى الصلح فاصطلحوا على ان يحكم بينهم أول من يطلع من سفح الجبل فطلع فرعون بين عديلتى نطرون على حمار أقبل بهما ليبيعهما فاستوقفوه وقالوا انا جعلناك حكما بيننا فيما تشاجرنا فيه من الملك وآتوه مواثيقهم على الرضا فلما استوثق منهم قال انى رأيت ان أملك نفسى عليكم فهو أذهب اضغائنكم واجمع لاموركم والامر من بعد اليكم فأمروه عليهم واقعدوه فى دار الملك بمنف فارسل الى صاحب أمر كل رجل منهم فوعده ومناه ان

والاولاد فلا يصلون الينا الا وأنت قتلت فيهم والا كنت أنا ومن معي غنيمة لهم اذا كنت أنا في المقدمة
فقال خالد لست أخالفك فيما ذكرت ثم ان خالدا قال أيها الناس انكم سائرون الى جيش عظيم فايقظوا
هممكم وان الله وعدكم النصر وقرأ عليهم قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع
الصابرين ثم ان خالدا أخذ الجيش وسار في المقدمة وبقي أبو عبيدة في ألف من المسلمين ونظر الى ذلك أهل
دمشق فعطفوا عليهم وأقبلوا بسيوفهم وهم يظنون أنهم منهزمون لاجل ما بلغهم من الجيش العظيم الذي
هو باجنادين فقال لهم عقلاؤهم ان كانوا سائرين على طريق بعلبك فانهم يريدون فتحها وفتح حمص وان
كانوا على طريق مرج راهط فالقوم لا شك هاربون الى الحجاز ويتركون ما أخذوا من البلاد قال وكان
بدمشق بطريق يقال له بولص وكان عظيما عند النصرانية وكان اذا قدم على الملك يعظمه وكان الملعون
فارسا وذلك انهم كان عندهم شجرة فرماها بسهم فغاص السهم في الشجرة من قوة ساعده ثم ان من عجبه
كتب عليها ان كل من يدعي الشجاعة فليرم بسهمه الى جانب سهمي وكان قد شاع ذكره بذلك ولم يحضر
قتال المسلمين منذ دخلوا دمشق فلما اجتمعوا عليه قال لهم بولص ما الذي حل بكم فاعلموه بما جرى عليهم
من المسلمين وقالوا له ان كنت تريد حياة الابد عند الملك وعند المسيح وعند أهل دين النصرانية فدونك
والمسلمين فاخرج اليهم وأخطف كل من تخلف منهم وان رأيت لنا فيهم مطمعا قاتلناهم فقال بولص انما
كان سبب تخلفي عن نصرتكم لانكم قليلو الهمة لقتال عدوكم فتخلفت عنكم والآن لا حاجة لي في قتال
العرب فقالوا وحق المسيح والانجيل الصحيح ائن سرت في مقدمتنا لنثبتن معك وما منا من يولي عنك وقد
حكمناك فيمن ينهزم أن تضرب عنقه ولا يعارضك في ذلك أحد قال فلما استوثق منهم دخل الى منزله ولبس
لامته فقالت له زوجته الى أين عزمت قال اخرج في أثر العرب فقد ولاني أهل دمشق عليهم فقالت لا تفعل
والزم بيتك ولا تطلب ما ليس لك به حاجة فاني رأيت لك في المنام رؤيا فقال لها وما الذي رأيت قالت رأيتك
كانك قابض قوسك وأنت ترمي طيورا وقد سقط بعضها على بعض ثم عادت صاعدة فبينما أنا متعجبة
اذ أقبلت نحوك سحابة من الجو فانقضت عليك من الهواء وعلى من معك فجعلت تضرب هامهم ثم وليتم
هاربين ورأيتها لا تضرب أحدا الا صرعته ثم اني انتبهت وأنا مذعورة باكية العين عليك فقال لها ومع ذلك
رأيتني فيمن صرع قالت نعم وقد صرعك فارس عظيم قال فلطم وجهها وقال لا بشرك المسيح بخير لقد
دخل رعب العرب في قلبك حتى صرت تحلمين بهم في النوم فلابد أن أجعل لك أميرهم خادما وأجعل
أصحابه رعاة الغنم والخنازير فقالت له زوجته افعل ما تريد فقد نصحتك قال فلم يلتفت الى كلامها وخرج
من عندها وركب وسار معه من كان في دمشق من الروم ففرضهم فاذا هم ستة آلاف فارس وعشرة
آلاف راجل من أهل النجدة والحمية وسار يطلب القوم وكان خالد في المقدمة وأبو عبيدة يمشي مع
الاموال والاغنام والجمال اذ نظر رجل من أصحابه وهو يتأمل الغبرة من ورائهم فسأله أبو عبيدة عن ذلك
فقال أظنها غبرة القوم فقال أبو عبيدة ان أهل الشام قد طمعوا فينا وهذا العدو قاصد الينا قال فما استتم
كلامه حتى بدت الخيل كانها السيل وبولص في أوائلهم فلما نظر الى أبي عبيدة قصده ومعه الفرسان
وأخوه بطرس قصد الحريم والمال فاقتطعوا منها قطعة فلما احتوى عليها رجع بها بطرس نحو دمشق فلما
بعد بها جلس هناك لينظر ما يكون من أمر أخيه وأما أبو عبيدة فانه لما نظر الى ما فاجأه من الروم قال
والله لقد كان الصواب مع خالد لما قال دعني في الساقة فلم أدعه وانه قد وصل اليه بولص وقصده والاعلام
والصلبان على رأسه مشتبكة والنساء يولولن والصبيان يصيحون والالف من المسلمين قد اشتغلوا بالقتال
وقد قصد عدو الله بولص أبا عبيدة واشتد بينهم الحرب ووقع القتال من أصحابه والروم وارتفعت الغبرة
عليهم وهم في كر وفر على أرض محورا قال وقد بلي أبو عبيدة بالقتال وصبر صبر الكرام قال سهيل بن
صباح وكان تحتي جواد محجل من خيل اليمن شهدت عليه اليمامة فقومت السنان وأطلقت العنان فخرج
كانه الريح العاصف فما كان غير بعيد حتى لحقت بخالد بن الوليد والمسلمين فأقبلت اليهم صارخا وقلت

علكه على ملك صاحبه ليلة
يقتل فيها كل رجل منهم
صاحبه ففعلوا ودان له
أولئك بالربوبية فلكهم
نحوا من خمسمائة سنة
وقيل أربعمائة لم يصدع
له رأس وكان ملكه ما بين
مصر الى افريقية من بلاد
المغرب وقيل كان عطارا
باصبهان فافلس وركبته
الديون فخرج هاربا الى
الشام فلم يستقم حاله فجاء
الى مصر فرأى ملكها
مشتغلا بلهوه فتوصل اليه
بحيلة وخرج الى المقابر
وسمى نفسه عامل الاموات
وصار يأخذ من كل ميت
جعلا حتى بلغ الملك خبره
فاحضره وكلمه فأعجبه عقله
ومعرفته فاستوزره ثم قتل

أيها الامير أدرك الاموال والحريم فقال خالد ماوراءك يا ابن الصباح فقلت أيها الامير الحق أبا عبيدة والحريم فان نفير دمشق قد لحق بهم وقد اقتطعوا قطعة من النسوان والولدان وقد بلى ابو عبيدة بما لا طاقة له به قال فلما سمع خالد ذلك الكلام من سهيل بن صباح قال انا لله وانا اليه راجعون قد قلت لابى عبيدة دعنى أكون على الساقة فما طاوعنى ليقضى الله أمرا كان مفعولا ثم أمر رافع بن عميرة على ألف من الخيل وقال له كن فى المقدمة وأمر عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق على الفين وقال له أدرك العدو وسار خالد فى اثره ببقية الجيش قال فبينما أبو عبيدة فى القتال مع بولص لعنه الله اذ لاحقت به جيوش المسلمين وحملوا على أعداء الله وداروا بهم من كل مكان فعند ذلك تنكست الصلبان وايقن الروم بالهوان وتقدم الامير ضرار بن الازور كأنه شعلة نار وقصد نحو بولص فلما رآه عدو الله تبلبل خاطره ووقعت الرعدة فى فرائصه وقال لابى عبيدة يا عربى وحق دينك الا ما قلت لهذا الشيطان يبعد عنى وكان بولص قد سمع به ورآه من سور دمشق وما صنع بعسكر كاوس وعزازير وسمع بفعاله فى بيت لهيا فلما رآه مقبلا اليه عرفه فقال لابى عبيدة قل لهذا الشيطان لا يقربنى فسمعه ضرار رضى الله عنه فقال له انا شيطان ان قصرت عن طلبك ثم انه فاجاه وطعنه فلما رأى بولص ان الطعنة واصلة اليه رمى نفسه عن جواده وطلب الهرب نحو أصحابه فسار ضرار فى طلبه وقال له أين تروح من الشيطان وهو فى طلبك ولحقه وهم ان يعلوه بسيفه فقال بولص يا بدوى أبق على ففى بقائى بقاء أولادكم واموالكم قال فلما سمع ضرار قوله امسك عن قتله وأخذه أسيرا هذا والمسلمون قد قتلوا من الروم مقتلة عظيمة (قال حدثنى) اسلم بن مالك اليربوعى عن أبى رفاعة بن قيس قال كنت يوم وقعة سحورا مع المسلمين وكنت فى خيل عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال فدرنا بالروم من كل جانب وبذلنا اسيافنا فى القوم وكانوا ستة كتائب فى كل كتيبة ألف فارس قال رفاعة بن قيس فوالله لقد حملنا يوم فتح دمشق وانه ما رجع منهم فوق المائة ووجد خبر لضرار أن خولة مع النسوان المأسورات فعظم ذلك عليه وأقبل على خالد واعلمه بذلك فقال له خالد لا تجزع فقد اسرنا منهم خلقا كثيرا وقد أسرت أنت بولص صاحبهم وسوف نخلص من اسر من حريمنا ولا بد لنا من دمشق فى طلبهم ثم أمر خالد أن يسيروا بالناس على مهل حتى ننظر ما يكون من أمر حريمنا ثم انه سار فى ألف فارس جريدة وبعث العسكر كله الى أبى عبيدة مخافة أن يلحقهم وردان بجيوشه فسار القوم وتوجه خالد بمن معه فى طلب المأسورات وقد قدم امامه رافع بن عميرة الطائى وميسرة ابن مسروق العبسى وضرار بن الازور (قال حدثنى) سعيد بن عمر عن سنان بن عامر اليربوعى قال سمعت حبيب بن مصعب يقول لما اقتطعوا من ذكرنا من نساء العرب سار بهم بطرس أخو بولص الى ان نزل بهم الى النهر الذى ذكرناه ثم قال بطرس أنا لا أبرح من ههنا حتى أنظر ما يكون من أمر أخى ثم انه عرض عليه النساء المأسورات فلم يعجبه منهن الا خولة بنت الازور أخت ضرار فقال بطرس هذه لى وأنا لها لا يعارضنى فيها أحد فقال له أصحابه هى لك وأنت لها قال وكل من سبق الى واحدة يقول هى لى حتى قسموا الغنيمة على ذلك ووقفوا ينتظرون ما يكون من أمر بولص وأصحابه وكان فى النساء عجائز من حمير وتبع من نسل العمالقة والتبابعة وكن قد اعتدن ركوب الخيل وخوضات الليل والهجوم على القبائل قال فاجتمعت النساء بعضهن على بعض فقالت لهن خولة بنت الازور يا بنات حمير بقية تبع أترضين بأنفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيدا لاهل الشرك فاين شجاعتكن وبراعتكن التى نتحدث بها عنكن فى أحياء العرب ومحاضر الحضر ولا أراكن الا بمعزل عن ذلك وانى أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب وما نزل بكم من خدمة الروم الكلاب فقالت عفرة بنت غمار الحميرية صدقت والله يا بنت الازور ونحن فى الشجاعة كما ذكرت وفى البراعة كما وصفت لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام ووالله لقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير ان السيف يحسن فعله فى مثل هذا الوقت وانما دهمنا العدو على حين غفلة وما نحن الا كالغنم فقالت خولة يا بنات التبابعة

الوزير فسار له فى الناس سيرة حسنة وكان عدلا شجاعا يقضى بالحق ولو على نفسه فأحبه الناس لكثرة عدله فتوفى الملك فولوه عليهم فعاش زمنا طويلا حتى مات منهم ثلاثة قرون وهو باق فبطر وتجبر وبغى فقال انا ربكم الاعلى فاستخف قومه فأطاعوه وقال موسى يارب ان فرعون جحدك مائتى سنة فكيف امهلته فأوحى الله تعالى اليه انه عمر بلادى وأحسن الى عبادى ومن جملة احسانه ان هامان وزيره لما ابتدأ حفر خليج سردوس اتاه أهل قرية يسألونه أن يخرج الخليج اليهم تحت قريتهم ويعطونه مالا فاجتمع له من ذلك مائة

والعمالقة خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الاطناب ونحمل بها على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم أو نستريح من معرة العرب فقالت عفرة بنت غفار والله ما دعوت الا ما هو أحب الينا مما ذكرت ثم تناولت كل واحدة عمودا من أعمدة الخيام وصحن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقها عمود الخيمة وسعت من ورائها عفرة وأم أبان بنت عتبة وسلمة بنت زارع ولبنى بنت حازم ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت النعمان ومثل هؤلاء رضى الله عنهن فقالت لهن خولة لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فتملكن فيقع بكن التشتيت واحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهن قال فهجمت خولة أمامهن فأول ما ضربت رجلا من القوم على هامته بالعمود فتجندل صريعا والتفتت الروم ينظرون ما الخبر فاذا هم بالنسوة وقد أقبلن والعمد بأيديهن فصاح بهن بطريق يا ويلكن ما هذا فقالت عفرة هذه فعالنا فلنضربن القوم بهذه الاعمدة ولا بد من قطع أعماركم وانصرام آجالكم يا أهل الكفر قال فجاء بطرس وقال تفرقوا عن النسوة ولا تبذلوا فيهن السيوف ولا أحد منكم يقتل واحدة منهن وخذوهن أسارى ومن وقع منكم بصاحبتي فلا ينلها بمكروه فتفرق القوم عليهن وأحدقوا بهن من كل جانب وراموا الوصول اليهن فلم يجدوا الى ذلك سبيلا ولم تزل النساء لا يدنوا اليهن أحد من الروم الا ضربن قوائم فرسه فاذا انتكس عن جواده بادرت النساء بالاعمدة فيقتلنه ويأخذن سلاحه (قال الواقدى) ولقد بلغنى أن النسوة قتلن ثلاثين فارسا من الروم فلما نظر بطرس الى ذلك غضب غضبا شديدا وترجل وترجلت أصحابه نحو النساء والنساء يحرض بعضهن بعضا ويقلن متن كراما ولا تمتن لئاما وأظهر بطرس بأسه وتلهفه عند ما نظر الى فعالهن ونظر الى خولة بنت الازور وهى تجول كالاسد وتقول شعرا

نحن بنات تبع وحمير * وضربنا فى القوم ليس ينكر
لأننا فى الحرب نار تسعر * اليوم تسقون العذاب الاكبر

قال فلما سمع بطرس ذلك من قولها ورأى حسنها وجمالها قال لها يا عربية أقصرى عن فعالك فانى مكرمك بكل ما يسرك أما ترضين أن أكون أنا مولاك وأنا الذى تهابنى أهل النصرانية ولى ضياع ورساتيق وأموال ومواش ومنزلة عند الملك هرقل وجميع ما أنا فيه مردود اليك أما ترضين أن تكونى سيدة أهل دمشق فلا تقتلى نفسك فقالت له يا ملعون ويا ابن ألف ملعون والله لئن ظفرت بك لأقطعن رأسك والله ما أرضى بك أن ترعى لى الابل فكيف أرضاك ان تكون لى كفؤا قال فلما سمع كلامها حرض أصحابه على القتال وقال أترون عارا أكبر من هذا فى بلاد الشام ان النسوة غلبنكم فاتقوا غضب الملك وغضب المسيح بن مريم قال فافترق القوم وحملوا حملة عظيمة وصبرت النساء لهم صبر الكرام فبينما هم على ذلك اذ أقبل عليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه ومن معه من المسلمين ونظروا الى الغبار وبريق السيوف فقال لاصحابه من يأتينى بخبر القوم فقال رافع بن عميرة الطائى أنا آتيك به قال ثم أطلق جواده حتى أشرف على النسوة وهن يقاتلن قتال الموت قال فرجع وأخبر خالدا بما رأى فقال خالد لا أعجب من ذلك انهن من من بنات العمالقة ونسل التبابعة وما بينهن وبين تبع الا قرن واحد وتبع بن بكر بن حسان الذى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وشهد له بالرسالة قبل أن يبعث وقال

شهدت بأحمد أنه رسول * من الله بارئ كل النسم
وأمته سميت فى الزبور * بأمة أحمد خير الامم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

(قال الواقدى) قال خالد لا تعجب يا رافع واعلم أن هؤلاء النسوة لهن الحروب المذكورات والمواقف المشهورات وان يكن فعلهن ما ذكرت فلقد سدن على نساء العرب الى آخر الابد وأزلن عنهن العار فتهللت وجوه الناس فرحا ووثب ضرار بن الازور عند ما سمع كلام رافع فقال خالد مهلا يا ضرار لا تعجل فانه من تأنى نال ما تمنى فقال ضرار أيها الامير لا صبر لى عن نصرة بنت ابى وأمى فقال خالد قد قرب الفرج

الف دينار ولا يعلم بمصر خليج أكثر عطوفا منه لما فعل هامان بحفره ولما أخبر فرعون بما أخذه من الاموال قال له ويحك ينبغى للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليهم ولا يرغب فيما بأيديهم رد على أهل كل قرية ما أخذت منهم فرده كله على أهله وكان خراج مصر فى زمنه فى كل سنة اثنين وسبعين ألف ألف دينار يأخذ فرعون من ذلك الربع خالصا لنفسه يصنع فيه ما يريد والربع الثانى لجنده وما يتقوى به على محاربه وحماية خراجه ودفع عدو والربع الثالث فى مصلحة الارض وما تحتاج اليه من جسور وخلج

ان شاء الله تعالى ثم ان خالدا وثب ووثبت أصحابه وقال معاشر الناس اذا وصلتم الى القوم فتفرقوا عليهم
وأحدقوا بهم فعسى أن يخلص حريمنا فقالوا حبا وكرامة ثم تقدم خالد قال فبينما القوم فى قتال شديد مع
النسوة اذ أشرفت عليهم المواكب والكتائب والاعلام والرايات فصاحت خولة يا بنات التبابعة قد جاءكم
الفرج ورب الكعبة ونظر بطرس الى الكتائب المحمدية وقد أشرفت فخفق فؤاده وارتعدت فرائصه
وأقبل القوم ينظر بعضهم بعضا قال فصاح بطرس يا معاشر النسوة ان الشفقة والرحمة قد دخلت فى قلبي
لان لنا أخوات وبنات وامهات وقد وهبتكن للصليب فاذا قدم رجالكن فاخبرنهم بذلك ثم عطف يريد
العرب اذ نظر الى فارسين قد خرجا من قلب العسكر أحدهما قد تكمى فى سلاحه والآخر عارى الجسد وقد
اطلقا عنانهما كأنهما أسدان وكانا خالدا وضرارا فلما رأت خولة أخاها قالت له الى اين يا ابن أمى أقبل
فصاح بها بطرس انطلقى الى أخيك فقد وهبتك له ثم ولى يطلب الهرب فقالت له خولة وهى تهزأ به ليس
هذا من شيم الكرام تظهر لنا المحبة والقرب ثم تظهر الساعة الجفاء والتباعد وخطت نحوه فقال قد زال
عنى ما كنت اجده من محبتك فقالت له خولة لا بد لى منك على كل حال ثم اسرعت اليه وقد قصده ضرار فقال
له بطرس خذ أختك عنى فهى مباركة عليك وهى هدية منى اليك فقال له الامير ضرار قد قبلت هديتك
وشكرتها وانى لا أجد مكافأة لك على ذلك الا سنان رمحى فخذ هذه منى اليك ثم حمل عليه ضرار وهو يقول
واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها ثم همهم اليه بالطعنة ووصلت اليه خولة فضربت قوائم فرسه
فكبا به الجواد ووقع عدو الله الى الارض فأدركه ضرار قبل سقوطه وطعنه فى خاصرته فأطلع السنان من
الجانب الآخر فتجندل صريعا الى الارض فصاح به خالد لله درك يا ضرار هذه طعنة لا يخيب طاعنها ثم حملوا
فى اعراض القوم وجميع المسلمين معهم فما كانت الا جولة جائل حتى قتل من الروم ثلاثة آلاف رجل
قال حامد بن عامد اليربوعى لقد عددت لضرار بن الازور فى ذلك القوم ثلاثون قتيلا وقتلت خولة خمسة
وعفراء بنت غفار الحميرية أربعة قال وانهزم بقية القوم ولم يزل الوافى أدبارهم والمسلمون على أثرهم الى ان
وصلوا الى دمشق فلم يخرج اليهم أحد بل زاد فزعهم واشتد الامر عليهم ورجع المسلمون وجمعوا الغنائم
والخيل والسلاح والاموال ثم قال خالد ألحقوا بأبى عبيدة لئلا يكون وردان وجيوشه قد لحقوا به فسار
ضرار والقوم وقد جعل ضرار رأس البطريق على سنان رمحه ولم يزل القوم سائرين الى أن لحقوا
بأبى عبيدة فى مرج الصفر وقد تخلف أبو عبيدة حتى أشرف المسلمون عليه فكبر وكبر خالد بن الوليد
رضى الله عنه ومعه المسلمون فلما اجتمع الناس سلم بعضهم على بعض ورأوا الساسورات وقد خلصن
وأخبر خالد أبا عبيدة بما فعلت خولة وعفرة وغيرهن من الصحابة فاستبشر بنصر الله وعلموا ان الشام لهم ثم
دعا خالد ببولص فقال له أسلم والا فعلت بك كما فعلت بأخيك فقال له وما الذى صنعت بأخى قال قتلته وهذه
رأسه ورماها ضرار قدامه فلما رأى رأس أخيه بكى وقال له لا بقاء لى بعده حيا فألحقونى به قال فقام اليه
المسيب بن يحيي الفزارى رضى الله عنه فضرب عنقه بأمر خالد ثم رحل القوم (قال الواقدى) حدثنا
سعيد بن مالك قال لما بعث خالد الكتب الى شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه
وسلم والى يزيد بن أبى سفيان والى عمرو بن العاص قرأ كل واحد من الامراء كتابه قال فساروا بجمعهم
الى أجنادين لعون اخوانهم وجاؤا بعددهم وعديدهم * قال سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كنت فى خيل معاذ بن جبل فلما أشرفنا باجمعنا على أجنادين كنا كلنا على سيارة واحدة فى يوم واحد
وذلك فى شهر صفر سنة ٢٠ من الهجرة وتبادر المسلمون يسلم بعضهم على بعض قال ورأينا جيوش
الروم فى عدد لا يحصى فلما أشرفنا عليهم أظهروا النازينتهم وعددهم واصطفوا مواكب وكتائب وعدوا
صفوفهم فكانوا ستين صفا فى كل صف ألف فارس قال الضحاك بن عروة والله لقد دخلنا العراق
ورأينا جنود كسرى فما رأينا أكثر من جنود الروم ولا أكثر من عددهم وسلاحهم قال فنزلنا
بازائهم قال فلما كان من الغد بادرت الروم نحونا قال الضحاك فلما رأيناهم وقد ركبوا أخذنا على

وقناطر ولقوة المزارعين على
زروعهم وعمارة أرضهم
والربع الرابع يدفن فى
الارض فيؤخذ ربع
مايصيب كل قرية من
خراجها ليدفن ذلك فيها
لنائبة تنزل أو جائحة تطرأ
لاهل القرية وهذا الربع
الذى يدفن فى كل قرية هو
كنوز فرعون التى يتحدث
الناس انها استظهر فيطلبها
من يتتبع الكنوز وكان
فرعون اذا أكمل الزرع
فى كل سنة يرسل مع
قائدين من قواده أردب قمح
فيذهب أحدهما الى أعلى
مصر والآخر الى أسفلها
فيتأمل القائدان فى كل
قرية فان وجد أحد
القائدين موضعا باثوا قد

أنفسنا وأهبنا وان خالدا ركب وجعل يتخلل الصفوف ويقول اعلموا انكم لستم ترون للروم جيشا مثل
هذا اليوم فان هزمهم الله على أيديكم فما يقوم لهم بعدها قائمة أبدا فاصدقوا في الجهاد وعليكم بنصر
دينكم واياكم ان تولوا الادبار فيعقبكم ذلك دخول النار واقرنوا المواكب ومكنوا المضارب ولا تحملوا
حتى آمركم بالحملة وايقظوا هممكم (قال الواقدي) ولقد بلغني عن أثق به ان وردان لما رأى أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اجتمعوا وعولوا على حربهم جمع اليه الملوك والبطارقة وقال لهم يابني
الاصفر اعلموا ان الملك يعول عليكم اذا انكسرتم ولا تقوم لكم بعدها قائمة أبدا وتملك العرب بلادكم
وتسبي حريمكم فعليكم بالصبر ولتكن حملتكم واحدة ولا تتفرقوا واعلموا أن كل ثلاثة منا بواحد منهم
واستعينوا بالصليب ينصركم فهذا ما كان من هؤلاء * واما خالد رضي الله عنه فانه مشى على أصحابه وقال
معاشر المسلمين من فيكم يحدر لنا القوم وينذرهم فقال ضرار بن الازور أنا أيها الامير فقال خالد أنت لها
والله ولكن ياضرار اذا أشرفت على القوم فاياك ان تحمل نفسك مالا تطيق وأن تغرر بنفسك وتحمل
على القوم فما أمرك الله بذلك فقد قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قال فاطلق ضرار عنان
جواده حتى أشرف على جيش الروم فرأى أثاثهم وخيامهم وشعاع البيض والطوارق والرايات
كأجنحة الطيور قال وكان وردان ينظر الى نحو جيش المسلمين اذ نظر الى ضرار وهو مشرف على القوم
فقال للبطارقة اني أرى فارسا قد أقبل واستشك انه طليعة للقوم فأيكم يأتيني به فانتدب من القوم
ثلاثون فارسا وطلبوا ضرارا فلما نظر اليهم ضرار ولى من بين أيديهم فتبعوه وظنوا أنه قد انهزم منهم وانما
أراد بذلك ان يبعدهم عن أصحابهم فلما بعدوا علم أنه تمكن منهم فلوى رأس جواده اليهم وصوب السنان
عليهم فأول ما طعن فارسا من القوم أراده وثنى على الآخر فأعدمه الحياة وصال فيهم صولة الاسد على الغنم
ودخل رعبه في قلوبهم فولوا منهزمين فتبعهم وهو يصرع منهم فارسا بعد فارس الى ان صرع منهم تسعة
عشر فارسا فلما رأوا ذلك وقرب هو من جيوش الروم لوى راجعا الى خالد ومعه اسلابهم وخيولهم واعلمه بما
كان فقال له خالد ألم أقل لك لا تغرر بنفسك ولا تحمل عليهم فقال ان القوم طلبوني فخفت ان يراني الله
منهزما فجاهدت باخلاص ولا جرم ان الله ينصرنا عليهم والله لولا خوفي من ملامك لأحملن على الجميع
واعلم ان القوم غنيمة لنا قال فرتب خالد عسكره ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل في القلب معاذ بن
جبل وفي الميمنة عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وفي الميسرة سعيد بن عامر وفي الجناح الايسر شرحبيل
ابن حسنة وفي الساقة يزيد بن أبي سفيان في أربعة آلاف فارس حول الحريم والبنات والاولاد ثم التفت
الى النسوة وهن عفراء بنت غفار الحميرية وأم أبان ابنة عتبة وكانت عروسا قد تزوج بها في هذا اليوم
أبان بن سعيد بن العاص والخضاب في يدها والعطر في رأسها وخولة بنت الازور ومزروعة بنت عملوق
وسلمة بنت زارع وغيرهن من النسوة ممن عرفن بالشجاعة والبراعة فقال لهن خالد يابنات العمالقة
وبقية التبابعة قد فعلتن فعلا أرضيتن به الله تعالى والمسلمين وقد بقي لكن الذكر الجميل وهذه
أبواب الجنة قد فتحت لكن وأبواب النار قد غلقت عنكن وفتحت لاعدائكن واعلمن أني
واثق بكن فان حملت طائفة من الروم عليكن فقاتلن عن أنفسكن وان رأيتن أحدا من المسلمين قد ولى
هاربا فدونكن واياه بالاعمدة وارمين بولده وقلن له الى اين تولى عن أهلك ومالك وولدك وحريمك فانكن
ترضين بذلك الله تعالى فقالت عفراء بنت غفار أيها الامير والله لا يفرحنا الا أن نغوث أمامك فلنضربن
وجوه الروم ولنقاتلن الى أن لا تبقى لنا عين تطرف والله ما نبالي اذا رمينا الروم كله قال فجزاهن خيرا
ثم عاد الى الصفوف فجعل يطوف بينهم بفرسه ويحرض الناس على القتال وهو ينادي برفيع صوته
يامعاشر المسلمين انصروا الله ينصركم وقاتلوا في سبيل الله واحتسبوا نفوسكم في سبيل الله ولا تحملوا
حتى آمركم بالحملة ولتكن السهام اذا خرجت من أكباد القسي كأنها من قوس واحدة فاذا تلاصقت
السهام رشقا كالجراد لم يخل أن يكون منها سهم صائب واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم

أغفل بذره كتب الى
فرعون بذلك وأعلمه باسم
العامل على تلك الجهة
فاذا بلغ فرعون ذلك أمر
بضرب عنق ذلك العامل
وأخذ ماله فربما رجع
القائد ان لم يجد موضعا
لبذر الاردب لتكامل
العمارة واستظهار الزراع
ولما أراد الله هلاك فرعون
خرج في طلب موسى عليه
السلام وفي طلب بني
اسرائيل وكان على مقدمة
فرعون هامان في ألف
ألف وسبعمائة ألف سوى
القلب والجناحين ولم يخرج
معه من عمره فوق الاربعين
ولا دون العشرين وكان
في عسكره ذلك اليوم
سبعون ألف أدهم وقيل

تفلحون واعلموا أنكم لم تلقوا بعد هذا عدوا مثله وان هذه الفئة جلتهم وأبطالهم وملوكهم فجردوا السيوف وأوتروا القسى وفوقوا السهام ثم ان خالدا أقبل و وقف فى القلب مع عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وقيس بن هبيرة و رافع بن عميرة وذى الكلاع الحميرى وربيعة بن عامر ونظائرهم قال فلما نظر وردان الى جيش المسلمين قد زحف زحفوا وكانوا ملؤا تلك الارض فى الطول والعرض من كثرتهم فتراءى الجمعان وتلاقى الفريقان وقد أظهر أعداء الله الصلبان والاعلام و رفع المسلمون أصواتهم بالتهاليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فلما قرب القوم بعضهم من بعض خرج من علوج الروم شيخ كبير وعليه قلنسوة سوداء فلما قرب من المسلمين نادى بلسان عربى أيكم المقدم فليخاطبنى وليخرج الى وعليه الامان قال فخرج اليه خالد بن الوليد فقال له القس أنت أمير القوم فقال خالد كذلك يزعمون ما دمت على طاعة الله وسنة رسوله وان أنا غيرت أو بدلت فلا أمارة لى عليهم ولا طاعة قال القس بهذا نصرتم علينا ثم قال اعلم انك توسطت بلادا ما جسر ملك من الملوك أن يتعرض لها ولا يدخلها وان الفرس دخلوها ورجعوا خائبين وان التبابعة أتوها وأفنوا أنفسهم عليها وما بلغوا ما أرادوا ولكنكم أنتم نصرتم علينا وان النصر لا يدوم لكم وصاحبى وردان قد أشفق عليكم وقد بعثنى اليكم وقال انه يعطى كل واحد منكم دينارا وثوبا وعمامة ولك أنت مائة دينار ومائة ثوب ومائة عمامة وارحل عنا بجيشكم فان جيشنا على عدد الذر ولا تظن ان هؤلاء مثل ما لقيت من جموعنا فان الملك ما أنفذ فى هذا الجيش الا عظماء البطارقة والاساقفة قال خالد والله ما نرجع الا باحدى ثلاث خصال اما أن تدخلوا فى ديننا أو تؤدوا الجزية أو القتال وأما ما ذكرت من أنكم عدد الذر فان الله تعالى قد وعدنا النصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل ذلك فى كتابه العزيز وأما ما ذكرت من أن صاحبكم يعطى كل واحد منا دينارا وعمامة وثوبا فعن قريب ان شاء الله تعالى نرى ثيابكم و بلادكم وعمائمكم كل ذلك فى ملكنا وبأيدينا فقال الراهب انى راجع الى صاحبى أخبره بجوابك ثم ألوى راجعا وأخبر وردان بما كان من جواب خالد فقال وردان أيظن اننا مثل من لقيه من قبل وانما هؤلاء لحقهم الطمع اذ تقاصرنا عن قتالهم والملك قد أرسل اليهم أكابر البطارقة وما بيننا وبينهم الا حولة الجاذل ثم نثر كهم صرعى ثم رتب أصحابه وزحف وقدم أمامه الرجالة صفا أمام القوم والخيالة و بأيديهم المزاريق والقسى قال فصاح معاذ بن جبل معاشر الناس ان الجنة قد زخرفت لكم والنار قد فتحت لاعدائكم والملائكة عليكم قد أقبلت والحور العين قد تزينت للقائكم فابشروا بالجنة السرمدية ثم قرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة بارك الله فيكم الحملة فقال خالد مهلا يا معاذ حتى أوصى الناس ومشى فى الصفوف و رتبها وقال اعلموا ان هؤلاء أضعافكم فطاولوهم الى وقت العصر فانها ساعة ترزق فيها النصر واياكم أن تولوا الادبار فيراكم الله منهزمين ازحفوا على بركة الله تعالى فلما تقارب الجمعان رمت الاروام سهامهم رمية واحدة قال فقتلوا رجالا وجرحوا أناسا وخالد قد منع الناس من الحملة فقال ضرار بن الازور ما لنا والوقوف والحق سبحانه وتعالى قد تجلى علينا والله ما تظن أعداء الله الا اننا قد فشلنا عنهم وجزعنا فأمرنا بالحملة حتى نحمل معك قال فأنت لها يا ضرار فخرج ضرار بن الازور وقال والله ما من شئ أشهى الى قلبى من ذلك ثم حمل ضرار وقد تدرع بدرع كان لبطرس أخى بولص وألقى الزرد على وجهه وركب جواده وكان عليه يومئذ جبتان من جلود الفيلة كان قد أخذهما ايضا من بطرس وقد أخفى نفسه عن الروم بلباسه ذلك وقد أطلق عنانه وقوم سنانه وحمل فى صفوف الروم فرشقوه بالسهام فلم يصل اليه منهم أذى وهو يخترق صفوفهم فما كان قدر ساعة حتى قتل من الروم عشرين فارسا ومثلها رجالة قال عثمان بن عوف النجبى كنت ممن يعد قتلى ضرار بن الازور وكنت كلما قتل فارسا من الروم أعده فكان جملة من قتل ضرار فى حملته هذه فرسانا ورجالا ثلاثين فارسا (قال عمر بن سالم) هكذا حدثنى نوفل بن زياد ثم انه رمى البيضة عن رأسه والزرد عن وجهه ونادى بأعلى صوته أنا الموت الاصفر أنا ضرار بن

مائة ألف حصان أدهم فلما انتهى موسى ومن معه من بنى اسرائيل الى بحر القلزم وهو منتهى حد مصر من شرقيها المعروف الآن ببركة الغرندل فيما بين السويس والطور هاجت الرياح وتراكمت الامواج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من ورائنا والبحر أمامنا فقال موسى عليه السلام الى هنا فخاض يوشع الماء وقال الذى يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله أين أمرت فقال ههنا فكبح حزقيل فرسه أى نخعها بلجامها حتى طار الزبد من شدقيها ثم أدخلها فارتسبت

الازور أنا صاحبكم أنا قاتل همدان بن وردان أنا البلاء المسلط عليكم وعلى من أشرك بالرحمن قال فلما سمعت الروم كلامه عرفوه وتقهقروا الى ورائهم قال فطمع فيهم وحمل على أثرهم فعند ذلك انطبقت عليه الروم فقال وردان من هذا البدوى فقالوا أيها الملك هذا الذى بقى طول عمره عارى الجسد ومرة برمح ومرة بنبل فلما سمع بذلك وبذكر ضرار بن الازور تنفس الصعداء وقال هذا قاتل ولدى ولقد اشتهيت من يأخذ منه بثارى وله منى ما يريد قال فبرز اليه بطريق وكان صاحب طبرية وقال لوردان أنا آخذ لك بالثار ثم لوى عنانه وحمل على ضرار فجالا أكثر من ساعة ثم طعنه ضرار طعنة صادقة خرق بها كبد عدو الله فتجندل صريعا فقال وردان لهم ما أتى به ولو أتى به عيانا ما صدقته فان هذا لا تطيق الانس أن تقاتله وأنا ما أرى لهذا غيرى ثم ترجل وغير لامته وألقى عليه درعا وجعل على رأسه التاج وركب جوادا من الخيول العربية وهم ان يخرج الى ضرار بن الازور فتقدم اليه بطريق اسمه اصطفان وهو صاحب عمان قال وباس ركاب وردان وقال أيها السيد ان أخذت بثارك من هذا الذميم أو أسرته لك أتزوج حتى ابنتك فقال له وردان هى لك وأشهد عليه من حضر من ملوك الشام فلما سمع اصطفان بذلك خرج كأنه شعلة نار وحمل على ضرار وقال له ويلك قد نزل بك ما لا قدرة لك به قال فلم يدر ضرار ما يقول غير انه أخذ حذره منه وقد أخرج اصطفان صليبا من الذهب وجعله فى عنقه فى سلسلة من الفضة وجعل يقبله ويرفعه على رأسه فعلم ضرار انه يستنصر به عليه فقال ضرار رضى الله عنه ان كنت تستنصر على به فأنا أستنصر عليك بالقريب المجيب الذى هو ممن دعاه قريب ثم حمل عليه وأريا الناس أبوابا من الحرب حتى ضج الناس من قتالهما فصاح خالد يا ابن الازور ما هذا التكاسل والتغافل والجنة قد فتحت لك والنار قد فتحت لأعدائك واياك والكسل فان الله عز وجل يعينك قال فأيقظ ضرار نفسه وانقض من سرجه وحمل على خصمه وتصايحت الروم بصاحبها تشجعه وكلاهما فى ضرب عظيم وقد حميت الشمس وتعب الجوادان فأشار البطريق الى ضرار أن ترجل حتى نتقاتل فهم ضرار أن يترجل شفقة على الجواد واذا بصفوف الروم قد خرجت ورجل يقود جنيبا امامهم وكان ذلك غلام البطريق فلما نظر اليه ضرار صاح فى جواده وقال له اجلد معى ساعة والا شكوتك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فحمحم الجواد وشمر أجنحته جريا واستقبل ضرار غلام البطريق بطعنة فقتله وأخذ الجنيب فركبه وأطلق جواده نحو عسكر المسلمين فتناولوه وعاد ضرار نحو البطريق فلما رآه أقبل اليه بعد ما قتل غلامه وركب جواده أيقن عدو الله بالهلاك وعلم أنه ان ولى قتله بلا محالة وان وقف أهلكه فلما نظر ضرار الى عدو الله علم ما عنده وهجم عليه اذ نظر الى الروم وقد خرج منهم كردوس وذلك أن وردان لما نظر الى صاحبه قد أشرف على الموت علم أنه ان لم يدركه هلك فقال لقومه يا قوم ان هذا الشيطان قد أكل من كبدى قطعة واذا لم أقتله قتلت نفسى ولا بد لى من الخروج اليه قال فخرج فى عشرة من البطارقة وهم مدرعون وفى أرجلهم أخفاف من الحديد وسواعد من الحديد وبأيديهم أعمدة من الحديد ووردان قد لبس لامته وعلى رأسه تاج عظيم فخرجوا ووردان أمامهم كأنه شعلة نار ونظر اصطفان الى من خرج فصاح بضرار فلم يلتفت الى من خرج اليه الا أنه تأهب فبينما هم كذلك اذ نظر خالد الى القوم وخروجهم ونظر الى التاج وهو يلمع على رأس صاحبهم فقال ان التاج لا يكون الا على رأس الملك ولا شك انه صاحب القوم وقد خرج الى صاحبنا فما الذى يقعدنا عن نصرته ثم قال لاصحابه لا يخرج الا عشرة حتى نساوى القوم فخرج خالد فى عشرة من أصحابه واطلقوا الأعنة وقوموا الاسنة قال ووصل الروم الى ضرار فاستقبلهم بقلب أقوى من الحجر الجلمود قال فناداه خالد ابشر يا ضرار فقد أسعدك الجبار ولا تجزع من الكفار فقال ضرار رضى الله عنه ما أقرب النصر من الله وجاء خالد ومن معه والتقت الرجال بالرجال وانفرد كل واحد بصاحبه وطلب خالد وردان ولم يبرح ضرار عن خصمه اصطفان وقد كل ساعده وارتعدت فرائصه عندما نظر الى خالد ومن

فى الماء أى غارت فذهب قوم موسى يفعلون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى عليه السلام لا يدرى كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب به فانفلق فاذا مؤمن آل فرعون واقف على فرسه وصار البحر اثنى عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم بينها مسالك فدخل كل سبط مسلكا يرى بعضهم بعضا من خلال الماء ودخل فرعون وقومه فى أثرهم فلما استقروا جميعا اطبق الله البحر عليهم فاغرقوا جميعا ولما أراد موسى أن يسير ببنى اسرائيل ضل عنه الطريق فقال ما هذا فقال علماء

معه فنظر عيناه وهما لا يطلب الحرب فعلم ضرار منه ذلك فهجم عليه بسنانه فلما أيقن بالموت ألقى نفسه
الى الارض وولى هاربا فبادر اليه ضرار وألقى نفسه عن جواده وطلب عدو الله حتى لحقه وتقابضا على وجه
الارض وكان عدو الله كالصخر الجلمود وكان ضرار نحيف الجسم غير أن الله تعالى اعطاه قوة الايمان
فلما طال بهم العراك ضرب بيده الى مراق بطنه وقلعه من الارض بحيله وجلد به الارض فصاح عدو
الله وجعل يستنجد بوردان وقال بالرومية أيها السيد انجدني مما أنا فيه فقد هلكت فصاح وردان ياويلك
ومن ينقذني أنا من هؤلاء السباع الكاسرة فسمع خالد ذلك فطمع فيه وحمل وردان وهم ضرار بخصمه
ونظر اليهما الفريقان وأقبل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار فلم يمهل على خصمه دون ان برك
على صدره وذبحه مثل البعير وكل واحد مشتغل عن نصرة صاحبه قال فأخذ ضرار رأس عدو الله وهو
ملطخ بالدماء وركب جواده وحملت الروم على المسلمين ونادى سعيد بن زيد يامعاشر الناس اذكروا
الوقوف بين يدي الله الملك الجبار فاياكم ان تولوا الأدبار فتستوجبوا دخول النار يا أهل الايمان ياحملة
القرآن اصبروا قال فزاد الناس بقوله نشاطا وتزاحم الفريقان قال وجاء وقت العصر فافترقوا وقد قتل
من الروم ثلاثة آلاف وعشرة من ملوكهم ومنهم روماس صاحب الأميرة ودمس صاحب نوى وكوكب
صاحب أرض البلقاء ولاوى بن حنا صاحب غزة قال ثم افترق القوم ورجع وردان الى مكانه وقد امتلأ
قلبه رعبا مما ظهر له من المسلمين من شدة صبرهم وقتالهم فجمع البطارقة وقال لهم يا أهل دين النصرانية
ماتقولون في هؤلاء العرب فاني آراهم غالبين علينا وقد رأيت أسيافهم قاطعة وخيلهم صابرة وسواعدكم
بليدة وان القوم أطوع منكم لربهم وماخذلتم الا بالظلم والجور والغدر ومامرادي منكم الا أن تتوبوا الى
ربكم فان فعلتم ذلك رجوت لكم النصر من عدوكم وان لم تفعلوا ذلك فاذنوا بحرب من المسيح وبهلاك
أنفسكم فان الله عاقبكم أشد عقوبة اذ سلط عليكم أقواما لا نفكر بهم ولا نعدهم لان أكثرهم جياع وعبيد
وعراة ومساكين أخرجهم الينا قحط الحجاز وجوعه وشدة الضرر والبلاء والآن قد أكلوا من خبز بلادنا
وفواكه أرضنا وأكلوا العسل والتين والعنب وأعظم ذلك سبي نسائكم وأموالكم (قال الواقدي) فلما
سمع القوم ذلك بكوا وقالوا نقتل عن آخرنا ولا يصل الينا هؤلاء القوم وانا نرى أن نقاتلهم بالرماح قال فلما
سمع وردان ذلك منهم صاح بالبطارقة وقال لهم ماعندكم من الرأى فقال رجل منهم ياوردان اعلم انك قد
بليت بقوم لا تقوم لقتالهم وقد رأيت الواحد منهم يحمل على عسكرنا ولا يبالي من أحد ولا يرجع حتى يقتل
منهم وقد قال لهم نبيهم ان من قتل منكم صار الى الجنة ومن قتل من الروم صار الى النار والموت والحياة
عندهم سواء وما أرى لكم من القوم مطمعا الا أن تحيل على صاحبهم فتقتله فان قتلتموه تنهزم القوم
وانك لا تصل اليه الا بحيلة توقعه فيها فقال وردان وأى حيلة ندخل بها على القوم والحيل والخداع
والمكر منهم فقال له البطريق أنا أقول لك شيئا أن صنعته وصلت به الى امير العرب من حيث لا يصل
اليك شئ ولا أذى وذلك أنك تنتخب عشرة من الفرسان من ذوى الشدة والبأس ويكمنون في مكمن
من جهة العسكر قبل خروجك اليه وبعد ذلك تخرج اليه وتشاغله بالحديث ثم اهجم عليه واخرج
قومك يبادرون اليك من المكمن ويقطعونه اربا اربا وتستريح منه وبعد ذلك تتفرق أصحابه ولا يجتمع
منهم احد قال فلما سمع وردان ذلك من البطريق فرح فرحا عظيما وقال ماهذا الا رأى سديد فنعم
ماأشرت به وقد أصبت فيما ذكرت غير أن هذا الامر يعمل في جنح الليل ولا يأتي الصباح الا وقد فرغنا
مما نريد ثم ان وردان دعا برجل من العرب المتنصرة اسمه داود وكان في سكنه وقال له ياداود أنا أعلم
انك فصيح اللسان واني أريد ان تخرج الى هؤلاء العرب وتسألهم ان يقطعوا الحرب بيننا وبينهم وقل لهم
لا يخرجون لنا بكرة النهار حتى أخرج بنفسي اليهم منفردا عن قومي ولعلنا نصطلح مع العرب فقال داود
ويحك وتخالف أمر الملك هرقل فيما أمرك به من الحرب وتصطلح أنت والعرب فان الملك ينسبك الى
الجزع والفزع وما كنت بالذى أخاطب العرب في ذلك أبدا فيبلغ الملك انى كنت السبب في ذلك فيقتلنى

بنى اسرائيل ان يوسف
لما حضره الموت أخذ
علينا موثقا من الله أن
لانخرج من مصر حتى
ننقل عظامه منها فقال
موسى أيكم يدرى مكان
قبره فلم يكن علم قبره الا
عند عجوز عمياء فدلتهم
عليه بعد أن اشترطت على
موسى رد بصرها وشبابها
وكونها رفيقته في الجنة
فأجابها الى ذلك فنقلوا
تابوت يوسف بعد ان مات
بنحو من ثلاثين سنة ودفن
ببيت المقدس وغرق مع
فرعون من اشراف أهل
مصر واكابرهم أكثر من
الفى الف فبقيت مصر بعد
غرقهم ليس فيها من أشراف
اهلها احد ولم يبق بها الا

العسكر فاكمنوا هناك فاذا صرخت بكم فبادروا وانفروا للقوم كل واحد لواحد واتركوني لعدو الله فانني ان شاء الله تعالى كفء له فقال ضرار أيها الامير أخاف أن يكثر عليك الجمع الكثير فلا تأمن أن يصلوا بشرهم اليك وقد كنت أدبر لك حيلة اننا نسير من وقتنا هذا الى مكمن القوم فاذا وجدناهم رقودا قتلناهم وفرغنا منهم قبل الصباح ونكمن نحن في مواضعهم فاذا خلوت أنت بعدو الله خرجنا عليكم بغير مقالة فقال خالد افعل يا أبا الازور وماذكرت ان وجدت الى ذلك سبيلا وخذ معك هؤلاء الذين ندبتهم وأنت الامير عليهم وارجو ان الله يبلغك ما تطلبه فان فعلت ذلك فهي الفرحة الكاملة فقال ضرار أرجو من الله الوصول اليهم وخرج هو وأصحابه في جنح الليل رجالة وبأيديهم أسلحتهم وودعوا الناس وكان وقت خروجهم قد مضى ثلث الليل ثم سار ضرار حتى وصل الكثيب فأوقف أصحابه وقال على رسلكم حتى استخبر لكم خبر القوم فلما أشرف عليهم من بعيد سمع غطيطهم وهم نيام سكرى غرقوا في النوم لما نالهم من التعب والنصب وقد أمنوا من أحد ينظرهم فقال ضرار في نفسه ان أنا دنوت من القوم لاقتلهم خشيت أن يوقظ بعضهم بعضا قال فرجع الى أصحابه وقال لهم أبشروا فقد أتاكم الله عما تريدون وأذهب عنكم ما تحذرون فجردوا سيوفكم وسيروا الى القوم فاقتلوهم كيف شئتم ثم تقدم ضرار أمامهم وهم في أثره الى أن وصل بهم اليهم فوجدوهم نياما كل واحد منهم سلاحه عند رأسه فانفرد كل واحد بواحد فلم يلبثوا الا وقد فرغوا منهم عن آخرهم وأخذ كل واحد سلاح غريمه وأخذوا كل ما معهم من الزاد وغيره فقال لهم ضرار ابشروا فان هذا أول النصر ان شاء الله تعالى وأقبلوا بقية ليلتهم يصلون ويدعون الله أن ينصرهم على عدوهم ولم يزل كل واحد منهم في مصلاه الى ان أضاء الفجر فصلوا صلاة الفجر فلما فرغوا من الصلاة لبس كل واحد ثياب غريمه ولباسه وغيبوا القتلى مخافة أن يرسل اليهم وردان (قال الواقدي) فلما أصبح الصباح صلى خالد بالناس ورتب أصحابه لاهبة الحرب فبينما هم كذلك اذ خرج من القلب فارس وقال يا معاشر العرب أريد أميركم ليخرج الى صاحبنا وردان لننظر ما يتفقان عليه من أمر الجيشين وحقن الدماء بينهما قال فخرج اليه خالد بن الوليد فقال له الفارس ان وردان يريد أن تنتظره حتى تتكلم معه فقال خالد السمع والطاعة ارجع وأخبره فعند ذلك خرج وردان وقد تزين بقلادة جوهر وعلى رأسه تاج فقال خالد عندما رآه هذه غنيمة للمسلمين ان شاء الله تعالى قال فلما نظر عدو الله الى خالد ترجل عن جواده وكذلك خالد وجلس كلاهما وقد جعل عدو الله سيفه على فخذه فقال له خالد قل ما تشاء واستعمل الصدق والزم طريق الحق واعلم انك جالس بين يدي رجل لا يعرف الحيل فقال ماتريد فقال وردان يا خالد اذكر لي ما الذي تريدون وقرب الامر بيني وبينكم فان كنت تطلب منا شيأ فلا نبخل به عليك صدقة منا عليكم لاننا ليس عندنا أمة أضعف منكم وقد علمنا انكم كنتم في بلاد قحط وجوع تموتون جوعا فاقنع منا بالقليل وارحل عنا فلما سمع منه خالد هذا الكلام قال له يا كلب النصرانية ان الله عز وجل أغنانا عن صدقاتكم واموالكم وجعل أموالكم نتقاسمها بيننا وأحل لنا نساءكم وأولادكم الا أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله وان أبيتم فالحرب بيننا وبينكم أو الجزية عن يد وانتم صاغرون والله ينصر من يشاء منا ومنكم وما لكم عندنا الا السيف ان أبيتم الاسلام وبالله أقسم ان الحرب أشهى لنا من الصلح وأما قولك يا عدو الله لم تكن أمة أضعف منا عندكم فانتم عندنا بمنزلة الكلاب وان الواحد منا يلقى ألفا منكم بعون الله تعالى وما هذا خطاب من يطلب الصلح فان كنت ترجو أن تصل الى بانفرادي عن قومي وقومك فدونك وما تريد قال فلما سمع وردان مقالات خالد وثب من مكانه من غير أن يجرد سيفه وتشابكا وتقابضا وتعانقا قال فصاح عدو الله عندما وثق من خالد وقال لاصحابه بادروا الآن الصليب قد مكنني من أمير العرب قال فما استتم كلامه حتى بادر اليه الصحابة كانهم عقبان ومقدمهم ضرار بن الازور وقد رموا النشاب عنهم وجردوا سيوفهم وضرار عاري الجسد بسراويله قابض على سيفه وهو يزأر كالأسد وأصحابه من ورائه فالتفت عدو الله ونظر

بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه في ستة أشهر ويقال له جدار العجوز وقد ثبت بالصعيد منه بقايا وملكتهم دلوكة عشرين سنة حتى بلغ من ابناء أكابرهم وأشرافهم رجل ملكوه عليهم واستمر الملك للرجال ولم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحو اربعمائة سنة وجملة من ملك منهم من الرجال عشرة الى أن ظهر بختنصر على بيت المقدس وسبي بني اسرائيل ورجع بهم الى أرض بابل ثم ملك مصر واستولى عليها وأخذها من أيدي القبط وقتل من قتل وخرب مدائن مصر وقراها ولم يترك منها أحدا حتى

فقال له وردان يا ويلك اغادبرت حيلة على أمير العرب حتى أصل اليه بها فاقتله وتتفرق هؤلاء العرب عنا ثم انه حدثه بما عزم عليه من المكر بخالد بن الوليد فقال لوردان ان الباغى مخذول فى كل فعل فالق الجمع بالجمع واترك ما عزمت عليه فقال وردان وقد غضب ويلك أنت تعاندنى فيما أمرتك به دع عنك المحاججة فقال حبا وكرامة ثم انه مضى وقال فى نفسه ان وردان قد عزم ان يلحق بولده ثم أقبل حتى انه وقف قريبا من المسلمين ونادى برفيع صوته وقال يا معاشر العرب حسبكم من القتل وسفك الدماء فان الله تعالى يسألكم عن سفكها وأريد أن يخرج الى أمير العرب حتى أخاطبه بما أرسلت به قال فما استتم كلامه حتى خرج اليه خالد رضى الله عنه وهو كانه شعلة نار فلما نظر اليه داود النصرانى قال له يا عربى على رسلك فما خرجت أحارب ولا أنا من رجال الحرب وما أنا الا رسول فلما سمع خالد مقالته قرب منه وقال اذكر مقالتك واستعمل الصدق تنج فمن صدق نجا ومن كذب هلك فقال صدقت يا عربى ان أميرنا وردان كاره سفك الدماء وقد رأى شدتكم ولا يريد حربكم وقد نظر الى من قتل من جماعته فكره ان يحاربكم وقد رأى ان يدفع لكم مالا ويحقن به دماء الناس لكن بشرط ان يكون بينك وبينه كتاب وتشهد عليك كبراء قومك انك لا تتعرض له ولا لاحد من أصحابه ولا لحصن من حصونه فان فعلت ذلك وثق بقولك وهو يسألك ان تقطع الحرب بقية يومك فاذا أصبحت فاخرج بنفسك ولا يكن معك أحد ويخرج هو أيضا منفردا فتنظر ما تتفقان عليه عسى ان تحقن دماء الناس بيننا وبينكم قال فلما سمع خالد ما نطق به داود قال له ان كان ما أخبر به صاحبكم يريد به حيلة أو مكيدة فنحن والله جرثومة الخداع وما مثلنا يؤتى بحيلة ولا بخديعة فان كان ذلك ضميره واعتقاده فما هو الاقرب أجله وانقطاع عمره وهلاك جموعكم والانفصال بيننا وبينكم وان كان ذلك حقا من قوله فلست أصالحه الا اذا أدى الجزية عن جماعته وأما المال فلست براغب فيه الا على ما ذكرته لكم وعن قريب نأخذ أموالكم وغلتك بلادكم فقال داود وقد عظم عليه كلام خالد ما يكون الامر الا كما ذكرت فاذا توافقتم كان الانفصال بيننا وها أنا راجع فاذكر له ما ذكرت ثم لوى راجعا وقد امتلأ قلبه رعبا من خالد وفزع منه فزعا شديدا ثم قال فى نفسه صدق والله أمير العرب وأنا أعلم والله ان وردان أول مقتول ونحن من بعده ومالى الآن أصدق أمير العرب وآخذ لى ولاهلى منه أمانا ثم رجع الى خالد وقال له يا أمير انى قد أضمرت على سر وأريد أن أبديه لك لانى أعلم ان البلاد لكم ان وردان قد نوى على شئ فقال خالد وما هو فقال خذ لنفسك الحذر وكن مستيقظا فانه قد أضمر لك كيدا ثم أخبره بالقصة من أولها الى آخرها ثم قال له الآن أريد منك الامان لى ولاهلى فقال خالد الامان لك ولاهلك ولاولادك ان أنت لم تخبر القوم ولم تغدر قال داود لو أردت ان أغدر لما حدثتك فقال خالد وأين كمين القوم قال عند كثيب عن يمين عسكرهم ثم انه خلاه ورجع وأعلم وردان ففرح وقال الآن أرجو ان يظفرنى الصليب بهم ثم انه دعا بعشرة من الابطال وقال لهم امضوا رجالة واكمنوا وأمرهم ان يفعلوا ما دبروه وأما خالد فانه رجع فلقيه أمين الامة أبو عبيدة فرآه ضاحكا فقال يا أبا سليمان أضحك الله سنك ما الخبر فحدثه بما جرى فقال أبو عبيدة على ماذا عزمت قال عزمت ان أخرج الى القوم وحدى فقال يا أبا سليمان لعمرك انك لكفء ولكن ما أمرك الله ان تلقى بنفسك الى التهلكة والله تعالى يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقد أعد لك عشرة وهو حادى عشر وما آمن عليك من اللعين ولكن أندب له رجالة كما ندب لك رجالة ويكمنون قريبا من القوم فاذا صرخ اللعين بقومه فاصرخ أنت بقومك ونكون نحن متأهبين على خيولنا فاذا فرغت من عدو الله حملنا جميعا ونرجو من الله النصر ثم قال والمسلمون هم رافع ابن عميرة الطائى ومعاذ بن جبل وضرار بن الازور وسعيد بن زيد وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق العبسى وعدى بن حاتم حتى استتم العشرة وأخبرهم خالد بما قد عزم عليه الروم من الحيلة والمكيدة التى قد دبرها وردان وقال اخرجوا رجالة بحيث لا يدرى بكم أحد حتى انكم تأتون الكثيب الذى عن يمين

العبيد والاجراء والنساء فاجتمع رأيهن على ان يولين امرأة منهن يقال لها دلوكة ذات عقل ومعرفة وتجارب فخافت ان يطمع الملوك فى البلاد فبنت سورا أحاط بجميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الماء وجعلت على كل ثلاثة أميال محرسا ومسلحة رفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت على كل محرس رجالا واجرت عليهم الارزاق وامرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فأتاهم الخبر من أى وجه كان فى ساعة واحدة فمنعت

الى القوم وهم يسابقون اليه وهو يظن أنهم قومه حتى انهم وصلوا اليه ونظر فى أوائلهم ضرار بن الازور فقال لخالد سألتك بحق معبودك أن تقتلنى أنت بيدك ولا تدع هذا الشيطان يقتلنى فقال خالد هو قاتلك لا محالة فهز ضرار سيفه وقال يا عدو الله أبن خديعتك من خديعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد اصبر يا ضرار حتى آمرك بقتله ثم وصل اليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزوا سيوفهم فى وجهه ومرادهم أن يقتلوه ونظر عدو الله الى ما دهمه فوقع الى الارض وهو يشير باصبعه الامان الامان فقال خالد يا عدو الله لا نعطى الامان الا لاهل الامان وانت أظهرت لنا المكر والخديعة والله خير الماكرين فلما سمع ضرار كلام خالد لم يمهله دون أن ضربه على عاتقه فخرج السيف يلمع من علائقه ثم أخذ التاج من على رأسه وقال من سبق الى شئ كان اولى به وقد أدركته سيوف المجاهدين فقطعوه اربا اربا وتبادروا الى سيفه فاخذوه ثم ان خالدا قال لاصحابه انى أريد أن تحملوا على الروم لانهم مشتاقون الى أصحابهم قال فاخذوا رأس عدو الله وردان وتوجهوا نحو عسكر الروم فلما وصل خالد الصفوف نادى يا أعداء الله هذا رأس صاحبكم وردان أنا خالد بن الوليد أنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه رمى الرأس وحمل عليهم وحمل المسلمون وحمل أبو عبيدة وقال احملوا بأهل القرآن وحفاظ الدين وحماة المسلمين فلما رأى الروم رأس وردان ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ولم يزل السيف يعمل فيهم من وقت الصباح الى الغروب قال عامر بن الطفيل الدوسى كنت مع أبى عبيدة ونحن نتبع المنهزمين الى طريق غزة اذ أشرف علينا خيل فظننا انها نجدة من عند الملك هرقل فاخذنا على انفسنا واذا بالغبرة قد قربت منا فاذا هى عسكر قد ارسلها أبو بكر الصديق وما رأى احدا من المنهزمين الا قتلوه ونهبوا جميع ما معه (قال الواقدى) وكان الروم باجنادين تسعين ألفا فقتل منهم فى ذلك اليوم خمسون الفا وتفرق من بقى منهم فمنهم من انهزم الى دمشق ومنهم من انهزم الى قيسارية وغنم المسلمون منهم غنيمة لم يغنم مثلها واخذوا منهم صلبان الذهب والفضة فجمع خالد ذلك كله مع تاج وردان الى وقت القسمة وقال خالد لست أقسم عليكم شيئا الا بعد فتح دمشق ان شاء الله تعالى وكانت الوقعة باجنادين لليلة ست خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية وذلك قبل وفاة أبى بكر بثلاث وعشرين ليلة ثم ان خالدا رضى الله عنه كتب كتابا الى أبى بكر يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد المخزومى الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك اما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأزيد حمدا وشكرا على المسلمين ودمارا على المتكبرين المشركين وانصداع بيعتهم وانا القينا جموعهم باجنادين وقد رفعوا اصلبانهم وتقاسموا بدينهم ان لا يفروا ولا ينهزموا فخرجنا اليهم واستعنا بالله عز وجل متوكلين على الله خالقنا فرزقنا الله الصبر والنصر وكتب الله على أعدائنا القهر فقاتلناهم فى كل واد وسبسب وجملة من أحصيناهم ممن قتل من المشركين خمسون ألفا وقتل من المسلمين فى اليوم الاول والثانى اربعمائة وخمسون رجلا ختم الله لهم بالشهادة منهم عشرون رجلا من الانصار ومن أهل مكة ثلاثون رجلا ومن حمير عشرون والباقى من اخلاط الناس ويوم كتبت لك الكتاب كان يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة ونحن راجعون الى دمشق ان شاء الله تعالى فادع لنا بالنصر والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الرحمن بن حميد وأمره بالمسير الى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة واتم السلام وسار خالد بالمسلمين طالب دمشق (قال الواقدى) رحمة الله عليه ولقد بلغنى ان أبا بكر الصديق كان يخرج كل يوم بعد صلاة الفجر اذ اقبل عبد الرحمن بن حميد فلما رآه تسابقت اليه أصحابه وقالوا له من أين اقبلت قال من الشام وان الله قد نصر المسلمين فسجد ابو بكر الصديق لله شكرا واقبل عبد الرحمن بن حميد الى أبى بكر وقال يا خليفة رسول الله ارفع رأسك فقد اقر الله عينك بالمسلمين فرفع أبو بكر راسه وقرأ الكتاب سرا فلما فهم ما فيه قرأه على المسلمين جهرا فتزاحم الناس يسمعون قراءة الكتاب فشاع الخبر فى المدينة

بقيت مصر اربعين سنة خرابا ليس بها ساكن يجرى نيلها ويذهب لا ينتفع به أحد ثم ردهم اليها بعد الاربعين سنة فعمروها فلم تزل مصر مقهورة من يومئذ ثم ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك الذين فى وسط الارض فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين يحاصرونهم ويصابرونهم القتال فى البر والبحر فلما رأى ذلك اهل مصر صالحوا الروم فلما غلبت فارس على الشام رغبوا فى مصر وطمعوا فيها فامتنع أهل مصر وأعانتهم الروم وقامت دونهم فلما ألحت فارس على أهل مصر وخشوا

فهرعت الناس من كل مكان فقرأه أبو بكر ثانى مرة وتسامع الناس من أهل مكة والحجاز واليمن بما فتح الله
على أيدى المسلمين وما ملكوا من أموال الروم فتسابقوا بالخروج الى الشام ورغبوا فى الثواب والاجر
واقبل الى المدينة من أهل مكة وأكابرهم بالخيل والرماح وفى أوائلهم أبو سفيان والغيداق بن وائل
وأقبلوا يستأذنون أبا بكر فى الخروج الى الشام فكره عمر بن الخطاب خروجهم الى الشام وقال لابى بكر
لا تأذن للقوم فان فى قلوبهم حقائد وضغائن والحمد لله الذى كانت كلمته هى العليا وكلمتهم هى السفلى وهم
على كفرهم وأرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ونحن مع ذلك نقول ليس مع
الله غالب فلما أن أعز الله ديننا ونصر شريعتنا اسلموا خوفا من السيف فلما سمعوا أن جند الله قد نصروا
على الروم أتونا لنبعث بهم الى الاعداء ليقاسموا السابقين الاولين والصواب أن لا نقربهم فقال أبو
بكر لا أخالف لك قولا ولا أعصى لك أمرا قال وبلغ أهل مكة ما تكلم به عمر بن الخطاب فأقبلوا بجمعهم
الى أبى بكر الصديق فى المسجد فوجدوا حوله جماعة من المسلمين وهم يتذاكرون ما فتح الله على المسلمين
وعمر بن الخطاب عن يساره وعلى بن أبى طالب عن يمينه والناس حوله فأقبلت قريش الى أبى بكر
فسلموا عليه وجلسوا بين يديه وتشاوروا فيمن يكون أولهم كلاما فكان أول من تكلم أبو سفيان بن حرب
فأقبل على عمر بن الخطاب وقال يا عمر كنت لنا مبغضا فى الجاهلية فلما هدانا الله تعالى الى الاسلام هدمنا
ما كان لك فى قلوبنا لان الايمان يهدم الشرك وانت بعد اليوم تبغضنا فما هذه العداوة يا ابن الخطاب
قديما وحديثا أما آن لك ان تغسل ما بقلبك من الحقد والتنافر وانا لنعلم أنك أفضل منا وأسبق فى
الايمان والجهاد ونحن عارفون بمرتبتك غير منكرين قال فسكت عمر رضى الله عنه واستحى من هذا
الكلام فقال أبو سفيان انى أشهدكم أنى قد حبست نفسى فى سبيل الله وكذلك تكلم سادات مكة فقال
أبو بكر اللهم بلغهم أفضل ما يؤملون واجزهم بأحسن ما يعملون وارزقهم النصر على عدوهم ولا تمكن
عدوهم فيهم انك على كل شئ قدير (قال الواقدى) فما تمت أيام قلائل حتى جاء جمع من اليمن وعليهم عمرو
ابن معديكرب الزبيدى رضى الله عنه يريد الشام فلبثوا حتى أقبل مالك بن الاشتر النخعى رضى الله
عنه فنزل عند الامام على رضى الله عنه بأهله وكان مالك يحب سيدنا عليا وقد شهد معه الوقائع وخاض
المعامع فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عزم على الخروج مع الناس الى الشام (قال الواقدى)
واجتمع بالمدينة نحو من تسعة آلاف فلما تم أمرهم كتب أبو بكر كتابا الى خالد بن الوليد يقول فيه بسم الله
الرحمن الرحيم من أبى بكر خليفة رسول الله الى خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين أما بعد فانى أحمد الله
الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأوصيكم وآمركم بتقوى الله فى السر والعلانية
وقد فرحت بما أفاء الله على المسلمين من النصر وهلاك الكافرين وأخبرك أن تنزل الى دمشق الى أن يأذن
الله بفتحها على يدك فاذا تم لك ذلك فسر الى حمص وانطاكية والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين
ورحمة الله وبركاته وقد تقدم اليك ابطال اليمن وابطال مكة ويكفيك ابن معديكرب الزبيدى ومالك بن
الاشتر وانزل على المدينة العظمى انطاكية فان بها الملك هرقل فان صالحك فصالحه وان حاربك فحاربه
ولا تدخل الدروب وأقول قولى هذا وان الاجل قد قرب ثم كتب كل نفس ذائقة الموت ثم ختم الكتاب
وطواه ودفعه الى عبد الرحمن وقال له أنت كنت الرسول من الشام وأنت ترد الجواب فأخذه عبد الرحمن
وسار على مطيته يطوى المنازل والمناهل الى أن وصل الى دمشق (قال حدثنى) نافع بن عميرة قال لما بعث
خالد بن الوليد الكتاب الى أبى بكر الصديق ارتحل يريد دمشق وكان أهلها قد سمعوا بقتل بطريقهم
وأبطالهم وانهزام جيوشهم ومن أرسلهم الملك بأجنادين فخافوا وتحصنوا بدمشق وأعدوا آلة الحصار
ورفعوا السيوف والطوارق وعلوا على الاسوار ونشروا الاعلام والصلبان فلما أخذوا على أنفسهم
أشرف عليهم الامير خالد بن الوليد والجيش قد زاد عمرو بن العاص فى تسعة آلاف ويزيد بن أبى سفيان
فى ألفين وشرحبيل بن حسنة وعامر بن ربيعة فى ألفين وأقبل السواد من ورائهم مع معاذ بن جبل فى

ظهورهم عليهم صالحوا
فارسا على أن يكون
ما صالحوا به الروم بين الروم
وفارس فرضيت الروم
بذلك حين خافت ظهور
فارس عليها وأقامت مصر
بين الروم وفارس نصفين
سبع سنين ثم استجاشت
الروم أى ضعفت وظهرت
فارس وألحت بالقتال والمدد
حتى ظهروا عليهم وخربوا
مصانعهم وديارهم التى
بالشام ومصر وكان ذلك فى
عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفيه نزلت الم
غلبت الروم الآية ثم غلبت
الروم فارسا فصار الشام
كلها وصلح اهل مصر كله
خالصا للروم وليس لفارس
منه شئ وذلك فى زمن

ألفين فلما رأى أهل دمشق عسكر المسلمين مثل البحر الزاخر أيقنوا بالهلاك وأقبل خالد فى جيش الزحف
فنزل على الدير المعروف به وبينه وبين المدينة أقل من ميل فلما نزل هناك دعا بالامراء فاحضرهم فقال
لأبى عبيدة أنت تعلم ماظهر لنا من غدر هؤلاء القوم عند انصرافنا عنهم وخروجهم فى اثرنا فامض بمن
معك من أصحابك وانزل بهم على باب الجابية ولا تسمح للقوم بالامان فيأخذوك بمكرهم ولتكن متباعدا
عن الباب وابعث اليهم فوجا بعد فوج واجعل قتال الناس دولا ولا يضق صدرك من كثرة المقام ولا
تبرح من مكانك واحذر من القوم الكافرين فقال أبو عبيدة حبا وكرامة ثم انه خرج حتى انه نزل بباب
الجابية ونصب له بيتا من الشعر بالبعد من الباب (قال الواقدى) حدثنى مسلمة بن عوف عن سالم بن عبد
الله عن حجاج الانصارى قال قلت لجدى رفاعة بن عاصم وكان ممن قاتل بدمشق وكان فى خيل أبى عبيدة
فقلت يا جداه ما منع اباعبيدة ان ينصب له قبة من بعض قبب الروم مما أخذه من اجنادين ومن بصرى عمن
كان عندهم ألوف من ذلك فقال يابنى منعهم من ذلك التواضع ولم يتنافسوا فى زينة الدنيا وملكها حتى
ينظر الروم أنهم لا يقاتلون طلبا للملك وانما يقاتلون رجاء ثواب الله تعالى وطلب الآخرة ونصرة للدين ولقد
كنا ننزل فننصب خيامنا وخيام الروم بالبعد قال فلما نزل ابو عبيدة على باب الجابية أمر أصحابه بالقتال
ثم ان خالدا استدعى بيزيد بن أبى سفيان وقال له يايزيد خذ صاحبك وانزل على الباب الصغير واحفظ
قومك وان خرج اليك احد لا يكون لك به طاقة فابعث الى حتى أنجدك ان شاء الله تعالى ثم استدعى
بشرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له انزل على باب توما ثم توجه بقومه
واستدعى بعمرو بن العاص وأمره أن يسير الى باب الفراديس ثم استدعى بعده بقيس بن هبيرة وقال له
اذهب بقومك الى باب الفرج ثم نزل خالد على الباب الشرقى ودعا بضرار بن الازور رضى الله عنه وضم
اليه ألفى فارس وقال له تطوف حول المدينة بعسكرك وان دهمك أمر أو لاحت لك عيون القوم
فارسل الينا قال ثم سار ضرار وتبعه قومه وبقى خالد على الباب الشرقى ثم قدم عبد الرحمن بن حميد من
المدينة بكتاب أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعدل الى ناحية خالد بن الوليد على الباب الشرقى وقد تقدم
للقتال طائفة من أصحابه مع رافع بن عميرة فلما رفع اليه الكتاب فرح بعد ان قرأه على المسلمين واستبشر
بقدوم عمرو بن معديكرب الزبيدى وأبى سفيان بن حرب قال وشاع الخبر عند جميع الناس وبعث
خالد كتاب أبى بكر الى كل باب فقرئ على الناس وبات الناس متأهبين للحرب يتحارسون الى الصباح
وضرار يطوف حولهم ولا يقف فى مكان واحد مخافة أن يكبس بهم العدو (قال الواقدى) ولقد بلغنى ان
أهل دمشق اجتمعوا الى كبارهم من البلد وتشاوروا فيما بينهم فقال بعضهم مالنا الا الصلح ونعطى
العرب جميع ماطلبوه منا وقال آخرون مانحن بأكثر من جموع أجنادين فقال لهم بطريق من الروم
اطلبوا الناصر الملك توما نتشاور فى هذا الامر لنسمع مايقول ونطلب منه أن يكشف عنا مانحن فيه فاما
أن يصالحهم واما ان يحامى عنا قال فمضى القوم الى توما وعليه رجال موكلون بالسلاح فقالوا لهم ما الذى
تريدون فقالوا نريد صهر الملك توما نشاوره فى هذا الامر قال فاذنوا لهم فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين
يديه فقال لهم ما الذى تريدون فقالوا أيها السيد انظر مانزل ببلادنا وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به فاما أن نصالح
العرب على ماطلبوا واما أن ترسل الى الملك فينجدنا أو يمانع عنا فقد اشرفنا على الهلاك فلما سمع ذلك
منهم تبسم ضاحكا وقال ياويلكم اطمعتم العرب فيكم وحق رأس الملك ما أرى القوم اهلا للقتال ولا هم
خاطرون لى على بال فلو فتح لهم الباب ما جسروا أن يدخلوا فقالوا أيها السيد ان أكبرهم وأصغرهم يقاتل
العشرة والمائة وصاحبهم داهية لا تطاق فان كان ولا بد فاخرج بنا لقتالهم فقال لهم توما انكم أكثر منهم
ومدينتنا حصينة ولكم مثل هذا العدد والسلاح وأما القوم فهم حفاة عراة فقالوا له أيها السيد ان معهم
من عددنا وأسلحتنا كثيرا مما أخذوه من واقعة فلسطين ومما أخذوه من بصرى ومن يوم لقائهم بكاوس
وعزازير ومما أخذوه من أجنادين وأيضا ان نبيهم قال لهم ان من قتل منا صار الى الجنة فلاجل ذلك

الحديبية سنة ست من
الهجرة وكان هرقل صاحب
الروم قد وجه المقوقس الى
مصر اميرا عليها وجعل
اليه حربها وجباية خراجها
فنزل الاسكندرية فلم تزل
مصر فى ملك الروم حتى
فتحها الله على المسلمين وكان
من دأب المقوقس ان
يصيف بمصر ويشتى
بالاسكندرية واستمر حاكما
بمصر من طرف هرقل
احدى وثلاثين سنة حتى
افتتح عمرو بن العاص رضى
الله عنه الديار المصرية فى
سنة عشرين من الهجرة
النبوية فى خلافة عمر بن
الخطاب رضى الله عنه فلما
أتى مصر حاصرها ثلاثة
اشهر وكان المقوقس بقصر

يبقون

يبقون عراة الاجساد ليصلوا الى ما قال لهم نبيهم قال فضحك من قولهم وقال لهم لأجل ذلك أطمعتم العرب
فينا ولو صدقتم فى الحرب والصدام لقتلتموهم لأنكم أضعافهم مرارا فقالوا أيها السيد أكفنا أمورهم
كيف شئت واعلم انك ان لم تغنهم عنا فتحنا لهم الابواب وصالحناهم فلما سمع توما كلامهم فكر طويلا
وخشى أن تفعل القوم ذلك فقال انا اصرف عنكم هؤلاء العرب وأقتل اميرهم وأريد منكم ان تقاتلوا
معى قالوا نحن معك وبين يديك نقاتل حتى نهلك عن آخرنا فقال لهم باكروا القوم بالقتال فانصرفوا عنه
وهم له شاكرون ولامره منتظرون وباتوا بقية ليلتهم على الحصن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى مواضعهم ولهم ضجة بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وخالد بن الوليد عند الدير ومعه
النساء والعيال والاموال والغنائم التى غنموها من أعدائهم ورافع بن عميرة على الباب الشرقى فى عسكر
الزحف وغيرهم ولم يزل الناس فى الحرس الى ان برق الصباح وصلى كل أمير بمن معه من قومه وصلى أبو
عبيدة بمن معه ثم أمر أصحابه بالزحف وقال لهم لا تخلوا عن القتال واركبوا الخيل (حدثنى) رفاعة بن
قيس قال سألت والدى قيسا وكان ممن حضر فتوح دمشق الشام فقلت له أكنتم تقاتلون فى دمشق خيالة
أو رجالة يوم حصار المسلمين فقال ما كان أحد منا فارسا الا زهاء من ألفى فارس مع ضرار بن الازور
وهو يطوف بهم حول العسكر وحول المدينة وكلما أتى بابا من الابواب وقف عنده وحرض أهله على القتال
وهو يقول صبرا صبرا على الاعداء الله قال وأقبل توما صهر الملك هرقل من بابه الذى يدعى باسمه وكان عندهم
عابدا راهبا ولم يكن فى بلاد الشرك أعبد منه ولا أزهد فى دينهم وكان معظما عند الروم فخرج ذلك اليوم
من قصره والصليب الاعظم على رأسه وعلا به فوق البرج وأوقف البطارقة حوله والانجيل تحمله
ذوو المعرفة قال ونصبوه بالقرب من الصليب ورفع القوم أصواتهم وتقدم توما ووضع يده على أسطر من
الانجيل وقال اللهم ان كنا على الحق فانصرنا ولا تسلمنا لاعدائنا واخذل الظالم منا فانك به عليم اللهم
انا نتقرب اليك بالصليب ومن صلب على دينه وأظهر الآيات الربانية والافعال اللاهوتية انصرنا على
هؤلاء الظالمين قال وأمن الناس على دعائه قال رفاعة بن قيس هكذا حدثنى شرحبيل بن حسنة كاتب
وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى فسر لنا هذا الكلام روماس صاحب بصرى وكان فى جيش
شرحبيل بن حسنة يقاتل على باب توما وكلما قال الروم شيأ بلغتهم فسره لنا قال ونهض شرحبيل وقصد
الباب بحملته وقد عظم عليه قول توما اللعين وقال له يا لعين لقد كذبت ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم
خلقه من تراب أحياه متى شاء ورفعه متى شاء ثم ان روماس ناوشه بالقتال فقاتل الملعون توما قتالا
شديدا وهشم الناس بالحجارة ورمى النشاب رميا متداركا فجرح رجالا وكان ممن جرح أبان بن سعيد بن
العاص أصابته نشابة وكانت مسمومة فاحس بلهيب السم فى بدنه فتأخر وحمله اخوانه الى أن أتوا به الى
المعسكر فارادوا حل العمامة فقال لا تحلوها فان حللتم جرحى تبعتها روحى أما والله لقد رزقنى الله ما كنت
أتمناه قال فلم يسمعوا قوله وحلوا عمامته فلما حلوها شخص الى السماء وصار يشير باصبعيه أشهد أن لا اله
الا الله وأن محمدا رسول الله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فما استتمها حتى توفى الى رحمة الله تعالى
وكانت زوجته بنت عمه وكان قد تزوجها باجنادين وكانت قريبة العهد من العرس ولم يكن الخضاب
ذهب من يدها ولا العطر من رأسها وكانت من المترجلات البازلات من أهل بيت الشجاعة والبراعة
فلما سمعت بموت بعلها أتته تتعثر فى أذيالها الى أن وقفت عليه فلما نظرته صبرت واحتسبت ولم يسمع منها
غير قولها هنئت بما أعطيت ومضيت الى جوار ربك الذى جمع بيننا ثم فرق ولأجهدن حتى ألحق بك
فانى المشوقة اليك حرام على أن يمسنى بعدك أحد وانى قد حبست نفسى فى سبيل الله عسى أن ألحق بك
وأرجو أن يكون ذلك عاجلا ثم حفر له ودفن مكانه فقبره معروف وصلى عليه خالد بن الوليد فلما غيب فى
التراب لم تقف على قبره دون أن أتت الى سلاحه ولحقت الجيش من غير أن تعلم خالدا بذلك وقالت على أى
باب قتل بعلى فقيل لها على باب توما والذى قتله هو صهر الملك قال فسارت الى أصحاب شرحبيل بن حسنة

الشمع على بحر النيل
وكانت السفن تجرى تحته
فلما رأى العرب أشرفوا
على أخذ البلد نزل فى
مركب كانت راسية على
باب قصره ثم توجه هاربا
الى نحو الاسكندرية وكان
يعلم ان العرب لابد لهم من
ان يملكوا مصر وذلك انه
كان بالاسكندرية باب
مغلق عليه اربعة وعشرون
قفلا عزم على فتحه المقوقس
فمنعه القسس والرهبان
وقالوا له كل من تقدم من
الملوك لم يفتحه ويضع
عليه قفلا وأنت الآخر
اجعل عليه قفلا ونحن
نعطيك ما حضرك من
المال الذى ظننت انه فيه
فامتنع وفتحه ودخل فلم يجد

فاختلطت بهم وقاتلت مع الناس قتالا لم ير مثله وكانت أرمى الناس بالنبل وكان قد جعل لها قوس وكنانة
قال شرحبيل بن حسنة رأيت يوم حصار دمشق رجلا على باب توما يحمل الصليب وهو أمام توما وهو يشير
اليه اللهم انصر هذا الصليب ومن لاذ به اللهم اظهر له نصرته وأعل درجته قال شرحبيل بن حسنة وأنا
داع أنظر اليه اذ رمته زوجة أبان بنبلة فلم تخطئ رميتها واذا بالصليب قد سقط من يده وهوى الينا وكأني
أنظر لمعان الجوهر من جوانبه فما فينا الا من بادر اليه ليأخذه وقد استتر بالدرق وتزاحم بعضنا على بعض
كل منا يسبق اليه ليأخذه ونظر عدو الله توما الى ذلك من تنكس الصليب الاعظم واهوائه الى المسلمين
فعند ذلك كفر وعظم عليه الامر وقال يبلغ الملك أن الصليب الاعظم أخذ مني وملكته العرب لا كان
ذلك أبدا ثم انه حزم وسطه وأخذ سيفه وقال من شاء منكم فليتبعني ومن شاء فليقعد فلا بد لي من القوم
عسى أن أشفي صدري ثم انحدر مسرعا وأمر بفتح الباب وكان هو أول مبادر فلما نظرت الروم الى ذلك
لم يكن فيهم الا من انحدر في أثره لما يعلمون من شجاعته وخرجوا كالجراد المنتشر هذا والمسلمون محيطون
بالصليب فلما خرج الروم ووقع صياحهم حذر الناس بعضهم بعضا فلما نظر المسلمون الى الروم سلموا
الصليب الى شرحبيل بن حسنة وانفردوا الاعدائهم وحملوا في اعراضهم وأخذهم النشاب والحجارة من
كل مكان من أعلى الباب فصاح شرحبيل بن حسنة معاشر المسلمين تقهقروا الى ورائكم لتأمنوا النشاب
من أعداء الله العالين على الباب قال فتقهقر الناس الى ورائهم الى ان أمنوا من ضرب النشاب فاتبعهم
عدو الله توما وهو يضرب يمينا وشمالا وحوله أبطال المشركين من قومه وهو يهدر كالجمل فلما نظر
شرحبيل بن حسنة ذلك صرخ بقومه وقال معاشر الناس كونوا آيسين من آجالكم طالبين جنة ربكم
وأرضوا خالقكم بفعلكم فانه لا يرضى منكم بالفرار ولا أن تولوا الادبار فاحملوا عليهم واقربوا اليهم بارك
الله فيكم قال فحمل الناس حملة منكرة واختلط الناس بعضهم ببعض وعملت بينهم السيوف وتراموا
بالنبل وتسامع أهل دمشق أن توما خرج الى العرب من بابه وان صليبه الاعظم سقط اليهم من كف
حامله فجعلوا يهرعون الى ان تزايد أمرهم وجعل عدو الله ينظر يمينا وشمالا وينظر الصليب فحانت منه
التفاتة فنظر فرآه مع شرحبيل بن حسنة فلما نظر اليه لم يكن له صبر دون أن حمل وصاح هات الصليب لا أم
لك فقد لحقتك بوائقه قال ونظر شرحبيل بن حسنة الى عدو الله وهو مقبل فرمى الصليب من يده وصادمه
فلما رأى عدو الله الصليب مرميا على الارض صرخ بأصحابه صرخة هائلة ونظرت زوجة أبان بن سعيد
الى حملة عدو الله على شرحبيل فقالت من هذا قيل هو صهر الملك وهو قاتل بعلك أبان بن سعيد فلما
سمعت ذلك منهم حملت حملة منكرة الى ان قاربته ورمته بنبلة وكان الروم أرهبوها فلم تلتفت اليهم دون أن
حققت بنبلتها على صاحبها وقالت بسم الله وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أطلقتها وكان عدو الله
واصلا الى شرحبيل اذ جاءته النبلة فاصابت عينه اليمنى فسكنت النبلة فيها فتقهقر الى ورائه صارخا
وهمت أن ترميه باخرى فتبادرت اليها الرجال واستتروا بالطوارق وتبادر اليها قوم من المسلمين يحامون
عنها فلما أمنت من شر الاعداء أخذت ترمي بالنبل ثم انهارمت علجا من الروم فاصابت صدره فسقط
هاويا الى الارض وكان عدو الله أول من تقهقر ذلك اليوم هاربا من شدة حرارة النبلة وصرخ صرخة
عظيمة الى أن دخل الباب ونظر شرحبيل الى ذلك فصرخ بأصحابه ياويلكم دونكم وكلاب الروم احملوا
على الكلاب عسى أن تدركوا عدو الله قال فحمل الناس على الروم الى أن وصلوهم الى الباب فحماهم
قومهم من اعلى الباب بالحجارة والنشاب قال فتراجع الناس الى مواضعهم وقد قتلوا من الروم مقتلة
عظيمة واخذوا اسلابهم وامو الهم وصلبانهم ودخل عدو الله توما الى المدينة وأغلق الابواب وجاء الحكماء
يعالجون في قلع النبلة من عينه فلم تطلع فجذبوها فلم تنجذب وهو يضج بالصراخ فلما طال على القوم ذلك
ولم يجدوا حيلة في اخراجها نشروها وبقي النصل في عينه ولم تزل في مكانها وسألوه المسير الى منزله فأبى
وجلس داخل الباب الى أن سكن ما به وخف عنه الالم فقالوا له عد الى منزلك بقية ليلتك فقد نكبنا

فيه شيأ من المال لكن
رأى منقوشا على حيطانه
تصاوير العرب راكبين
خيولا وعلى رؤسهم عمائم
وسيوف مقلدين بها وكتابة
في صدر المكان ستملك العرب
المدينة في هذه السنة (ولما
فتح عمرو بن العاص مصر)
واستقر بها قصد التوجه
الى مدينة الاسكندرية
فلما وصل اليها وحاصرها
حصارا شديدا حتى اشرف
على اخذها ارسل اليه
المقوقس يسألهم في الصلح
وان يجعل لهم عليه الجزية
فأتى الى عمرو بن العاص
رجل بواب على الاسكندرية
وقال له أتؤمنني على نفسي
وعيالي وانا افتح لك الباب
فاجابه عمرو لذلك ففتح له

في يومنا هذا نكبتين نكبة الصليب ونكبة عينك كل هذا مما وصل الينا من النبال وقد علمنا أن القوم لا يصطلى لهم بنار وقد سألناك أن نصالح القوم على ما طلبوه منا قال فغضب توما من قولهم وقال يا ويلكم يؤخذ الصليب الاعظم وأصاب بعيني وأغفل عن هذا ويبلغ الملك عني ذلك فينسبني للوهن والعجز ولابد من طلبهم على كل حال وآخذ صليبي وآخذ في عيني ألف عين منهم وسأوقع حيلة أصل بها الى كبيرهم وآخذ جميع ما غنموه وبعد ذلك أسير الى صاحبهم الذي هو في الحجاز وأقطع آثاره وأخرب دياره وأهدم مساكنه واجعل بلاده مسكنا للوحوش ثم ان الملعون صار الى أعلى السور وهو معصوب العين وصار يحرض الناس لكي يزيل عن قلوبهم الرعب وأقبل يقول لهم لا تفزعوا ولا تجزعوا مما ظهر لكم من العرب ولابد للصليب أن يرميهم وأنا الضامن لكم قال فثبت القوم من قوله وحاربوا حربا شديدا وبعث شرحبيل بن حسنة الى خالد بن الوليد يخبره بما صنع مع القوم فقال الرسول ان عدو الله توما قد ظهر لنا منه ما لم يكن في الحساب ونطلب منك رجالا لان الحرب عندنا أكثر من كل باب فلما سمع خالد ذلك الخبر حمد الله وقال كيف أخذتم الصليب من الروم فقال الرسول كان يحمل صليب الروم رجل وهو أمام توما صهر الملك فرمته زوجة أبان بنبلة فوقع الصليب الينا وخرج عدو الله فرمته زوجة أبان بنبلة فاشتبكت في عين توما اليمنى فقال خالد ان توما عند الملك معظم وهو الذي يمنعهم عن الصلح ونرجو من الله أن يكفينا شره ثم قال للرسول عد الى شرحبيل وقل له كن حافظا لما أمرتك به فكل فرقة مشغولة عنك ولم تؤت من قبلهم وانا بالقرب منك وهذا ضرار بن الازور يطوف حول المدينة وكل وقت عندك قال فرجع الرسول فأخبره بذلك فصبر وقاتل بقية يومه ووصل الخبر الى أبي عبيدة بما نزل بشرحبيل ابن حسنة من توما وبما غنم من صليبه فسر بذلك قال ولما أصبح الصباح بعث توما الى أكابر دمشق وأبطالهم فلما حضروا بين يديه قال لهم يا أهل دين النصرانية انه قد طاف عليكم قوم لا أمان لهم ولا عهد لهم وقد أتوا ليسكنون بلادكم فكيف صبركم على ذلك وعلى هتك الحريم وسبي الاولاد وتكون نساؤكم جواري لهم وأولادكم عبيدا لهم وما وقع الصليب الا غضبا عليكم مما أضمرتم لهذا الدين من مصالحة المسلمين واذلالكم للصليب وأنا قد خرجت ولولا أني أصبت بعيني لما عدت حتى أفرغ منهم ولابد من أخذ ثاري وان أقلع ألف عين من العرب ثم لابد ان أصل الى الصليب وأطالبهم به عن قريب فلما سمعوا كلامه قالوا له ها نحن بين يديك وقد رضينا بما رضيت لنفسك فان أمرتنا بالخروج خرجنا معك وان أمرتنا بالقتال قاتلنا فقال توما اعلموا أن من خاض الحروب لم يخف من شيء واني قد عزمت على ان أهجم هذه الليلة وأكبسهم في أماكنهم فان الليل مهاب وأنتم أخبر بالبلد من غيركم فلا يبقى الليلة منكم احد حتى يتأهب للحرب ويخرج من الباب وارجو ان لا أعود حتى تنقضي الاشغال فاذا فرغت من القوم أخذت أميرهم أسيرا وأحمله الى الملك يأمر فيه بأمره فقالوا حبا وكرامة فعند ذلك فرق القوم على الباب الشرقي فرقة وعلى باب الجابية فرقة وعلى كل باب جماعة وقال لهم لا تجزعوا فان أمير القوم متباعد عنكم وليس هناك الا الاراذل والموالي فاطحنوهم طحن الحصيد قال ودعا بفرقة أخرى الى باب الفراديس الى عمرو بن العاص وخرج توما من بابه وأخذ معه أبطال القوم ولم يترك بطلا يعرف بالشجاعة الا أخذه معه ورتب على الباب ناقوسا وقال لهم اذا سمعتم الناقوس فهي العلامة التي بيننا فافتحوا الابواب وأخرجوا مسرعين الى أعدائكم ولا تجدوا رجالا نياما الا وتضعون السيف فيهم فان فعلتم ذلك فرقتم جمعهم في هذه الليلة وانكسروا كسرة لا يجبرون بعدها أبدا قال ففرح القوم بذلك وخرجوا الى حيث أمرهم وقعدت كل فرقة على بابها وأقاموا ينتظرون صوت الناقوس ليبادروا الى المسلمين قال ودعا توما برجل من النصارى وقال له خذ ناقوسا واعل به على الباب فاذا رأيتنا قد فتحنا الباب فاضرب الناقوس ضربة خفيفة يسمعها قومنا وقد سار توما بقطعة من جيشه عليهم الدروع وبايديهم السيوف وتوما في أوائلهم وبيده صفيحة هندية والقى على رأسه بيضة كسروية كان هرقل قد أهداها

الباب ودخل هو ومن معه من المسلمين فملكوها واسروا المقوقس وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر أول جمادى الآخرة سنة عشرين من الهجرة وقيل سنة ثنتين وعشرين ثم رجع عمرو الى مصر وأراد أن يبني مدينة الفسطاط وسبب تسميتها بذلك انه لما وصل الى مصر نصب له خيمة تسمى الفسطاط فلما توجه الى الاسكندرية أمر بازالة تلك الخيمة فوجد فيها عشا فيه يمامة قد فرخت فيه فترك القبة لاجلها شفقة على فراخ اليمامة فلما توجه الى الاسكندرية ورجع منها قيل له تنزل في أي مكان قال مكان الخيمة

له وكانت لا تعمل فيها السيوف القواطع حتى وصل الى الباب ثم وقف حتى تكامل القوم فلما نظر اليهم قال يا قوم اذا فتحنا لكم الباب فاسرعوا الى عدوكم وجدوا فى سعيكم الى أن تصلوا الى القوم فاذا وصلتم اليهم فاحملوا ومكنوا السيوف فيهم ومن صاح منهم بالامان فلا تبقوا عليه الا أن يكون أمير القوم ومن أبصر منكم الصليب فليأخذه فقالوا حباً وكرامة ثم أمر رجلا من اصحابه ان يسير الى الذى بيده الناقوس ويأمره أن يضربه ضربة خفيفة ثم فتح الباب وتبادر الرجال الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فى غفلة عما دبر القوم لهم الا انهم فى يقظة فلما سمعوا الصوت ايقظ بعضهم بعضا وتواثبت الرجال من أماكنهم كالاسد الضارية فلم يصل اليهم العدو الاوهم على حذر وحملوا عليهم وهم فى غير ترتيب فتقاتل القوم فى جنح الظلام وعمل السيف وسمع خالد بن الوليد فقام ذاهل العقل بما سمع من الزعقات فصاح واغوثاه واسلاماه كيدقومى ورب الكعبة اللهم انظر لهم بعينك التى لا تنام وانصرهم يا أرحم الراحمين وسار خالد ومن معه وهم أربعمائة فارس من أصحابه وهو بغير درع قد لبس ثوب كتان من عمل الشام مكشوف الرأس ثم جد فى السير والاربعمائة فارس معه كانهم الليوث العوابس الى أن وصلوا الى الباب الشرقى واذا بالفرقة التى هناك قد هاجت أصحاب رافع بن عميرة الطائى قال وأصوات المسلمين عالية بالتهليل والتكبير والقوم من أعلى الاسوار قد أشرفوا وتصايحوا عند ما استيقظ لهم المسلمون فحمل خالد بن الوليد على الروم ونادى برفيع صوته ابشروا يا معاشر المسلمين أتاكم الغوث من رب العالمين أنا الفارس الصنديد انا خالد بن الوليد وحمل فى أوساط الناس بمن معه فجندل أبطالا وقتل رجالا وهو مع ذلك مشتغل القلب على أبى عبيدة والمسلمين الذين على الابواب وهو يسمع أصواتهم وزعقاتهم قال وتصايح الروم والنصارى واليهود (قال سنان بن عوف) قلت لابن عمى قيس هل كانت اليهود تقاتلكم قال نعم يقاتلوننا من أعلى الاسوار ويرمون بالسهام وخشى خالد على شرحبيل بن حسنة مما وصل اليه من عدو الله توما لانه ملازم الباب قال ولقى شرحبيل بن حسنة من عدو الله توما أمرا عظيما لم يلق أحد مثله وذلك انه هجم عليه توما فى تلك الليلة وكان أول من وصل الى المسلمين عدو الله توما قال فصبروا له صبر الكرام وقاتل عدو الله قتالا شديدا وهو ينادى أين أميركم الذميم الذى أصابنى انا ركن الملك الرحيم انا ناصر الصليب قال فلما سمع شرحبيل صوته قصد جهته وقد جرح رجالا من المسلمين وقال له ها أنا صاحبك وغريمك انا مبيد جمعكم وآخذ صليبكم أنا كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطف عليه توما عطفة الاسد ورأى من شرحبيل بن حسنة امرا هائلا ولم يزالوا كذلك الى أن زال من الليل شطره وكل قرن مع قرنه وكانت زوجة أبان مع شرحبيل وكانت فى تلك الليلة أحسن الناس صبرا ورمت بنبالها وكانت لا تقع نبلة من نبالها الا فى رجل من المشركين الى أن قتلت من الروم مقتلة عظيمة بالنبال والروم يتحايدون عنها الى أن لاح رجل من الروم فرمته بنبلة فبقيت النبلة معلقة فى نحره قال فصرخ بالروم فهاجوها واخذوها أسيرة وتوما عدو الله الذى رمته قال ولقى شرحبيل من الروم ما لا يلقاه أحد وانه ضرب توما ضربة هائلة فتلقاها الملعون بدرقته فانكسر سيف شرحبيل فطمع عدو الله فيه وحمل عليه وظن انه يأخذه أسيرا واذا بفارسين قد أشرفا من ورائهما مع كبكبة من الفرسان فهجموا على الروم ونظروا واذا بزوجة ابان قد خلصت وهجمت على الروم وهتفت فلحقها فارسان فبرزاهما عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وابان بن عثمان بن عفان رضى الله عنه فقتلا الرجلين ورجع عدو الله توما هاربا الى المدينة (قال حدثنى) تميم بن عدى وكان ممن شهد الفتوحات قال كنت فى خيمة أبى عبيدة وذلك ان أبا عبيدة كان يصلى فيها اذ سمع الصياح فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم لبس سلاحه ورتب قومه ودنا من القوم فنظر اليهم وهم فى المعمعة والحرب وعدل عنهم ميسرة وميمنة الى أن جاوزهم وعطف نحو الباب وكبر وكبر المسلمون فلما سمع المشركون تكبيرهم ظنوا ان المسلمين قد دهموهم من ورائهم فى جمع كثير فولوا اجمعين فتلقاهم أبو عبيدة وقومه

التى تركتها وعليها اليمامة فسميت مصر الفسطاط وصارت مدينة عظيمة بها عدة مساجد وحمامات وطواحين ومعاصر وكانت جيدة على ساحل البحر ولم تزل عامرة الى الدولة الفاطمية فخربت بسبب الافرنج وجيشهم الى ديار مصر وبنى عمرو بن العاص بها جامعه الكبير ووقف على قبلته سبعون من الصحابة رضى الله عنهم وهو أول جامع بنى فى الاسلام بمصر المحروسة وهو جامع مبارك يستجاب فيه الدعاء وحررت مساحة مصر بعد أن تلاشى أمرها بالنسبة الى زمن فرعون فكانت مسافتها مائة ألف

واخذوا عليهم المجاز وبذل أبو عبيدة السيف فيهم (قال الواقدى) ولقد بلغنى انه ما سلم من الروم تلك
الليلة أحد من الذين هم غرماء أبى عبيدة ولقد قتلوا عن آخرهم فبينما هم فى القتال اذ أشرف عليهم
ضرار بن الازور وهو ملطخ بالدماء فقال له خالد ما وراءك يا ضرار فقال أبشر أيها الامير ما جئتك حتى
قتلت فى ليلتى هذه مائة وخمسين رجلا وقتل قومى ما لا يعد ولا يحصى وقد كفيتكم مؤنة من خرج من
الباب الصغير الى يزيد بن أبى سفيان ثم عطفت الى سائر الابواب فقتلت خلقا كثيرا قال فسر بذلك خالد
ابن الوليد ثم ساروا جميعا حتى أتوا شرحبيل بن حسنة وشكروا فعله وكانت ليلة مقمرة ولم يلق مثلها
الناس فقتلوا فى تلك الليلة ألوفا من الروم قال فاجتمع كبار اهل دمشق الى توما وقالوا له أيها السيد انا قد
نصحناك فلم تسمع لقولنا وقد قتل منا أكثر الناس وهذا أمير لا يطاق يعنى خالد بن الوليد فصالح فهو أصلح
لك ولنا وان لم تصالح صالحنا وأنت وشانك فقال يا قوم أمهلونى حتى أكتب الى الملك وأعلمه بما نزل بنا
فكتب من وقته وساعته كتابا يقول فيه الى الملك الرحيم من صهرك توما أما بعد فان العرب محدقون
بنا كاحداق البياض بسواد العين وقد قتلوا أهل أجنادين ورجعوا الينا وقد قتلوا منا مقتلة عظيمة
وقد خرجت اليهم وأصيبت عينى وقد عزمت على الصلح ودفع الجزية للعرب فاما ان تسير بنفسك واما
أن ترسل لنا عسكرا نجد نا بهم واما أن تأمرنا بالصلح مع القوم فقد تزايد الامر علينا ثم طوى الكتاب
وختمه وبعث به قبل الصباح فلما أصبح الصباح باكرهم المسلمون بالقتال وبعث خالد لكل أمير أن
يزحف من مكانه فركب أبو عبيدة ووقع القتال واشتد الامر على أهل دمشق فبعثوا لخالد أن امهلنا
فابى خالد الا القتال ولم يزل كذلك الى أن ضاق بهم الحصار وهم ينتظرون أمر الملك واجتمع أهل البلد
وقالوا لبعضهم ما الناصبر على ما نحن فيه من الامر وان هؤلاء ان قاتلناهم نصروا علينا وان تركناهم
أضر بنا الحصار فاطلبوا من القوم صلحا على ما طلبوه منكم فقال لهم شيخ كبير من الروم وقد قرأ
الكتب السالفة يا قوم والله انى أعلم انه لو أتى الملك فى جيشه جميعا لما منعوا عنكم هؤلاء لما قرأت فى
الكتاب أن صاحبهم محمدا خاتم المرسلين سيظهر دينه على كل دين فاطيعوا القوم وأعطوهم ما طلبوا
منكم فهو أوفق لكم فلما سمع القوم مقالات الشيخ ركنوا اليه لما يعلمون من علمه ومعرفته بالاخبار
والملاحم فقالوا كيف الرأى عندك فنحن نعلم ان هذا الامير الذى على باب شرقى رجل سفاك للدماء
فقال لهم ان اردتم تقارب الامر فامضوا الى الذى على باب الجابية وليتكلم رجل يعرف بالعربية
ويقول بصوت رفيع يا معاشر العرب الامان حتى ننزل اليكم ونتكلم مع صاحبكم قال أبو هريرة رضى
الله عنه وكان أبو عبيدة قد أنفذ رجالا من المسلمين مكثوا بالقرب من الباب مخافة الكبسة مثل الليلة
التى خلت وكانت النوبة تلك الليلة لبنى دوس والامير عليها عامر بن الطفيل الدوسى قال فبينما نحن
جلوس فى مواضعنا من الباب اذ سمعنا اصوات القوم وهم ينادون قال أبو هريرة فلما سمعت بادرت
الى أبى عبيدة قال وبشرته بذلك فاستبشر وقال امض وكلم القوم وقل لهم لكم الامان قال فاتيت القوم
وبشرتهم بالامان فقالوا من أنت فقلت أنا أبو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أن عبيدا
لنا أعطوكم الامان والذمام ونحن فى الجاهلية لما غدرنا فكيف وقد هدانا الله الى دين الاسلام قال
فنزل القوم وفتحوا الباب واذاهم مائة رجل من كبرائهم وعلمائهم فلما قربوا من عسكر أبى عبيدة تبادر
اليهم المسلمون وأزالوا عنهم الصلبان الى أن وصلوا خيمة أبى عبيدة فرحب بهم وأجلسهم وقال ان نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم قال اذا أتاكم عزيز قوم فأكرموه وتكلموا فى أمر الصلح وقالوا انا نريد منكم أن تتركوا
كنائسنا ولا تنقضوا علينا منها كنيسة وهى الجامع الآن بدمشق فقال لهم أبو عبيدة جميع الكنائس
لا يؤمر بهدمها قال وكان فى دمشق كنائس واحدة تسمى كنيسة مريم وكنيسة حنا وكنيسة سوق الليل
وكنيسة أنذار وهى عند دار عبد الرحمن ذرة فكتب لهم أبو عبيدة كتاب الصلح والامان ولم يسم فيه اسمه
ولا أثبت شهودا وذلك لانه لم يكن أمير المؤمنين فلما كتب لهم الكتاب تسلموه منه وقالوا له قم معنا الى البلد

ألف فدان تزرع غير البور
وكان فيها فى الزمن الاول
مائة وخمسون كورة مدينة
وثلاثمائة وستون قرية
فلما ملكها بختنصر
وخربها أعيدت بعد ذلك
وصار بها خمس وثمانون
كورة مدينة ثم تناقصت
حتى صارت فى دولة عمرو
ابن العاص أربعين كورة
وعدة قراها ألفان وثلاثمائة
وخمسة وسبعون قرية دون
الكنوز وكان خراجها فى
زمن عمرو بن العاص اثنى
عشر ألف ألف دينار
ثم تغيرت أحوال
مصر فى دولة الاسلام الى
الغاية وخرب غالب قراها
وانحط خراجها ولم يزل
عمرو بن العاص والياعلى

قال فقام أبو عبيدة وركب معه أبو هريرة ومعاذ بن جبل ونعيم بن عمر ووعبد الله بن عمرو الدوسي وذو الكلاع الحميري وحسان بن النعمان وجرير بن نوفل الحميري وسيف بن سلمة ومعمر بن خليفة وربيعة بن مالك والمغيرة بن شعبة وأبو لبابة بن المنذر وعوف بن ساعدة وعامر بن قيس وعباد بن عتبة وبشر بن عامر وعبد الله ابن قرط الاسدي وجملتهم خمسة وثلاثون صحابيا من أعيان الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وخمسة وستون من أخلاط الناس فلما ركبوا وتقدموا نحو الباب قال أبو عبيدة أريد منكم رهائن حتى ندخل معكم فأتوه برهائن وقيل ان أبا عبيدة رأى في منامه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له تفتح المدينة ان شاء الله تعالى في هذه الليلة فقلت يا رسول الله أراك على عجل قال لأحضر جنازة أبي بكر الصديق قال فاستيقظت من المنام (قال الواقدي) وقد بلغني ان أبا عبيدة لما دخل دمشق باصحابه صارت القسوس والرهبان بين يديه على مسرح الشعر وقد رفعوا الانجيل والمباخر بالند والعود ودخل أبو عبيدة من باب الجابية ولم يعلم خالد بن الوليد بذلك لانه شد عليهم بالقتال قال وكان هناك قسيس من قسوس الروم اسمه يونس بن مرقص وكانت داره ملاصقة للسور مما يلي باب شرقي الذي عنده خالد وكان عنده ملاحم دانيال عليه السلام وكان فيها ان الله تعالى يفتح البلاد على يد الصحابة ويعلو دينهم على كل دين فلما كانت تلك الليلة نقب يونس من داره وحفر موضعا وخرج على حين غفلة من أهله وأولاده وقصد خالدا وحدثه أنه خرج من داره وحفر موضعا والآن أريد أمانا لي ولاهلي ولاولادي قال فأخذ خالد عهده على ذلك وأنفذ معه مائة رجل من المسلمين أكثرهم من حمير وقال لهم اذا وصلتم المدينة فارفعوا أصواتكم بأجمعكم واقصدوا الباب واكسروا الاقفال وازيلوا السلاسل حتى تدخلوا ان شاء الله تعالى قال ففعل القوم ما أمرهم به خالد رضي الله عنه وساروا ومضى أمامهم يونس بن مرقص حتى دخل بهم من حيث خرج فلما حطوا في داره تدرعوا واحترسوا ثم خرجوا وقصدوا الباب وأعلنوا التكبير قال فلما سمع المشركون التكبير ذهلوا وعلموا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حطوا معهم في المدينة وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قصدوا الباب وكسروا الاقفال وقطعوا السلاسل ودخل خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين ووضعوا السيف في الروم وهم مختلفون بين يديه الى أن وصل الى كنيسة مريم وخالد بن الوليد يأسر ويقتل (قال الواقدي) والتقى الجمعان عند الكنيسة جيش خالد وجيش أبي عبيدة وأصحابه سائرون والرهبان سائرون بين أيديهم وما أحد من أصحاب أبي عبيدة جرد سيفه فلما نظر خالد اليهم ورأى أن لا أحد منهم جرد سيفه بهت وجعل ينظر اليهم متعجبا قال فنظر اليه أبو عبيدة يعرف في وجهه الانكار فقال يا أبا سليمان قد فتح الله على يدي المدينة صلحا وكفى الله المؤمنين القتال (قال الواقدي) ما خاطب أبو عبيدة خالدا يوم الفتح بدمشق الا بالامارة فقال أيها الامير قد تم الصلح فقال خالد وما الصلح لا أصلح الله بالهم وأنى لهم الصلح وقد فتحتها بالسيف وقد خضبت سيوف المسلمين من دمائهم واخذت الاولاد عبيدا وقد نهبت الاموال فقال أبو عبيدة أيها الامير اعلم اني ما دخلتها الا بالصلح فقال له خالد بن الوليد انك لم تزل مغفلا وأنا ما دخلتها الا بالسيف عنوة وما بقي لهم حماية فكيف صالحتهم قال أبو عبيدة اتق الله أيها الامير والله لقد صالحت القوم ونفذ السهم بما هو فيه وكتبت لهم الكتاب وهو مع القوم فقال خالد وكيف صالحتهم من غير أمري وأنا صاحب رايتك والامير عليك ولا أرفع السيف عنهم حتى أفنيهم عن آخرهم فقال أبو عبيدة والله ما ظننت انك تخالفني اذا عقدت عقدا أو رأيت رأيا فالله الله في أمري فوالله لقد حقنت دماء القوم عن آخرهم وأعطيتهم الامان من الله جل جلاله وأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رضي من معي من المسلمين والغدر ليس من شيمنا قال وارتفع الصياح بينهما وقد شخص الناس اليهما وخالد مع ذلك لا يرجع عن مراده ونظر أبو عبيدة الى ذلك فرأى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد وهم جيش البوادي من العرب مشتبكون على قتال الروم ونهب أموالهم قال فنادى ابو عبيدة واثكلاه خفرت والله ونقض عهدي وجعل يحرك جواده ويشير الى العرب مرة يمينا ومرة شمالا وينادي معاشر المسلمين

مصر الى أن توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وولي عثمان بن عفان فعزله وولى بدله عبد الله بن ابي سرح فلما أتى الى مصر ارتحل عمرو الى المدينة الشريفة فجبى عبد الله بن أبي سرح خراج مصر في تلك السنة اربعة عشر ألف ألف دينار فلما وصل ذلك الى عثمان بالمدينة نظر الى عمرو بن العاص وقال له قد درت اللقحة يا عمرو فقال له نعم ولكن جاعت اولادها فان هذه الزيادة التي أخذها عبد الله بن ابي سرح انما هي على الجماجم فانه أخذ من كل راس دينارا خارجا عن الخراج وحصل لاهل مصر

اقسمت عليكم برسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تمدوا ايديكم نحو الطريق الذى جئت منه حتى نرى ما
نتفق انا وخالد عليه فلما دعاهم بذلك سكتوا عن القتل والنهب واجتمع اليهما فرسان المسلمين والامراء
واصحاب الرايات مثل معاذ بن جبل رضى الله عنه ويزيد بن أبي سفيان رضى الله عنه وعمرو بن العاص
رضى الله عنه وشرحبيل بن حسنة رضى الله عنه وربيعة بن عامر رضى الله عنه وعبد الله بن عمر بن
الخطاب رضى الله عنهم اجمعين ونظرائهم والتقوا عند الكنائس واجتمع هناك فرسان للمشورة والمناظرة
فقالت طائفة من المسلمين منهم معاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان الرأى ان تمضى الى ما امضاه أبو عبيدة
ابن الجراح وتكفوا عن القتال للقوم فان مدن الشام لم تفتح ابدا وهرقل فى انطاكية كما تعلمون وان علم
اهل المدن انكم صالحتم وغدرتم لم تفتح لكم مدينة صلحا ولأن تجعلوا هؤلاء الروم فى صلحكم خير من
قتلهم ثم قالوا لخالد امسك عليك ما فتحت بالسيف ويعينك أبو عبيدة بجانبه واكتبا الى الخليفة وتحاكما
اليه فكل ما أمر به فعلناه فقال لهم خالد بن الوليد قد أجبت الى ذلك وقبلت مشورتكم فاما أهل
دمشق فقد أمنتهم الا هذين اللعينين توما وهربيس وكان هربيس هو المأمور على نصف البلد ولاه توما
حين رجع الامر اليه فقال أبو عبيدة ان هذين أول من دخل فى صلحى فلا تخفر ذمتى رحمك الله تعالى
فقال خالد والله لولا ذمامك لقتلتهما جميعا ولكن يخرجان من المدينة فلعنهما الله حيث سارا قال أبو
عبيدة وعلى هذا صالحتهما قال ونظر توما وهربيس الى خالد وهو يتنازع مع أبي عبيدة فخافا الهلاك
فاقبلا على أبي عبيدة ومعهما من يترجم عنهما وقالا له ما يقول هذا يعنى خالدا فقال الترجمان لابي عبيدة ما
تقول أنت وصاحبك فيه من المشاورة ان صاحبك هذا يريد غدرنا فنحن وأهل المدينة دخلنا فى عهدكم
ونقض العهد ما هو من شيمكم وانى أسألكم أن تدعونى أن أخرج أنا وأصحابي واسلك أى طريق أردت
فقال أنت فى ذمتنا فاسلك أى طريق شئت فاذا صرت فى أرض تملكونها فقد خرجت من ذمتنا أنت ومن
معك فقال توما وهربيس نحن فى ذمتكم وجواركم ثلاثة ايام أى طريق سلكنا فاذا كان بعد ثلاثة أيام
فلا ذمة لنا عندكم فان لقينا منكم بعد ثلاثة أيام وظفر بنا فنحن لهم عبيد ان شاء أسرنا وان شاء قتلنا فقال
خالد قد أجبناك الى ذلك لكن لا تحملوا معكم من هذا البلد الا الزاد الذى تتقوتون به قال أبو عبيدة يا خالد
هذا كلام داع لنقض العهد والصلح انما وقع بيننا انهم يخرجون برجالهم واموالهم فقال خالد سمحت
لهم بذلك الا الحلقة يعنى السلاح فانى لا اطلق لهم شيأ من ذلك فقال توما لا بد لنا من السلاح نمنع به عن
أنفسنا فى طريقنا ان طرقنا طارق حتى نصل الى بلدنا والا فنحن بين ايديكم فاحكموا فينا بما أردتم
فقال أبو عبيدة أطلق لكل واحد قطعة من السلاح ان أخذ سيفا فلا يأخذ رمحا وان أخذ رمحا فلا يأخذ
سيفا وان أخذ قوسا فلا يأخذ سكينا فقال توما لما سمع منهم ذلك الكلام قد رضينا بذلك وما بيد كل واحد
منا الا قطعة من السلاح لا غير ثم قال توما لابي عبيدة انى خائف من هذا الرجل أعنى خالد بن الوليد
فليكتب لى بذلك قال أبو عبيدة ثكلتك امك انا معاشر العرب لا نغدر ولا نكذب وان الامير أبا سليمان
قوله قول وعهده عهد ولا يقول الا الصدق قال فانطلق توما وهربيس يجمعان قومهما ويأمرانهم
بالخروج قال وكان الملك له خزانة ديباج فى دمشق فيها زهاء من ثلثمائة حمل ديباج وحلل مذهبة فعزم
على اخراجها وأمر توما فضربت له خيمة من القز ظاهر دمشق واقبلت الروم تخرج الامتعة والاموال
والاحمال حتى أخرجوا شيأ عظيما فنظر خالد بن الوليد الى كثرة احمالهم فقال ما أعظم رحالهم ثم قرأ قوله
تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها
يظهرون الآية ثم نظر خالد الى القوم كأنهم حمر مستنفرة ولم يلتفت أحد الى أخيه من شدة عجلتهم فلما نظر
خالد الى ذلك رفع يديه الى السماء وقال اللهم اجعله لنا وملكنا اياه واجعل هذه الامتعة قوتا للمسلمين آمين
انك سميع الدعاء ثم أقبل على أصحابه وقال لهم انى رأيت أنا رأيا فهل أنتم تتبعونى عليه فقالوا نتبعك
ولا نخالف لك امرا فقال خالد قوموا بخيولكم حق القيام وأحسنوا اليها ما استطعتم وانجزوا سلاحكم

بسبب ذلك ضرر شديد
وهى اول ثلمة حلت بهم ثم
اعيد عمرو بن العاص الى
ولاية مصر فى زمن معاوية
وأقام أميرا بها الى ان مات
بها ليلة عيد الفطر سنة
ثلاث واربعين على المشهور
ودفن بالمقطم وهو جبل
الجيوشى من ناحية الفج
وكان طريق الناس يومئذ
الى الحجاز فأحب ان يدعو
له من مر به من الناس وهو
اول أمير مات بمصر

❊ الباب الاول فى خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم ❊

وهو الحسن بن على وفى دولة
بنى أمية والدولة العباسية
ومن ولى مصر من النواب
الخلفاء الراشدين والدولتين

فانى اسير بكم بعد ثلاثة أيام فى طلب هؤلاء القوم وأرجو من الله ان يغنمنا هذه الغنيمة والاموال التى رأيتموها وان نفسى تحدثنى ان القوم ماتركوا فى دمشق متاعا ولاثوبا حسنا الا وقد أخذوه معهم فقالوا افعل ماتريد فما نخالف لك أمرا ثم أخذوا فى اصلاح شأنهم وتوما وهربيس قد جمعوا مال الرساتيق وجميع المال فلما جمعوه جاؤا به الى أبى عبيدة فقال لهم وفيتم بما عليكم فسيروا حيث شئتم فلكم الامان منا ثلاثة أيام قال يزيد بن طريف فلما سلموا المال لابى عبيدة ارتحلوا سائرين كأنهم سواد مظلم وكان قد خرج مع القوم خلق كثير من أهل دمشق بأولادهم وكرهوا أن يكونوا فى جوار المسلمين قال واشتغل خالد عن اتباعهم بخلاف وقع بينهم وبين أهل دمشق فى حنطة وشعير وجدوا فى المدينة منه شيأ كثيرا فقال أبو عبيدة هو للقوم دخل فى صلحهم فكادت الفتنة أن تثور بين أصحاب خالد وبين أصحاب أبى عبيدة واتفق رأيهم أن يكتبوا كتابا الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى ذلك وليس عندهم خبرانه مات يوم دخولهم دمشق (قال عطية بن عامر) كنت واقفا على باب دمشق فى اليوم الذى سارت فيه الروم مع توما وهربيس ومعهم ابنة الملك هرقل قال فنظرت الى ضرار ابن الازور وهو ينظر الى القوم شزرا ويتحسر على مافاته منهم فقلت له يا ابن الازور مالى أراك كالمتحسر أما عند الله أكثر من ذلك فقال والله ماأعنى مالا وانما أنا متأسف على بقائهم وانفلاتهم منا ولقد أساء أبو عبيدة فيما فعل بالمسلمين فقلت يا ابن الازور ما أراد أمين الامة الا خيرا للمسلمين أن يحقن دماءهم وأرواحهم من تعب القتال فان حرمة رجل واحد خير مما طلعت عليه الشمس وان الله سبحانه وتعالى أسكن الرحمة فى قلوب المؤمنين وان الرب يقول فى بعض الكتب المنزلة ان الرب لا يرحم من لا يرحم وقال تعالى والصلح خير فقال ضرار لعمرى انك لصادق ولكن اشهدوا على أنى لا أرحم من يجعل له زوجة وولدا (قال حدثنى) عمرو بن عيسى عن عبد الواحد بن عبد الله البصرى عن واثلة بن الاسقع قال كنت مع خالد بن الوليد فى جيش دمشق وكان قد جعلنى مع ضرار بن الازور فى الخيل التى تجول من باب شرقى الى باب توما الى باب السلامة الى باب الجابية الى باب الصغير الى باب قيسان اذ نحن مناصرين الباب وذلك قبل فتوح الشام واذا به قد خرج منه فارس فتركناه حتى قرب منا فأخذناه قبضا باليكف وقلنا ان تكلمت قتلناك فسكت واذا قد خرج فارس آخر قام على الباب وجعل ينادى بالذى قد أخذناه فقلنا له كلمه حتى يأتى قال فرطن له بالرومية ان الطير فى الشبكة فعلم انه قد أسر فرجع وأغلق الباب قال فأردنا قتله فقال بعضنا لا تقتلوه حتى نمضى به الى خالد الامير قال فأتينا به خالدا فلما نظر اليه قال له من أنت قال له أنا من الروم وانى تزوجت بجارية من قومى قبل نزولكم عليهم وكنت أحبها فلما طال علينا حصاركم سألت أهلها أن يزفوها على فأبوا ذلك وقالوا ان بنا شغلا عن زفافك وكنت أحب أن ألقاها ولنا فى المدينة ملاعب نلعب فيها فوعدتها أن تخرج الى الملاعب فخرجت وتحدثنا فسألتنى أن أخرج بها الى خارج المدينة ففتحنا الباب وخرجت أنظر أخباركم فأخذنى أصحابك فنادتنى فقلت ان الطير وقع فى الشبكة أحذرها منكم مخافة عليها ولو كان غيرها لهان على ذلك فقال خالد ماتقول فى الاسلام فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فكان يقاتل معنا قتالا شديدا فلما دخلنا المدينة صلحا أقبل يطلب زوجته فقيل له انها لبست ثياب الرهبانية فأقبل اليها وهى لا تعرفه فقال لها ماحملك على الرهبانية قالت حملنى على ذلك انى غررت بزوجى حتى أخذته العرب وترهبت حزنا عليه قال أنا زوجك وقد دخلت فى دين العرب قال فلما سمعت ذلك قالت وماتريد قال أن تكونى فى الذمة فقالت وحق المسيح لا كان ذلك أبدا ومالى الى ذلك سبيل وخرجت مع البطريق توما فلما نظر الى امتناعها أقبل الى خالد بن الوليد فشكى له حاله فقال له خالد ان أبا عبيدة فتح المدينة صلحا ولا سبيل لك اليها واعلم ان خالدا يسير وراء القوم فقال أسير معها لعلى أقع بها وأقام خالد بدمشق الى اليوم الرابع ثم أقبل اليه يونس الدمشقى زوج الجارية وقال أيها الامير قد عزمت على المسير فى طلب هذين اللعينين

المذكورتين ومن دخل فى ذلك بالتغلب من ابن طولون والاخشيدية ولنقدم على ذلك نبذة مما يتعلق به صلى الله عليه وسلم تبركا به فنقول هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بفتح الطاء المشددة وكسر اللام ابن هاشم بوزن اسم الفاعل ابن عبد مناف بفتح الميم ابن قصى بضم القاف ابن كلاب بكسر الكاف على صيغة الجمع ابن مرة بضم الميم ابن كعب بفتح أوله ابن لؤى بضم أوله وفتح الهمزة وتشديد التحتية ابن غالب بوزن اسم الفاعل ابن فهر بكسر أوله ابن مالك بن النضر بفتح أوله ابن كنانة بكسر أوله ابن خزيمة بن مدركة

توما وهربيس وآخذ ما معهما قال بلى فقال له وما الذى أقعدك عن ذلك قال بعد القوم وبيننا وبينهم
أربعة أيام بلياليها وهم يسيرون سير الحوف وما يمكن اللحوق بهم فقال يونس ان كان تخلفك لبعد المسافة
بيننا وبينهم فأنا أعرف الديار وأسلك طريقا فنلحقهم ان شاء الله تعالى ولكن البسوا زى لخم وجذام
وهم العرب المتنصرة وخذوا الزاد وسيروا قال فسار خالد وأخذ عساكر الزحف وهم أربعة آلاف فارس
فأمرهم أن يسيروا ويخففوا حمل الزاد ففعلوا ذلك وخالد ومن معه قد سار ويونس الدليل أمامهم وهو
تتبع آثار القوم وقد أوصى خالد أبا عبيدة على المدينة والمسلمين قال زيد بن طريف وكان يونس دليلنا
قال فرأى آثار القوم وانهم اذا سقط منهم حمل جمل تركوه وسار خالد ومن معه كلما دخلوا بلدا من
بلاد الروم يظنون انهم من العرب المتنصرة من لخم وجذام حتى أشرف بهم الدليل على ساحل البحر
ونوى أن يطلب الاثر واذا بالقوم قد عدوا من انطاكية ولم يدخلوها خيفة الملك قال فوقع للدليل عند
ذلك حيرة فى أمره فعدل الى قرية هناك وسأل بعضا من الناس فأخبروه ان الخبر قد اتصل الى الملك بأن
توما وهربيس قد سلما دمشق للعرب فنقم عليهما ولم يدعهما يأتيان اليه وذلك انه جمع الجيوش وأرسلها
الى اليرموك فخاف أن يتحدثوا بشجاعة العرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتضعف قلوبهم
فبعث الى توما ومن معه أن يسيروا الى القسطنطينية فلما علم يونس ان القوم عدلوا وأخذوا فى طلب التحيز
فكر فى ذلك وغاب عن المسلمين فوقف خالد وصلى بالناس واذا بيونس قد اقبل وقال أيها الامير
انى والله قد غررت بكم وبلغت الغاية فى الطلب قال خالد وكيف الامر قال أيها الامير تبعت آثارهم فى
هذا المكان رجاء أن ألحقهم وان الملك منعهم من الدخول الى انطاكية الا ليرعبوا عسكره وأمرهم أن
يطلبوا القسطنطينية وقد قطع بينكم وبينهم هذا الجبل العظيم وأنتم فى جبل هرقل وهو يجمع عسكره
ويسير الى حربكم وانى خائف عليكم ان تركتم هذا الجبل خلف ظهوركم هلكتم وبعد هذا فالامر اليك
وكل ما أمرتنى به فعلت قال ضرار بن الازور فرأيت خالدا وقد انتقع لونه كالخضاب وكان ذلك منه جزعا
وما عهدت به ذلك فقلت يا أمير على ماذا عولت فقال يا ضرار والله ما فزعت من الموت ولا من القتل وانما
خفت أن يؤتى المسلمون من قبلى وانى رأيت قبل فتح دمشق مناما أفزعنى وأنا منتظر تأويله وأرجو أن
يجعل الله لنا خيرا وينصرنا على عدونا فقال ضرار خيرا رأيت وخيرا يكون ان شاء الله تعالى فما الذى
رأيت قال رأيت المسلمين فى برية قفر ونحن سائرون فبينما نحن كذلك واذا بقطيع من حمر الوحش
كثيرة عظيمة أجسامها مهزولة أخفافها وهى لا تكدم برماحنا ونحن نضربها بأسيافنا وهى لا تكترث
فيما نزل بها من الاذى ولا تهلع عما ينزل فلم نزل مثل ذلك حتى اجتهدنا واجتهدت خيولنا وكأنى أقبلت
على أصحابى وفرقتهم عليها من أربعة جوانب البرية وحملت عليهم فجفلت من أيدينا الى مضايق
وتلال وأودية خصبة فلم نأخذ منها الا اليسير فبينما نحن نطبخ ونشوى من أطايب لحومها
واذا هى قد رجعت تطلب الحرب متنافلة ما نظرت اليها وقد طرحت المضايق والآجام صحت بالمسلمين
اركبوا فى طلبها بارك الله فيكم فاستوى المسلمون على خيولهم وركبت معهم وطلبناها
حتى وقعت بها وتصيدت منها بعيرا عظيما فقتلته فجعل المسلمون يقتلون ويتصيدون
فما بقى منها الا اليسير فبينما أنا فرح وأنا أريد الرجوع بالمسلمين الى وطنهم اذ عثرت فرسى فطارت
عمامتى من على رأسى فهويت لآخذها فانتبهت من منامى وأنا فزع مرعوب فهل فيكم أحد
يفسره فانى أقول الرؤيا ما نحن فيه قال فصعب ذلك على القوم وجعل خالد يرا ودنفسه على الرجوع
فقال له عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أما تفسير الوحوش فهؤلاء الاعاجم
الذين نحن فى طلبهم وأما سقوطك عن فرسك فانه أمر تنحط عليه من رفعة الى خفضة وأما
سقوط العمامة عن رأسك فالعمائم تيجان العرب وهى معرة تلحقك فقال خالد أسأل الله العظيم ان كان
تأويل ما رأيته أن يجعله من أمر الدنيا ولا يجعله من أمر الآخرة وبالله أستعين وعليه أتوكل

بضم أولهما ابن الياس
بكسر الهمزة وسكون اللام
قبل المثناة التحتية ابن
مضر بضم أوله ابن نزار
بكسر أوله وفتح الزاى
قبل الالف ابن معد بفتح
أوله وتشديد ثالثه ابن
عدنان بوزن فعلان وهذا
هو النسب المتفق عليه
وليس عما وراءه طريق
صحيح ولما نفخ الروح فى
آدم كان نور نسمة محمد صلى
الله عليه وسلم يلمع فى
جبهته كالشمس المشرقة ثم
انتقل ذلك النور من صلب
آدم عليه السلام الى رحم
حواء ومنها الى صلب شيث
ولم يزل ينتقل من اصلاب
الطاهرين الى أرحام
الطاهرات وهو معنى قوله

فى كل الامور قال ثم سار خالد والدليل أمامهم حتى قطعوا الجبل فلما كانت الليلة التى أردنا أن نصبح فيها القوم أتى مطر كأفواه القرب وكان من توفيق الله عز وجل أنه حبس القوم عن المسير قال روح بن طريف رضى الله عنه ولقد رأيتنا ونحن نسير والمطر ينزل علينا كأفواه القرب طول ليلتنا فلما أصبح الصباح وطلعت الشمس قال يونس أيها الامير قف حتى أنظر القوم لانهم لا شك بالقرب منا وقد سمعت صياحهم فقال له خالد بن الوليد أحقا سمعت صياحهم يا يونس قال نعم أيها الامير وأريد منك أن تأذن لى بالمسير اليهم وآتيك بخبرهم قال فعند ذلك التفت خالد بن الوليد الى رجل اسمه المفرط بن جعدة وقال له يا مفرط سر مع يونس وكن له مؤنسا واحذر ان يأخذ خبركما القوم فقال المفرط السمع والطاعة لله ولك أيها الامير ثم انطلقا الى أن صعدا على جبل يقال له الابرش والروم تسميه جبل باردة قال المفرط فلما علونا عليه وجدنا مرجا واسعا كثير الجنبات كثير النبات وفيه خضرة عظيمة وان القوم قد أصابهم المطر حتى بل رحالهم وقد حميت عليهم الشمس فخافوا اتلافها فأخرجوها واخرجوا الديباج ونشروها فى طول المرج وقد نام أكثرهم من شدة السير والتعب والمطر الذى أصابهم قال المفرط بن جعدة فلما رأيت ذلك فرحت فرحا شديدا ورجعت الى خالد بن الوليد وتركت صاحبى يونس فلما رآنى خالد وحدى أسرع الى وظن ان صاحبى كيد فقال لى ما وراءك يا ابن جعدة أخبرنى وعجل بالخبر فقلت الخير والغنيمة يا أمير وان القوم خلف هذا الجبل وقد أصابهم المطر وقد وجدوا الراحة بطلوع الشمس وقد نشروا أمتعتهم فقال بشرك الله بالخير ثم ظهر لى من وجهه الخير والفرح والسرور فبينما نحن كذلك واذا بيونس قد اقبل فقال له خالد خيرا فقال أبشر أيها الامير فان القوم أمنوا على أنفسهم ولكن أوص أصحابك ان كل من وقع بزوجتى فليحفظها فما أريد من الغنيمة سواها فقال له خالد هى لك ان شاء الله تعالى ثم ان خالدا قسم أصحابه أربع فرق فأمر ضرار بن الازور على ألف فارس وعلى الالف الثانى رافع بن عميرة الطائى وعلى الالف الثالث عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وبقى هو فى الفرقة الرابعة وقال سيروا على بركة الله تعالى واياكم أن تخرجوا اليهم دفعة واحدة بل يخرج كل أمير منكم بينه وبين صاحبه قدر ساعة ثم افترق القوم وحمل ضرار بن الازور والروم مطمئنون وحمل من بعده رافع بن عميرة الطائى ثم عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ثم خالد بن الوليد سار فى آخر القوم حتى وصلوا المرج قال عبيد بن سعيد والله لقد كدنا أن نفتتن من حسن منظره فزعق فينا خالد بن الوليد وقال عليكم بأعداء الله ولا تشتغلوا بالغنائم ولا بالنظر الى المرج فانه لكم ان شاء الله تعالى ثم عطف خالد بن الوليد رضى الله عنه على الروم وقد نظرت الروم الى الخيل وقد خرجت عليهم وخالد امامهم فعلموا أنها خيول المسلمين فبادروا الى السلاح وركبوا الخيل وقال بعضهم لبعض انها خيل قليلة ساقها المسيح اليكم وجعلها غنيمة لكم فبادروا اليها قال فتبادر الروم وهم يظنون ان ليس وراء خالد أحد واذا بضرار بن الازور قد خرج عليهم فى ألف فارس وطلع رافع بن عميرة الطائى بعده وطلع عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق بعدهم وطلبت كل كتيبة فرقة من الروم وتفرقوا من حولهم وطلبوا ما فى أيديهم وقد رفعوا أصواتهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وانصبت خيل المسلمين على الروم كأنها السيل المنحدر ونادى اللعين هربيس برجاله قاتلوا عن نعمكم فما لهؤلاء القوم حيلة ولا يخلصون من هذا المكان أبدا فانقسمت الروم طائفة معه وطائفة مع اللعين توما فكان من طلب خالدا توما وقد أحدق به خمسمائة فارس وقد رفع بين عينيه صليبا من الجوهر مقمعا بالذهب الاحمر فعدل خالد وحمل عليه وقال يا عدو الله أظننتم أنكم تفلتون منا والله تعالى يطوى لنا البلاد وكان توما أعور عورته امرأة ابان قال فحمل عليه وطعنه فى عينه الاخرى ففقأها وأرداه عن جواده وحمل أصحابه على رجال توما وقد وقع الصليب ولله در عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانه لما نظر الى توما وقد سقط عن جواده نزل وجلس على صدره واحتز رأسه ورفعها على السنان ونادى قد قتل والله توما اللعين فاطلبوا هربيس (قال الواقدى) ففرح المسلمون بذلك قال رافع بن عميرة الطائى كنت فى الميمنة مع خالد

تعالى وتقلبك فى الساجدين وكان كل جد من اجداده من لدن آدم يأخذ العهد والميثاق ان لا يوضع ذلك النور الا فى الطاهرات فاول من اخذ العهد آدم اخذه على شيث وشيث على انوش وانوش على قنن وهكذا الى أن وصلت النوبة الى عبد الله بن عبد المطلب فلما أودع ذلك فى صلبه لمع ذلك النور من جبهته فظهر له جمال وبهجة فكانت نساء قريش يرغبن فى نكاحه وقد لقى فى زمانه ما لقى يوسف عليه السلام من امرأة العزيز وقد روى الترمذى عن العباس رضى الله عنه قال قال

ابن الوليد اذ نظرت الى فارس زيه زي الروم وقد نزل عن جواده وهو يقاتل علجة من نساء الروم وهي
تظهر عليه مرة فدنوت انظرها فاذا هو يونس الدليل وهو يقاتل زوجته ويصارعها صراع الاسد قال رافع
فدنوت ان أتقدم اليهما فأعينه فقصد الى عشرة من النساء يرمين قوسي بالحجارة فخرج حجر كبير من امرأة
حسناء عليها ثياب الديباج قال فوقع الحجر في جبهة جوادي فانكب على رأسه وكان جوادا اشهدت
عليه اليمامة فسقط الجواد ميتا قال فأسرعت في طلبها فهربت من بين يدي كأنها ظبية القناص وهربت
النساء من ورائها فلحقتهن وقصدت قتلهن وزعقت عليهن وكنت أريد قتلهن ومالي قصد الا الجارية التي
قتلت حصاني فدنوت منها وعلوت بالسيف على رأسها فجعلت تقول الغوث الغوث فرجعت عن قتلها
وأقبلت اليها واذا عليها ثياب الديباج وعلى رأسها شبكة من اللؤلؤ فأخذتها اسيرة من النساء وأوثقتها كتافا
ورجعت على أثري فركبت جوادا من خيل الروم ثم قلت والله لأمضين وانظر ما كان من أمر يونس
فوجدته وهو جالس وزوجته بجانبه وقد تلطخت بدمائها وهو يبكي عليها فلما رأيتها قلت لها اسلمي فقالت
لا وحق المسيح لا اجتمعت أنا وأنتم ابدا ثم أخرجت سكينا كانت معها فقتلت بها نفسها فقلت ان الله
عز وجل أبدلك ما هي أعظم منها وعليها ثياب الديباج وشبكة من اللؤلؤ وهي كأنها القمر فخذها لك بدلا
عن زوجتك فقال أين هي فقلت ها هي معي قال فلما نظر اليها والى ما عليها من الحلي والزينة وتبين حسنها
وجمالها راطنها بالرومية وسألها عن أمرها فرطنت عليه وهي تبكي فالتفت الي وقال لي أتدري من هذه
قلت لا فقال هذه ابنة الملك هرقل زوجة توما وما مثلي يصلح لها ولا بد لهرقل من طلبها ويفديها بماله قال
وافتقد المسلمون خالدا فلم يجدوا له أثرا فقلقوا عليه قلقا عظيما وخالد رضي الله عنه غائص في المعركة وقصد
اللعين هربيس بعد قتل توما فبينما هو يجول يمينا وشمالا اذ نظر علجا من علوج الروم عظيم الخلقة أحمر
اللون فظن خالد أنه اللعين فأطلق جواده نحوه وطلبه طلبا شديدا ليقتله فلما نظر اليه العلج والى حملته
فرهاربا من بين يديه فوكزه خالد بالرمح واذا هو واقع على الارض على أم رأسه وانقض عليه خالد كالاسد
وهو يقول ويلك يا هربيس أظننت انك تفوتني وذلك العلج يعرف بالعربية فقال يا عربي ما أنا هربيس
فابق علي ولا تقتلني فقال خالد ما لك من يدي خلاص الا اذا كنت تدلني على هربيس فاذا دللتني عليه
أطلقتك فقال له العلج أنا أدللك عليه تطلقني فقال خالد نعم لك ذلك فقال العلج يا أخا العرب قم من على
صدري حتى ادلك عليه فقام خالد من على صدره فوثب العلج يمينا وشمالا ثم قال لخالد أترى هذا الجبل وهذه
الخيل الصاعدة أقصدها فان هربيس فيها قال فوكل خالد بالعلج واحدا وهو ابن جابر ثم أطلق خالد عنانه
حتى لحق بهم وصرخ عليهم وقال يا ويلكم أني لكم مني خلاص فلما سمع هربيس ذلك ظنه من بعض
العرب فزعق فيه ورجع ورجعت البطارقة بالسلاح فقال لهم خالد يا ويلكم ظننتم أن الله لا يمكننا منكم
أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد ثم طعن فارسا فرماه وآخر فارداه فلما سمع هربيس كلام خالد قال
لاصحابه يا ويلكم هذا الذي قلب الشام على أصحابه هذا صاحب بصرى وحوران ودمشق وأجنادين
دونكم واياه قال فطمع القوم فيه لانفراده عن أصحابه وكان المسلمون في قتال الروم ونهب الاموال وكل
منهم مشتغل بنفسه قال فترجلت البطارقة حول خالد لانهم في جبل كثير الوعر وأحاطوا بخالد بن الوليد
فعندها ترجل عن جواده وأخذ سيفه وحجفته وصبر لقتالهم قال حدثني شداد بن أوس وكان ممن حضر
وقعة مرج الديباج وقال خالد قد صحت الرؤيا فلما ترجل أقبل يقاتل بنفسه وأقبل اليه هربيس وهو مشتغل
بالقتال وأتاه من ورائه وضرب خالدا بالسيف فوقع السيف على البيضة فقدها وقد عمامته وانقض
السيف من يد هربيس وخاف خالد أن يلتفت الى ورائه فتهجم عليه الروم وخاف ان يفلت هربيس من
بين يديه فعند ذلك صاح بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير كانه مستبشر بشيء أغاثه أو ادركه
وذلك خديعة منه وحيلة يريد بها ان يتمكن من الاعلاج فبينما هو كذلك اذ سمع من المسلمين زعقات
وقد أخذت الروم من ورائهم وهم يصيحون بالتهليل والتكبير وقائل يقول لا اله الا الله محمد رسول الله

رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله خلق الخلق
وجعلني من خيارهم ثم
تخير القبائل فجعلني في
خير قبيلة ثم تخير البيوت
فجعلني في خير بيت فانا
خيرهم نفسا وخيرهم بيتا
أي ذاتا وأصلا واخرج ابن
جرير في تفسير قوله تعالى
حكاية عن ابرهيم الخليل
عليه السلام واجنبني وبني
ان نعبد الاصنام * عن مجاهد
قال استجاب الله تعالى
دعوة سيدنا ابراهيم في ولده
فلم يعبد احد منهم صنما بعد
دعوته وجعل من ذريته من
يقيم الصلاة قال السيوطي
رحمه الله وهذه الاوصاف
كانت لاجداده صلى الله عليه
وسلم خاصة دون سائر ذرية

أتاك النصر من رب العالمين أنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فلما سمع خالد صوته لم يلتفت الى عبد الرحمن
ولا الى من معه دون أن فرق الاعلاج ذات اليمين وذات الشمال ولما أن سمع اللعين هربيس أصوات
المسلمين أراد الهرب فلحقه سيدنا خالد وضربه ضربة فارداه قتيلا وعجل الله بروحه الى النار واستطال
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحاب هربيس ونزلوا فيهم بالسيف حتى أبادوهم عن آخرهم
وكان أكثرهم قتلا من يد ضرار بن الازور فلما انكشف الكرب عن خالد ونظر الى مافعل ضرار قال أفلح
والله وجهك يا ابن الازور فمازلت مباركا في كل أفعالك أنجح الله اعمالك وأصلح ربي حالك ثم سلم على
عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعلى المسلمين وقال من أين علمتم مكاني هذا فقال
عبد الرحمن يا أمير بينما نحن في قتال الروم وقد نصرنا الله عليهم والمسلمون قد اشتغلوا بالغنائم اذ سمعنا
هاتفا من الهواء يقول اشتغلتم بالغنائم وخالد قد أحاطت به الروم فلما سمعنا ذلك لم ندر أي مكان أنت فيه
وفقدنا شخصك فدلنا عليك علج كان بيد رجل من أصحابك وقال ان صاحبكم أنا الذي دللته على هربيس
وانه معه في هذا الجبل فسرنا اليك فقال خالد لقد دلنا على عدونا ودل علينا المسلمين وقد وجب له الحق
علينا ورجع خالد وأصحابه الى المسلمين فلما رأوه بادروا وسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم ان خالدا رضي
الله عنه دعا بذلك العلج الذي دله على هربيس وقال له انك وفيت لنا ونريد أن نوفي لك بما وعدناك لانك
نصحت لنا فهل لك أن تكون من أصحاب دين الصلاة والصيام وملة محمد عليه السلام فتكون من أهل
الجنة فقال ما أريد بديني بدلا فاطلق خالد سبيله قال نوفل بن عمرو فرأيته قد استوى على ظهر جواده
يطلب بلاد الروم وحده ثم ان خالدا رضي الله عنه أمر بجمع الغنائم والاسارى فجمع ذلك اليه فلما رأى
كثرته حمد الله تعالى وشكره وأثنى عليه ودعا بدليله يونس النجيب ثم قال له مافعلت بزوجتك فحدثه
بحديثه معها وما كان من أمرها فعجب من ذلك فقال رافع بن عميرة أيها الامير اني أسرت ابنة الملك هرقل
وقد سلمتها اليه بدلا من زوجته فقال خالد وأين ابنة الملك هرقل فمثلت بين يديه فنظر الى حسنها وجمالها وما
منحها الله به من الجمال فصرف وجهه عنها وقال سبحانك اللهم وبحمدك تخلق ما تشاء وتختار ثم قرأ
قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ثم قال ليونس أتريدها بدلا من زوجتك قال نعم ولكني أعلم ان
الملك هرقل لا بد له أن يفديها بالاموال أو يخلصها بالقتال فقال خالد خذها لك الآن فان لم يطلبها فهي
لك وان طلبها فالله يعوضك خيرا منها فقال يونس أيها الامير انك في مكان ضيق وموضع صعب فاعزم على
الخروج قبل أن يلحقك نفير القوم فقال خالد الله لنا ومعنا وعطف راجعا يجد في مسيره والغنائم أمامه
والمسلمون في أثرها فرحين بالغنيمة والسلامة والنصر (قال روح بن عطية) فقطعنا الطريق كلها وما
عرض لنا من الروم أحد ونحن نخوض في وسط ديار القوم خوضا فلما وصلنا مرج الصغير عند قنطرة أم
حكيم نظرنا الى غبرة من ورائنا فلما عايناها أنكرنا ذلك فأسرع رجال من المسلمين الى خالد يخبرونه
بالغبرة قال أيكم يأتيني بخبرها فبادر بالاجابة رجل من غفار يقال له صعصعة بن يزيد الغفاري قال أنا
أيها الامير ثم نزل عن جواده وكان بجريته يسبق الفرس الجواد لقوة عزمه فورد الغبرة واختبرها ورجع
على عقبه وهو ينادي أيها الامير أدركتنا الصلبان من ورائنا وهم مصفدون في الحديد لم يبن منهم غير
حماليق الحدق فدعا خالد بيونس الدليل عندما قاربته الخيل وقال يا يونس اقصد نحو الخيل وانظر
ما يريدون فقال السمع والطاعة ثم دنا من الخيل وقاربهم ثم رجع الى خالد وقال له ألم أقل لك أيها الامير ان
هرقل لا يغفل عن طلب ابنته وقد أنفذ هذه الخيل يريدون أن يأخذوا الغنيمة من أيدي المسلمين فلما
لحقوك ههنا قريبا من دمشق بعثوا رسولا يسألك في الجارية اما بيعها واما هدية فبينما خالد يتحدث
اذ أقبل اليه شيخ عليه لبس المسوح فأقبل حتى دنا من المسلمين فأوقفوه امام خالد وقال له قل ما تشاء
فقال الشيخ أنا رسول الملك هرقل وانه يقول لك بلغني ما فعلت برجالي وقتلت توما زوج ابنتي وهتكت
حرمتي وقد ظفرت وسلمت فلا تفرط عن معك والآن اما ان تبيع ابنتي أو تهديها الى فالكرم شيمتكم

ابراهيم عليه السلام وكل
ماذكر من ذرية سيدنا
ابراهيم من المحاسن فان
أولى الناس به سلسلة
الاجداد الشريفة الذين
خصوا بالاصطفاء وانتقل
اليهم نور النبوة واحدا بعد
واحد ولم يدخل ولداه هق
عليه السلام وبقية ذرية
ابراهيم لانه دعا لاهل هذا
البلد الاتراه قال اجعل
هذا البلد آمنا وعقبه بقوله
واجنبني وبني أن نعبد
الاصنام فلم تزل ناس من
ذرية ابراهيم عليه السلام
على الفطرة يعبدون الله
تبارك وتعالى ويدل له قوله
تعالى وجعلها كلمة باقية في
عقبه فان الكلمة الباقية
هي التوحيد وعقب ابراهيم

وطبعكم ولا يرحم من لا يرحم وانى أرجو أن يقع بيننا الصلح فلما سمع خالد ذلك قال للشيخ قل لصاحبك والله لا رجعت عنه وعن أهل ملته وأملك سريره وما تحت قدميه كما فى علمك وأما ابقاؤك علينا فلو وجدت الى ذلك من سبيل ما قصرت وأما ابنتك فهى لك هدية منا ثم ان خالدا أطلق ابنة الملك هرقل وسلمها للشيخ ولم يأخذ فى فدائها شيأ فلما بلغ ذلك الرسول الى الملك هرقل قال لعظماء الروم هذا الذى أشرت عليكم فلم تقبلوه وأردتم قتلى وسيكون الامر أعظم ولكن ليس هذا منكم بل هو من رب السماء (قال الواقدى) فبكت الروم بكاء شديدا وسار خالد حتى أتى دمشق وكان المسلمون وأبو عبيدة قد أيسوا من خالد ومن معه فهم فى أعظم القلق والاياس اذ قدم عليهم خالد رضى الله عنه والمسلمون فخرجوا الى لقائه وهنؤه بالسلامة وسلم المسلمون بعضهم على بعض ووجد خالد فى دمشق عمرو بن معد يكرب الزبيدى ومالك بن الاشتر النخعى ومن كان معهما وأقبل خالد الى جانب أبى عبيدة وهو يحدثه بما لاقى فى غزوته وأبو عبيدة يتعجب من شجاعته وجسارته فلما استقر بخالد مكانه أخرج الخمس من الغنائم وفرق الباقى على المسلمين ثم ان خالدا أعطى من ماله ليونس وقال خذ هذا المال فتزوج به أو اشتر به جارية لك من بنات الروم قال يونس والله لا أتزوج فى هذه الدار الدنيا زوجة أبدا وما أريد الا أن أتزوج فى الآخرة بعينها من الحور العين قال رافع بن عميرة الطائى فشهد معنا القتال الى يوم اليرموك فما كنت أراه فى حرب الا ويجاهد جهادا عظيما وقد أبلى فى الروم بلاء حسنا فأتاه سهم فى لبته فخر ميتا رحمه الله تعالى قال رافع فحزنت عليه وأكثرت من الترحم عليه فرأيته فى النوم وعليه حلل تلمع وفى رجليه نعلان من ذهب وهو يجول فى روضة خضراء فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لى وأعطانى بدلا من زوجتى سبعين حوراء لو بدت واحدة منهن فى الدنيا لكف ضوء وجهها نور الشمس والقمر فجزاكم الله خيرا فقصصت الرؤيا على خالد فقال ليس والله سوى الشهادة طوبى لمن رزقها (قال الواقدى) ولقد بلغنى ان خالدا رضى الله عنه لما رجع من غزوته ومسيرته فاغتاظ ان الخليفة أبا بكر الصديق رضى الله عنه حى لم يقبض فهم ان يكتب له كتابا بالفتح والبشارة وما غنم من الروم وأبو عبيدة لا يخبره بذلك ولا يعلمه ان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فدعا خالد بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من عامله على الشام خالد بن الوليد أما بعد سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انا لم نزل فى مكابدة العدو على حرب دمشق حتى أنزل الله علينا نصره وقهر عدوه وفتحت دمشق عنوة بالسيف من باب شرقى وكان ابو عبيدة على باب الجابية فخدعته الروم فصالحوه على الباب الآخر ومنعنى ان أسبي وأقتل ولقيناه على كنيسة يقال لها كنيسة مريم وامامه القسوس والرهبان ومعهم كتاب الصلح وان صهر الملك توما وآخر يقال له هربيس خرجا من المدينة بمال عظيم واحمال جسيمة فسرت خلفهما فى عساكر الزحف وانتزعت الغنيمة من أيديهما وقتلت الملعونين وأسرت ابنة الملك هرقل ثم أهديتها اليه ورجعت سالما وأنا منتظر أمرك والسلام عليك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وطوى الكتاب وختمه بخاتمه ودعا برجل من العرب يقال له عبد الله بن قرط فدفع اليه الكتاب وسار الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوردها والخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقرأ عنوان الكتاب واذا هو من خالد الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر أما عرف المسلمون وفاة أبى بكر رضى الله عنه فقال لا يا امير المؤمنين فقال قد وجهت بذلك كتابا الى ابى عبيدة وأمرته على المسلمين وعزلت خالدا وما أظن ان أبا عبيدة يريد الخلافة لنفسه فسكت وقرأ الكتاب * قال أصحاب السير فى حديثهم ممن تقدم ذكرهم واسنادهم فى اول الكتاب ممن روى فتوح الشام ونقلوها عن الثقات منهم محمد بن اسحق وسيف بن عمرو وابو عبد الله محمد بن عمر الواقدى رضى الله تعالى عنهم كل حدث بما رواه وسمعه ثقة عن ثقة قالوا جميعا فى اخبارهم انه لما قبض أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وولى الامر بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله من العمر اثنتان وخمسون سنة فبايعه الناس فى

عليه السلام هم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونسله وآباؤه الكرام فأبواه ناجيان منعمان فى أعلى درجات الجنان لانهما ماتا فى زمن الفترة وأهل الفترة ناجون وان غيروا وبدلوا وعبدوا الاصنام على الراجح الا من أخبر صلى الله عليه وسلم بعدم نجاتهم كامرئ القيس وأضرابه وقد حفظ الله تعالى نسبه الشريف من سفاح الجاهلية * قال محمد ابن السائب كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة جد فما وجدت فيهم سفاحا ولا شيأ مما كان فى امر الجاهلية فان بعض اهل الجاهلية كان اذا أراد النكاح يقول الزوج خطب

مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة تامة ولم يتخلف عن مبايعته أحد لا صغير ولا كبير وانقطع في
امارته الشقاق والنفاق وانحسم الباطل وقام الحق وقوي السلطان في امارته وضعف كيد الشيطان
وظهر أمر الله وهم كارهون ومن أمره ان يجلس مع الفقير ويتلطف بالناس والمسلمين ويرحم الصغير
ويوقر الكبير ويعطف على اليتيم وينصف المظلوم من الظالم حتى يرد الحق الى أهله ولا تأخذه في الله
لومة لائم وكان في امارته يدور في أسواق المدينة وعليه مرقعة وبيده درته وكانت درته أهيب من سيف
الملوك وسيوفهم هذه وكان قوته في كل يوم خبز الشعير وأدمه الملح الجريش وربما أكل خبزه بغير ملح
تزهدا واحتياطا وترفقا على المسلمين ورأفة ورحمة لا يريد بذلك الا الثواب من الله سبحانه وتعالى ولا يشغله
شاغل عن أداء الفريضة وما أوجب الله عليه من حقوقه وسنة نبيه محمد عليه السلام قالت عائشة رضي
الله عنها ولقد تولى والله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الخلافة فجد في التشمر وترك عن نفسه التكبر
ولقد كان أجرته خبز الشعير والملح وأراد أكل الزيت واليابس من التمر وربما أخذ شيئا من السمن ويقول
أكلت الزيت وخبز الشعير والملح والجوع أهون غدا من نار جهنم من حل بها لم يمت ولم يجد فيها راحة أبدا
قرارها بعيد وعذابها شديد وشرابها الصديد لا يؤذن لهم فيعتذرون جند الجنود في امارته وبعث العساكر
وفتح الفتوحات ومصر الامصار وكان يخاف عذاب النار رضي الله تعالى عنه (قال الواقدي) رحمه الله
تعالى ولقد بلغني أن هرقل لما بلغه ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قد ولي الامر من بعد أبي بكر
الصديق رضي الله تعالى عنه جمع الملوك والبطارقة وأرباب دولته وقام فيهم خطيبا على منبر قد نصب له
في كنيسة القسيسين وقال يابني الاصفر هذا الذي كنت أحذركم منه فلم تسمعوا مني وقد اشتد الامر عليكم
بولاية هذا الرجل الاسمر وقد دنا ما بعد لولاية صاحب الفتوح المشبه بنوح والله ثم والله لابد أن يملك ما
تحت سريري هذا فالحذر ثم الحذر قبل وقوع الامر ونزول الضرر وهدم القصور وقتل القسوس وتبطيل
الناقوس هذا صاحب الحرب والجالب على الروم والفرس الكرب هذا الزاهد في دنياه وهذا الغليظ على
من اتبع في غير ملته هواه واني أرجو لكم النصر ان أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وتركتم الظلم
واتبعتم المسيح في أداء المفروضات ولزوم الطاعات وترك الزنا وأنواع الخطا وان أبيتم الا الفساد والفسوق
والعصيان والركون الى شهوات الدنيا يسلط الله عليكم عدوكم ويبلوكم بما لا طاقة لكم به ولقد أعلم أن
دين هؤلاء سيظهر على كل دين لا تزال أهله بخير ما لم يغيروا ويبدلوا فاما ان ترجعوا اليه واما ان تصالحوا
القوم على أداء الجزية فلما سمع القوم ذلك نفروا وبادروا اليه وهموا بقتله فسكن غضبهم بلين كلامه
ولاطفهم وقال لهم انما أردت ان أرى حميتكم لدينكم وهل تمكن خوف العرب في قلوبكم أم لا ثم استدعى
برجل من المتنصرة يقال له طلعة بن ماران وضمن له مالا وقال له انطلق من وقتك هذا الى يثرب وانظر كيف
تقتل عمر بن الخطاب فقال له طليعة نعم أيها الملك ثم تجهز وسار حتى ورد مدينة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكمن حولها واذا بعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج يشرف على أموال اليتامى ويتفقد
حدائقهم فصعد المتنصر الى شجرة ملتفة الاغصان فاستتر بأوراقها واذا بعمر رضي الله تعالى عنه وقد
أقبل الى ان قرب من الشجرة التي عليها المتنصر ونام على ظهره وتوسد بحجر فلما نام هم المتنصر أن ينزل
اليه ليقتله واذا بسبع قد أقبل من البرية فطاف حوله وأقبل يلحس قدميه واذا بهاتف يقول يا عمر
عدلت فأمنت فلما استيقظ عمر رضي الله عنه ذهب السبع ونزل المتنصر وترامى على عمر رضي الله
تعالى عنه فقبل يديه وقال بأبي أنت وأمي أفدي من الكائنات من السباع تحرسه والملائكة تصفه والجن
تعرفه ثم أعلمه بما كان منه وأسلم على يديه * (قال الواقدي رحمه الله تعالى) * ثم ان عمر رضي الله تعالى عنه
كتب كتابا لابي عبيدة بن الجراح يقول فيه قد وليتك على الشام وجعلتك أميرا على المسلمين وعزلت خالد بن
الوليد والسلام ثم سلم الكتاب الى عبد الله بن قرط وأقام قلقا على ما يرد عليه من أمور المسلمين وصرف
همته الى الشام * (قال الواقدي) * حدثني رافع بن عميرة الطائي قال حدثني يونس بن عبد الاعلى وقد قرأت

ويقول ولي نكاح المرأة نكح
وهذا عندهم عبارة عن
العقد وأما نكاح عبد الله
آمنة فكان عقدا موافقا
لما عليه شريعة الاسلام
مشتملا على تلك الشروط
المعتبرة وان لم تكن بشرع
بل بتوفيق من الله تعالى
وكذا في بقية أجداده عليه
الصلاة والسلام ولما قرب
وجوده صلى الله عليه وسلم
رأى عبد المطلب وهو نائم في
الحجر مناما هائلا فانتبه فزعا
مرعوبا وأتى كهنة قريش
وقص عليهم رؤياه فقالت
له الكهنة ان صدقت رؤياك
ليخرجن من ظهرك من
يسود أهل السماء والارض
فتزوج فاطمة بنت عمرو بن
عائذ من نسل النضر وأمها

كانت الليلة التى مات عليه بجامع الكوفة قال حدثنى عبد الله بن سالم الثقفى عن أشياخه الثقات قال لما كانت الليلة التى مات فيها أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه رأى عبد الرحمن بن عوف الزهرى رضى الله تعالى عنه رؤيا قصها على عمر رضى الله تعالى عنه وكانت تلك الليلة بعينها قال رأيت دمشق والمسلمون حولها وكأنى اسمع تكبيرهم فى اذنى وعند تكبيرهم وزحفهم رأيت حصنا قد ساخ فى الارض حتى لم أر منه شيأ ورأيت خالدا وقد دخلها بالسيف وكأن نارا أمامه وكأنه وقع على النار فانطفأت فقال الامام على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنهم اجمعين أبشر فقد فتح الشام هذه الليلة أو قال يومك هذا ان شاء الله تعالى فبعد أيام قدم عقبة بن عامر الجهنى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتاب الفتح فلما رآه قال يا ابن عامر كم عهدك قال قلت يوم الجمعة قال ما معك من الخبر فقلت خير وبشارة وانى سأذكرها بين يدى الصديق رضى الله تعالى عنه فقال قبض والله حميدا وسار الى رب كريم وقلدها عمر الضعيف فى جسمه فان عدل فيها نجا وان ترك أو خلط هلك قال عقبة بن عامر فبكيت وترحمت على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه واخرجت الكتاب فدفعته اليه فلما قرأه نظر فيه وكتم الامر الى وقت صلاة الجمعة فلما خطب وصلى رقى المنبر واجتمع المسلمون اليه وقرأ عليهم كتاب الفتح فضج المسلمون بالتهليل والتكبير وفرحوا ثم نزل عن المنبر وكتب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه بتوليته وعزل خالد ثم سلمنى الكتاب وأمرنى بالرجوع قال فرجعت الى دمشق فوجدت خالدا قد سار خلف توما وهربيس فدفعت الكتاب الى أبى عبيدة فقرأه سرا ولم يخبر احدا بموت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ثم كتم أمره وكتم عزل خالد وتوليته على المسلمين حتى ورد خالد من السرية فكتب الكتاب بفتح دمشق ونصرهم على عدوهم وبما ملكوا من مرج الديباج واطلاق بنت الملك هرقل وسلم الكتاب الى عبد الله بن قرط فلما ورد به على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقرأ عنوان الكتاب من خالد بن الوليد الى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنكر الامر ورجعت حمرته الى البياض وقال يا ابن قرط اما علم الناس بموت أبى بكر رضى الله عنه وتوليتى أبا عبيدة بن الجراح قال عبد الله بن قرط قلت لا فغضب وجمع الناس اليه وقام على المنبر ثم قال يا معاشر الناس انى أمرت أبا عبيدة الرجل الامين وقد رأيته لذلك اهلا وقد عزلت خالدا عن امارته فقال رجل من بنى مخزوم أتعزل رجلا قد اشهر الله بيده سيفا قاطعا ونصر به دينه وان الله لا يعذرك فى ذلك ولا المسلمين ان أنت اغمدت سيفا وعزلت أميرا أمره الله لقد قطعت الرحم ثم سكت الرجل فنظر عمر رضى الله تعالى عنه الى الرجل المخزومى فرآه غلاما حدث السن فقال شاب حدث السن غضب لابن عمه ثم نزل عن المنبر وأخذ الكتاب وجعله تحت رأسه وجعل يؤامر نفسه فى عزل خالد فلما كان من الغد صلى صلاة الفجر وقام فرقى المنبر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فصلى عليه وترحم على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ثم قال أيها الناس انى حملت أمانة عظيمة وانى راع وكل راع مسؤل عن رعيته وقد جئت لاصلاحكم والنظر فى معايشكم وما يقربكم الى ربكم أنتم ومن حضر فى هذا البلد فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صبر على أذاها وشرها كنت له شفيعا يوم القيامة وبلادكم بلاد لا زرع فيها ولا ضرع ولا ماء أوقربه الابل الا من مسيرة شهر وقد وعدنا الله مغانم كثيرة وانى أريدها للخاصة والعامة لاؤدى الامانة والتوقير للمسلمين واست أنى كرهت ولاية خالد على المسلمين الالان خالدا فيه تبذير المال يعطى الشاعر اذا مدحه ويعطى للمجهد والفارس بين يديه فوق ما يستحقه من حقه ولا يبقى لفقراء المسلمين ولا لضعفائهم شيأ وانى أريد عزله وولاية أبى عبيدة مكانه والله يعلم أنى ما وليته الا أمينا فلا يقول قائلكم عزل الرجل الشديد وولى الامين اللين للمسلمين فان الله معه يسدده ويعينه ثم نزل عن المنبر وأخذ جلد أدم منشور وكتب الى أبى عبيدة كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أبى عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبعد فقد وليتك أمور المسلمين فلا تستحى فان الله لا يستحى من الحق

صخرة بنت عبد الله بن عمران من نسل النضر أيضا فحملت بعبد الله الذبيح وقصته فى الذبح مشهورة وسبب تسميته بذلك ان عمرو الجرهمى لما أحدث قومه بحرم الله الحوادث وقيض الله تعالى لهم من أخرجهم من مكة عمد عمرو الى زمزم فطمها وهرب الى اليمن ومضت مدة طويلة وزمزم مطمومة مجهولة الى أن رأى عبد المطلب رؤيا تشير له بحفرها فأراد ذلك فمنعته قريش وآذاه سفهاؤهم حسدا ولم يكن له ولد سوى الحرث فنذر لله تعالى لئن ولد له عشر بنين ليذبحن أحدهم ويستعين بباقيهم على حفر زمزم فتكامل

يقول اسير الى بيت المقدس بالجيش فانها اشرف بلادهم وكرسي مملكة الروم بها قيام دينهم ووقتا يقول
أسير الى انطاكية وأقصد هرقل وافرغ منه وبينهما يفكر في أمره وقد جمع المسلمين اذا أقبل ذلك
المعاهد وكان من نصارى الشام فقال ايها الامير انك قد احسنت الي وامنتني ووهبتني أهلي ومالي وولدي
وقد اتيتك ببشارة وغنيمة تغنمها المسلمون ساقها الله اليهم فان ظفرهم الله بها استغنوا واغنى لا فقر بعده
فقال أبو عبيدة أخبرنا ماهذه الغنيمة وأين تكون فما علمتك الا ناصحا فقال أيها الامير انها بازائك على دير
الساحل وهو حصن يعرف بأبي القدس وبازائه دير فيه راهب تعظمه النصرانية ويتبركون بدعائه
ويقتبسون من علمه وله في كل سنة عيد يجتمعون اليه من كل النواحي والقرى والامصار والضياع
والاديرة ويقوم عنده سوق عظيم يظهرون فيه فاخر ثيابهم من الديباج والذهب والفضة يقيمون عنده
ثلاثة أيام أو سبعة وقد قرب وقت قيام السوق فتأخذون جميع مافيه وتقتلون الرجال وتسبون النساء
والذراري وهذه غنيمة يفرح بها المسلمون ويوهن لها عدوكم (قال الواقدي) فلما سمع أبو عبيدة ماقاله
المعاهد فرح رجاء أن يكون ماقاله المعاهد غنيمة للمسلمين فقال للمعاهد كم بيننا وبين هذا الدير قال عشرة
فراسخ للجد السائر قال أبو عبيدة وكم بقي الى قيام السوق قال أيام قلائل قال أبو عبيدة فهل يكون لهم
حامية بلى أمرهم ويصد عنهم قال المعاهد لسنا نعرف ماذكرت في بلاد الملك لانه لا يصيب بعضنا بعضا
لهيبة هرقل في قلوبهم فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال هل بالقرب منه شيء من مدائن الشام قال نعم بالقرب
من السوق مدينة تسمى طرابلس وهي مينا الشام اليها تقدم المراكب من كل مكان وفيها بطريق عظيم
كثير التجبر وقد اقطعه الملك اياها من تجبره وهو يحضر السوق وما كنت أعهدان لهذا السوق حامية من
الروم الا ان يكون الآن لخوفهم منكم ولو سار الى الدير والسوق ادنى المسلمين لرجوت لهم الفتح ان شاء
الله تعالى فقال أبو عبيدة أيها الناس أيكم يهب نفسه لله تعالى وينطلق مع جيش أبعثه فتحا للمسلمين
فسكت الناس ولم يتكلم أحد فنادى أبو عبيدة ثانية واغاير يد خالدا بقوله واستحى ان يواجهه في ذلك
لاجل عزله فقام من وسط الناس غلام شاب نبت شعر عارضيه واخضر شاربه وكان ذلك الشاب عبد الله
ابن جعفر رضي الله تعالى عنه وكانت أمه أسماء بنت عميس الخثعمية وكان أبوه جعفر رضي الله تعالى
عنه قد مات في غزوة تبوك وخلف ولده عبد الله صغيرا فتزوجها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فلما
كبر وترعرع كان يقول لامه يا أماه مافعل أبي فتقول ياولدي قتله الروم وكان يقول لئن عشت لآخذن
بثاره فلما مات أبو بكر وتولى عمر رضي الله تعالى عنهما جاء عبد الله الى الشام في بعث بعثه عمر مع عبد الله
ابن انيس الجهني وكان فيه مشابهة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلقه وخلقه وهو أحد أصحاب
الاستحياء فلما قال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه أيها الناس من ينطلق الى هذا الدير وثب عبد الله بن
جعفر الطيار رضي الله تعالى عنهما فقال انا أول من يسير مع هذا البعث يا امين الامة ففرح أبو عبيدة
وجعل ينتدب له رجالا من المسلمين وفرسان الموحدين وقال له انت الامير عليهم يا ابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعقد له راية سوداء وسلمها اليه وكان على الخيل خمسمائة فارس منهم رجال من أهل بدر وكان
من جملة من سيره مع عبد الله أبو ذر الغفاري وعبد الله بن أبي أوفى وعامر بن ربيعة وعبد الله بن انيس
وعبد الله بن ثعلبة وعقبة بن عبد الله السلمي وواثلة بن الاسقع وسهل بن سعد وعبد الله بن بشر والثاقب بن
يزيد ومثل هؤلاء السادات رضي الله تعالى عنهم أجمعين (قال الواقدي) ولما ان اجتمعت الخمسمائة فارس
تحت راية عبد الله بن جعفر ومامنهم الامن شهد الوقائع وخاض المعامع لا يولون الادبار ولا يركنون الى
الفرار عولوا على المسير وقال أبو عبيدة لعبد الله بن جعفر يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقدم
على القوم الا في اول قيام السوق ثم انه ودعهم وساروا (قال الواقدي) وكان في هذه السرية مع عبد
الله بن جعفر واثلة بن الأسقع وكان خروجهم من ارض الشام وهي دمشق الى دير أبي القدس في ليلة
النصف من شعبان وكان القمر زائد النور قال وأنا الى جانب عبد الله بن جعفر فقال لي يا ابن الاسقع

فاغتم غما شديدا ثم جمع
أولاده واخبرهم بنذره
ودعاهم الى الوفاء فقالوا
جميعا انا لك طائعون
فمن تذبح منا فاذبح فقال
ليأخذ كل منكم قدحا
بكسر القاف أي سهما
ثم ليكتب فيه اسمه ففعلوا
وأخذوا أقداحهم ودخل
جوف الكعبة ودفعها
الى القيم كما كانوا يصنعون
وقام عبد المطلب يدعو
الله تعالى فخرج على
عبد الله وكان أحبهم اليه
فقبض عليه وأخذ الشفرة
واقبل على ذبحه فمنعه سادة
قريش وقالوا لاندعك
تذبحه حتى تعتذر الى ربك
ولئن فعلت هذا لم يزل
الرجل يأتي بابنه فيذبحه

وانى أوصيك بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ماسواه والذى استخرجك من الكفر الى الايمان ومن الضلال الى الهدى وقد استعملتك على جند ماهنا لك ثم خالد فاقبض جنده واعزله عن امارته ولا تنفذ المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ولا تنفذ سرية الى جمع كثير ولا تقل انى أرجو لكم النصر فان النصر انما يكون مع اليقين والثقة بالله واياك والتغرير بالقاء المسلمين الى الهلكة وغض عن الدنيا عينيك واله عنها قلبك واياك أن تهلك كما هلك من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم وخبرت سرائرهم وانما بينك وبين الآخرة ستر الخمار وقد تقدم فيها اسلافك وانت كانك منتظر سفر او رحيلا من دار قد مضت نضرتها وذهبت زهرتها فاحزم الناس فيها الراحل منها الى غيرها ويكون زاده التقوى وراع المسلمين ما استطعت واما الحنطة والشعير الذى وجدت بدمشق وكثرت فى ذلك مشاجرتكم فهو للمسلمين وأما الذهب والفضة ففيهما الخمس والسهام وأما اختصامك أنت وخالد فى الصلح او القتال فانت الولى وصاحب الامر وان صلحك جرى على الحقيقة انه للروم فسلم اليهم ذلك والسلام ورحمة الله وبركاته عليك وعلى جميع المسلمين وأما هدية ابنة الملك هرقل فهديتها الى أبيها بعد أسرها تفريط وقد كان يأخذ فى فديتها مالا كثيرا يرجع به على الضعفاء من المسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وختمه بخاتمه ثم دعى بعامر ابن ابى وقاص أخى سعد ودفع الكتاب اليه وقال له انطلق الى دمشق وسلم كتابى هذا الى أبى عبيدة وأمره أن يجمع الناس اليه واقرأه أنت على الناس ياعامر واخبره بموت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ثم دعا عمر رضى الله تعالى عنه بشداد بن أوس فصافحه وقال له امض أنت وعامر الى الشام فاذا قرأ أبو عبيدة الكتاب فأمر الناس يبايعونك لتكون بيعتك بيعتى (قال الواقدى) فانطلقا يجدان فى السير الى ان وصلا الى دمشق والناس مقيمون بها ينتظرون ما يأتيهم من خبر أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وما يأمرهم به فأشرف صاحبا عمر رضى الله تعالى عنه على المسلمين وقد طالت أعناقهم اليهما وفرحوا بقدومهما فأقبلا حتى نزلا فى خيمة خالد رضى الله عنه وقال له عامر بن أبى وقاص تركته يعنى عمر يخبر ومعى كتاب وانه أمرنى أن أقرأه على الناس بالاجتماع فاستنكر خالد ذلك واستراب الامر وجمع المسلمين اليه فقام عامر بن أبى وقاص فقرأ الكتاب فلما انتهى الى وفاة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ارتفع للناس ضجة عظيمة بالبكاء والنحيب وبكى خالد رضى الله تعالى عنه وقال ان كان أبو بكر قد قبض وقد استخلف عمر فالسمع والطاعة لعمر وما به أمر وقرأ عامر الكتاب الى آخره فلما سمع الناس ما فيه من أمر المبايعة لشداد بن أوس بايعوه وكانت المبايعة بدمشق لثلاث خلت من شهر شعبان سنة ثلاث عشرة من الهجرة (قال الواقدى) رحمه الله تعالى قد بلغنى أنه كان على العدو بعد عزله أشد نكاية وأصعب جهاد الاسيما فى حصن أبى القدس

ذكر حديث وقعة أبى القدس

(قال الواقدى) رحمه الله تعالى سألت من حدث بهذا الحديث عن حصن أبى القدس قال ما بين عرقا وطرابلس مرج يقال له مرج السلسلة وكان بازائه دير فيه صوامع وفى صومعة راهب عالم بدين النصرانية وقد قرأ الكتب السالفة وأخبار الامم الماضية المتقدمة وكانت تقصده الروم وتقتبس من علمه وله من العمر ما ينوف عن مائة سنة وكان فى كل سنة يقوم عند ديره عيدا آخر صيام الروم وهو عيد الشعانين فتجتمع الروم والنصارى وغيرهم من جميع النواحى والسواحل ومن قبط مصر ويحدقون به فيطلع عليهم من ذروته فيعلمهم ويوصيهم بوصايا الانجيل وكان يقوم فى ذلك العيد سوق عظيم من السنة الى السنة وكان يحمل له الامتعة والذهب والفضة ويبيعون ويشترون ثلاثة أيام وما كان المسلمون يعلمون بذلك ولا يعرفونه حتى دلهم عليه رجل نصرانى من المعاهدين وقد اصطفاه وأمنه وأهله فلما ولى أبو عبيدة أمر المسلمين أراد ذلك المعاهد أن يتقرب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فعسى أن يكون فتح الدير والسوق على يديه فاقبل اليه وأبو عبيدة قد أطال الفكر فيما يصنع وأى بلد من بلاد الروم يقصد فرة

له عشر بنين وهم الحرث والزبير وحجر وضرار والمقدم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله ولما قرت عينه بهم نام ليلة عند الكعبة فرأى فى منامه قائلا يقول ياعبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى ان قرب ماهو أكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى أن قرب ماهو أكبر من ذلك فانتبه من نومه وقرب جملا ثم نام فرأى أن قرب ماهو أكبر من ذلك فقال وما أكبر من ذلك قال قرب أحد أولادك الذى نذرته

ما أحسن قمر هذه الليلة وأنوره فقلت يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه ليلة النصف من شعبان وهي ليلة مباركة عظيمة وفي هذه تكتب الارزاق والآجال وتغفر فيها الذنوب والسيئات وكنت أردت ان أقومها فقلت ان سيرنا في سبيل الله خير من قيامها والله جزيل العطاء فقال صدقت ثم اننا سرنا ليلتنا فبينما نحن سائرون اذ أشرفنا على صومعة راهب وعليه برنس اسود فجعل يتأملنا وينظر في وجوهنا فتفقدنا واحدا بعد واحد ثم جعل يطيل النظر في وجه عبد الله ثم قال أهذا الفتى ابن نبيكم فقلنا لا قال ان نور النبوة يلوح بين عينيه فهل يلحق به فقلنا هو ابن عمه فقال الراهب هو من الورقة والورقة من الشجرة فقال عبد الله أيها الراهب وهل تعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وكيف لا أعرفه واسمه وصفته في التوراة والانجيل والزبور وانه صاحب الجمل الاحمر والسيف المشهر فقال عبد الله فلم لا تؤمن به وتصدقه فرفع يده الى السماء وقال حتى يشاء صاحب هذه الخضراء فأعجبنا كلامه وسرنا والدليل بين أيدينا اذ أتى بنا الى واد كثير الشجر والماء أمرنا أن نكمن فيه ثم قال لعبد الله بن جعفر اني ذاهب أتجسس لكم الخبر فقال له عبد الله أسرع في مسيرك وعد الينا بالخبر قال فانطلق مسرعا وأقام عبد الله بن جعفر يحرس المسلمين بنفسه الى الصباح قال فلما أصبحنا صلينا صلاة الصبح وجلسنا ننتظر رجوع الرسول فلم يأت وأبطأ خبره علينا فقلق المسلمون عليه لاحتباسه وخافوا من المكيدة ووسوس لهم الشيطان وساءت بالدليل الظنون فما من المسلمين الا من ظن بالمعاهد شرا الا أبو ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه فانه قال ظنوا بصاحبكم خيرا ولا تخافوا منه كيدا ولا مكرا ان له شأنا تعلمونه قال فسكت الناس بعد ذلك واذا بصاحبهم قد أقبل قال واثلة بن الاسقع فلما رأيناه فرحنا به وظننا أنه يأمرنا بالنهوض الى العدو فأقبل حتى وقف وسط المسلمين وقال يا أصحاب محمد وحق المسيح بن مريم اني لا أكذبكم فيما أحدثكم به واني رجوت لكم الغنيمة وقد حال بينكم وبينها ماء فقال له عبد الله رضي الله تعالى عنه وكيف حيل بيننا وبينها قال حال بينكم وبينها بحر عجاج وذلك اني أشرفت على السوق وقد قام فيه البيع والشراء فاجتمع فيه أهل دين النصرانية وقد دار أكثرهم بالدير دير أبي القدس واجتمع اليه القساوسة والرهبان والملوك والبطارقة فلما نظرت الى ذلك لم أرجع حتى اختبرت ما السبب الذي تجمعت له الخلق زيادة على كل سنة وذلك اني مضيت واختلطت بالقوم واذا بصاحب طرابلس قد زوج ابنته ملكا من ملوك الروم وقد أتوا بالجارية الى الدير ليأخذوا الهامن راهبهم قربانا وقد دار بها فرسان الروم المتنصرة في عددهم وعديدهم كل ذلك خوفا منكم لانهم يعلمون أنكم بأرض الشام يا معاشر المسلمين وما أرى لكم صوابا أن تصلوا الى القوم لانهم خلق كثير وجم غفير وجمع غزير فقال عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه في كم يكون القوم وكم حزرتهم فقال أما السوق ففيه أكثر من عشرين ألفا من عوام الروم والأرمن والنصارى والقبط واليهود ومن مصر والشام وأهل السواد والبطارقة والمتنصرة وأما المستعدون للحرب خمسة آلاف فارس فما لكم بالقوم طاقة وان وقع الصائح في بلادهم انضاف اليهم أمثالهم فان بلادهم متصلة بهم وأما أنتم فعددكم يسير والعرب منكم بعيد (قال الواقدي) فصعب ذلك على عبد الله بن جعفر وعلى المسلمين وسقط في أيديهم وهموا بالرجوع فقال عبد الله بن جعفر معاشر المسلمين ما الذي تقولون في هذا الامر فقالوا نرى أن لا نلقي بأيدينا الى التهلكة كما أمرنا ربنا في كتابه العزيز ونرجع الى الامير أبي عبيدة رضي الله عنه والله لا يضيع أجرنا قال فلما سمع عبد الله قولهم قال أما أنا فأخاف أن فعلت ذلك أن يكتبني الله من الفارين وما أرجع أو أبدي عذرا عند الله تعالى فمن ساعدني فقد وقع أجره على الله ومن رجع فلا عتب عليه فلما سمعوا ذلك من عبد الله بن جعفر أميرهم وبذل مهجته استحيوا منه وأجابوه بأجمعهم وقالوا افعل ما تريد فما ينفع حذر من قدر ففرح باجابتهم ثم عمد الى درعه فافرغه عليه ووضع على رأسه بيضة وشد وسطه بمنطقة وتقلد بسيف أبيه واستوى على متن جواده وأخذ الراية بيده وأمر الناس بأخذ الاهبة فلبسوا دروعهم واشتملوا بسلاحهم وركبوا خيولهم وقالوا

ويكون سنة ولكن انطلق الى قطيعة أو سجاح الكاهنة فلعلها تأمرك بأمر فيه فرج فانطلقوا حتى أتوا خيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت كم الدية فيكم قالوا مائة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا معه عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل ثم اضربوا بينها حتى يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فاذبحوها فقد رضي ربكم وفدي صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل

للدليل سر بنا نحو القوم فستعاين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا قال واثلة بن الاسقع
فرأيت الدليل قد اصفر وجهه وتغير لونه وقال سيروا انتم برأيكم ومالى من أمركم وخرج قال أبوذر
الغفارى فرأيت عبد الله بن جعفر يتلطف به حتى سار بين يديه بدله على القوم ساعة ثم وقف وقال
امسكوا عليكم فانكم قد قربتم من القوم فكونوا فى مواضعكم كامنين الى وقت السحر ثم أغيروا على
القوم قال واثلة بن الاسقع فبتنا ليلتنا حيث أمرنا ونحن نطلب النصر من الله تعالى على الاعداء فلما
أصبح النهار صلى بهم عبد الله بن جعفر صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم قال ماترون فى الغارة فقال عامر
ابن عميرة بن ربيعة أدلكم على أمر تصنعونه قالوا قل قال اتركوا القوم فى بيعهم وشرائهم واظهار
امتعتهم ثم اكبسوا عليهم على حين غفلة وغرة من أمرهم فصوب الناس رأيه وصبروا الى وقت قيام السوق
ثم اظهروا السيوف من اغمادها واوتروا القسى وشرعوا الاماتهم وعبد الله بن جعفر أمامهم والراية بيده
فلما طلعت الشمس عمد عبد الله الى المسلمين فجعلهم خمسة كراديس كل كردوس مائة فارس وجعل على
كل مائة نقيبا وقال تاخذ كل مائة منكم قطرا من اقطار سوقهم ولا تشتغلوا بنهب ولا غارة ولكن ضعوا
السيوف فى المفارق والعوتق وتقدم عبد الله بن جعفر بالراية وطلع على القوم فنظر الى الروم متفرقين
فى الارض كانهم النمل لكثرتهم وقد احدق منهم بدير الراهب خلق كثير والراهب قد اخرج رأسه من
الدير وهو يعظ الناس ويوصيهم ويعلمهم معالم ملتهم وهم اليه شخوص بابصارهم وابنة البطريق عنده فى
الدير والبطارقة وابناؤهم عليهم الديباج المثقل بالذهب ومن فوقهم دروع وجواشن تلمع وبيض وهم
ينظرون صيحة بين أيديهم اوطارقا يطرقهم من خلفهم ونظر عبد الله الى الدير والى ما احدق به والى
الراهب وما حول صومعته فهاله ذلك من أمرهم وصاح فيهم قبل الحملة وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم احملوا بارك الله فيكم فان كانت غنيمة سرورا فالفتح والسلامة ويكون الاجتماع تحت
صومعة الراهب وان كان غير ذلك فهو وعدنا الجنة ونلتقى عند حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
الصحابة قال وطلب عبد الله الجم العظيم فغاص فيهم وجعل يضرب بسيفه ويطعن برمحه ويحمل المسلمون
من ورائه وسمع الروم أصوات المسلمين مرتفعة بالتهليل والتكبير فتيقنوا ان جيوش المسلمين قد أدركتهم
وكانوا الذلك منتظرين وعلى يقظة من أمرهم فاما السوقة فانهم تبادروا الى أسلحتهم والمنع عن أنفسهم
واموالهم وأخرجوا السيوف من الاغمدة وانعطفوا على قتال المسلمين عطفة الاسد الضارى وطلبوا
صاحب الراية ولم يكن مع المسلمين راية غيرها فاحدقوا بالراية من كل جانب ومكان وقامت الحرب على
ساق وثار الغبار وانعقد وأحدق الروم بالمسلمين فما كان المسلمون فيهم الا كشامة بيضاء فى جلد بعير
اسود وما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف بعضهم بعضا الا بالتهليل والتكبير وكل أحد
مشتغل بنفسه عن غيره قال أبو سبرة ابراهيم بن عبد العزيز بن أبى قيس وكان من السابقين المتقدمين
باءيمانهم فى الاسلام وصاحب الهجرتين جميعا قال شهدت قتال الحبشة مع جعفر بن أبى طالب رضى الله
تعالى عنه وشهدت المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بدر وفى أحد وفى حنين وقلت انى لا أشاهد
مثلها فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنت عليه ولم أستطع أن أقيم بالمدينة بعد فقده فقدمت
مكة فاقمت بها فعوتبت فى منامى من التخلف عن الجهاد فخرجت الى الشام وشهدت أجنادين والشام
وسرية خالد خلف توما وهربيس وشهدت سرية عبد الله بن جعفر وكنت معه على دير أبى القدس فأنستنى
وقعتها ما شهدت قبلها من الوقائع بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنى نظرت الى الروم حين
حملنا عليهم فى كثرتهم وعددهم وقلنا ما ثم غيرهم وليس لهم كمين فخرج لهم كمين عظيم قال فرأينا أجسادهم
هائلة وعليهم الدروع وما يبين منهم الا الحماليق الحدق لهم طقطقة وزجرة عند ما يحملون حتى نظرت
الى المسلمين قد غابوا فى أوساطهم ولا أسمع منهم الا الاصوات تارة يجهرون بها وتارة أقول هلكوا ثم أنظر
الى الراية بيد عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنه مرفوعة فأفرح بذلك وعبد الله يقاتل بالراية ويكر

وقام عبد المطلب يدعو
فخرجت القداح على ولده
عبد الله فلم يزل يزيد عشرا
عشرا حتى بلغت الابل
مائة فخرجت القداح على
الابل فنحرت وتركت
لا يصد عنها انسان ولا طائر
ولا سبع ولهذا روى انه
صلى الله عليه وسلم قال
أنا ابن الذبيحين والذبيحان
عبد الله واسمعيل بن
ابراهيم عليهما السلام وقيل
اسحق * وأما والدته صلى
الله عليه وسلم فهى آمنة
بنت وهب بن عبد مناف
ابن زهرة بن كلاب بن مرة
القرشية (ولما) حملت به
صلى الله عليه وسلم ليلة
الجمعة فى رجب أمر الله
تعالى رضوان خازن الجنان

على المشركين ولا ينثني ويجاهد على صغر سنه ولم تزل الحرب بيننا كلما طال مكثها اشتد ضرامها وعلا قتامها والتهبت نارها وصار عبد الله فى وسط القوم وهم حوله كالحلقة الدائرة والروم يحدقون به فجعل كلما حمل يمينا حملت يمينا وان حمل شمالا حملت شمالا ولم نزل فى الحرب والقتال حتى كلت منا السواعد وخدرت منا المناكب قال وعظم الامر علينا وهال النا الصبر وتثلم سيف عبد الله فى يده وكادت تقع فرسه من تحته فالتجأ بأصحابه فى موضع فاجتمع أصحابه اليه فنظر المسلمون الى رايته فقصدوها وما منهم الا مكلوم من المشركين فضاق لذلك ذرعه ومانزل به فى نفسه مثل مانزل بالمسلمين فألجأ الى الله تعالى أمره وفوض الى صاحب السماء شأنه ورفع يده الى السماء وقال فى دعائه يامن خلق خلقه وابلى بعضهم ببعض وجعل ذلك محنة لهم أسألك بجاه محمد النبى صلى الله عليه وسلم الا ماجعلت لنا من أمرنا فرجا ومخرجا ثم عاد الى القتال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلون معه تحت رايته فلله در أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه فانه نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاهد بين يديه قال عمرو بن ساعدة فلقد رأيته مع كبر سنه يضرب بسيفه ضربا شديدا فى الروم وينثنى الى قومه ويذكر عند حملاته اسمه ويقول أنا أبوذر والمسلمون يفعلون كفعله الى أن بلغت القلوب الحناجر وظنوا ان فى ذلك الموضع قبورهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عبد الله بن أنيس الجهنى قال كنت أحب جعفرا وأحب من أولاده عبد الله فلما قبض أبو بكر رضى الله تعالى عنه وكان قائما مقام أبيه نظرت الى أمه أسماء بنت عميس حزينة فكرهت أن أنظر اليها فى ذلك الحزن وأيضا ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان يحب عبد الله حبا شديدا فاستأذن عبد الله بن جعفر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى المسير الى الشام وقال لى يا ابن أنيس الجهنى أشتهى أن ألحق بالشام ومعنا عشرون فارسا أكون مجاهدا أفتصحبنى فقلت نعم فودع عمه عليا رضى الله تعالى عنهما وودع عمر رضى الله تعالى عنه وسار يريد الشام ومعنا عشرون فارسا حتى أتينا تبوك فقال يا ابن أنيس أتدرى موضع قبر أبى فقلت نعم فقال أشتهى أن أرى الموضع قال فنزلنا حتى أتينا الموضع فأريته موضع مصرع أبيه وموضع الوقعة وقبر أبيه جعفر رحمه الله تعالى وعليه حجارة فلما نظر اليه نزل ونزلنا معه وبكى وترحم فأقمنا عنده الى صبيحة اليوم الثانى فلما رحلنا رأيت عبد الله يبكى ووجهه مثل الزعفران فسألته عن ذلك فقال رأيت أبى البارحة فى النوم وعليه حلتان خضراوتان وتاج وله جناحان وبيده سيف مسلول أخضر فسلمه الى وقال يابنى قاتل به أعداءك فما وصلت الى ماترى الا بالجهاد وكأنى أقاتل بالسيف حتى تثلم قال عبد الله بن أنيس وسرنا حتى أتينا عسكر أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه بدمشق فبعثه أمير تلك السرية الى دير أبى القدس قال عبد الله بن أنيس فلما رأيت الوقعة بينه وبين الروم قلت يوشك أن يذهب عبد الله فسرت كالبرق ورجعت الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فلما رآنى قال أبشارة يا ابن أنيس أم لا فقلت انقذ المسلمين الى نصرة عبد الله بن جعفر ومن معه ثم حدثته بالقصة فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه انا لله وانا اليه راجعون أيصاب عبد الله بن جعفر ومن معه تحت رايتك يا أبا عبيدة وهى أول امارتك (قال الواقدى) ثم التفت الى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فقال له يا أبا سليمان سألتك بالله ألحق عبد الله بن جعفر فانت المعد لها فقال خالد أنا لها ان شاء الله تعالى وما كنت أنتظر الا ان تأمرنى فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه استحييت منك يا أبا سليمان فقال والله لو أمر على طفل صغير لأطعته فكيف أخالفك وأنت أقدم منى ايمانا وأسبق اسلاما سبقت باسلامك مع السابقين وسارعت بايمانك مع المسارعين وسماك رسول الله بالامين فكيف ألحقك أو أنال درجتك والآن اشهدك انى قد جعلت نفسى حبسا فى سبيل الله تعالى ولا أخالفك أبدا ولا وليت امارة بعدها أبدا (قال الواقدى) فاستحسن المسلمون قوله فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يا أبا سليمان الحق اخوانك رحمك الله قال فوثب خالد رضى الله عنه كأنه الاسد وسار الى رحله فافرغ عليه درع مسيلمة الكذاب

أن يفتح الفردوس ونادى منادى السموات والارض ان النور المخزون المكنون الذى يكون منه الهادى الامين المأمون فى هذه الليلة يستقر فى بطن أمه الذى يتم فيه خلقه ويخرج للناس بشيرا ونذيرا ثم لما تم حمله وظهرت فيه العجائب ولد يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الاول عام الفيل فى عهد كسرى أنوشروان وقد مضى من ملكه اثنان وأربعون سنة وأقام فى بنى سعد أربع سنين وتوفى أبو عبد الله قبل وضعه بشهرين وتوفيت امه وهو ابن ست سنين وكفله جده عبد المطلب الى أن توفى وهو ابن ثمان سنين وكفله عمه أبو

الذى سلبه منه يوم اليمامة وألقى بيضة على رأسه وأردفها قلنسوة وتقلد بحسامه وانصب فى سرجه كأنه السيل ونادى بجيش الزحف هلموا الى حزب السيوف فاجابوه مسرعين كأنهم العقبان وبادر والى طاعة الرحمن وأخذ خالد الراية بيده وهزها على ركابه ودار به عسكر الزحف من كل جانب وودع المسلمون بعضهم بعضا وساروا وسار خالد وعبد الله بن انيس يدلهم على الطريق قال رافع بن عميرة الطائى كنت يومئذ من اصحاب خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ولم يزل مجدا فى السير والله عز وجل يطوى لنا البعيد فلما كان عند غروب الشمس اشرفنا على القوم والروم كالجراد المنتشر قد غرق المسلمون فى كثرتهم فقال خالد يا ابن أنيس فى أى جانب اطاب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انه واعد أصحابه ان يلتقوا عند دير الراهب أوموعدهم الجنة (قال الواقدى) فنظر خالد نحو الدير الراية الاسلامية وهى بيد عبد الله بن جعفر وما من المسلمين الا من أصيب بجرح وقد أيسوا من الحياة الفانية وطمعوا فى الحياة السرمدية والروم تناوشهم بالحرب وتكاثر الطعن والضرب وعبد الله بن جعفر يقول لاصحابه دونكم والمشركين واصبروا القتال المارقين واعلموا أنه قد تجلى عليكم أرحم الراحمين ثم قرأ الآية قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فلما نظر خالد رضى الله تعالى عنه الى صبرهم وتجلدهم على قتال أعدائهم لم يطق الصبر دون أن حمل عليهم وهز رايته وقال لاصحابه دونكم القوم القباح فاروا من دمائهم السلاح وابشروا بالنجاح يا أهل حى على الفلاح (قال الواقدى) رحمه الله تعالى فبينما اصحاب عبد الله بن جعفر فى أشد ما يكون فيه اذ خرجت عليهم خيل المسلمين وكتائب الموحدين كأنهم الطيور وعليها الرجال كأنهم العقبان الكاسرة والليوث الضارية وهم غائصون فى الحديد وقد ارتفع لهم الضجيج وبخيلهم العجيج فلما نظر عبد الله وأصحابه الى ذلك ظنوا أنها نجدة الأعداء فايقنوا بالهلاك والفناء وجعلوا ينظرون الى الخيل التى رأوها واذا هى قاصدة اليهم ففزعوا وجزعوا وظنوا أن كمينا من الروم قد خرج لقتالهم فعظم عليهم الامر وقل منهم الصبر وأخذهم البهر وقد لحق بالمشركين الدمار وأتاهم حرب مثل النار والسيوف تلمع والرؤس من الرجال تقطع والارض قد امتلأت قتلى وهم فى أيدى المشركين كالاسرى والقوم فى أشد القتال والسيف يعمل فى الرجال اذ نادى فيهم مناد وهتف بهم هاتف خذل الآمن ونصر الخائف يا حملة القرآن جاءكم النصر من الرحمن ونصرتم على عبدة الصلبان وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت المرهفات البواتر واذا بفارس على المقدمة كأنه الاسد الزائر أو الليث الهادر ويده تشرق بالانوار كاشراق القمر فنادى الفارس بأعلى صوته أبشروا يا معاشر حملة القرآن بالنصر المشيد أنا خالد بن الوليد فلما نظر المسلمون الراية وسمعوا صوت خالد رضى الله تعالى عنه كأنهم كانوا فى لجة وأخرجهم فاجابوه بالتهليل والتكبير وكانت أصواتهم كالرعود القواصف والرياح العواصف ثم حمل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بجيش الزحف الذى لا يفارقه ووضع السيف فى الروم قال عامر بن سراقة فاشبهت حملته الا حملة الاسد فى الغنم ففرقهم يمينا وشمالا قال فثبت المسلمون وكل علج من الروم شديد هو مانع عن نفسه وخالد يطلب أن يصل الى عبد الله بن جعفر ولما نظر المسلمون الى الخيل المقبلة عليهم لم يعلموا ما هى حتى سمعوا صوت خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهم فقال يا أيها الناس دونكم الاعداء فقد جاءكم النصر من رب السماء ثم حمل وحملت المسلمون معه قال واثلة بن الاسقع لقد كنا أيسنا من انفسنا وأيقنا بالهلاك حتى أتتنا المعونة والنصر من الله عز وجل فحملنا بحملة اخواننا قال فما اختلط الظلام حتى نظرت الى خالد ابن الوليد رضى الله تعالى عنه والراية بيده وهو يسوق المشركين بين يديه سوق الغنم الى المراعى والمسلمون يقتلون ويأسرون فلله در أبى ذر الغفارى وضرار بن الازور والمسيب بن نجبة الفزارى لقد قرنوا المواكب وهزوا المضارب وقتلوا الروم من كل جانب والتقى ضرار بعبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنه فنظر اليه والدم على اكمام درعه كاكباد الابل فقال شكر الله تعالى لك يا ابن عم رسول الله

طالب وخرج معه الى الشام وهو ابن ثنتى عشرة سنة ثم خرج فى تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وتزوجها فى تلك السنة وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه فى وضع الحجر الاسود وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث وهو ابن أربعين سنة وتوفى ابو طالب وهو ابن تسع وأربعين وثمانية اشهر وأحد عشر يوما وتوفيت خديجة بعد أبى طالب بثلاثة أيام وخرج الى الطائف بعدها بثلاثة أشهر ومعه زيد بن حارثة فقام بها شهرا ثم رجع الى مكة فى جوار المطعم بن عدى ولما تمت له خمسون سنة وفد

صلى الله عليه وسلم والله انك لقد أخذت بثار أبيك وشفيت غليلك فقال عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهما من الرجل المخاطب لى وكان الظلام قد اعتكر وضرار ملثم لا يبين منه الا الحدق فلم يعرفه عبد الله فقال أنا ضرار بن الازور صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بطلعتك وباخ منا عدل لنا وقام لنصرتنا قال عبد الله بن أنيس فبينما هم على ذلك اذا أقبل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وجيش الزحف فقال شكر لك الله وأحسن جزاءك ثم قال عبد الله يا اباضرار اعلم ان حامية الروم والبطارقة عند الدير لاجل ابنة صاحب طرابلس وما معها من الاموال وقد أحاط بها كل فارس من الروم فهل لك يا ابن الازور أن تحمل معى فقال وأين هم فقال أما تنظر اليهم فمد عينه واذا بحامية الروم وبطريق طرابلس وقد أحدقوا بالدير يمنعون عن الجارية والنيران مشتعلة والصلبان تلمع كضوء النار وكانهم سد من حديد فقال أرشدك الله للخيرات فنعم المرشد أنت احمل حتى أحمل معك بحملتك قال فحمل عبد الله بن جعفر من جهته وحمل ضرار بن الازور من جهته واتبعتهما الرجال وزعقوا فى الروم وحماة المشركين وهم يمانعون عن أنفسهم وكان أشدهم منعة بطريقهم فبرز أمام القوم وهو يهدر كالبعير ويزأر زئير الاسد يصيح بكلمة الكفر ويحمل حملات الشجعان فقصده ضرار بن الازور وباطشه فى الضرب والتقت الاقران ونظر ضرار الى العلج وعظم خلقته وتمكنه فى سرجه وشدة ضربه وحسن احترازه فاخذ ضرار منه حذره واحترز منه البطريق وطلبه أشد الطلب وكل واحد منهما طامع فى صاحبه فانفرد ضرار بن الازور مع صاحب القوم وكل قرن مع قرنه وليس مع ضرار أحد من المسلمين فانبسط ضرار بين أيديهم ليكربهم وطلبه البطريق واصحابه وقصدوه بحملتهم فلما نظر ضرار الى ذلك قصدهم وضعا يلج لمجال الخيل فاعترضه واد فى ظلمة الليل فكبا به الجواد فسقط الى الارض هاويا ثم ثار من سقطته يروم أخذ الفرس فلم يجد الى ذلك سبيلا فوقف مكانه وسيفه وجحفته بيده وجعل يجاهدهم بسيفه وصبر لهم صبر الكرام ولم يأخذه فى الله لومة لائم فخفق عليه بطريق الروم واقبل يضربه بعموده فلما لازمه ورمى العمود عليه زاغ ضرار عن الضربة ثم وثب اليه وثبة الاسد وضربه ضربة أزعجت فرس البطريق من تحته وقام على رجليه وشبك بيديه وضربه الثانية فوقعت ضربة ضرار فى عين جواده فانتكس الجواد الى الارض ووقع العلج على ظهره ولم يقدر أن يقوم لانه مزرد فى سرجه فعاجله ضرار قبل وصول غلمانه اليه وضربه على حبل عاتقه فنماسيفه ولم يعمل شيأ فناهضه العلج وقد أيقن بالهلاك وقبض عليه وكان كالجبل العظيم فرماه ضرار تحته وملك صدره واستوى على نحره وكان مع ضرار سكين من صنعة اليمن لا تفارقه فاستلها من غمدها وضرب صدر عدو الله الى سرته فسقط عدو الله قتيلا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم وثب ضرار وملك جواد عدو الله واستوى فى سرجه وكان على الجواد كثير من الذهب والفضة والفصوص التى تساوى ثمنا كثيرا فلما صار على ظهر الجواد حمل وكبر على المشركين ففرقهم يمينا وشمالا وكان ضرار لما انبسط أمام القوم ملك عبد الله بن جعفر الدير ومن فيه هو ومن معه من المسلمين واحدقوا به ولم يأخذوا منه شيأ حتى رجع خالد رضى الله تعالى عنه من اتباع الروم وذلك ان خالدا اتبعهم الى نهر عظيم كان بينهم وبين طرابلس الشام والروم يعرفون مخاوضه فوقف خالد ورجع الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم قد ملكوا الدير وقتلوا العلج وانتشرت الناس فى جميع الغنائم وما كان فى السوق من المتاع والفراش والقماش والثياب والطعام وغيره قال واثلة بن الاسقع فجعلنا نجمعه ونأكل من الخيرات وأخرجوا ما كان فى الدير من آنية الذهب والفضة والستور والمراتب وأخرجوا ابنة البطريق ومعها أربعون جارية لهن حلى وحلل والمال على البراذين والبغال والحمير فانقلب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنيمة والأموال الجسيمة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فنسبت تلك السرية لثلاث عبد الله بن جعفر صاحبها وعبد الله بن انيس مدركها وخالد بن الوليد منجدها ولقى خالد فيها مشقة وجراحا مؤلمة

عليه حين تصيبين واسلموا ولما تمت له خمسون سنة اسرى به ولما اشتد البلاء من المشركين على المسلمين استأذنوه فى الهجرة فقال قد رأيت دار هجرتكم وهى ارض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياما وخرج الى اصحابه وهو مسرور وقال قد أخبرت بدار هجرتكم ألا وهى يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون ويرتحلون الى المدينة ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعلى ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الى الغار ومنه الى المدينة وكان خروجه من مكة يوم

فلما اسار وأقبل خالدا الى الدير فصاح بصاحبه يا راهب فلم يكلمه فهتف به مرة أخرى وهدده فاطلع عليه
وقال ما تشاء وحق المسيح لبطال البنك صاحب هذه الخضراء بدما من قتلت فقال خالد كيف يطال البنا وقد
أمرنا أن نقاتلكم ونجاهدكم ووعدنا على ذلك الثواب والله لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا
أن نتعرض لكم لا تركتك في صومعتك بل كنت قتلتك أشر قتلة فسكت الراهب عنه ولم يجبه وانقلب
خالد والمسلمون بالغنائم الى دمشق وأبو عبيدة رضى الله عنه فيها فشكرلهم وسلم على خالد وعلى عبد الله
ابن جعفر رضى الله تعالى عنهم ورجع الى مكانه فخمس الغنيمة وقسمها على الناس فدفع لضرار بن
الازور فرس البطريق وسرجه وما عليه من حلى الذهب والفضة والجواهر والفصوص فاتى به ضرار
الى أخته السيدة خولة رضى الله تعالى عنها قال فرأيتها انتزع فصوص الجوهر فتفرقها على نساء المسلمين
وان الفص منها ليساوى الثمن الكثير قال وعرض السبي على أبي عبيدة رضى الله تعالى عنه وفى الجملة
ابنة البطريق فقال عبد الله بن جعفر أريدها قال أبو عبيدة حتى استأذن أمير المؤمنين فى ذلك فكتب
اليه يعلمه بها وبمسئلة عبد الله بن جعفر فكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه هى له فأخذها عبد
الله وأقامت زمانا عنده وعلمها الطبخ وكانت من قبل تعرف طبخ الفرس والروم وأقامت عنده الى أيام
يزيد فأخبر بها فاستهداها منه فأهداها له وكانت عنده وقال عامر بن ربيعة أصابنى من غنيمة سوق الدير
أثواب ديباج حرير فيها صور الروم وكان فى كل ثوب منها صورة حسنة وهى صورة مريم وعيسى عليهما
السلام فحملت الثياب الى اليمن فبيعت بثمن كثير وكتب الى عمى وأنا مع أبي عبيدة يا ابن أخى ابعث لى
من هذه الثياب وأكثر منها فانها اتنفق (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما رجع جيش المسلمين غانما
كتب أبو عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتابا يخبره بما فتح الله
تعالى على يديه وما غنم المسلمون من دير أبي القدس ويمدح خالدا ويشكره ويثنى عليه ويخبره بما قال فيه
وما تكلم به وسأله فى كتابه أن يكتب الى خالد يستشيره فى المسير الى هرقل أو الى بيت المقدس وكتب اليه
أيضا ان بعض المسلمين يشربون الخمر قال عاصم بن ذؤيب العامرى وكان ممن شهد قتال الروم بالشام وفتح
دمشق العرب الوافدون من اليمن فأخذوا فى الشرب واستطابوا ذلك فأنكر ذلك الامير أبو عبيدة فقال
رجل من العرب أظنه سراقة بن عامر يا معاشر المسلمين خلوا شرب الخمور فانها تزيل العقول وتكسب
الاثم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن شارب الخمر حتى لعن حاملها والمحمولة اليه (وحدثنى) أسامة
ابن زيد الليثى عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الغفارى قال كنت مع أبي عبيدة بالشام
فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يخبره بفتح الشام وفى الكتاب ان المسلمين يشربون الخمر
واستقلوا الحد فقدمت المدينة فوجدت عمر رضى الله تعالى عنه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالسا وعنده نفر من الصحابة وهم عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف يتحدثون فدفعت الكتاب اليه فلما
قرأه جعل يفكر فى ذلك ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلد فى شربها ثم سأل عمر عليا رضى الله
تعالى عنهما فى ذلك وقال ما ترى فى هذا فقال على رضى الله تعالى عنه ان السكران اذا سكر هذى واذا
هذى افترى فكتب اليه عمر ان من شرب الخمر فعليه ثمانون جلدة ولعمرى ما يصلح لهم الا الشدة والفقر
ولقد كان حقهم أن يراقبوا ربهم عز وجل ويعبدوه ويؤمنوا به ويشكروه فمن عاد فاقم عليه الحد (قال
الواقدى رحمه الله تعالى) فلما ورد كتاب عمر رضى الله تعالى عنه على أبي عبيدة رضى الله تعالى عنه
وقرأه نادى فى المسلمين من كان فى نفسه حد فليعط ذلك من نفسه وليتب الى الله عز وجل ففعل ذلك كثير
من الناس ممن كان شرب الخمر وأعطى الحد من نفسه ثم قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه انى عزمت على
المسير الى انطاكية وقصد كلاب الروم لعل الله تعالى يفتح فتحا على أيدينا فقال المسلمون سر حيث شئت
فنحن تبع لك نقاتل أعداءك فسر بقولهم وقال تأهبوا للرحيل فانى سائر بكم الى حلب فاذا فتحناها
توجهنا منها ان شاء الله تعالى الى انطاكية فاسرع المسلمون فى اصلاح شأنهم وأخذوا أهبتهم فلما فرغ

الاثنين وقدومه المدينة يوم
الاثنين هلال ربيع الاول
واقام على رضى الله عنه
بمكة بعد خروجه صلى الله
عليه وسلم ثلاثة أيام ثم
ادركه بقبا يوم الاثنين ثم
اسس مسجد قبا وهو
المسجد الذى اسس على
التقوى ثم خرج من قبا
يوم الجمعة حين ارتفع
النهار فادركته الجمعة فى بنى
سالم بن عوف فصلاها بمن
كان معه من المسلمين وركب
راحلته متوجها الى المدينة
فلما قدم على ناقته صاروا
يمسكون زمامها ويقولون
يا رسول الله هلم الى القوة
والمنعة فيقول خلوا سبيلها
فانها مامورة فصارت تنظر
يمينا وشمالا حتى اتت دار

أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه من جميع شغله أمر خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أن يأخذ راية العقاب التى عقدها له أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأمره أن يسير أمام الجيش بعسكر الزحف فسار خالد على المقدمة ومعه ضرار بن الازور ورافع بن عميرة الطائى والمسيب بن نجية الغزارى والناس يتبع بعضهم بعضا وترك على دمشق صفوان بن عامر السلمى وترك عنده خمسمائة رجل وسار أبو عبيدة بالمسلمين ومعه ناس من اليمن ومضر

﴿ذكر فتح حمص﴾

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار أبو عبيدة على طريق البقاع واللبوة فلما وصل الى هناك بعث خالد ابن الوليد رضى الله عنه الى حمص وقال يا أبا سليمان انهض على بركة الله تعالى وعونه ونازل القوم وشن الغارة على أرض العواصم وقنسرين وأنا أسير الى بعلبك فلعل الله تعالى أن يسهل علينا فتحها ثم ودعه وسار خالد رضى الله تعالى عنه بمن معه الى حمص وتوجه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى بعلبك اذ ورد بطريق جوسية ومعه الهدايا والتحف وصالح المسلمين سنة كاملة وقال ان فتحتم بعلبك فانا بين أيديكم ولا نخالف لكم قولا فصالحهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه على أربعة آلاف درهم وخمسين ثوبا من الديباج فلما انبرم الصلح سار أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يطلب بعلبك فما بعد من اللبوة الا وقد أشرف عليه راكب نجيب فاذا هو أسامة بن زيد الطائى فقال يا أسامة من أين أقبلت فاناخ نجيبه وسلم على أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وعلى المسلمين وقال أتيت من المدينة وسلم اليه كتابا من عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ففضه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه واذا فيه لا اله الا الله محمد رسول الله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين الى أمين الامة سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فلا مرد لقضاء الله وقدره ومن كتب فى اللوح المحفوظ كافرا فلا ايمان له وذلك أن جبلة بن الايهم الغسانى كان قدم علينا ببنى عمه وسراة قومه فانزلتهم وأحسنت اليهم وأسلموا على يدى وفرحت بذلك اذ شد الله عضد الاسلام والمسلمين بهم ولم أعلم ما كمن فى الغيب وانا مرنا الى مكة حرسها الله تعالى وعظمها نطلب الحج فطاف جبلة بالبيت اسبوعا فوطئ رجل من فزارة ازاره فسقط ازاره عن كتفه فالتفت الى الغزارى وقال يا ويلك كشفتنى فى حرم الله تعالى فقال والله ما تعمدت ذلك فلطم جبلة بن الايهم الفزارى لطمة هشم بها أنفه وكسر ثناياه الاربع فاقبل الغزارى الى مستعديا على جبلة فأمرت باحضاره وقلت له ما حملك على أن لطمت أخاك فى الاسلام وكسرت ثناياه الاربع وهشمت أنفه فقال جبلة انه وطئ ازارى برجله فحله و والله لولا حرمة هذا البيت لقتلته فقلت له قد أقررت على نفسك فاما أن يعفو عنك واما أن آخذه منك القصاص فقال يقتص منى وانا ملك وهو من السوقة قلت قد شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية فقال أتتركنى الى غد أو تقتص منى فقلت للفزارى أتتركه الى غد قال نعم فلما كان الليل ركب فى بنى عمه وتوجه الى الشام الى كلب الطاغية وأرجو أن الله تعالى يظفرك به فانزل على حمص ولا تنفذ عنها فان صالحك أهلها فصالحهم وان أبوا فقاتلهم وابعث عيونك الى انطاكية وكن على حذر من المتنصرة والسلام عليك ورحمة الله وعلى جميع المسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب فى سره جهر به مرة أخرى ثم لوى يطلب حمص وكان خالد رضى الله تعالى عنه سبقه اليها بثلث الجيش فنزل عليها يوم الجمعة من شوال سنة أربع عشرة من الهجرة النبوية وكان عليها واليا بطريق من قبل هرقل اسمه لقيطا وكان قدمات قبل نزول خالد والمسلمين رضى الله تعالى عنهم أجمعين فاجتمع المشركون فى كنيستهم العظمى وقال كبيرهم اعلموا أن صاحب الملك قد مات وليس عند الملك خبر من هؤلاء العرب وقد نزلوا علينا وما ظننا ذلك ولقد حسبنا أنهم لا ينزلون علينا حتى يفتحوا جوسية و بعلبك وان أنتم قاتلتموهم وكاتبتم الملك أن يسير اليكم واليا وجيشا فان العرب لا تمكن أحدا من جنود الملك أن يسير اليكم ولا يصل اليكم وليس عندكم طعام يقوم بكم للحصار

مالك بن النجار ثم سارت حتى نزلت على باب ابى ايوب الانصارى ثم سارت وبركت فى مبركها الاول والقت باطن عنقها وصوتت من غيران تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته معه زيد بن حارثة وأقام عنده صلى الله عليه وسلم سبعة أشهر ثم بنى مسجده الشريف ثم اذن له فى الجهاد (فأول غزواته غزوة الابواء خرج الى الجهاد يريد عير قريش ثم غزوة العشيرة بضم العين ثم شين معجمة مفتوحة وهى أرض لبنى مدلج بناحية الينبع فسارت الى الشام ولم يدركها (ولما رجع

الحصار فقالوا أيها السيد فما الذى ترى قال تصالحون القوم على ما أرادوا وتقولون نحن لكم وبين أيديكم
ان فتحتم حلب وقنسرين وهزمتم جيش الملك فاذا توجه القوم عند ذلك بعثنا الى الملك أن عدنا بجيش عرمرم
ويولى من أراد علينا ويستوثق لنا من الطعام والعدد وبعد ذلك نقاتلهم فاستصوب القوم رأيه وقالوا
دبرنا بحسن رأيك وتدبيرك فبعث البطريق الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه بجاثليقا كان عندهم
معظما ليعقد الصلح بينهم وبين المسلمين فخرج الجاثليق ووصل الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وتكلم
فى الصلح معه بما تحدث به البطريق من أمر سير المسلمين الى حلب وقنسرين والعواصم وانطاكية
فاجابهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى ذلك وصالح القوم وهم أهل حمص على عشرة آلاف دينار
ومائتى ثوب من الديباج وعقد الصلح مع القوم سنة كاملة أولها ذو القعدة وآخرها شوال سنة أربع
عشر من الهجرة قال وابرم الصلح وخرجت السوقة من حمص الى عسكر المسلمين فباعوا واشتروا ورأى
اهل حمص سماحة العرب فى بيعهم وشرائهم وربحوا منهم ربحا وافيا

* ذكر حديث سرية خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه *

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ان أبا عبيدة دعا بخالد وضم اليه أربعة آلاف فارس من لخم وجذام وطى
ونبهان وكهلان وسنبس وخولان وقال يا باسليمان شن الغارة بهذه الكتيبة واقصد بها المعرة واقرب
من معرة حلب وشن بها الغارة على بلدة العواصم وارجع على أثرك ونفذ عيونك وانظر ان كان للقوم
نجدة أو ناصر من قومهم أم لا فاجابه خالد الى ذلك وأخذ الراية وتقدم أمام الكتيبة وجعل ينشد ويقول

أخذتها والملك العظيم * وانى بحملها زعيم
لاننى كبش بنى مخزوم * وصاحب لاحمد الكريم
أسير مثل الاسد الغشوم * يارب فارزقنى قتال الروم

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى شيزر ونزل على النهر المقلوب
ودعا بمصعب بن محارب اليشكرى وضم اليه خمسمائة فارس وأمره أن يشن الغارة على العواصم
وقنسرين وسار خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى كفرطاب والمراة والى دير سمعان وجعلت خيل
المسلمين تغير يمينا وشمالا على القرى والرساتيق ويأخذون الغنائم والاسارى فرجعوا الى خالد بن الوليد
بالاسارى فسار بهم الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فلما نظر الى خالد وما معه من الغنائم والاموال
فرح فرحا شديدا واذا خلف خالد سواد عظيم قد ارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على
البشير النذير فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ما هؤلاء يا باسليمان فقال خالد يا أمير المؤمنين هذا
مصعب بن محارب اليشكرى وقد عقدت له راية على خمسمائة فارس من قومه ومن أهل اليمن وانه أغار
بهم على العواصم وقنسرين وقد أتى بالغنائم والسبى والاموال فالتفت الامير أبو عبيدة فنظر الى سرح
عظيم من البقر والغنم وبراذين عليها رجال ونساء وصبيان ولهم دوى عظيم وبكاء شديد فقصدهم أبو
عبيدة رضى الله تعالى عنه واذا برجال مقرونين فى الحبال وهم يبكون على عيالهم ونهب أموالهم وخراب
ديارهم فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه لترجمانه قل لهم ما بالكم تبكون ولم لا تدخلون فى دين الاسلام
وتطلبون الامان والذمام لتأمنوا على أنفسكم وأموالكم فقال لهم الترجمان ذلك فقالوا أيها الامير نحن
كنا بالبعد منكم وكانت أخباركم تأتينا وما ظننا أنكم تبلغون الينا فما شعرنا حتى أشرف علينا
أصحابكم فنهبوا أموالنا وأولادنا وساقونا فى الحبال كما ترى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكانت
الاعلاج زهاء من أربعمائة علج فقال لهم الأمير ان مننا عليكم وأطلقناكم من أسركم ورددنا عليكم
أموالكم وأهاليكم فهل تكونون فى طاعتنا وتؤدون الجزية الينا والخراج فقالوا أوفق لنا بذلك ونحن
نفعل جميع ما شرطته علينا فعند ذلك أقبل أبو عبيدة رضى الله عنه الى المسلمين وقال لهم قد رأيت من
الرأى أن أؤمن هؤلاء من القتل وأرد عليهم أموالهم وعيالهم فيكونوا عبيدا لنا ويعمروا الارض والبلاد

الى المدينة من العشيرة لم
يقم الا تسع ليال حتى سافر
يريد بنى سليم (ولما وصل
الى ماء من مياههم أقام عليه
ثلاث ليال ثم رجع الى
المدينة ولم يلق حربا وتسمى
هذه بدرا الاولى (ولما بلغه
صلى الله عليه وسلم) رجوع
العير من الشام خرج اليها
فى ثلثمائة وثلاثة عشر
وخرج أبو سفيان من مكة
فى قريب من الالف وحصل
القتال الشديد ونصر الله
المسلمين وتسمى هذه بدرا
الثانية وبدر الغنائم (ثم
غزا صلى الله عليه وسلم بنى
قينقاع) بفتح القاف وضم
النون وكان صلى الله عليه
وسلم عاهدهم وعاهد بنى
قريظة وبنى النضير أن

ونأخذ خراجهم وجزيتهم فما أنتم قائلون فما كنت بالذى أقطع أمرا الا بمشورتكم فقالوا الرأى رأيك فى ذلك أيها الاميران رأيت صلاحا للمسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ففرض على كل واحد أربعة دنانير وبذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعند ذلك رد عليهم أموالهم وأولادهم واقرهم على بلادهم وكتب أسماءهم وأمرهم بالرجوع الى أوطانهم فلما استقروا فى خيامهم أخبروا من كان بالقرب منهم بحسن سيرة العرب وما عاملوهم به من الجميل وقالوا لقد ظننا أنهم يقتلوننا ويستعبدون أولادنا والآن قد رحمونا وأقرونا فى بلادنا على أداء الجزية والخراج (وقال الواقدى) فسمعت الروم ذلك فاقبلوا الى أبى عبيدة رضى الله عنه فى طلب الامان وأداء الجزية والخراج

ذكر فتح قنسرين

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وبلغ الخبر الى أهل قنسرين أن الامير أبا عبيدة يعطى الأمان من قصده فأحبوا أن يأخذوا الأمان من أبى عبيدة رضى الله عنه وأجمعوا رأيهم على ذلك وان ينفذوا رسولا من غير علم بطريقهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان على قنسرين والعواصم بطريق من بطارقة الملك من أهل الشدة والباس وكان أهل قنسرين يخافون منه وكان اسمه لوقا وصاحب حلب عسكره مثل عسكره وسطوته مثل سطوته وكان الملك هرقل قد دعا بهما اليه فقالا له أيها الملك ما كنا نترك ملكنا من غير أن نقاتل قتالا شديدا فشكرهما الملك هرقل على ذلك ووعدهما أن يبعث اليهما جيشا عرمرما وكانا منتظرين ذلك من وعد الملك لهما وكان مع كل واحد منهما عشرة آلاف فارس الا أنهما لا يجتمعان فى موضع واحد قال فلما سمع صاحب قنسرين ما قد عزم عليه أهل قنسرين من الصلح مع أبى عبيدة غضب غضبا شديدا وعزم أن يحاربهم فجمع أهل قنسرين اليه وقال لهم يا بنى الاصفر ماترون أن أصنع مع هؤلاء العرب وكأنكم بهم وقد أقبلوا الينا يفتحون بلادنا كما فتحوا أكثر بلاد الشام فقالوا أيها السيد قد بلغنا أنهم أصحاب وفاء وذمة وقد فتحوا أكثر البلاد بالصلح والعدل ومن قاتلهم قاتلوه واستعبدوا أهله وأولاده ومن دخل تحت طاعتهم أقروه فى بلده وكان آمنا من سطوتهم والرأى عندنا أن نصالح القوم ونكون آمنين على أنفسنا وأموالنا فقال لهم البطريق لقد أشرتم بالصواب والامر الذى لا يعاب لان هؤلاء العرب قوم منصورون على من قاتلهم وها أنا أعقد لكم الصلح معهم سنة كاملة الى أن توافينا جيوش الملك هرقل ونعطف عليهم وهم آمنون فنبيدهم عن آخرهم فقالوا افعل ما فيه الصلاح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) واتفق أهل قنسرين والبطريق على صلح المسلمين وفى قلوبهم الغدر قال وان لوقا البطريق دعا برجل من أصحابه اسمه اصطخر وكان قسيسا عالما بدين النصرانية فصيح اللسان قوى الجنان يعرف العربية والرومية وقد عرف الدينين اليهودية والنصرانية فقال لوقا يا أبا ناسر الى العرب وقل لهم يصالحونا سنة كاملة حتى نبعد القوم بالحيلة والخداع ثم كتب الكتاب الى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فقال بعد كلمة كفره اما بعد يا معاشر العرب ان بلدنا بلد منيع كثير العدد والرجال فما تاتونا من قبله ولو اقمتم علينا مائة سنة ما قدرتم علينا وان الملك هرقل قد استنجد عليكم من حد الخليج الى رومية الكبرى ونحن قد بعثنا اليكم نصالحكم سنة كاملة حتى نرى لمن تكون البلاد ونحن نريد منكم أن تجعلوا بيننا وبينكم علامة من حد ارض قنسرين والعواصم حتى اذا هجمت العرب بالغارة بدت العلامة تريكم حد أرضنا ونحن نصالحكم خفية من الملك هرقل انه لا يعلم فيقتلنا والسلام ثم خلع على اصطخر خلعة سنية وأعطاه بغلة من مراكبه وعشرة غلمان وسار حتى وصل الى حمص فرأى الامير أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه يصلى بالمسلمين صلاة العصر فوقف اصطخر ينظر ما يفعلون ويعجب من ذلك فلما فرغوا من صلاتهم ونظروا الى القسيس وثبوا اليه وقالوا له من أنت ومن أين أقبلت فقال أنا رسول ومعى كتاب فقدموه بين يدى أبى عبيدة فهم القسيس بالسجود له فمنعه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه من ذلك وقال له نحن عبيد الله عز وجل فمنا شقى ومنا سعيد فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق

لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه فغدروا ولما كانت وقعة بدر أظهروا العداوة والحسد فنبذوا العهد فقال لهم صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود احذروا ان ينزل بكم ما نزل بقريش من النقمة أى ببدر فلم يقبلوا واظهروا الشدة فسار اليهم صلى الله عليه وسلم وأعطى اللواء الابيض عمه حمزة بن عبد المطلب وقد تحصنوا فى حصونهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار فقذف الله فى قلوبهم الرعب فسألوه صلى الله عليه وسلم أن يخلى سبيلهم ويخرجوا من المدينة باولادهم وعيالهم ويتركوا اموالهم فاجابهم وأخذ أموالهم فباؤا بعدهم

خالدين فيها مادامت السموات والارض فلما سمع اصطخر ذلك بهت وبقى لا يرد جوابا وهو متعجب مما تكلم
به الامير ابو عبيدة رضى الله تعالى عنه فناداه خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وقال له ما شأنك أيها
الرجل ورسول من أنت فقال اصطخر أأنت أمير القوم فقال خالد لا بل هذا أميرنا وأشار الى أبي عبيدة
رضى الله تعالى عنه فقال اصطخر أنا رسول صاحب قنسرين والعواصم ثم أخرج الكتاب ودفعه الى أبي
عبيدة رضى الله تعالى عنه فاخذه وقرأه على المسلمين فلما سمع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ما في
الكتاب من صفة مدينتهم وكثرة عددهم ورجالهم وزادهم وتهديدهم بجيوش الملك هرقل حرك رأسه
وقال لأبي عبيدة وحق من أيدنا بالنصر وجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الطاهر ان هذا الكتاب
من عند رجل لا يريد الصلح بل يريد حربنا ثم قال لاصطخر تريدون أن تخدعونا حتى اذا جاءت جنود
صاحبكم ورأيتم القوم وقد جاءتكم نقضتم صلحنا وكنتم أول من يقاتلنا وان رأيتم الغلبة لنا هربتم الى
طاغيتكم هرقل فان أردتم ذلك فنواعدكم الحرب مواعدة من غير أن يكون صلحنا سنة كاملة فان لحق
بكم جيش هذه السنة من الملك هرقل فلابد من قتاله فمن أقام في المدينة ولم يقاتل مع الجيش فهو على صلحنا
لا نتعرض له قال اصطخر قد أجبناكم الى ذلك فاكتبوا لنا كتابا بذلك فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى
عنه أيها الامير اكتب لهم كتابا بموادعة الحرب سنة كاملة أولها مستهل شهر ذى القعدة سنة أربعة
عشر من الهجرة النبوية قال فكتب له أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه بذلك فلما فرغ من الكتاب قال له
اصطخر أيها الامير حد بلادنا معروف وبازائنا صاحب حلب وبلاده بعد بلادنا ونريد أن تجعل لنا علامة
فيما بيننا وبينكم حتى اذا طلب أصحابكم الغارة لا يتجاوزون ذلك (قال الواقدى) فرضى أبو عبيدة
رضى الله تعالى عنه بذلك وقال أنا أبعث من يحد لكم ذلك قال اصطخر أيها الامير ما نريد معنا أحدا
من أصحابك نحن نصنع عمودا وننصبه ويكون عليه صورة الملك هرقل فاذا رآه أصحابك لا يجاوزونه فقال
أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه افعل ذلك ثم دفع اليه الكتاب ونادى في عساكر المسلمين وأصحاب
الغارات من نظر الى عمود فلا يتعداه ولا يتجاوزه بل يشن الغارة على أرض حلب وحدها ولا يتجاوز
العمود فليبلغ الشاهد الغائب (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورجع اصطخر الى بطريق قنسرين وأعلمه
بما جرى له مع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ودفع له الكتاب ففرح بذلك وقصد الى عمود عظيم
وصنع عليه صورة الملك هرقل كأنه جالس على كرسى مملكته (قال الواقدى) وكانت خيل المسلمين
تضرب غاراتها الى أقصى بلاد حلب والعمق وانطاكية ويحيدون عن حد قنسرين والعواصم ولا يقربون
العمود قال عمر بن عبد الله الغبرى عن سالم بن قيس عن أبيه سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه قال
كان صلح المسلمين لأهل قنسرين والعواصم على أربعة آلاف دينار ملكية ومائة أوقية من الفضة
وألف ثوب من متاع حلب وألف وسق من طعام (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا عامر قال
كنا في بعض الغارات اذ نظرنا الى العمود وعليه صورة الملك هرقل فجئنا عنده وجعلنا نجول حوله
بخيولنا ونعلمها المكر والفر وكان بيد أبي جندلة قناة تامة فقرب به الجواد من الصورة وهو غير متعمد
ذلك ففقأ عين الصورة وكان عندها قوم من الروم وهم غلمان صاحب قنسرين يحفظون العمود فرجعوا
الى البطريق واعلموه بذلك فغضب غضبا شديدا ودفع صليبا من الذهب الى بعض أصحابه وضم اليه
ألف فارس من أعلاج الروم وعليهم الديباج الرومى وعليهم المناطق المجوفة وأمر اصطخر ان يسير معهم
وقال له ارجع الى أمير العرب وقل له غدرتم بنا ولم توفوا بذمامكم ومن غدر خذل فاخذ اصطخر الصليب
وسار مع ألف فارس من الروم حتى اشرف على أبي عبيدة رضى الله تعالى عنه فلما نظر المسلمون
الى الصليب وهو مرفوع أسرعوا اليه ونكسوه فاستقبل أبو عبيدة القوم وقال من أنتم قال اصطخر
أنا رسول صاحب قنسرين اليك وهو يقول لك غدرتم ونقضتم العهد الذى بيننا وبينكم فقال أبو عبيدة
رضى الله تعالى عنه وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمت بذلك وسوف أسأل عنه ثم نادى يا معاشر

عن المدينة ونزلوا بازرعات
قرية من الشام (ثم كانت
غزوة السويق) خامس
ذى الحجة من السنة الثانية
من الهجرة وذلك انه لما
أصاب قريشا فى بدر ما
أصابهم نذر أبو سفيان ان
يغزو محمدا وأصحابه فخرج
من مكة فى مائتى راكب
حتى نزل قريبا من المدينة
بمحل بينه وبينها نحو ميل
وقطع جانبا من النخل والقى
رجلين من الانصار فقتلهما
وبلغ النبى صلى الله عليه
وسلم فخرج فى طلبه فهرب
هو وأصحابه وصاروا يرمون
السويق وهو دقيق الشعير
المحمص ليخف عليهم السير
فيأخذه الصحابة ويجعلونه
زادهم فلذلك سميت غزوة

الناس من فقأ عين القتال فليخبر بذلك فقال ايها الأمير أبو جندلة وسهل بن عمرو معاذ الله من غير
أن يتعمداه فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه لاصطخر ان صاحبنا فعل ذلك من غير ان يتعمد فما
الذى يرضيك منا فقالت الاعلاج لانرضى حتى نفقأ عين ملككم يريدون بذلك ان يتطرقوا الى رقاب
المسلمين فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه هأنا فاصنعوا بى مثل ماصنع بصورتكم قالوا
لانرضى بذلك الابعين ملككم الاكبر الذى يلى أمر العرب كلها فقال ان عين ملكنا تمتنع من ذلك
(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وغضب المسلمون حين ذكر الاعلاج عين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه وهموا بقتل الاعلاج فنهاهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه عن ذلك فقالت المسلمون أيها الامير
نحن دون امامنا فنفديه بانفسنا وتفقأ أعيننا دون عينه فقال اصطخر عندما نظر الى المسلمين وقد هموا
بقتله وقتل من معه من الاعلاج لا نفقأ عين عمر ولا عيونكم ولكن نصور صورة أميركم على عمود
ونصنع به مثل ماصنعتم بصورة ملكنا فقالت المسلمون ان صاحبنا فعل ذلك من غير تعمد وأنتم تريدون
العمد فقال أبو عبيدة رضى الله عنه مهلا ياقوم فاذا رضى القوم بصورتى فقد اجبتهم الى ذلك ولا
يتحدث القوم عنا اننا عاهدنا وغدرنا فان هؤلاء القوم لاعهد لهم ولا عقل ثم أجابهم الى ذلك (قال
الواقدى) فصوروا صورة أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه على عمود وجعلوا له عينين من زجاج وأقبل
فارس منهم حنقا ففقأ عين الصورة ثم رجع اصطخر الى صاحب قنسرين واخبره بذلك فقال لقومه بهذا
نالهم مايريدون قال وأقام أبو عبيدة على حمص بغير عيناوشهالا ينتظر خروج السنة لينظر مابعد ذلك
(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وابطأ خبر أبى عبيدة على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما ولم يرد عليه
شىء من الكتب والفتح فانكر عمر ذلك وظن به الظنون وحسب أنه قد داخله خبر وقد ركن الى القعود عن
الجهاد فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أمين الأمة أبى عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فانى احمد الله الذى
لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وآمرك بتقوى الله عز وجل سرا وعلانية وأحذركم
عن معصية الله عز وجل وأحذركم وأنهاكم أن تكونوا ممن قال الله فى حقهم قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم
واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم الآية وصلى الله على خاتم النبيين وامام المرسلين والحمد لله رب العالمين
فلما وصل الكتاب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه قرأه على المسلمين فعلموا ان أمير المؤمنين عمر ايحرضهم
على القتال وندم أبو عبيدة رضى الله عنه على صلح قنسرين ولم يبق أحد من المسلمين الا بكى من كتاب
عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقالوا أيها الامير ما يقعدك عن الجهاد فدع أهل شيزر وقنسرين
واطلب بنا حلب وانطاكية فلعل الله ان يفتحها على أيدينا وقد انقضى أجل الصلح ومابقى الا القليل وما
البقاء الا للملك الجليل فعزم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه على المسير الى حلب وعقد راية لسهل بن عمرو
وعقد راية أخرى لمصعب بن محارب اليشكرى وأمر عياض بن غانم ان يسير على مقدمتهم واتبعه خالد بن
الوليد وسار أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى أن نزل على الرستن وصالح أهلها وسار الى حماة فخرج أهلها
اليه ومعهم الانجيل وقد رفعه الرهبان على أكفهم والقسوس أمام القوم يطلبون منه الصلح والذمام فلما
رآهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وقف وقال لهم ما الذى تريدون فقالوا أيها الامير نريد أن نكون فى
صلحكم وذمامكم فانتم أحب الينا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فصالحهم أبو عبيدة وكتب لهم كتاب
الصلح والزمام وخلف رجالا من المؤمنين وسار حتى نزل الى شيزر فاستقبلوه فصالحهم وقال لهم أسمعتم
لطاغية هرقل خبرا فقالوا اسمعنا له خبرا غير أنه اتصل بنا الخبر أن بطريق قنسرين قد كتب الى الملك
هرقل يستنجد عليكم وقد بعث بجبلة بن الايهم الغسانى من بنى غسان والعرب المتنصرة ومعه بطريق
عمورية فى عشرة آلاف فارس وقد نزلوا على جسر الحديد فكن منهم على حذر أيها الامير فقال أبو عبيدة
رضى الله عنه حسبنا الله ونعم الوكيل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأقام الامير أبو عبيدة على شيزر

السويق (ثم كانت غزوة
كركرة الكدر) وهى أرض
بها طيور فى ألوانها كدرة
وذلك أنه صلى الله عليه وسلم
بلغه ان قوما من بنى سليم
وغطفان يريدون الاغارة
على المدينة فسار اليهم فى
مائتين من أصحابه فهربوا
وأخذ ابلهم وكانت خمسمائة
بعير مع رعاتها منهم غلام
يقال له يسار فأخذه النبى
صلى الله عليه وسلم وأعتقه
لانه رآه يصلى بعد أن أسلم
ولما قرب من المدينة خمسها
فخص كل رجل بعيران (ثم
كانت غزوة امر) بكسر
الهمزة وفتح الميم وتشديد
الراء وذلك أنه صلى الله
عليه وسلم بلغه ان رجلا
يقال له دعثور بضم الدال

وبقي مرة يقول أسير الى حلب ومرة يقول أسير الى انطاكية فجمع امراء المسلمين اليه وقال أيها الناس قد بلغني أن بطريق قنسرين قد نقض العهد وأرسل للملك هرقل والخبر كذا وكذا فما أنتم قائلون فقالوا أيها الامير دع أهل قنسرين والعواصم وسر بنا الى حلب وانطاكية فقال خذوا أهبتكم رحمكم الله (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان بقي من الصلح والعهد الذي بينهم وبين أهل قنسرين شهر أو أقل من ذلك فاقام أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه ينتظر انفصال العهد قال وكانت عبيد العرب يأتون بجرائم الشجر من الزيتون والرمان وغير ذلك من الاشجار التي تطعم الثمار فعظم ذلك على الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فدعا العبيد اليه وقال ما هذا الفساد فقالوا أيها الامير ان الاحطاب متباعدة منا وهذه الاشجار قريبة فقال الامير أبو عبيدة عزيمة مني على كل حر وعبد قطع شجرة لها طعم وثمر لأجازينه ولأنكلن به فلما سمع العبيد ذلك النكال جعلوا يأتون بالاحطاب من أقصى الديار قال سعيد بن عامر وكان معي عبد نجيب وكان اسمه مهيعا وقد شهد معي الوقائع والحروب وكان جريء القلب في القتال وكان اذا خرج في غارة أو في طلب حطب يتوغل ويبعد فخرج هو وجماعة من العبيد ممن شهد الوقائع في طلب الحطب فابطأ خبره على سيده سعيد بن عامر فركب جواده وخرج في طلبه وجعل يقفو أثره واذا قد لاح له شخص وقد سال دمه على وجهه وصبغ سائر جسده وما كاد يمشي خطوة واحدة الا ويهوى على وجهه قال سعيد بن عامر فنزلت اليه وقلت له ما وراءك من الاخبار فقال هلكة ودمار يا مولاي فقلت عليك يا ابن الاسود حدثني بخبرك قال سعيد فلم يكد يقف حتى سقط على وجهه فنضحت على وجهه ماء فسكن ما به فقال يا مولاي انج بنفسك والا أدركك القوم يصنعون بك مثل ما صنعوا بي فقلت ومن القوم الذين صنعوا بك ما أرى فقال خرجت يا مولاي أنا وجماعة من الموالي لنحتطب حطبا فتباعدنا كثيرا في البر واذا نحن بكتيبة من الخيل زهاء عن ألف فارس كلهم عرب وفي أعناقهم صلبان الذهب والفضة وهم معتقلون بالذهب والفضة والرماح فلما نظروا الينا أسرعوا نحونا وداروا بنا وعزموا على قتلنا فقلت لاصحابي دونكم واياهم فقالوا ويحك ومن يقاتل وليس لنا طاقة بقتال هذه الكتيبة والخيل وما لنا الا أن نلقي بايدينا الى الاسر فهو أهون من القتال فقلت لا والله ما سلمت نفسي اليهم دون أن أقاتل قتالا شديدا فلما رأوا مني الجد فعلوا مثل فعلي فقاتلنا القوم وقاتلونا فقتلوا منا عشرة وأسروا عشرة وأما أنا فاثخنت بالجراح حتى سقطت على وجهي فرجعوا عني وبقيت كما ترى قال سعيد بن عامر الانصاري فغمني والله ما نزل بالعبيد فاردفته ورائي ورجعت على أثري واذا بالخيل قد اطلعت من ورائي كانها الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب واذا بخيل غسان أحدقت بالرماح الطوال وهم يقولون نحن بنو غسان من حزب الصليب والرهبان قال سعيد بن عامر فناديتهم أنا من أصحاب محمد المختار صلى الله عليه وسلم فاسرع بعضهم الي وهم أن يعلوني بالسيف فناديته يا ويلك أتقتل رجلا من قومك فقال من أي الناس أنت قلت أنا من الخزرج الكرام فرد السيف وقال أنت طلبة سيدنا جبلة بن الايهم وحق المسيح فقلت ومن أين يعرفني جبلة حتى يطلبني فقال انه يطلب رجلا من أهل اليمن من أنصار محمد بن عبد الله ثم قال سر بنا طائعا والا سرت كرها قال سعيد بن عامر فسرت والجيش معي حتى أشرفنا على الجيش العرمرم وعنده أعلام وصلبان قد رفعت فلم أزل مع القوم حتى أتوا بي الى مضرب جبلة بن الايهم واذا به جالس على كرسي من ذهب أحمر وعليه ثياب الديباج الرومي وعلى رأسه شبكة من اللؤلؤ وفي عنقه صليب من الياقوت فلما وقفت بين يديه رفع رأسه الي وقال من أي العرب أنت قلت أنا من اليمن قال أكرمت من أيها فقلت أنا من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عبد الله بن الازور بن عوف بن مالك بن كهلان بن سبا فقال جبلة من أي الملا أنت نسبا فقلت انا من ولد الخزرج بن حارثة من أنصار محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فقال جبلة وانا من قومك من بني غسان فقلت انا من القبيلة التي نسبت اليها فقال انا جبلة بن الايهم الذي رجعت عن الاسلام فما رضي صاحبكم عمر بن الخطاب ان يكون مثلي لهذا

وسكون العين المهملتين ثم ثاء مثلثة ابن الحرث الغطفاني من بني محارب جمع جمعا من بني ثعلبة وأراد الاغارة على المدينة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم في أربعمائة وخمسين رجلا من أصحابه فلما سمعوا به هربوا في رؤس الجبال (ثم كانت غزوة بحران) بفتح الباء الموحدة ويقال بضمها ثم بحاء مهملة ساكنة في السنة الثالثة من الهجرة (ثم كانت غزوة أحد) في السنة الثالثة أيضا وأحد جبل على ثلاثة أميال من المدينة وسببها انه لما أصاب قريشا في بدر ما أصابهم وخلص أبو سفيان بالعير ووصل الى مكة مشى

الذين ناصرا حتى ياخذ منى القود لعبد حقير وانا ملك اليمن وسيد غسان فقلت يا جبلة ان حق الله أوجب
من حقك ودينا الا يقوم الا بالحق والنصفة وان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يخاف ولا تأخذه
فى الله لومة لائم فقال لى ما اسمك فقلت سعيد بن عامر الانصارى فقال أوطئ يا سعيد قال فجلست
فقال ألك عهد بحسان بن ثابت الانصارى فقلت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قال فيه المصطفى
انت حسان ولسانك حسام فقال لى كم لك منذ فارقته فقلت عهدى به قريب وقد دعانى الى دعوة صنعها
وامر مولاته ان تنشدم باشعار فيك فانشدت

لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق فى الزمان الاول
يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أنسابهم * شم الانوف من الطراز الاول
المحلقين فقيرهم بغنيهم * المشفقين على اليتيم الأرمل
اولاد جفنة حول قبر ابيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

ثم خرجنا الى الشام وهذا آخر عهدى به قال جبلة بن الايهم أوحفظ لى هذه المكرمة قلت نعم فامر لى
بثوب من الكتان الرومى وفيه شئ من الورق وقال انا امرت لك بالكتان كى تلبسه ولا تحرمه ثم قال لى
بحق ذمة العرب ما كنت تصنع فى المكان الذى امرت فيه فقلت ان الصدق أوفى ما استعمله الرجل انا من
أصحاب الامير أبى عبيدة بن الجراح وقد قصدنا نريد حلب وانطاكية فقال جبلة اعلم ان الملك قد بعثنى انا
وهذا البطريق صاحب عمورية حتى ننصر صاحب قنسرين فانه قد كادكم بصلحه لكم وانا منتظران
يلاقينا بهذا المكان ولكن ارجع الى صاحبك أبى عبيدة وحذره من أسيافنا وقل له يرجع من حيث
قدم ولا يتعرض لبلاد هرقل وسوف ينزع من ايديكم ما قد ملكتموه من الشام قال سعيد بن عامر
فركبت واردفت غلامى ورائى وسرت حتى أتيت عسكر المسلمين فاسرع الناس الى وقالوا أين كنت يا ابن
عامر فاتيت خيمة الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وحدثته بقصتى مع جبلة بن الايهم فقال لى لقد خلصك
الله بذكرك لحسان بن ثابت الانصارى ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشورة ثم قال أيها
الناس ماترون من قصة هذا البطريق وقد وقفتم له وكادنا فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ان البغى
مصرعة وان كادنا كان الله من ورائه بالمرصاد وسوف نكيده أعظم مكيدة وانا أسير الى لقائه بعشرة
رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة انت لها يا أبا سليمان ولكل كريهة فخذ
من أحببت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أين عياض بن
غانم الاشعرى أين عمرو بن سعيد أين مصعب بن محارب اليشكرى أين أبو جندلة بن سعيد المخزومى
أين سهل بن عمرو العامرى أين رافع بن عميرة الطائى أين المسيب بن نجبة الفزارى أين سعيد بن عامر
الانصارى أين عمرو بن معد يكرب الزبيدى أين عاصم بن عمرو القيسى أين عبد الرحمن بن أبى بكر
الصديق رضى الله عنهم فاجابوه بالتلبية (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان ضرار بن الازور رضى
الله عنه رمد العينين لم يحضر هذه الوقعة فقال لهم خالد بن الوليد هلموا فوجدوه وقد تدرع بدرع مسيلمة
الكذاب الذى استلبه منه يوم اليمامة واشتمل بلامة حربه وركب جواده وقال لعبده همام سر معى حتى
ترى منى عجبا فسار معه وسار خالد بن الوليد رضى الله عنه والعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأبو عبيدة رضى الله عنه يدعو لهم بالنصر فاقبل خالد على سعيد بن عامر الانصارى وقال يا سعيد
أما أخبرك جبلة بن الايهم من أين ياتى البطريق صاحب قنسرين اليه فقال نعم يا أبا سليمان أخبرنى
فقال له خذ بنا فى الطريق الى جبلة بن الايهم حتى نكمن له فيه فاذا أتى البطريق صاحب قنسرين
كدناه كما كادنا ودمرناه ومن معه فسار سعيد أمام القوم يدلهم ويجد السير طالب عسكر جبلة بن الايهم
وكان مسيرهم ليلا فلما وصلوا الى قرب النيران وسمعوا أصوات القوم عدل بهم سعيد بن عامر الى صوب

أشراف قريش الى من
كان له تجارة فى تلك العير
التى كانت وقعت بدر بسببها
وكانت تلك العير محبوسة
فى دار الندوة لم تدفع الى
أربابها فقالوا ان محمدا
وتركم أى نقص عددكم
بان قتل رجالكم ولم تأخذوا
بثارهم فأعينونا بهذا
المال حتى نحارب به لعلنا
ندرك منه ثارا عمن أصاب
منا فطابت نفوسهم على
أن يجهزوا بربح ذلك العير
جيشا الى محمد وكان رأس
المال خمسين ألف دينار
وقد ربح كل دينار دينارا
فكان الربح خمسين ألف
دينار وخرجوا بها لمحاربته
صلى الله عليه وسلم وأنزل
الله تعالى على نبيه فى ذلك

طريق البطريق وكمن بمن معه من الرجال الى وقت الصباح فلم بات أحد فصلى خالد باصحابه صلاة الفجر
وهم فى المكمن فبينماهم فى المكمن اذ أشرف عليهم جيش جبلة بن الايهم والعرب المتنصرة وصاحب
عمورية وهم طالبون أرض العواصم وقنسرين فقال المسلمون لخالد يا أبا سليمان أما ترى هذا الجيش
الذى قد أشرف علينا فى عدد الشوك والشجر فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فما يكون من
كثرتهم اذا كان النصر لنا والله معنا فاختلطوا بهم أنتم وكونوا فى جملتهم كأنكم من جيشهم الى ان نلتقى
بالبطريق صاحب قنسرين ويفعل الله تعالى ما يشاء ويختار فعند ذلك اختلطوا بهم وصاروا فى جملتهم
وهم لا يفترقون قال رافع بن عميرة الطائى فلما أشرفنا على حد صلحنا ولاح لنا بلد العواصم وقنسرين اذا
ببطريقها قد استقبلنا وقد رفع أمامه الصليب وأخرج بين يديه القسوس والرهبان وهم يقرؤن الانجيل
وقد ارتفعت أصواتهم بكلمة الكفر ودنا بعضهم من بعض وخرج البطريق أمام الصحابة ليأتى الى جبلة
ابن الايهم يسلم عليه فاستقبله خالد بن الوليد رضى الله عنه مواجها له وحوله أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما قرب البطريق منهم قال سلمكم المسيح وأبقاكم الصليب فقال خالد يا ويلك ما نحن من
عباد الصليب بل نحن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد الحبيب وكشف خالد بن الوليد
رضى الله عنه وجهه ونادى لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله يا عدو الله أنا خالد بن
الوليد أنا المخزومى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب بيده البطريق وقبض عليه وانتزعه
من سرجه وبرز أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلوا السيوف على أصحابه وارتفعت الضجة
والجلبة وأعلن العدو بكلمة الكفر وضج المسلمون بكلمة التوحيد وسمع جبلة وصاحب عمورية
أصوات المسلمين وقد ارتفعت بالتهليل والتكبير فانزعجا لذلك ونظروا الى السيوف وقد جردت والرماح
وقد شرعت فبرز وانحو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان فلما
نظر خالد الى ما دهمه ونزل باصحابه الذين معه والبطريق صاحب قنسرين لا يفارقه وقد ملك قياده وهو
خائف ان ينفلت من يديه أو تجرى عليه حادثة قبل ان يقتله هم خالد ان يقتله ورفع السيف ليعلوه به
فتبسم البطريق من فعاله وعجب خالد من ضحكه وقال ويلك لم ضحكت فقال البطريق لانك مقتول انت
ومن معك وتريد قتلى وان انت أبقيت على فهو أصوب فتركه خالد ولم يقتله ثم صاح خالد بأصحابه أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا حولى واجتمعوا على واصبروا على ما نزل بكم ولا يكثر عليكم من أحدق
بكم فان أشد ما تخافون منه القتل والموت منية خالد فى سبيل الله وانى والله أهديت نفسى للقتل مرارا
لعلى أرزق الشهادة واعلموا رحمكم الله ان جنتنا واضحة ومفوضة الى الله عز وجل وكأنى بكم وقد وصلتم
الى ربكم وسكنتم دار الاعوت ساكنها ثم قرأ لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين (قال الواقدى رحمه
الله تعالى) فاجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد رضى الله عنه وداروا من حوله وصار
عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنه عن يمينه ورافع بن عميرة عن يساره وعبده همام من ورائه
واصحابه محدقون به وسلم خالد البطريق صاحب قنسرين الى عبده همام وقال له اوثقه الى جانبك ولا
تبرح من مكانك وابشر بالنصر من الله عز وجل (قال الواقدى) وأقبلت اليهم العرب المتنصرة يقدمهم
جبلة بن الأيهم فى عنقه صليب من الذهب الاحمر وفيه طوق من الجوهر وعليه ثياب الديباج المزركش
ومن فوقه درع مذهب الزرد وعلى رأسه بيضة من الذهب وعلى أعلاها صليب من الجوهر وفى يده رمح
طويل وسنانه يضىء كالقنديل وصاحب عمورية كالبرج المشيد ومن حوله الاعلاج المدججة وقد أحدق
بهم الجيش من كل جانب فلما نظر صاحب عمورية الى خالد بن الوليد رضى الله عنه وقد ملك صاحب
قنسرين وهو فى يده أسير خاف أن يعجل عليه خالد فاقبل الى جبلة وقال له وحق المسيح ما هؤلاء العرب
الا شياطين ألا ترى الى هذا العربى ومن معه وهم عشرة رجال وقد أحدق بهم هذا الجيش العظيم وما
يفكرون فيه وقد ملكوا صاحبنا وهو معهم أسير ولا يخلص من أيديهم وانى خائف عليه ان يقتلوه وهو

ان الذين كفروا ينفقون
أموالهم ليصدوا عن سبيل
الله الآية وجمع أبو سفيان
من قريش ومن والاهم
من قبائل العرب كنانة
وتهامة ثلاثة آلاف من
القبائل والحلفاء وفيهم
جابر بن مطعم بن عدى
ووحشى قاتل حمزة وكان
حبشيا وهند زوج أبي
سفيان وأم حكيم بنت
طارق وزوجها عكرمة
رضى الله عنهم وهؤلاء
أسلموا وبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم مسيرهم
وفيهم مائتا فرس وثلاثة
آلاف بعير وسبعمائة درع
ولبس صلى الله عليه وسلم
درعين وهما ذات الفضول
وفضة وتقلد سيفا مكتوبا

عز بن عبد الملك هرقل فاخرج الى هذا العربي وقل له يخلى صاحبنا ويوصله الينا حتى نجود لهم بأنفسهم فاذا اطلقوا صاحبنا حملنا عليهم وقتلناهم عن آخرهم قال رافع بن عميرة الطائى فبينما نحن وقوف حول خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وجيش الروم والعرب المتنصرة محدقون بنا ونحن لا نفكر فى كثرتهم لأنا واثقون بالله عز وجل واذا بجبلة بن الايهم وهو ينادى برفيع صوته ويقول من أنتم من أصحاب محمد المعروفين من أنتم من العرب التابعين أخبرونا من قبل أن ينزل بكم الدمار فكان المكلم له خالد وبادره بالخطاب وقال له بل نحن من أصحاب محمد المختار المعروفين باهل القبلة والاسلام والاكرام والانعام واما سؤالك عن انسابنا فنحن الآن من قبائل شتى وقد جعل الله كلمتنا واحدة ونحن مجتمعون عليها وهى قول لا اله الا الله محمد رسول الله زاده الله تعالى شرفا فلما سمع جبلة كلام خالد ابن الوليد غضب غضبا شديدا الذلم يفكر فيه ولا فيمن معه فقال جبلة يا فتى انت أمير هؤلاء العرب فقال خالد لست أميرهم بل أخوهم فى الاسلام وهم اخوانى المؤمنون فقال جبلة من أنت من أصحاب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد أنا المعروف بكبش بنى مخزوم أنا خالد بن الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل الذى عن يمينى هو عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وهذا الذى عن شمالى من أهل اليمن من كرام طيئ وهو رافع بن عميرة الطائى صهرى وفؤادى وذلك أنى أخذت من كل قبيلة شجاعها المعروف وبطلها الموصوف فلا تزدرد بقلتنا ولا تفرح بكثرتكم فما أنتم فى القتال الا كطيور وقع عليها صائدها وهى كامنة فى أوكارها فالقى القانص الشبكة عليها فما انفلت منها الا النجيب (قال الراوى) فزاد غضب جبلة من كلام خالد رضى الله تعالى عنه وقال له ستعلم ان كلامك عليك ميشوم اذا دارت بك الاسنة وبقيت أنت ومن معك طعاما للوحوش فى هذه الفلاة تمزقكم بكرة وعشيا فقال خالد له ذلك لا يكثر علينا وهو سهل لدينا فانت من العرب التى قد نسبت لعبادة الصليب فقال أنا سيد بنى غسان ومن ملوك همدان أنا ملك غسان وتاجها أنا جبلة بن الايهم فقال خالد أنت المرتد عن دين الاسلام ومن اختار الضلالة على الهدى وسلك سبيل الغى وضل وغوى فقال جبلة لست كذلك أنا الذى اخترت العز على الذل والهوان فقال خالد فانك على ذل نفسك حريص وانما الكرامة غدا فى دار البقاء والبعد عن دار الشقاء فقال جبلة يا اخا بنى مخزوم لا تفرط علينا فى المقال فانما بقائى عليك وعلى أصحابك بسبب هذا الاسير الذى فى يدك لانى أخاف ان حملت عليكم قتلته قبل قتلك وهو معظم عند الملك هرقل وقريب عنده فى النسب فاطلقه من يدك حتى احود عليكم بانفسكم فقال خالد أما أسيرى فلا أطلقه من يدى حتى اقتله ولا أبالى بما صنع بى بعده وأما قولك تحمل على وعلى من معى بهذه الجموع فما انصفت فى المقال فاذا اردت النصفة فى القتال فجمعكم عظيم وعددكم كثير ونحن عشرة رجال وقد احدقت بنا اعنة خيولكم وأسنة رماحكم وطوال سيوفكم فابرزوا فارسا فارس وهذا أميركم فان قتلتمونا فقد خلصتم اسيركم وان أظفرنا الله بكم وما النصر الا من عند الله فما يعظم عليكم هلاك اسيركم اذا هلكت أنفسكم قبله (قال الواقدى) فعند ذلك نكس جبلة رأسه وأقبل يحدث صاحب عمورية بجواب خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فغضب صاحب عمورية غضبا شديدا وانتضى سيفه فلما نظر خالد بن الوليد الى البطريق وقد جرد سيفه علم انه يريد القتال فلما هم صاحب عمورية بالحملة أمسكه جبلة ومنعه من الحملة وأوقفه تحت صليبه واقبل جبلة على خالد بن الوليد وقال يا أخا بنى مخزوم ان الحرب كما ذكرت تحتمل النصفة وهؤلاء بنو الاصفر أعلاج الروم غنم ما يعرفون النصفة فى البراز وقد حدثتهم بحديثك معى وقد رضوا منك بالمبارزة فمن اراد منكم المبارزة فليبرز قال رافع بن عميرة الطائى فعزم خالد بن الوليد أن يبرز فمنعه عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وقال يا أبا سليمان وحق القبر الذى ضم أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق شيبة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لا يبرز لهؤلاء القوم غيرى وأبذل المجهود فيهم فلعلى الحق بابى بكر الصديق فتركه خالد وقال اخرج شكر الله مقالك وعرف لك فعالك

عليه
فى الجبن عار وفى الاقدام مكرمة
والمرء بالجبن لا ينجو من القدر
(ولما جاوز المدينة) عرض عليه أصحابه فرد منهم شبانا خمسة عشر ولما التقى الجمعان قتل من المسلمين خلق كثير منهم جابر أبو عبد الله فاخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم ان الله أوقفه بين يديه وقال له سلنى اعطك فقال أسألك يا رب ان أرد الى الدنيا فاقتل فيك ثانيا فقال له عز وجل انه سبق منى انهم لا يرجعون الى الدنيا فقال أى رب فابلغ من ورائى فأنزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله

قال فخرج عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وهو على فرس كان لعمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه وكان دفعه له من قسمة غنيمة وقعة أجنادين وكان الجواد من خيل بنى لخم وجذام
من العرب المتنصرة وكان كالطود العظيم وعبد الرحمن غارقا فى الحديد والزرد النضيد وبيده قناة تامة
الطول فجال عبد الرحمن بجواده بين عساكر الروم والعرب المتنصرة ودعاهم الى القتال والبراز والنزال
وقال دونكم والقتال فانا ابن الصديق ثم جعل يقول

أنا ابن عبد الله ذى المعالى * والشرف الفاضل ذى الكمال
أبى المجيد الصادق المقال * أدين هذا الدين بالفعال

ثم طلب البراز قال رافع بن عميرة فخرج اليه خمسة فوارس من شجعان الروم فما كان يجول عبد الرحمن على
الفارس الا جولة واحدة فيصرعه قتيلا فلما اقتل الخمسة فوارس توقفوا عنه فهم بالحملة على عسكر الروم
فخرج اليه جبلة بن الايهم وقد اشتد به الغضب فلما اقترب من عبد الرحمن قال له ياغلام قد تعديت علينا فى
فعالك وبغيت علينا فى قتالك فقال عبد الرحمن وكيف ذلك وما البغى من شيمنا قال جبلة لانك قد ملأت
الارض من قتلانا وما خرجت اليك أقاتلك لانك است لى كفأ فى القتال وانما خرجت اليك لان رجلا
من أصحابك قد خرج يعينك وليس هذا من شيم الاشراف والانصاف قال فلما سمع عبد الرحمن كلام
جبلة تبسم وقال يا ابن الايهم تريد أن تخدعنى وأنا تربية الامام على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه وقد
شهدت معه الوقائع والقتال فقال جبلة است مخادعا وما قلت الا حقا فقال عبد الرحمن فاخرج بازاءه من
خرج معى فارسا من قومك ان كنت صادقا فى مقالتك واحمل على فانى كفء كريم (قال الواقدى رحمه
الله تعالى) فلما نظر جبلة بن الايهم الى عبد الرحمن وأنه لا يؤتى من قبل الخداع والحيل قال هل لك
ياغلام أن تلقى بيدك الينا وأغمسك فى ماء المعمودية غمسة تخرج منها نقيا من الذنوب كما خرجت من بطن
أمك وتكون من حزب الصليب والانجيل وتأكل القربان وتأخذ الجائزة العظيمة من الملك هرقل
وأزوجك ابنتى وأقاسمك نعمتى وأتفضل عليك باكرامى وانعامى وأنا الذى مدحنى شاعر نبيكم حيث
يقول

ان ابن جفنة من بقية معشر * لم تغذهم آباؤهم باللوم
يعطى الجزيل ولا يراه بأنه * الا كبعض عطية المذموم
لم ينسنى بالشام اذ هو بارح * يوما ولا متنصرا بالروم
ان جئته يوما تقر بمنزل * تسقى براحته من الخرطوم

فاسرع الى ما عرضته عليك لتنجو من المهالك وتكون فى النعم والعيش السليم فقال عبد الرحمن لا اله
الا الله وحده لا شريك له ياويلك يا ابن اللئام أتدعونى من الهدى الى الضلال ومن الايمان الى الكفر
والجهالة وانا ممن وقر الايمان فى قلبه وعرف رشده من غيه وصدق نبى الله وأبغض من كفر بالله فدونك
والقتال ودع عنك الخديعة والمحال وتقدم الى ما عزمت عليه حتى أضربك ضربة أعجل بها حمامك
وارغم بها انفك وتستريح العرب من ان تنسب اليك لانك كافر بالرحمن وعابد للصلبان قال فغضب
جبلة من كلام عبد الرحمن وحمل عليه وهم به ورفع رمحه يريد أن يطعنه فزاغ عبد الرحمن من الطعنة
وحمل على جبلة حملة عظيمة وتطاعنا بالرماح حتى كل عبد الرحمن من حمل قناته فرماها من يده وانتضى
سيفه وتعاركا فى الحرب فهجم عبد الرحمن على جبلة وضرب رمحه فبراه فرمى جبلة باقى الرمح من يده
وانتضى سيفه من غمده وكان من سيوف كندة من بقايا عاد كأنه صاعقة بارقة ما ضرب به شيأ الا براه
وحمل عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه حملة عظيمة قال رافع بن عميرة الطائى فعجبنا والله من عبد الرحمن
وصبره على قتال جبلة ومنازلته على صغر سنه وقلة اعوانه ثم التقيا بضربتين واصلتين فسبقه عبد الرحمن
بالضربة فاخذها جبلة فى جحفته فقطع الدرق ونزل السيف الى البيضة فانثنى سيف عبد الرحمن عنها
لانها ذات سقاية عظيمة فجرحه جرحا واضحا أسال دمه وضربه جبلة ضربة واصلة فقطع ما كان عليه من

أمواتا بل أحياء عند ربهم
يرزقون وكان قتادة يتقى
السهام بوجهه عن وجه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاصابه سهم خرجت
منه حدقته فلما رآها صلى
صلى الله عليه وسلم فى كفه
دمعت عيناه وقال اللهم
ق قتادة كما وقى وجه نبيك
ثم ردها صلى الله عليه وسلم
براحته الشريفة فكانت
أحسن عينيه وأحدهما
بصرا ولما رجع من غزوة
احد وبات ليلة شاع فى
صبيحتها ان قريشا يريدون
الرجوع الى المدينة فانتدب
صلى الله عليه وسلم أصحابه
للقتال وهى غزوة حمراء
الاسد فاجابه كل من كان
بأحد وأكثرهم جريح وتلقاه

حمص يسمع قالت فانكرنا ذلك وقلنا ان القوم قد وقع بهم عدوهم فعند ذلك كبر الامير أبو عبيدة رضى الله
عنه وحمل وحملت المسلمون قال رافع بن عميرة فبينما نحن قد أيسنا من أنفسنا اذ سمعنا التهليل والتكبير
فلم تكن الا ساعة حتى احاط جيش المسلمين بعسكر الكافرين ووضعوا السيوف من كل جانب وعلت
الاصوات وارتفعت الزعقات قال مصعب بن محارب اليشكرى فرايت عبدة الصلبان وهم هاربون
ورايت خالد بن الوليد رضى الله عنه وهو ثابت فى سرجه متشوق الى الاصوات من أين هى واذا بفارس
قد خرج من الغبار وهو يسوق فرسان الروم بين يديه وهم يهربون منه حتى أزاح من حولنا الكتائب
والرجال فاسرع خالد بن الوليد اليه وقال من انت ايها الفارس الهمام والبطل الضرغام فقالت انا
زوجتك ام تميم يا ابا سليمان وقد اتيتك بالقلنسوة المباركة التى تنتصر بها على اعدائك نخذها اليك فوالله
ما نسيتها الا لهذا الامر المقدر ثم سلمتها اليه فلمع من ذوابة رسول الله صلى الله عليه وسلم نور كالبرق الخاطف
(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وضع خالد القلنسوة على
رأسه وحمل على الروم الا قلب اوائلهم على أواخرهم وحملت المسلمون حملة عظيمة فما كان غير بعيد
حتى ولت الروم الادبار وركنوا الى الفرار ولم يكن فى القوم الا قتيل وجريح واسير وكان جبلة اول من
انهزم والعرب المتنصرة اثره فلما رجع المسلمون من اتباعهم اجتمعوا حول راية الامير أبى عبيدة رضى
الله عنه واتباعه وسلموا على الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وعلى المسلمين وشكروا الله على سلامتهم
ونظر ابو عبيدة رضى الله عنه الى خالد بن الوليد واصحابه وهم كأنهم قطعة ارجوان فصافحهم وهناه بالسلامة
وقال لله درك يا ابا سليمان قد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل ثم قال الامير أبو عبيدة رضى الله
عنه يا معاشر الناس قد رأيت أن نسير من وقتنا هذا ونغير على قنسرين والعواصم ونقتل الرجال
وننهب الاموال فقال المسلمون نعم ما رأيت يا امين الامة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فانتخب
أبو عبيدة رضى الله عنه فرسانا فجعلهم فى المقدمة مع عياض بن غانم الاشعرى وساروا حتى أشرفوا على
قنسرين والعواصم فقال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شنوا الغارات فشنوا الغارات عليهم
وسبوا الذرارى وقتلوا الرجال فلما نظر أهل قنسرين الى ذلك غلقوا أبواب مدينتهم واذعنوا
بالصلح وأداء الجزية فأجابهم أبو عبيدة رضى الله عنه الى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح وفرض على كل
رأس منهم أربعة دنانير وبذلك أمره عمر بن الخطاب رضى الله عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لما
فتح أبو عبيدة رضى الله عنه قنسرين والعواصم قال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على
برايكم رحمكم الله فان الله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل
على الله الآية فهل اسير الى حلب وقلاعها وانطاكية وملوكها وعساكرها أو نرجع الى ورائنا فقالوا
أيها الامير كيف نرجع الى حلب وانطاكية وهذه أيام انقضاء الصلح الذى بيننا وبين أهل شيزر وارمين
وحمص وجوسية ولا شك انهم قد أخذوا الحصار وقووا بلادهم بالاطعمة والرجال ونخاف أن
يتغلبوا علينا فيما أخذناه من البلاد ويغيروا علينا الا سيما بعلبك وحصنها فانهم أولو شدة وعديد ونرى
من الرأى أنا نرجع اليهم ونقاتلهم فلعل الله عز وجل أن يفتح على أيدينا قال فاستصوب ورجع على
طريقه فوجدوا البلاد كما قالوا قد تحصنت بالعدد والرجال والطعام ولم يكن لأبى عبيدة قصد الا حمص
فوجدها قد تحصنت بالعدد والعديد وقد بعث اليها الملك هرقل بطريقا من أهل بيته وكان من أهل الشدة
والباس ومعه جيش عرمرم وكان اسم البطريق هربيس فلما نظر أبو عبيدة الى ذلك ترك على حمص
خالد بن الوليد رضى الله عنه وسار هو الى بعلبك فلما اقترب منها واذا بقافلة عظيمة فيها جمع من الناس
ومعهم البغال والدواب وعليها من أنواع التجارات وقد أقبلت من الساحل يريدون بعلبك فلما نظر أبو
عبيدة رضى الله عنه الى سوادها قال لمن حوله من الفرسان ما هذا الا جمع كثير امامنا فقالوا الاعلم لنا
بذلك فقال على بخبرهم فسارت الخيل اليهم وأخذت أخبارهم ورجع بعضهم يخبر بها والقافلة من قوافل

وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب اليهم لحاجة عرضت له لقربهم من المدينة وكان معه من أصحابه جماعة دون العشرة فجلسوا بجانب جدار من بيوتهم فارادوا الغدر به صلى الله عليه وسلم وان يصعد رجل الى الجدار ويلقى عليه حجرا فاخبره جبريل بذلك فقام وذهب الى المدينة وكان ذلك منهم نقضا للعهد فارسل اليهم ان أخرجوا من بلدى لان بلدهم كان من أعمال المدينة فلم يخرجوا فتجهز اليهم وغزاهم (ثم كانت غزوة بدر الثالثة) فى السنة الرابعة وتسمى بدر الموعد لان ابا سفيان نادى يوم احد

الزرد والدروع والثياب ووصلت الضربة الى منكبه فجرحته فلما أحس عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه
بالضربة قد وصلت اليه ثبت نفسه وارى قرينه كان الضربة لم تصل وحرك جواده واطلق عنان فرسه
حتى لحق بخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه واصحابه فلما وصل اليهم قال له خالد قد وصل اليك عدو الله
بضربته فقال نعم وأظهر له ضربته وما لحقه فاخذوه عن فرسه وسدوا جراحه فقال خالد يا ابن الصديق
ان كان جبلة قد وصل اليك بضربته فوحق بيعة أبيك لأفجعنهم فى أسيرهم كما فجعونى بك ثم صاح خالد
بعبده همام وقال قدم هذا العلج فقدمه بين يديه فضربه بسيفه فاطاح رأسه عن جسده فلما نظرت الروم
الى صاحبهم وقد قتله خالد فجعهم ذلك وغضب جبلة وقال أبيتم الا الغدر وقتلتم صاحبنا ثم صاح فى الروم
والعرب المتنصرة وهموا بالحملة ونظر خالد اليهم وقد حملوا على المسلمين فقال لعبده همام قف أنت عند
عبد الرحمن فامنع عنه من أراده بسوء ثم قال لاصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج أحد
منكم عن صاحبه وكونوا حولى فانا معكم أرجو الفرج والنصر من الله عز وجل فوقف أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم حول خالد بن الوليد رضى الله عنهم كما أمرهم وما قصدهم الا من أيس من نفسه وحملت الروم
والعرب المتنصرة بأجمعهم وثبت لهم المسلمون الاخيار وعظم بينهم القتال ودارت بهم الاهوال * قال
ربيعة بن عامر والله لقد كان خالد بن الوليد كلما كثرت الخيل حولنا وازدحمت علينا يتقيها بنفسه
ويفرقها بسيفه ولم نزل كذلك حتى أخذنا العطش والظما فقال رافع بن عميرة الطائى فلما رأيت ذلك قلت
لخالد بن الوليد يا أبا سليمان لقد نزل بنا القضاء فقال والله لقد صدقت يا ابا عميرة لانى نسيت القلنسوة
المباركة ولم أصحبها معى (قال الواقدى) وقد عظم عليهم الامر وعزمهم الصبر وأخذهم الانبهار ورأوا
من المشركين الدمار والارض قد ملئت من قتلى المشركين وهم بين الروم كانهم اسرى واذا قد نادى بهم
مناد وهتف بهم هاتف وهو يقول خذل الآمن ونصر الخائف أبشروا يا حملة القرآن جاءكم الفرج
من الرحمن ونصرتم على عبدة الاوثان هذا وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت السيوف البواتر
ودارت عليهم الحوافر (قال الواقدى) حدثنا بسرة عن اسحق بن عبد الله قال كنت مع ابى عبيدة
رضى الله عنه فبينما نحن فى شيزر وأبو عبيدة فى مضربه واذا به قد خرج فى بعض الليل من مضربه وهو
ينادى النفير النفير يا معاشر المسلمين لقد أحيط بفرسان الموحدين قال فاسرعنا اليه من كل جانب
ومكان وقلنا له ما نزل بك أيها الامير فقال الساعة كنت نائما اذ طرقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحرنى وقال لى معنفا يا ابن الجراح أتنام عن نصرة القوم الكرام فقم والحق بخالد بن الوليد رضى الله
عنه فقد أحاط به القوم اللئام وانك تلحق به ان شاء الله تعالى رب العالمين (قال الواقدى رحمه الله
تعالى) فلما سمع المسلمون قول أبى عبيدة رضى الله عنه تبادروا الى لبس السلاح والزرد وركبوا
خيولهم وساروا يريدون خالدا ومن معه قال فبينما الامير أبو عبيدة رضى الله عنه على المقدمة فى أوائل
الخيل اذ نظر الى فارس يسرع به جواده وهو أمام الخيل ويكر فى سيره كر فأمر أبو عبيدة رضى الله عنه
رجالا من المسلمين ان ألحقوا به فلم يقدروا على ذلك لسرعة جواده قال فلما كانت الخيل عن ادراكه نظر
أبو عبيدة اليه وظن انه من الملائكة قد أرسله الله امامهم غير انه نادى به الامير أبو عبيدة على رسلك أيها
الفارس الجد والبطل المكد ارفق بنفسك يرحمك الله فوقف الفارس حين سمع النداء فلما قرب أبو
عبيدة من الفارس اذا هى أم تميم زوجة خالد بن الوليد رضى الله عنهما فقال لها أبو عبيدة ما حملك على المسير
أمامنا فقالت أيها الامير انى سمعتك وأنت تصيح وتفصح بالنداء وتقول ان خالدا أحاطت به الاعداء
فقلت ان خالدا ما يخذل أبدا ومعه ذؤابة المصطفى صلى الله عليه وسلم اذ حانت منى التفاتة الى القلنسوة
المباركة وقد نسيها فاخذتها وأسرعت اليه كما ترى فقال أبو عبيدة لله درك يا أم تميم سيرى على بركة الله
وعونه قالت أم تميم كنت فى جماعة نسوة من مذحج وغيرهم من نساء العرب والخيل تطير بنا طيرانا حتى
أشرفنا على الغبرة والقتال ونظرنا الاسنة والصوارم تلوح فى القتال كانها الكواكب وما للمسلمين

طلحة بن عبيد الله فقال أين
سلاحك يا طلحة فقال قريب
يا رسول الله وذهب لسلاحه
وكان به بضع وسبعون
جراحة قال طلحة وأنا أهم
بجراح رسول الله صلى الله
عليه وسلم منى بجراحى قال
يا طلحة أين ترى القوم قال
قريبا فقال أما انهم لا ينالون
منا مثلها حتى يفتح الله
علينا مكة ونستلم الركن
(وسار حتى بلغ حمراء
الاسد) وهو مكان بينه
وبين المدينة ثمانية أميال
ولما بلغ المشركين خروج
رسول الله صلى الله عليه
وسلم كبر عليهم ذلك ورجعوا
الى مكة (وفى السنة الرابعة
كانت غزوة بنى النضير)
وهم قوم من اليهود بخيبر

الروم محملة متاعا قال شداد بن عدى وكانت أحمال القافلة أغلبها سكر وكانت لاهل بعلبك فلما سمع أبو
عبيدة ذلك قال ان بعلبك لنا حرب وليس بيننا وبينهم عهد فخذوا ما قد ساقه الله اليكم فانها غنيمة من عند
الله (قال الواقدى) فاحتوينا على القافلة وكان فيها أربعمائة حمل من السكر والفستق والتين وغير ذلك
وأخذنا أهلها اسارى فقال أبو عبيدة رضى الله عنه كفوا عن القتل واطلبوا منهم الفداء فابتعناهم
أنفسهم بالذهب والفضة والثياب والدواب وصنعنا من السكر العصيدة والفالوذج بالسمن والزيت ودعس
المسلمون دعسا وبتنا حيث حوتنا القافلة فلما أصبح الصباح أمرنا أبو عبيدة رضى الله عنه بالمسير الى
بعلبك والنزول عليها وكان قد هرب قوم من القافلة وأخبروا أهل بعلبك بالقافلة (قال الواقدى رحمه الله
تعالى) وكان على بعلبك بطريق عظيم يقال له هربيس وكان شديد البأس شجاع القلب فلما أتاه الخبر
بقدوم عساكر المسلمين جمع رجاله وأهل الحرب وأمرهم بلبس السلاح والعدد وخرج بعسكره وجعل
يسير وهو يعلم ان الامير أبا عبيدة رضى الله عنه سائر اليهم بجيوش المسلمين فلما انتصف النهار وتراءى
الجمعان وكان هربيس معه سبعة آلاف فارس سوى من أتبعه من سواد بلده فلما نظروا الى جيش
أبى عبيدة رضى الله عنه ونظر المسلمون الى ذلك نادوا النفير النفير فعندها تبادرت الفرسان وتقدمت
الشجعان وشرعوا رماحهم وجردوا سيوفهم وصف هربيس رجاله وعباهم تعبية الحرب فقال له بعض
بطارقته ما الذى تريد ان تصنع مع العرب فقال أقاتلهم لئلا يطمعوا فينا فينزلوا على مدينتنا فقال له
الرأى عندى أن لا تقاتل العرب وارجع سالما انت ورجالك فان أهل دمشق الشام ما قدروا عليهم ولا
ردهم عساكر أجنادين ولا جيوش فلسطين وقد بلغك ما فيه كفاية مما جرى لهم بالامس مع صاحب
قنسرين وصاحب عمورية والعرب المتنصرة وكيف ردهم هؤلاء العرب على أعقابهم منهزمين والصواب
أنك تفوز بنفسك وبمن معك وارجع فقال هربيس لست افعل ذلك ولا انهزم أمام العرب وقد بلغنى ان
عسكرهم الكبير على حمص مع الامير أبى عبيدة الذى كان فيها خالد بن الوليد وهذه غنيمة ساقها المسيح
الينا فقال ذلك البطريق الناصح أما أنا فلست اتبع رأيك ولا أقاتل العرب ثم لوى عنان فرسه راجعا
الى بعلبك واتبعه خلق كثير من القوم وأما هربيس فانه صف رجاله وزحف يريد القتال فلما نظر أبو
عبيدة رضى الله عنه ذلك وانهم قد عولوا على الحرب صف رجاله وعساكره وقال أيها الناس اعلموا رحمكم
الله تعالى ان الله قد وعدكم وأيدكم بالنصر حتى هزم أكثر هؤلاء القوم وهذه المدينة التى أنتم قاصدون
اليها اوسط ما فتحتموه من البلاد وأهلها قد اكثروا من الزاد والعدد والقوة فاياكم والجبن وانتصروا
وأعزوا اعداء الدين وانصر والله ينصركم واعلموا ان الله معكم ثم حمل الامير أبو عبيدة وحمل المسلمون
قال عامر بن ربيعة وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ما كان بيننا وبينهم
الا جولة الجائل حتى ولوا الادبار وطلبوا الاسوار ودخل هربيس المدينة مع أصحابه وفيه سبع جراحات
فتلقاه الذى اشار عليه ان لا تقاتل العرب وقال له وأين غنائم العرب التى غنمتموها فقال هربيس ويحك
المسيح أتهزأ بى وقد قتلت العرب رجالى وقد جرحت هذه الجراحات فقال له البطريق الم أقل لك انك مهلك
نفسك ورجالك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ان الامير أبا عبيدة سار حتى نزل على بعلبك فنظر الى
مدينة هائلة وحصن حصين والقوم قد اغلقوا الابواب وقد احرزوا أموالهم ومواشيهم فى جوفها واطلع
المسلمون على الاموال كأنها الجراد المنتشر قال فلما نظر الامير أبو عبيدة رضى الله عنه الى البلد
وتحصينه وامتناعه وكثرة رجاله وشدة برده وذلك انه بلد لا يزايله البرد فى الشتاء والصيف فقال الامير أبو
عبيدة رضى الله عنه لخواص اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الرأى فى ذلك فاجتمع رأيهم على
شورى واحدة وهو ان يحاصروا القوم ويضيقوا عليهم فقال معاذ بن جبل رضى الله عنه أصلح الله الامير
انى اعلم ان الروم ازدحم بعضهم ببعض من كثرتهم وأظن ان المدينة لا تسعهم وان طاولناهم رجونا من
الله النصر وان يفتحها الله على أيدينا فقال الامير يا ابن جبل من اين علمت ان القوم يتضايقون فى

الموعد بيننا وبينكم بدر
العام القابل فخرج صلى الله
عليه وسلم ومعه ألف
وخمسمائة من أصحابه
فأقاموا على بدر ثمانية أيام
مدة الموسم وكان ابو سفيان
قد خرج من مكة فى الفين
من قريش حتى نزل خارج
مكة وقد قام به رعب من محمد
صلى الله عليه وسلم فجمع
قريشا وقال لهم انه لا يصلح
هذا العام لقتال محمد
فارجعوا فرجعوا وباع
المسلمون ما كان معهم من
التجارة وربحوا ربحا كثيرا
وفيهم نزل فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل الآية (ثم
كانت غزوة دومة الجندل)
أواخر السنة الرابعة الجندل
بفتح الدال المهملة بلدة

مدينتهم فقال يا أمير المؤمنين انى كنت أول من أسرع بجواده قبل واشرفت على هذه المدينة والقلعة البيضاء ورجوت ان الحق سوابق الخيل فرأيت القوم يدخلون المدينة من جميع الابواب مثل السيل المنحدر والمدينة مشحونة باهل السواد والقرى والمواشى ودوابهم فيها وقد ضاقت بهم وهذه أصوات القوم فى المدينة كأنهم النحل من كثرتهم فقال أبو عبيدة صدقت يا معاذ ونصحت وايم الله ما عرفتك الا مبارك الرأى سديد المشورة (قال الواقدى) وبات المسلمون تلك الليلة يحرس بعضهم بعضا الى الصباح ثم كتب أبو عبيدة رضى الله عنه الى أهل بعلبك كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أمير جيوش المسلمين بالشام وخليفة أمير المؤمنين فيهم أبى عبيدة بن الجراح الى أهل بعلبك من المخالفين والمعاندين اما بعد فان الله سبحانه وتعالى وله الحمد اظهر الدين وأعز اولياءه المؤمنين على جنود الكافرين وفتح عليهم البلاد وأذل أهل الفساد وان كتابنا هذا معذرة بيننا وبينكم وتقدمة الى كبيركم وصغيركم لانا قوم لانرى فى ديننا البغى وما كنا بالذين نقاتلكم حتى نعلم ما عندكم وان دخلتم فيما دخل فيه المدن من قبلكم من الصلح والامان صالحناكم وان اردتم الذمام ذممناكم وان أبيتم الا القتال استعنا عليكم بالله وحاربناكم فاسرعوا بالجواب والسلام على من اتبع الهدى ثم كتب انا قد اوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى وطوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وأمره أن يسير به الى أهل بعلبك ويأتيه بالجواب فاخذ المعاهد الكتاب وأتى به الى السور وخاطبهم بلغتهم وقال انى رسول اليكم من هؤلاء العرب فدلوا حبلا فربطه فى وسطه وأخذه القوم اليهم وأتوا به الى بطريقهم هربيس فناوله الكتاب فجمع هربيس أهل الحرب والبطارقة وقرأ عليهم كتاب ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه وقال اشيروا على برأيكم فقال له بطريق من بطارقته وهو صاحب مشورة الرأى عندى ان لا نقاتل العرب لانا ليس لنا طاقة بقتالهم ومتى صالحناهم كنا فى امن وخصب ودعة كما قد صار اهل اركة وتدمر وحوران وبصرى ودمشق وان نحن قاتلناهم واخذونا فى الحرب قتلوا رجالنا واستعبدونا وسبوا حريمنا والصلح خير من الحرب فقال هربيس لا رحمك المسيح فما رأيت أجبن منك ولا أقل جلدا يا ويلك كيف تأمرنا أن نسلم مدينتنا الى أوباش العرب لاسيما وقد عرفت حربهم وقتالهم واختبرت نزالهم وانى فى هذه النوبة لو حملت فى ميسرتهم كنت هزمتهم فقال له البطريق نعم كانت الميسرة والقلب يخافون منك ثم تخاصما وتشاتما وافترق أهل بعلبك فرقتين فرقة يطلبون الصلح وفرقة يطلبون القتال ورمى هربيس الكتاب الى المعاهد بعد أن مزقه وأمر غلمانه أن يدلوه الى ظاهر المدينة ففعلوا ذلك ووصل المعاهد الى عسكر المسلمين وأتى أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه وحدثه بما كان من القوم وقال أيها الامير ان أكثر القوم عولوا على القتال فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه للمسلمين شدوا عليهم واعلموا ان هذه المدينة فى وسط أعمالكم وبلادكم فان بقيت كانت وبالا عليكم من صالحتم ولا تقدرون على سفر ولا على غيره قال فلبس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والعدد ورجعوا الى الاسوار وعطف أهل بعلبك عليهم وتراموا بالسهام والاحجار وان هربيس قد نصب كرسيه وسريره على برج من ابراج القلعة من ناحية النملة وقد عصب جراحته ولبس سلاحه ولامته ولبس على رأسه صليبا من الجوهر وحوله البطارقة والديرجانية بالدروع المذهبة والعدد الكاملة وفى أعناقهم صلبان الذهب والجوهر وبايديهم القسى والسهام قال عامر بن وهب اليشكرى شهدت حرب بعلبك وقد زحفت المسلمون الى سورها قال ونشاب الروم كالجراد المنتشر وكان أناس من العرب بلا سلاح فاصابهم سهام القوم قال ورأيت القوم يتساقطون علينا من السور تساقط الطير على الحب فذهبت الى رجل سقط لاضرب عنقه فصاح الغوث الغوث وكنا قد عرفنا من الحرب ان من قال الغوث يعنى الامان فقلت له ويلك لك الامان فما الذى ألقاك الينا من سوركم فجعل يكلمنى بالرومية وأنا لا أدرى ما يقول قال عامر بن وهب اليشكرى فسحبته الى خيمة ابى عبيدة وقلت له أيها الامير اطلب من يعرف لغة هذا العلج فانى رأيتهم يرمى بعضهم بعضا فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه لمن حضر من

قريبة من دمشق بلغه صلى الله عليه وسلم ان بها جماعة يتعرضون لمن مر بهم بالاضرار والافساد واخذ الاموال وانهم يريدون أن يدنوا من المدينة فندب صلى الله عليه وسلم لهم الناس وخرج فى ألف مقاتل فلما دنا منهم وبلغهم الخبر تفرقوا فهجم على ماشيتهم وأمسك أصحابه رجلا منهم فسأله عنهم فقال هربوا فعرض عليه الاسلام فأسلم (ثم كانت غزوة الخندق) فى شوال سنة خمس ويقال لها غزوة الاحزاب وكان كفار قريش ومن عاونهم من يهود بنى النضير وقبائل العرب المشركين عشرة آلاف ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم

المترجمة اخبرنا بخبر هذا العلج وما قصته ولم يرمى بعضهم بعضا فقال له الترجمان يا ويلك قد أعطيناك
الامان فاصدقنا فى الكلام وقل لنا لم يرمى بعضكم بعضا قال ان بعضنا لا يرمى بعضا ولكنا من أهل
السوارى والقرى فلما سمعنا بمسيركم ورجوعكم عن أهل قنسرين التجأنا الى هذه المدينة من جميع
الرساتيق لنتحصن فيها لما نعلم من كثرة ما بها من الجيش فضيق بعضنا على بعض وسددنا طرقات المدينة
ومضى بعضنا الى السور فاذا ليس لنا موضع نأوى اليه ولا مسكن نسكن فيه فجعلنا الابراج والاسوار
مسكنا لنا فلما زحفتم الى القتال برز اليكم أهل الحرب والنزال من هذه المدينة فجعلوا يدوسوننا بارجلهم
واذا اشتد الحرب عليهم والقتال يدفع الرجل منهم الرجل منا فيلقيه اليكم (قال الواقدى رحمه الله
تعالى) فلما سمع الامير أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ذلك فرح فرحا شديدا وقال أرجو من الله أن
يجعلهم غنيمة لنا قال وأخذت الحرب مأخذها وطحنت رجالها وعلا الضجيج وحمى الروم أسوارهم فلم
يقدر أحد من المسلمين أن يصل اليها من كثرة السهام والحجارة قال غياث بن عدى الطائى حاربنا أهل
بعلبك فى أول يوم فاصيب من المسلمين اثنا عشر رجلا وأصيب من الروم على السور خلق كثير من أهل
الحرب وغيرهم وانصرف المسلمون الى رحالهم وما لهم همة الى الطعام ولا الشراب ولا يريد أحد منا الا
الاصطلاء بالنار من شدة البرد قال فبينما نحن ليلتنا نوقد النار ونتناوب فى الحرس الى الصباح فلما
صلينا الفجر نادى مناد من قبل أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه يقول عزيمة منى على كل رجل من المسلمين
لا يبرز الى حرب هؤلاء القوم حتى ينفذ الى رحله ويصلح له طعاما حارا يأكله ليكون بذلك شديدا على لقاء
العدو قال فابتدرنا الى اصلاح أمورنا فلما نظر أهل بعلبك الى تأخرنا عن حربهم وقتالهم طمعوا فينا وظنوا
ان ذلك فشل منا وعجز فصاح هربيس فى الروم وقال اخرجوا لهم بارك المسيح فيكم قال غياث بن عدى
فلم يشعر المسلمون الا والابواب قد فتحت والخيل والرجال قد طلعت الينا كالجراد المنتشر قال وكان
بعضنا قد مد يده الى الطعام وبعضنا ينضج له القرص واذا بعبد ينادى يا خيل الله اركبى وللجهاد تأهبى
فدونكم والقوم قبل أن يدهموكم قال حمدان بن اسيد الحضرمى وكان لى قرص خبزته وقدمت شيأ من
الزيت لأجعله اداما للقرص واذا بالمنادى ينادى النفير النفير قال فوالله ما راعنى ذلك حتى أخذت
قطعة وغمستها فى الزيت وهويت بها الى فى فسمعت النفير فقمت مسرعا وركبت جوادى عريانا من
عجلة ما صنعت ولا عقلت على نفسى حتى صرت فى الروم فجعلت أحطمهم حطما واهبرهم بالسيف هبرا قال
فنظرت الى خيل الروم متفرقة والامير أبو عبيدة قد نصب رايته والناس يهرعون اليها وان أبا عبيدة رضى
الله تعالى عنه ينادى برفيع صوته اليوم يوم له ما بعده قال ونظر أبو عبيدة الى شدة ضرب الروم وصبرهم
على قتال المسلمين فحمل عليهم بالخيل العربية وأحاط بالروم من كل جانب ومكان وكان فى جملة خيله عمرو
ابن معديكرب الزبيدى وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وربيعة بن عامر ومالك
ابن الاشتر وضرار بن الازور رضى الله تعالى عنهم وذو الكلاع الحميرى فلله درهم فلقد قاتلوا قتالا
شديدا وأبلوا بلاء حسنا فلما نظرت الروم الى فعلهم رجعوا الى أعقابهم طالبين الاسوار وغلقوا الابواب
ورجع المسلمون الى عسكرهم وأضرموا نيرانهم ودفنوا من استشهد منهم وأقبلت رؤساء المسلمين الى
الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وقالوا أيها الامير ما الذى قد عزمت عليه وما عندك من الرأى
يرحمك الله فقال أبو عبيدة رضى الله عنه اعلموا أن من الرأى أن تتأخر عن المدينة مقدار شوط فرسخ
ليكون ذلك مجالا لخيلكم ومنعة لحريمكم والنصر من عند الله تعالى ثم دعا أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه
بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعقد له راية وأمره على خمسمائة فارس وثلثمائة راجل وأمرهم أن يهبطوا
الى الوادى وأن يقاتلوا القوم على الابواب وأن يشغلوهم عن المسلمين ثم دعا ضرار بن الازور وعقد له
راية وأمره على خمسمائة فارس ومائة راجل وسرحه الى باب الشام وقال يا ابن الازور وأظهر شجاعتك

خبرهم شاور أصحابه فى ان
يبرز لهم او يكون فيها فأشار
عليه سلمان الفارسى رضى
الله عنه بالخندق وقال
يا رسول الله انا كنا بأرض
فارس اذا تخوفنا الخيل
خندقنا عليهم فأعجبهم ذلك
وضربوا الخندق على المدينة
وظهر فيها معجزات كثيرة
منها ما رواه جابر رضى الله
عنه قال اشتد علينا فى
بعض الخندق كدية
فشكوناها لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فدعا باناء من
ماء فتفل فيه ودعا بما شاء الله
ثم صب ذلك الماء على تلك
الكدية فانهالت حتى
عادت كالكثيب لا ترد
فأسا ولما حضروا حول
المدينة مكثوا مدة وارسل

عـلى بنى الاصفر فقاتل من هناك من الروم فقال حباوكرامة قال ومضت كل فرقة الى جهة من الجهات
فلما اصبح الصباح فتحت الروم الابواب وخرجوا فى خلق كثير الى أن تكاملوا حول بطريقهم هربيس
فقال لهم البطريق اعلموا يامعاشر النصرانية ان أهل هـذا الدين من قبلكم قد فشلوا عن قتال هؤلاء
العرب وعجزوا عن قتالهم ونزالهم فقالوا أيها السيد طب نفسا وقر عينا فانا كنا نخاف من العرب قبل أن
نختبرهم ونعلم قتالهم وقد علمنا انهم اذا لاقواحربنا لم يكونوا أصبر منا على الحرب لان أحدهم يلقى الحرب
وعليه ثوب خلق خام أو فروة خلقة ونحن علينا الدروع والزرد وقد وهبنا أنفسنا للمسيح (قال الواقدى)
فلما نظر أبو عبيدة رضى الله عنه الى كثرتهم نادى برفيع صوته يامعاشر المسلمين لا تفشلوا فتذهب
ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين قال وان الروم داخلهم الخوف لما كانوا قد نالوه من غرة المسلمين
بالامس فحملوا حملة عظيمة قال سهل بن صباح العبسى شهدت قتال أهل بعلبك وقد خرج الينا أهلها
فى اليوم الثانى وهم أطمع مما كانوا فى اليوم الاول وقد حملوا علينا حملة عظيمة شديدة منكرة وكنت
فى ذلك اليوم أصابنى جرح فى عضدى الايمن وما أطيق أن أحرك يدى ولا أحمل سيفا فترحلت عن
جوادى وجريت بين أصحابى وقلت فى نفسى اذا قصدنى أحد من هؤلاء الاعلاج لم يكن لى غنى أدفع عن
نفسى فطلعت الى ذروة الجبل فعلوته وأشرفت على العسكرين وجعلت أنظر الى حربهم وقتالهم وقد
طمعت الروم فى العرب والمسلمون ينادون بالنصر وأبو عبيدة يدعو لهم بالنصر والتحمت القبائل
وافتخرت العشائر قال سهل بن صباح وأنا على الجبل من وراء حجر انظر الى ضرب السيوف على البيض
والجحف والشرر يطير من شعاعها وقد التقى الفريقان واختلط الجمعان فقلت فى نفسى ويحى وما عسى
أن ينفع المسلمين مقام سعيد بن زيد وضرار بن الازور على الابواب والامير أبو عبيدة فى مثل هذا الحرب
وانهم والله على وجل أن ينكشفوا من عظم شدتهم وحربهم وهول ما يلقونه قال فاسرعت الى
جرائم الشجر فجعلت اكسرها واعبى الحطب بعضه على بعض وعمدت الى زناد كان معى فاوقدت
النار واضرمتها فيه وعبيت عليه حطبا أخضر ويابسا حتى علا منه دخان عظيم وكانت علامتنا اذا
أردنا ان يجتمع بعضنا الى بعض بارض الشام فى الليل وقود النار واثارة الدخان قال فما هو
الا أن علا الدخان وتصاعد الى الافق حتى نظر اليه سعيد بن زيد وأصحابه وضرار بن الازور وأصحابه
فنادى بعضهم بعضا الحقوا الامير أبا عبيدة رحمكم الله فان هذا الدخان ما هو الا من شئ عظيم والصواب
أن نكون بخيلنا فى موضع واحد فأسرعوا بخيلهم وساروا حتى أشرفوا على المسلمين وهم فى شدة
الحرب وأعظم الكرب وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت السيوف البواتر واذا بمناد هتف بهم
ياحملة القرآن جاءكم النصر من الرحمن ونصرتم على عبدة الصلبان واذا قد أشرف عليهم سعيد بن زيد
وضرار بن الازور فى أوائل خيلهم وقد شرعا سنانهما وحملا فى الروم وقد ايقن الروم انهم الغالبون
اذ ظهرت عليهم رايات المسلمين وكتائب الموحدين فالتفتوا ينظرون ما الخبر واذا بالمسلمين من
ورائهم وقد حالوا بينهم وبين مدينتهم فنادوا بالويل والحراب وظنوا انه قد أتى للمسلمين نجدة ومدد وقد
فرد بهم البطريق فلما نظر البطريق الى تبلدهم زعق فيهم وقال ياويلكم لا ترجعوا الى المدينة فقد
حيل بينكم وبينها وهذه مكيدة من مكائد العرب فلما سمعت الروم ذلك أحاطوا ببطريقهم كالحلقة
المستديرة يحمى بعضهم بعضا فعدل بهم البطريق نحو الجبل ذات الشمال وكان سعيد بن زيد وضرار
ابن الازور قد أقبلا بجيشهما عن يمين الحصن وشماله فحملوا عليهم واتبعوا آثارهم حتى طلعوا الى الجبل
والتجأت الروم الى ضيعة فى الجبل حصينة خالية من أهلها فاستند الروم اليها وتحصنوا فيها وتبعهم سعيد
ابن زيد فى الخمسمائة فارس الذين كانوا معه وذلك ان الامير أبا عبيدة رضى الله عنه لما نظر الى هزيمة
الروم نادى فى المسلمين معاشر الناس لا يتبعهم أحد ولا يفترق جمعكم لانى أخشى أن تكون هزيمة
القوم مكيدة لكم حتى اذا تفرق جمعكم زحفوا عليكم قال وان سعيد بن زيد لم يكن يسمع النداء ولو سمع

الله عليهم ريحا عاصفا فى
ليال شديد البرد فقطعت
أطناب خيامهم واكفأت
قدورهم على أفواهها ونصر
الله المسلمين وخذل
الاحزاب (ثم كانت غزوة
المصطلق) فى شعبان سنة
ست من الهجرة وهم بطن
من خزاعة وسببها انه صلى
الله عليه وسلم بلغه ان
الحرث بن ضرار سيد بنى
المصطلق رضى الله عنه
فانه أسلم جمع لحرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من
قدر عليه من قومه ومن
العرب فارسل صلى الله
عليه وسلم رجلا يرده
فعاد وأخبره بذلك فندب
الناس لقتالهم ولما وصل
اليهم عرض عليهم الاسلام

الندا ماتبع القوم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لما تحصنت الروم فى الضيعة قال سعيد بن زيد هذه طائفة قد أراد الله هلاكها فدوروا بهم وحاصروا فى كل مكان ولا تدعوا أحدا يطلع رأسه الى أن تلحق بكم المسلمون ويأتى اليكم أمر من الامير أبى عبيدة ثم أقبل الى رجل من عظماء المسلمين وقال له اخلفنى فى قومى حتى أنظر رأى الامير أبى عبيدة ومن معه ثم أخذ معه زهاء من عشرين فارسا من أصحابه وسار حتى لحق بجيش المسلمين فلما نظر اليه الامير أبو عبيدة ومن معه قال يا سعيد أين رجالك وما صنعت بهم قال أبشر أيها الامير فان المسلمين فى خير وسلامة وقد حاصروا أعداء الله فى ضيعة فى هذا الجبل ثم أخبره بالقصة من أولها الى آخرها فقال أبو عبيدة الحمد لله الذى هزمهم عن أوطانهم وجعلهم أشتاتا ثم أقبل أبو عبيدة على سعيد بن زيد وعلى ضرار بن الازور وقال لهما ما هذه المخالفة رحمكم الله ألم آمركم بالاقامة على أبواب المدينة والمشاغلة للقوم فما الذى ردكم الى وقد أرعبتم قلبى وقلب من كان معى وظننت أن أهل المدينة كادوكم وهو الذى منعنا أن نتبع المنهزمين فقال سعيد بن زيد أيها الامير والله ما عصيت لك أمرا ولا خالفتك فى قول وانى قد وقفت حيث أمرتنى اذ رأينا دخانا قد علا قتامه ولاح لنا بيانه فقلنا والله ما هذه الا داهية من دواهى الروم أو نفير قد استدعانا به المسلمون فأسرعنا نحوك فعندها نادى الامير أبو عبيدة فى المسلمين معاشر الناس أيكم أوقد نارا أو دخن دخانا فى هذا الجبل فليجب الامير أبا عبيدة قال سهل بن صباح فلما سمعت النداء أجبت المنادى وأتيت الامير أبا عبيدة فقال ما الذى جراك على ذلك فقصصت عليه قصتى فقال أبو عبيدة لقد وفقك الله تعالى الى الجنة فاياك بعدها أن تحدث حدثا من غير اذن أميرك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فبينما الامير كذلك يحدث سهل بن صباح واذا برجل من المسلمين منحدر من الجبل وهو ينادى النفير النفير يا أمة البشير النذير أدركوا اخوانكم المسلمين فقد أحاط بهم الروم وهم فى أشد ما يكون من القتال وانه قد دنا البطريق من المسلمين ونادى بأصحابه ورجاله وقال يا عباد المسيح اليكم هذه الشرذمة اليسيرة والعصابة الحقيرة التى قد أحاطت بكم فاقتلوهم وادخلوا المدينة فانكم ان قتلتم القوم كسرتم بذلك حدة العرب وانصرفوا عنكم قال مصعب بن عدى وكنت فى بعلبك من أصحاب سعيد بن زيد وقد جعلنا نحاصر ابن البطريق والروم فى الضيعة ونحن دون الخمسمائة رجل فما شعرنا الا والبطريق والروم قد تبادروا الينا من كل مكان فنادى بعضنا بعضا واجتمعنا قال والله لقد كبوا علينا الخيل وأحاطوا بنا بعدما كنا أحطنا بهم وكان شعارنا فى ذلك اليوم الصبر الصبر قال فبينما نحن كذلك فى أشد الحرب وأعظم الكرب اذ سمعنا صوتا عاليا قد ملأ الجبل ومناديا ينادى ويقول أما من رجل يهب نفسه فى الله ويستنفر المسلمين فانهم بالقرب منا ولا يعلمون ما نزل بنا قال مصعب بن عدى فلما سمعت الصوت همزت جوادى بكعبى وكان جوادا عتيقا يسبق الريح الهبوب أو الماء اذا انسكب من ضيق الانبوب كأنه الطود العظيم والله لقد خرج من تحتى كأنه البرق ولم تلحق منه الروم الا الغبار بعد ما قتلت منهم رجلين ولقد نظرت الى فرسى وهو يثب الصخرة ويسلك الوعرة حتى أشرفت على عساكر المسلمين فناديت النفير النفير يا أمة البشير النذير فلما سمع أبو عبيدة ذلك صاح بالرماة فأجابه خمسمائة رام من أصحاب القسى العربية فضمهم الى سعيد بن زيد وقال له اسرع يرحمك الله والحق بأصحابك قبل أن يأتى العدو اليهم ثم نادى بضرار بن الازور وأصحابه وقال له أدرك أخاك سعيد بن زيد قال فسار المسلمون مثل الجراد المنتشر حتى علوا على قلة الجبل وأشرفوا على الروم وهم محدقون بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو زيد بن ورقة بن عامر الزبيدى وكنت ممن شهد القتال على الضيعة مع أصحاب سعيد بن زيد وقد أحاطت بنا الروم وقد صبرنا لهم صبر الكرام وقد صرع منا سبعون رجلا ما بين جريح وقتيل ونحن فى أشد ما يكون من القتال والجراح وقد طمعت الروم فينا حتى سمعنا التهليل والتكبير ولحقنا النفير فلما أشرفت علينا رايات المسلمين رجعت الروم على أعقابهم مدبرين الى الضيعة راجعين ولحقنا من تأخر منهم

فأبوا وحاربوا فاستأصلهم قتلا وأسرا ونهبا واستاق ابلهم وشياههم وكانت الابل ألفين والشياه خمسة آلاف واستعمل عليهم مولاه شقران بضم الشين المعجمة وكان حبشيا واسمه صالح وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك (ثم كانت غزوة الحديبية) وما فيها من الصلح وكانت فى آخر سنة ست من الهجرة (ثم كانت غزوة خيبر) وما فيها وكانت سنة سبع من الهجرة (ثم كانت غزوة عمرة القضاء) وسرية مؤتة وفتح مكة ودخولها فى شهر ذى القعدة من سنة سبع من الهجرة وقيل سنة ثمان (ثم غزوة حنين) ويقال لها غزوة

وكثر

وكثر فيهم القتل والجراح لكثرتهم وتحصن القوم فى الضيعة فأحطنا بهم من كل جانب وما ترك منهم أحدا يخرج رأسه من كثرة النبل وورد الخبر الى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه بمن استشهد من المسلمين ومن قتل من الكافرين وأن القوم قد لزمهم الحصار وأن لا زاد عندهم ولا ماء فقال أبو عبيدة الحمد لله ثم قال للمسلمين معاشر الناس ارجعوا الى أموالكم واضربوا خيامكم حول المدينة فان الله عز وجل كاد عدوكم وهو منجز لنا ما وعدنا من نصره قال فعندها رجع المسلمون الى أموالهم ومواضعهم التى كانوا فيها اول مرة وضربوا خيامهم وأنفذوا طعامهم وأرسلوا الى المرعى خيولهم وابلهم وسرحوا الى الحطب عبيدهم وأضرموا النيران فى عسكرهم وذهب منهم الخوف وأتاهم الامان وان أهل بعلبك افترقوا على السور وجعلوا يضربون على وجوههم ويصيحون بلغتهم فقال الامير أبو عبيدة لبعض التراجمة ما يقول هؤلاء فقال له الترجمان أيها الامير انهم يقولون يا ويلهم ويا عظم ما أصابهم ويا خراب ديارهم ويا فناء رجالهم حتى ظفرت العرب ببلادهم (قال الواقدى) فلما دنا المساء أرسل الامير أبو عبيدة الى سعيد بن زيد يقول له يا ابن زيد الحذر الحذر على من معك من المسلمين واجتهد رحمك الله أن لا يفوتك من الروم أحد ولا تفسح لهم قدما واحدا فيخرج منهم واحد فيتبع أولهم آخرهم فيكون كمن حصل فى يده شئ فأضاعه فلما وصل الرسول الى سعيد بن زيد بهذه الرسالة أمر المسلمين أن يحيطوا بالضيعة من كل جانب وأن لا يخرجوا الى الحطب الا ما ثبتة بالسلاح ففعلوا ذلك وأضرموا نيرانهم وباتوا طول ليلتهم يهللون ويكبرون وبالضيعة يطوفون فلما نظر البطريق هربيس الى ذلك أقبل على أصحابه ورجاله وقال لهم يا ويلكم لقد آيسنا من التدبير وأخطأنا الرأى وما لنا مدد ولا نجدة ولا نصير ولو اجتهدنا لما اجتهدت العرب على أن يحبسونا فى هذه الضيعة والآن قد حبسنا أنفسنا فى حبس ليس فيه طعام ولا شراب وان دام علينا هذا يوما أو يومان أو ثلاثة ضعف قوتنا وما تضعفنا وبطلت حيلتنا وسلمنا أنفسنا كارهين فنقتل عن آخرنا فقالت البطارقة فما الذى ترى أيها السيد فقال قد رأيت من الرأى أن أخدع العرب وأحتال عليهم وأسألهم الصلح لنا ولأهل مدينتنا كما قد طلبوا وأضمن أن أفتح لهم المدينة ونكون فى ذمامهم فاذا دخلنا المدينة حاربناهم على سورنا ولعلنا نرسل الى صاحب عين الجوز والى صاحب حوسية فلعلهما يقدمان الى نصرتنا فيكونان لقتال العرب من خارج المدينة ونحن من على الاسوار ويكفينا المسيح هذه النوبة فقالت البطارقة اعلم أيها السيد أن صاحب حوسية لا يجيبك الى نجدة أبدا لانه مشتغل بنفسه وربما يكون محاصرا مثل حصارنا هذا فلقد بلغنا قبل نزول هؤلاء العرب علينا انهم صالحوهم وليس لهم من القوة والقدرة ان يقاتلوا العرب وأما صاحب عين الجوز فانهم فى تجاراتهم متفرقون فى أقصى الشام وما أظن الا انهم فى صلح العرب فانظر لنفسك ورعيتك ما فيه الصلاح فلما سمع البطريق هربيس قولهم أجابهم الى ذلك فلما أصبح الصباح طلع البطريق على جدار الضيعة ونادى برفيع صوته يا معاشر العرب أما فيكم رجل يعرف كلامى أنا هربيس البطريق فلما سمعه بعض التراجمة اقبل على سعيد بن زيد وقال له يا مولاى ان هذا العلج هو هربيس صاحب القوم وهو يستدعى كلامك فقال له سعيد بن زيد ادن منه وانظر ماذا يريد وما يقول قال فدنا الترجمان منه فقال له ما الذى تريد قال أريد أن يؤمننى أميركم هذا فى ذمامه وذمام أصحابه ويدنونى حتى أخاطبه بما يعود صلاحه على الفريقين فقال الترجمان ذلك لسعيد بن زيد فقال سعيد بن زيد لا كرامة له حتى أدنو منه وأمشى اليه حتى يخاطبنى فان كانت له حاجة فليأت الى خاضعا ذليلا صاغرا حتى أسمع كلامه وأعلم مراده قال فأعلم الترجمان هربيس بكلام سعيد بن زيد فقال هربيس فكيف أنزل اليه وأنا محارب له فأنا أخاف أن يقتلنى فقال له الترجمان أنا آخذ لك منه الذمام فان العرب لا تخون اذا أمنت فقال البطريق نعم قد تناهت الينا أخبارهم ولكنى أريد ان أستوثق لنفسى ولاصحابى وأهل بلدى لانهم قوم قد لحقهم الحقد علينا وقد أصبنا منهم دما كثيرا وانى أريد أن ارسل له

هوازن وغزوة اوطاس وما وقع فيهما من اعلاء كلمة الله واظهار شوكة الاسلام ومن استشهد فيهما من المسلمين (ثم كانت غزوة الطائف) سنة ثمان من الهجرة أيضا ثم عند منصرفه من الطائف قدم عليه كعب بن زهير تائبا مسلما حتى جلس بين يديه صلى الله عليه وسلم وأنشده قصيدته المشهورة وهى
بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
ولما رجع منها الى المدينة أتته وفود العرب وكانت تلك السنة تسمى سنة الوفود ودخل الناس فى دين الله افواجا وقد استوفينا الكلام على ما يتعلق بالغزوات وغيرها فى

شخصا يأخذ لى منه أمانا فقال الترجمان أنا أعرفه ذلك ثم أقبل الترجمان على سعيد بن زيد وقال له ان البطريق هربيس يريد ان يوجه اليك رجلا من أصحابه يأخذ له منك أمانا فقال سعيد بن زيد دعه يوجه من يريد واعلمه ان رسوله منا فى أمان حتى يرجع اليه قال فأعلمه الترجمان بذلك فأقبل البطريق على رجل من عظماء أصحابه وقال له ترى ما قد نزل بنا وكيف قد ملك العرب علينا الطريق وان بلاد الشام قد أذن المسيح بخرابها وقد نصرت العرب علينا وانا فى شدة شديدة وان لم نأخذ من القوم الامان والا هلكنا وهلكت خيلنا وبعد ذلك يحكمون فى أولادنا وحريمنا ويقتسمون أموالنا وذرارينا وليس لنا نجدة لان كل بلد مشتغل بنفسه عن نصرتنا فانزل الى هؤلاء العرب وخذ لنا منهم أمانا واستوثق لنا منهم حتى أنزل أنا اليهم فلعلنا نجرى بينهم صلحا ولعلى أمكر بهم حتى ترجع الى المدينة ولعلى أرغب صاحبهم فى شئ من المال فلعله يرغب وينصرف عنا الى أن نرى ما يكون بينهم وبين الملك هرقل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فنزل الرجل ووقف امام الامير سعيد بن زيد وهم الرجل أن يسجد له فمنعه من ذلك وتبادرت اليه المسلمون فأمسكوه ففزع الرجل وقال لم تمنعونى ان أعظم صاحبكم فقال الترجمان ذلك لسعيد بن زيد فقال انما أنا وهو عبدان لله تعالى ولا يجوز السجود والتعظيم الا لله الملك المعبود القديم فقال الرجل بهذا نصرتم علينا وعلى غيرنا من الامم فقال سعيد بن زيد فما الذى جاء بك قال جئت لآخذ منك أمانا لبطريقنا أن لا تنقض لنا عهدا فقال سعيد بن زيد ليس من أخلاق الامراء ومن يقود الجيوش أن يغدر بعد الامان ولسنا بحمد الله ممن ينقض عهدا وقد أعطيت صاحبك أمانا ولمن معه ممن ألقى السلاح وخرج بطلب الامان مستسلما فقال الرجل نريد منك الامان ومن أميرك وممن معك فقال سعيد لكم ذلك فعند ذلك رجع الرجل الى البطريق وأعلمه بجواب سعيد وقال له اخرج واياكم والغدر فانه يهلك صاحبه وان هؤلاء العرب لا يخونون أمانهم وعهدهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى ان البطريق هربيس خلع ما كان عليه من الثياب والديباج وألقى السلاح ولبس ثياب الصوف وخرج حافيا حاسرا ذليلا ومعه رجال من قومه حتى وقف بين يدى سعيد بن زيد فخر سعيد لله ساجدا وقال الحمد لله الذى أزال عنا الجبابرة وملكنا بطارقتهم وملوكهم ثم أقبل عليه وقال له ادن منى فأدناه الى أن جلس الى جانبه وقال له أهذا الباسك دائما او غيرته فقال لا وحق المسيح والقربان ما لبست الصوف أبدا غير الحرير والديباج وما لبست هذا الا فى وقتى هذا فانى ما أريد حربكم ولا قتالكم ثم قال لسعيد هل لك أن تصالحنى على أصحابى هؤلاء وعلى اهل المدينة ومن فيها فقال سعيد أما أصحابك هؤلاء فانى أوفيهم على شرط ان من دخل فى ديننا فله ما لنا ومن اختار الاقامة على دينه وألقى السلاح كان آمنا من القتل وعليه العهد أنه لا يحمل علينا سلاحا ولا يكون لنا حربا أبدا وأما المدينة فالامير أبو عبيدة عليها وقد فتحها ان شاء الله تعالى ثم قال ان أحببت ان تسير معى الى أبى عبيدة حتى يسمع كلامك وتصالح عن قومك فسر وأنت فى زمامى فان اتفق بينكما الامر والا رددتك الى موضعك هذا ومن أراد الرجوع معك من رجالك الى ان يحكم الله وهو خير الحاكمين فقال البطريق أنا أفعل ذلك فعندها دعا سعيد بن زيد سعد بن أبى وقاص بن عوف العدوى وقال يا ابن أبى وقاص كن بشيرا للامير أبى عبيدة بما سمعت وأسرع بالجواب قال فاسرع ابن ابى وقاص بن عوف وركب جواده وكان حصانا شديد العدو وجعل يسير سيرا حثيثا حتى أشرف على الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه ووقف بين يديه وسلم عليه وقال أصلح الله تعالى شأن الامير ابشرك بأن البطريق هربيس قد أخذ الامان من سعيد بن زيد وهو يريد أن يقبل به عليك يسألك الصلح والامان له ولاهل مدينته فلما سمع الامير ذلك سجد لله شكرا ورفع رأسه وقال أيها الناس تقدموا الآن الى قتال اهل المدينة واظهروا أسلحتكم عليها وكبروا تكبيرة واحدة لكى ترعبوا بها القوم قال ففعل المسلمون ذلك فارتجت المدينة وفزع اهل بعلبك وتداعوا للقتال وأحاط المسلمون بالمدينة من كل جانب وكان أول من سبق الى المدينة وأعطاهم خبر البطريق المرقال بن عتبة وقال حصنوا انفسكم

كتابنا المواهب السنية فى خير البرية (وفى السنة العاشرة كانت حجة الوداع) وكان معه صلى الله عليه وسلم أربعون ألفا ولم يحج بعد الهجرة سواها ومات ابنه ابراهيم فيها وبعث عليا الى اليمن بكتاب يدعوهم الى الاسلام فاجابه منهم خلق كثير واسلمت همدان جميعا فى يوم واحد فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم دخلت سنة احدى عشرة) فرض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم المدينة أقام بها الى آخر صفر وابتداه المرض لليلتين

وأولادكم وأموالكم بالصلح فان أبيتم ذلك فقد وعدنا الله تبارك وتعالى على لسان نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم أن يفتح لنا بلادكم وأمصاركم وغيرها وان الله تعالى منجز أمره فلما سمع أهل بعلبك ذلك فزعوا
فزعا شديدا واغبرت وجوههم ورعبت قلوبهم وكلت من الحرب أيديهم وقالوا أهلكنا البطريق وأهلك
نفسه ولو كنا صالحنا العرب من قبل أن يوحد بنا هذا الحصار لكان خيرا لنا قال وشدد المسلمون عليهم
القتال ﴿قال الواقدي﴾ فلما علم أبو عبيدة ان نيران الحرب قد أضرمت على المدينة أرسل الى سعيد
ابن زيد يقول له أسرع بالبطريق اليّ فانه له الامان الذي أمنت أنت فنحن لا ننقض لك عهدا فلما ورد
رسول أبي عبيدة على سعيد بن زيد استخلف على الضيعة رجلا من اصحابه وسار سعيد مع البطريق حتى
ورد على الامير أبي عبيدة رضي الله عنه فلما وقف البطريق بين يديه ونظر الى زيه وزي من معه وشهد
قتالهم وعظم ما نلقى المدينة من حربهم وقتالهم حرك البطريق رأسه وعض على أنامله فقال أبو عبيدة
رضي الله عنه للترجمان ماله يحرك رأسه ويعض أنامله كأنه يتأسف على شيء فاته قال فعلمه الترجمان
بذلك فأقبل على الترجمان وقال له وحق المسيح وما مسح وحق البيعة والمذبح لقد ظننت انكم أكثر عددا
من الحصى وأكثر عددا ولقد كان يخيل لنا عند حربكم وشدة ما نلقى منكم انكم على عدد الحصى والرمل
من كثرتكم ولقد كانت خيلا شهبا وعليها رجال وبأيديهم رايات صفر وعليهم ثياب خضر فلما صرت بينكم
لم أر من ذلك شيئا وما أراكم الا في قلة عدد وما أدري ما فعل جمعكم أبعثتموه الى عين الجوز او الى حوسية
أو مكان آخر فأخبر الامير الترجمان بذلك فقال أبو عبيدة للترجمان قل له يا ويلك نحن معاشر المسلمين يكثرنا
الله تعالى في أعين المشركين ويمدنا بالملائكة كما فعل بنا يوم بدر وبذلك فتح الله تعالى بلادكم وحصونكم
علينا وأذل ملوككم فلما سمع البطريق كلام أبي عبيدة رضي الله عنه على لسان الترجمان قال لقد وطئتم
الشام الذي عجزت عنه ملوك الفرس والترك والجرامقة وما ظننا أن يكون ذلك أبدا وأما مدينتنا فهي
حصينة لا تعبأ بالحصار لانها مدينة ليس بالشام مثلها بناها سليمان بن داود عليهما السلام لنفسه
وعملها دار مقامه وخزانة الملك ولولا ما سبق من تفريطنا وخروجنا عنها اليكم وانحرافنا عنها ما صالحناكم
أبدا ولا هالنا حربكم ولو أقمتم علينا مائة سنة والآن فقد كان ذلك فهل لكم ان تصالحونا حتى نصالحكم
فتعدل فينا فهو أقرب لرشدنا ولكم فوحق المسيح والانجيل الصحيح لئن فتحنا لكم هذه المدينة
لا يصعب عليكم في الشام حصن ولا مدينة قال فلما أخبر الترجمان الامير أبا عبيدة رضي الله عنه بما قاله
قال أبو عبيدة للترجمان قل له ان شاء الله تعالى ملكنا أرضكم ودياركم وأذل لنا ملوككم فلا بد أن
تؤدوا الجزية وقد ظننت لنفسك أمانا كاذبا حتى أراك الله الذل والصغار بعد العز والاقتدار ولا بد لنا
ان نملك مدينتكم ان شاء الله تعالى ونقتل الرجال ونأسر الابطال فمن أراد حربنا ووقتنا فلا يدخل في
صلحنا أبدا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال البطريق لما سمع ذلك على لسان الترجمان لقد
تيقنت ان المسيح قد غضب عن أهل هذه المدينة اذ بعث بكم اليها وملككم عليها وقد اجتهدت في حربكم
ومكرت بكم وما نفع مكري واجتهادي لانكم قوم مسلطون وانما طلبت منكم السلم وألقيت يدي في
أيديكم بعد جهد مني لا شفقة مني على نفسي ولا بقاء مني على ملكي ولكن أردت صلاح البلاد لان
الله تعالى لا يحب الفساد والآن فهل لكم ان تصالحوا على المدينة وما فيها وعلى أصحابي هؤلاء فقال له
الامير أبو عبيدة رضي الله عنه فما الذي تبذل لنا في صلحك قال له البطريق أيها الامير انظر ما الذي تريد
فقال الامير أبو عبيدة لو أن الله فتح على المسلمين من الصلح على هذه المدينة بملئها ذهبا وفضة ما كان
أحب الي من سفك دم رجل واحد لكن الله تعالى أعطى الشهداء في الآخرة أكثر من ذلك فقال
البطريق أنا أصالحكم على ألف أوقية من الفضة البيضاء وألف ثوب من الديباج ﴿قال الواقدي
رحمه الله تعالى﴾ فتبسم الامير أبو عبيدة من كلامه وأقبل على المسلمين وقال لهم أما تسمعون ما يقول
هذا البطريق قالوا نعم قال فما رأيكم فيما اشترط على نفسه فقالوا نزيد عليه وشرطه يرضينا فأقبل الامير

بقيتا منه وقبض ضحى
يوم الاثنين الثاني عشر
من ربيع الاول في بيت
عائشة ودفن ليلة الاربعاء
وسط الليل وصلى عليه
المسلمون ارسالا ولم يؤمهم
أحد وغسله علي والعباس
والفضل وقثم وامامة
وصالح مولاه وهو شقران
ودفن في حجرة عائشة التي
مات فيها صلى الله عليه وسلم
(وولي بعده أبو بكر) رضي
الله عنه واسمه عبد الله بن
أبي قحافة واسم أبي قحافة
عثمان بن عامر بن عمرو
ابن كعب بن سعد بن تيم
ابن مرة بن كعب بن لؤي
ابن غالب التيمي القرشي
يلتقي مع النبي صلى الله عليه
وسلم في مرة بن كعب

على البطريق وقال له أنا أصالحكم على ألفى أوقية من الذهب الأحمر وألفى أوقية من الفضة البيضاء وألفى ثوب من الديباج وخمسة آلاف سيف من مدينتكم وسلاح أصحابك الذين هم فى الضيعة محاصرون ولنا عليكم خراج أرضكم فى العام الآتى واداء الجزية فى كل عام وأنتم بعد ذلك لا تحملون علينا سلاحا ولا تكاتبون ملكا ولا تحدثون حدثا ولا كنيسة وترون النصح للمسلمين فلما سمع البطريق ذلك من شرط الامير أبى عبيدة رضى الله عنه قال لك ذلك كله علينا الا انى أريد ان اشرط عليك وعلى اصحابك شرطا فقال له الامير ابو عبيدة وما شرطك فقال لا يدخل الينا من اصحابك أحد وتنزل صاحبك الذى تستخلفه علينا خارج المدينة باصحابه ويكون له الخراج والجزية وتدعنى انا من داخل المدينة من قبل الاصلاح بين الناس والنظر فى احوالهم ونحن نخرج الى من تخلفه علينا من اصحابك سوقا يكون فيه من جميع ما فى مدينتنا ولا يدخلون الينا مخافة ان يغلظوا بكلامهم على كبرائنا ويفسد الامر بيننا وبينكم ويكون سببا للغدر ونقض العهد قال أبو عبيدة فاذا صالحنا كم نجاهد عدوكم لانكم تصيرون فى ذمتنا ويكون الرجل الذى نخلفه عليكم مثل الواسطة والسفير بيننا وبينكم قال البطريق هربيس يكون خارج المدينة ويفعل ما يشاء ان يفعله من المحاماة فقال أبو عبيدة لكم ذلك وما لنا فى الدخول الى مدينتكم من حاجة فقال البطريق تم الصلح على ذلك ثم سار البطريق الى المدينة وأبو عبيدة معه فلما وصل الى الباب حسر البطريق عن راسه ورطن عليهم بلغة الروم فعرفوه عند ذلك فقالوا له وأين اصحابك ورجالك فقص عليهم قصته وأخبرهم بخبره وخبر أصحابه واعلمهم بالصلح فبكى القوم وقالوا تلفت النفوس وذهبت الاموال فقال لهم البطريق يا قوم وحق المسيح ما صالحتهم ولى وجه غير الصلح فقالوا له اذهب انت وصالح عن نفسك وأما نحن فلن نصالح العرب أبدا ولن ندع أحدا منهم علينا ولا يدخل بلادنا ومدينتنا وهى أحصن مدينة فى الشام وكان الامير أبو عبيدة رضى الله عنه قد اعلم المسلمين بمصالحة البطريق وأمرهم ان يكفوا عن القتال والحرب فلما سمع الترجمان كلام أهل بعلبك لبطريقهم أخبر الامير أبا عبيدة رضى الله عنه بذلك فاقبل البطريق فقال له أبو عبيدة هات ما عندك والا نرد الحرب كما كان فقال له البطريق دعنى والقوم فوحق الانجيل الصحيح وعيسى المسيح لو لم يقبلوا منى لادخلنك بالكثرة اليهم فتضع السيف فيهم وتقتل رجالهم وتسبى نساءهم وتنهب أموالهم لانى خبير بعورات بلادهم وبطرقاتها قال ابو عبيدة رضى الله عنه ما شاء الله كان قال وكان الروم على سورهم يسمعون كلام البطريق لابى عبيدة رضى الله عنه فدخل الرعب فى قلوبهم فعند ذلك أقبل البطريق على الروم وقال لهم ما تقولون فى صلح العرب فانى أسير فى أيديهم ورجالهم وبنو عمكم فى قبضتهم فان لم تصالحوا العرب والا يقتلونا جميعا ويرجعوا اليكم من بعد نا فقالوا أيها السيد انا لا نطيق هذا المال فقال يا ويلكم على وحدى ربع ما طلبوا فطابت قلوبهم بذلك وقالوا انا لا نفتح الباب الا لك وحدك ولا يدخل معك أحد من العرب حتى نصلح مدينتنا ونرفع رحالنا ونخفى حريمنا فقال البطريق ويحكم فانى قد صالحت القوم على أن لا يدخل مدينتكم أحد منهم وان الرجل الذى يخلفونه عليكم يكون هو وأصحابه خارج المدينة وتخرجون اليه سوقا يتسوقون منه قال ففرحت الروم بذلك وفتحوا له الباب فدخل اليهم وبعث الامير أبو عبيدة الى سعيد بن زيد أن يخلى عن الرجال الذين هم فى الضيعة محاصرون فخلى سعيد ابن زيد سبيلهم وجاء بهم عند الأمير أبى عبيدة وأخذ سلاحهم وتركهم عنده رهائن على المال الذى عندهم لانه خاف ان تركهم أن يرجعوا الى المدينة ويغدر واما المسلمين فتركهم عنده فى عسكره هذا والبطريق فى المدينة يجبى المال بعد اثنى عشر يوما وهم مع ذلك يحملون الى عسكر المسلمين الزاد والميرة والعلوفة حتى كملت الاموال والثياب والسلاح وحملها البطريق الى حضرة أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وقال له تسلم الاموال على ما وافقتك عليه وخل عن الرجال وانظر الى من تخلفه علينا من أصحابك فاحضره لنا حتى نشترط عليه بحضرتك ان لا يجور علينا ولا يطالبنا بما لا نطيق ولا يدخل مدينتنا قال

وأمه سلمى بنت صخر بن سعد بن تيم بن مرة ماتت مسلمة قيل كان اسم ابى بكر رضى الله عنه عبد الكعبة فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله ولقبه بعتيق لانه صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبى بكر وهو أول الرجال اسلاما شهد المشاهد كلها وكان مولده بمكة بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر وأيام وكان ابيض اللون خفيف العارضين ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب هو وعمر بن الخطاب الى سقيفة بنى ساعدة من الانصار يتشاورون فى أمر الخلافة فوقع بينهم كلام كثير

فدعا أبو عبيدة برجل من سادات قريش اسمه رافع بن عبد الله السهمي وقال له يا رافع بن عبد الله
استعملتك على هذه المدينة وضم اليك خمسمائة فارس من بني عمك وعشيرتك وأربعمائة فارس من
أخلاط المسلمين واني آمرك بما أمرك الله به فاتق الله حق تقاته ولا تكن الا من الولاة العادلين واياك
والظلم والجور فتحشر مع الظالمين واعلم أن الله تعالى سائلك عنهم ومطالبك بما تصنع بغير الحق واعلم اني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى بن عمران عليه السلام
ان ياموسى لا تظلم عبادي اخرب بيتك من نفسك فاقم الارصاد في أطراف البلاد فانك بين أعدائك
وبعد هذا ما عرفتك الا استيقاظا واحذرك من السواحل وشن الغارة عليهم ولتكن غارتك في المائة
والمائتين ولا تمكن أحدا من المدينة يختلط بأصحابك في غارة حتى يطمع عدوكم فيه وأحسن معاملة من
من ساعدك وأصلح بينهم وأمرهم بالعدل وكن بينهم كأحدهم وأمر أصحابك ومن معك أن يكفوا أيديهم
عن الفساد والظلم للرعية والله تعالى خليفتي عليك والسلام عليك

(ذكر حديث نزول المسلمين على حمص)

(قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به آمين) ثم هم أبو عبيدة رضي الله عنه بالرحيل الى
حمص واذا قد ورد عليه صاحب عين الجوز يطلب منه الصلح فصالحه على نصف ما صالحه عليه أهل
بعلبك وولى عليهم سالم بن ذؤيب الأسلمي ووصاه بمثل ما وصى به رافع بن عبد الله ورحل الامير أبو عبيدة
رضي الله عنه يطلب حمص فلما وصل الى بين الرأس والكفيلة لاقاه صاحب الجوسية ومعه هدية كثيرة
فقبلها منه وجدد معه صلحا وسار الامير أبو عبيدة رضي الله عنه حتى نزل على حمص (قال الواقدي)
حدثنا حباب بن تميم الثقفي قال كنت فيمن أقام مع رافع بن عبد الله السهمي في جملة أصحابه وذلك اننا
نصبنا بيوت الشعر على العمد وأقمنا خارج المدينة لا يدخل اليها أحد منا ونحن مع ذلك نشن الغارة على
سواحل الروم ونكبس على العرب التي لم تكن في صلحنا وكنا اذا خرجنا في سرية نبيع الغنائم في بعلبك
ففرح أهلها ببيعنا وشرائنا ووجدونا قوما ليس فينا كذب ولا خيانة ولا نريد ظلم أحد وطابت قلوبهم
وربحوا في تلك المدة اليسيرة مالا عظيما فلما نظر البطريق هربيس الى ماربح أهل بعلبك منا في
تجارتهم ورخص ما يشترونه منا جمعهم اليه في كنيسة المدينة وهي الجامع اليوم وكان ذلك بميعاد
وعدهم فيه الاجتماع فلما اجتمعوا عنده أقبل عليهم وقال للتجار والباعة والسوقة لقد علمتم اني قد
اجتهدت في أموركم وحرصت على سلامة نفوسكم وأهاليكم وأولادكم وأنتم تعلمون ما ذهب مني
من المال وانا اليوم واحد منكم وقد سلمت مالي وسلاحي وقتل أكثر غلماني ورجالي وبنو عمي وأنتم قوم
قد أصبتم مع هؤلاء العرب خيرا كثيرا في هذه التجارات وقد اديت وحدي ربع المال فقالوا صدقت
أيها البطريق وقد عرفنا كل ما وصفت فما الذي تريد الآن فقال يا قوم انما كنت قبل هذا اليوم
بطريقكم وأنا اليوم واحد منكم وأريد أن تردوا على بعض ما بذلت من المال للعرب فقالوا أيها البطريق
واني لك بذلك فقال البطريق يا قوم لست أكلفكم أن تخرجوا من أموالكم ولا مما حوته منازلكم شيأ
وانما أريد أن تجعلوا في هذه البيوع والاشرية العشر مما تأخذون وتعطون قال فاضطرب القوم
اضطرابا شديدا لذلك وعظم عليهم وأقبل بعضهم على بعض وقالوا يا قوم هذا رجل منا وصاحب ملكنا
وقد اجتهد في أمورنا وحامى بماله ونفسه عنا وما عسى يصيب منا في مالنا قال فاجابوه الى ذلك وجعلوا له
عليهم العشر فنصب عليهم من قبله عشارا يأخذ منهم أعشارهم ويجمعها ويحملها اليه فاقام على ذلك
أربعين يوما فلما نظر هربيس الى كثرة ما قد اجتمع له من مال العشر قال أنا أعلم أن هذه المدينة في
كسب عظيم وتجارة رابحة ما رأى أهل بعلبك مثل هذا أبدا ثم جمعهم بالكنيسة مرة ثانية وقال لهم يا قوم
قد علمتم ما بذلت من المال على صلحكم وهذا الذي تعطوني اياه من العشر ليس يجزيني فان أردتم أن
تردوا على مالي وتجعلوني كأحدكم فاجعلوا لي الربع في أموالكم حتى يرجع الى مالي سريعا والا فني

حتى قال بعض الانصار منا
أمير ومنكم أمير يا معشر
قريش وكثر اللغط وارتفعت
الاصوات فقال عمر لابي
بكر ابسط يدك فبسط يده
فبايعه ثم بايعه المهاجرون
ثم الانصار قال ابن اسحق
ولما كان اليوم الثاني من
السقيفة صعد ابو بكر
الصديق رضي الله تعالى
عنه المنبر فقام عمر فتكلم
قبل أبي بكر فحمد الله تعالى
وأثنى عليه ثم قال يا أيها
الناس ان الله قد أبقى فيكم
كتابه الذي هدى الله به
رسوله فان اعتصمتم به
هداكم الله لما كان هداه
الله له وان الله قد جمع
أمركم على خيركم صاحب
رسول الله صلى الله عليه

أخلف من هذا العشر مالى وسلاحى وغلمانى (قال الواقدى) فابى القوم وضجوا عليه واشهروا
عددهم ووقعوا فى الطريق بغلمانه فقطعوهم اربا اربا وارتفع ضجيجهم فجزع المسلمون لذلك وهم
لا يعلمون بالقصة فاجتمعوا الى أميرهم رافع بن عبد الله السهمى وقالوا أيها الامير أما تسمع أصوات
هؤلاء القوم فى مدينتهم فقال ياقوم قد سمعت كما سمعتم فما عسى أن أصنع بهم ولا يحل لنا الدخول اليهم
وبهذا جرى الشرط بيننا وبينهم ونحن أحق عن أوفى بعهد الله تعالى فان هم خرجوا الينا وأعلمونا
بأمرهم صالحنا بينهم ونظرنا فى أمورهم (قال الواقدى) فما استتم الامير رافع بن عبد الله كلامه حتى
خرج اهل بعلبك يهرعون اليه فلما وقفوا بين يديه قالوا انا بالله وبك أيها الامير ثم اعلموه بقصتهم وما
فعل البطريق بهم أول مرة وما فعل بهم ثانى مرة قال رافع بن عبد الله انا لا غنى منه من ذلك فقالوا يا أيها
الامير انا قد قتلناه وجميع غلمانه فصعب ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم
رافع فما الذى تريدون فقالوا نريد أن تدخلوا الى المدينة فانا قد أطلقنا لكم الدخول اليها فقال رافع بن
عبد الله أنا لا أقدر أن أدخل المدينة الا باذن الامير أبى عبيدة لانه ما اذن لى بذلك ثم كتب رافع بن
عبد الله الى الامير أبى عبيدة يعلمه بالقصة وبحديث البطريق وبحديثهم الذى قالوه فكتب له بالدخول
الى المدينة كما قد أذنوا له فدخل رافع وأصحابه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا موسى بن عامر
قال حدثنا يونس بن عبد الله قال حدثنا سالم بن عدى عن جده عبد الرحمن بن مسلم الربيعى وكان ممن
حضر فتوح الشام أوله وآخره قال لما فتح الله بعلبك على يد المسلمين وترك أبو عبيدة رافع بن عبد الله
وتوجه الى حمص للحوق بخالد بن الوليد فلما قرب من حمص وموضع يقال له الزراعة وجه على مقدمة جيشه
ميسرة بن مسروق العبسى وعقد له راية سوداء معلمة بالبياض وضم اليه خمسة آلاف فارس من المسلمين
فلما سار ميسرة حتى وصل الى حمص خرج خالد بن الوليد رضى الله عنه الى لقائه وسلم عليه وعلى من
معه من المسلمين ثم بعث أبو عبيدة بعده ضرار بن الازور فى خمسة آلاف فارس وبعث بعده عمرو بن
معديكرب الزبيدى وقدم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ببقية الجيش فلما أشرف أبو عبيدة على حمص
قال اللهم عجل علينا فتحها واخذل من فيها من المشركين واستقبلهم المسلمون بأجمعهم وسلموا عليه وعلى
من معه ونزل أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه على النهر المقلوب فلما استقر به القرار كتب الى أهل
حمص وبطريقها الجديد وهو هرابيس كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبى عبيدة عامل أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على الشام وقائد جيوشه أما بعد فان الله تعالى قد فتح
علينا بلادكم ولا يغرنكم عظم مدينتكم وتشييد بنيانكم وكثرة رجالكم فما مدينتكم عندنا
اذا اتاكم الحرب الا كالبرمة قد نصبناها فى وسط عسكرنا والقينا اللحم فيها وجميع العساكر يتوقع
الاكل منها وقد داروا بها ينتظرون نضجها وأكل ما فيها ونحن ندعوكم الى دين ارتضاه لنا ربنا عز وجل
فان اجبتم الى ذلك ارتحلنا عنكم وخلفنا عندكم رجالا منا يعلمونكم امر دينكم وما فرض الله تعالى
عليكم وان أبيتم الاسلام قررناكم على أداء الجزية وان أبيتم الاسلام والجزية فهلموا الى الحرب
والقتال حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ثم طوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وكان ذلك
الرجل يحفظ بالعربية والرومية وقال له انطلق الى حمص وائتنا بالجواب فاخذ المعاهد الكتاب وسار
حتى وصل الى السور فهم اهل حمص ان يرموه بالسهام والحجارة فقال لهم بالرومية ياقوم أمسكوا عليكم فانا
رجل معاهد وقد جئتكم بكتاب من هؤلاء العرب (قال الواقدى) فدلوا له حبلا فربط وسطه به وشالوه
اليهم واتوا به الى بطريقهم فلما وقف بين يديه خضع له وناوله الكتاب فقال له البطريق أرجعت عن
دينك الى دين هؤلاء العرب قال لا ولكن فى ذمتهم وعهدهم أنا واولادى وأهلى ومالى وما رأينا من القوم
الا خيرا والصواب عندى أن لا تقاتلوهم فان القوم أولو بأس شديد لا يخافون ولا يرهبون الموت قد
تمسكوا بدينهم والموت عندهم أفضل من الحياة وقد أقسم القوم بدينهم لا يبرحون عن مدينتكم حتى

وسلم ثانى اثنين اذ هما فى
الغار فقوموا فبايعوه فبايع
الناس أبا بكر مبايعة عامة
بعد بيعة السقيفة الخاصة ثم
تكلم أبو بكر على المنبر
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
(أما بعد) أيها الناس فانى
قد وليت عليكم ولست
بخيركم فان احسنت فاعينونى
وان اسأت فقومونى الصدق
امانة والكذب خيانة
والضعيف منكم قوى
عندى حتى آخذ له بحقه
والقوى منكم ضعيف
عندى حتى آخذ الحق منه
ان شاء الله تعالى أطيعونى
ما أطعت الله فاذا عصيت
الله تعالى فلا طاعة لى عليكم
قوموا الى صلاتكم يرحمكم
الله وهى خليفة رسول الله

تسلموها اليهم أو يفتحها الله على أيديهم وحق دينى انكم احب الى من العرب واريد النصر لكم دون القوم ولكنى خائف عليكم من بأسهم وسطوتهم فسلموا تسلموا ولا تخالفوا فتندموا (قال الواقدى) فلما سمع البطريق هرابيس كلامه غضب غضبا شديدا وقال وحق المسيح والانجيل الصحيح لولا انك رسول لامرت بقطع لسانك على جراءتك علينا فلما قرأ الكتاب وعلم ما فيه أمر كاتبه أن يكتب الى الامير أبى عبيدة بجواب كتابه فكتب كلمة الكفر ثم قال يا معاشر العرب انه وصل الينا كتابكم وعلمنا ما فيه من التهديد والوعد والوعيد ولسنا كمن لاقيتم من اهل الشام ولم يزل الملك هرقل يستنصر بنا على من عاداه وعلى من قصد اليه من العساكر والآن فلا بد من الحرب والقتال فان سورنا شديد وأبوابنا حديد وحربنا عتيد والسلام وطوى الكتاب وسلمه الى المعاهد وأمر غلمانه أن يدلوه بالحبال من السور وسار حتى وصل الى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وسلمه الكتاب ففضه وقرأه فلما سمع المسلمون ما فيه عولوا على الحرب والقتال وقسم الامير أبو عبيدة عسكر المسلمين أربع فرق فبعث فرقة مع المسيب بن نجية الفزارى فنزل بهم على باب الجبل عند باب الصغير وبعث فرقة أخرى مع المرقال بن هاشم بن عقبة ابن أبى وقاص فنزل بهم على باب الرستق وبعث فرقة أخرى مع يزيد بن أبى سفيان فنزل بهم على باب الشام ونزل الامير أبو عبيدة وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهما على باب الصغير وزحف المسلمون اليهم من كل مكان وقاتلوهم بقية يومهم هذا وسهام الروم تصل اليهم فيتلقونها بالحجف ونبال العرب تصل اليهم والى من بأعلى السور فأثرت لاجل ذلك ضررا فانفضوا عند المساء فلما كان الغد جمع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه كل عبد كان فى عسكر المسلمين وأمرهم أن يتقلدوا بالسيوف ويتنكبوا بالحجف ويزحفون الى سور حمص ويضربون السور باسيافهم ويتلقون السهام بحجفهم فقال الامير أبو عبيدة وما عسى أن يغنى عنا هذا يا أبا سليمان فقال خالد رضى الله عنه على رسلك أيها الامير ولا تخالفنى فيما صنعت فانى عزمت أن أقاتلهم بالعبيد ونعلمهم أن ليس لهم عندنا من القدر شئ فاننا نقاتلهم بانفسنا الا أن يخرجوا الينا فقال أبو عبيدة رضى الله عنه افعل ما شئت فالله تعالى يوفقك فعند ذلك أمرهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بالزحف على الاسوار وكانوا أربعة آلاف عبد وأمر خالد ألفا من العرب أن تترجل معهم ففعلوا ذلك وزحفوا على السور وقد استتروا بالحجف والعرب من ورائهم فرموا بالنبل وضربوا بسيوفهم فمنها ما انثلم ومنها ما انكسر (قال الواقدى) وأشرف عليهم هرابيس صاحب حمص وقد دارت بطارقته وأصحاب العرب فجعلوا يتأملون الى أفعالهم فقال هرابيس يا معاشر البطارقة وحق المسيح ما ظننت أن العرب بهذه الصفة واذا هم كلهم سودان فقال له بعض من لحقه باجنادين وسائر المواطن لا أيها السيد بل هؤلاء عبيدهم وهذه من بعض مكايد العرب فى الحرب وقد قدم هؤلاء السودان والعبيد الى حربنا وقتالنا معناه أن ليس لنا عندهم من القدر أن يلقونا بانفسهم أو يخرج اليهم فقال هرابيس وحق المسيح ان هؤلاء أشد من العرب باسا وأقوى مراسا واعلموا أنه ما لزق قوم بسور مدينتنا ولا دنوا منها الا وقد هان عليهم أمرها واقترب على أيديهم فتحها (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى أن العبيد قاتلوا يومهم قتالا شديدا وهجموا على الابواب مرارا ولم يزالوا بقية يومهم ذلك حتى أقبل الليل ورجعت الموالى الى عسكر المسلمين وبعث هرابيس من ليلته رسولا الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه فاقبل الرسول والظلام معتكر فاحس جيوش المسلمين به فهموا به فقال أنا رسول من البطريق هرابيس صاحب حمص وأريد الجواب عن هذا الكتاب فسلم اليهم كتاب هرابيس فاخذه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وقرأه فاذا فيه يا معاشر العرب انا ظننا أن عندكم عقلا تدبرون به الحرب وتستعينون به على الامور واذا أنتم بخلاف ذلك لانكم فى أول حربكم لنا تفرقتم على الابواب فقلنا هذا أشد ما يكون من الحصار وأعظم ما يقدرون عليه من الاضرار فلما كان الغد تأخرتم عن حربنا وبعثتم هؤلاء المساكين الى حربنا يقطعون أسيافهم ويكسرون سلاحهم فياليت شعرى هل تصبر سيوفهم على

صلى الله عليه وسلم فولى عامين وثلاثة اشهر وثمانية أيام (وولى بعده عمر بن الخطاب) باستخلاف ابى بكر رضى الله عنه وهو أول من دعى أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأول من اشار على أبى بكر بجمع القرآن فى المصحف وجمع الناس فى قيام شهر رمضان ولما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر وبويع له بالخلافة بعد موت أبى بكر لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ولما دفن ابو بكر صعد المنبر فجلس دون مجلس ابى بكر ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه

فساد سورنا وقد بان لنا عجز رأيكم وتدبيركم فى القتال وملاقاة الرجال والآن فانا أشير عليكم بأمر فيه الصلاح لنا ولكم وهو أن تسيروا الى الملك هرقل وتفتحوا ما بين أيديكم كما فتحتم ما وراءكم وإياكم واللجاج والبغى فانهما قاتلان لمن اتبعهما وراجعان على من بدأ بهما أو نحن نخرج اليكم صبيحة هذه الليلة والله ينصر من يشاء منا ومنكم ممن على الحق قال فلما اقرأ الامير أبو عبيدة كتاب هربيس صاحب حمص استشار المسلمين فيما يصنع وكان قد حضر عنده رجل كبير من أكابر خثعم وسيد من ساداتهم اسمه عطاء ابن عمرو الخثعمى وكان كبير السن قديم الهجرة سديد الرأى قد قاد الرجال وولى أمر الجيش وحزم العساكر فلما سمع كتاب هربيس وثب قائما على قدميه وقال للامير ابى عبيدة رضى الله عنه اقسمت عليك ايها الامير برسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما سمعت مقالى فان فيه صلاحا للمسلمين فالله وفقنى لمقالة وايد المسلمين بها قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه قل يا أبا عمرو فانت عندنا ناصح للمسلمين قال فدنا من الامير ابى عبيدة وساره وقال له اصلح الله الامير اعلم ان خبرك عند هؤلاء منذ نزلت على هؤلاء الشام وهذا البطريق اشد منعة وأعظم جولة ممن كان قبله وقد علم بفتوح بعلبك وانك لا بد ان تنزل على حصارها وقد استدعى بالطعام والعلوفة وآلة الحصار وقد شحنها بالرجال وما تركت فى رساتيقها وقراها طعاما الا وقد خزنوه عندهم ما يكفيهم اعواما وان نحن حاصرناهم يطول الامر كما طال امرنا على دمشق والرأى عندى ان تخدعهم بخديعة وتحتال عليهم بحيلة فان تمت لنا عليهم الحيلة فتحنا المدينة عن قريب ان شاء الله تعالى قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وما الحيلة عندك يا ابن عمرو فقال الرأى عندى ان نكتب الى هؤلاء القوم ان يجبرونا بالزاد والعلوفة ونضمن لهم أن نرتحل عنهم الى أن يفتح الله تعالى عليك غير مدينتهم ونرجع اليهم وقد قل زادهم وانتشروا فى سوادهم وتفرقوا فى امصارهم وتجاراتهم ونشن عليهم غارة فنملك ما ظهر منهم ويهون عليك أمر من بقى فى حمص مع قلة الزاد والعلوفة فقال أبو عبيدة أصبت الرأى يا ابن عمرو وانى سوف أفعل ما ذكرته ونرجو من الله التوفيق والعون ثم دعا أبو عبيدة رضى الله عنه بدواة وبياض وكتب جواب الكتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فانى رأيت فى قولك صلاحا لنا ولكم ولسنا نريد البغى على أحد من عباد الله عز وجل وقد علمت ان عسكرنا كثير وخيلنا وابلنا كثير فان أردتم أن نرتحل عنكم فابعثوا الناميرة خمسة أيام وأنتم تعلمون ان البطريق الذى امامنا بعيد وما نلقى بعد كم الا كل حصن منيع وأبواب حديد فاذا زعمنا رحلنا عنكم الى بعض مدائن الشام فاذا فتح الله علينا بعض مدائن الشام رجعنا عنكم كما زعمتم فان فعلتم ذلك كان صلاحا لكم وطوى الكتاب وسلمه الى الرسول وسار الى حمص فلما اقرأ هربيس الكتاب فرح بذلك وجمع الرؤساء والرهابين وقال لهم اعلموا ان العرب قد بعثوا يطلبون منكم الزاد والميرة حتى يرحلوا عنكم فان العرب مثلهم كمثل السبع اذا وجد فريسته لم يرجع الى غيرها وهم قد لحقهم الجوع فى مدينتكم واذا أشبعناهم انصرفوا عنا فقالوا أيها الامير نخاف من العرب ان يأخذوا الزاد والعلوفة ولا يرحلوا عنا فقال انا أخذ لكم عليهم العهود والمواثيق انكم اذا زعمتوهم يرحلون عنكم فقالوا افعل ما بدا لك واستوثق لنا ولك قال فبعث هربيس وأحضر القسوس والرهبان وأمرهم ان يخرجوا الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه ويأخذوا عليهم العهود والمواثيق اذا مرناهم يرحلوا عنا قال فخرجوا وقد فتح لهم باب الرستن فساروا حتى وصلوا الى الامير أبى عبيدة وأخذوا عليهم ميثاقا وعهدا ان يرحلوا عنهم اذا هم ماروهم ولا يرجع عليهم حتى يفتح الله على يديه مدينة من مدائن الشام شرقا وغربا سهلا كان أو جبلا فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه قد رضيت بذلك وتم الصلح على ذلك وأخرج لهم أهل حمص مما كانوا قد ادخروه من الزاد والعلوفة شيأ أعطيناه وعسكرهم ما يكفيهم مدة خمسة أيام فأقبل أبو عبيدة عليهم وقال يا أهل حمص قبلنا ما حملتموه لنا من الزاد والعلوفة فاذا رأيتم الآن ان تبيعوا من الزاد والعلوفة فقالوا نحن نفعل ذلك فعندها نادى الامير أبو عبيدة بشراء الزاد

والعلوقة

صلى الله عليه وسلم وخطب خطبة بليغة وله فضائل كثيرة منها جريان النيل بكتابه الذى أرسله الى عمرو ابن العاص لما افتتح مصر وكانت عادته انه لا يجرى حتى يأتوا بجارية بكر يأخذونها من أبويها ويحلونها بالحلى والثياب ويلقونها فيه ففى تلك السنة أخبروا عمرو بن العاص بذلك فلم يرض بعاداتهم وقال لا يكون هذا فى الاسلام والاسلام يهدم ما قبله فمكث النيل لا يخرج شهر بؤنه وأبيب ومسرى حتى هم أهل مصر بالرحيل منها فلما رأى عمرو بن العاص ذلك كتب الى عمر بن الخطاب يخبره

والعلوفة ولنتكثر وامن ذلك فان قدامكم طريقا واسعا قليل الزاد والعلوفة فقالوا أيها الأمير عاذ نشترى الزاد وعلى اى شئ نحمله فقال ابو عبيدة من كان معه شئ من الذى غنمتموه من الروم فليشتر به الزاد والعلوفة قال حسان بن عدى الغطفانى خفف الله عن أبى عبيدة الحساب كما خفف عنا ما كنا نحمله من البسط والطنافس مما كان قد أثقلنا وأثقل دوابنا فاخذنا به الزاد والعلوفة من القوم وكانت العرب تسمح لهم فى البيع والشراء ويشترى منهم أهل حمص ما يساوى عشرين دينارا بدينارين ورغب أهل حمص فى شراء الرخيص ولم يزل أهل حمص كذلك ثلاثة أيام وأهل حمص فرحون برحيل العرب عنهم قال وكان للروم فى عسكر العرب جواسيس وعيون يأخذون لهم الاخبار فلما نظرت الجواسيس الى أهل حمص وقد فتحوا مدينتهم وهم يميرون العرب ظنوا أنهم دخلوا فى طاعتهم فسارت الجواسيس الى انطاكية طالبين وجعلوا كلما اجتاز وا ببلد من البلاد أو حصن من الحصون يقولون ان أهل حمص قد دخلوا فى طاعة العرب وفتحوا مدينتهم صلحا فكان يعظم ذلك على الروم ويزيدهم خوفا ورعبا وكان ذلك توفيقا من الله عز وجل للمسلمين وكانت الجواسيس أربعين رجلا فدخل ثلاثة رجال منهم الى شيزر فاشاعوا ذلك وأشيع فيها ذلك

ذكر فتح الرستن

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار الامير أبو عبيدة بالعسكر حتى نزل على الرستن فرآها حصنا منيعا وماؤها غزير وهى مشحونة بالرجال والعدد العديد فبعث اليهم رسولا يأمرهم أن يكونوا فى ذمته فابوا ذلك وقالوا لا نفعل حتى نرى ما يكون من أمركم مع الملك هرقل وبعد ذلك يكون ما شاء الله تعالى فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه فانا متوجهون الى قتال الملك هرقل ومعنا رجال وأمتعة قد أثقلتنا واشتهينا أن نودعها عندكم الى وقت رجوعنا قال فلقى أهل الرستن الى بطريقهم وكان اسمه نقيطاس وشاوروه فى ذلك فقال يا قوم ما زالت الملوك والعساكر يودع بعضها بعضا وما يضرنا ذلك ثم بعث الى الامير ابى عبيدة يقول له مهما كان لك من حاجة فنحن نقضيها ونريد منكم المراعاة لاهل سوادنا حتى نرى ما يكون من أمركم مع الملك هرقل فقال الامير أبو عبيدة ونحن نفعل ان شاء الله تعالى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) عن ثابت بن قيس بن علقمة قال كنت ممن حضر عند أبى عبيدة رضى الله عنه فعند ذلك دعا باهل الرأى والمشورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم ان هذا حصن شديد منيع ليس لنا الى فتحه سبيل الا بالحيلة والخديعة وأريد ان أجعل منكم عشرين رجلا فى عشرين صندوقا وتكون الاقفال عندهم من باطنها فاذا صاروا فى المدينة فثوروا على اسم الله تعالى فانكم تنصرون على من فيها من المشركين فقال خالد بن الوليد فاذا عزمت على ذلك فلتكن الاقفال ظاهرة ويكون أسفل الصناديق أنثى فى ذكر من غير شئ يمسكها فاذا حل أصحابنا فى حصن هؤلاء القوم يخرجون جملة واحدة ويكبرون فان النصر مقرون بالتكبير فاجابه أبو عبيدة الى ذلك وأخذ صناديق الطعام المنتخبة عند الروم ففض اسافلها وجعلها ذكرا فى أنثى فاول من دخل فى الصناديق ضرار بن الازور والمسيب بن نجية وذو الكلاع الحميرى وعمرو بن معديكرب الزبيدى والمرقال وهاشم بن نجية وقيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ومالك بن الاشتر وعوف بن سالم وصابر بن كاكل ومازن بن عامر والاصيد ابن سلمة وربيعة بن عامر وعكرمة بن أبى جهل وعقبة بن العاص ودارم بن فياض العبسى وسلمة بن حبيب والفارع بن حرملة ونوفل بن جرعل وجندب بن سيف وعبد الله بن جعفر الطيار وجعله اميرا عليهم وسلموا الصناديق الى الروم فلما حطت الصناديق فى الرستن القاها نقيطاس فى قصر امارته وارتحل الامير ابو عبيدة رضى الله عنه وسار حتى نزل فى قرية يقال لها السودية فلما أظلم الليل بعث خالد بن الوليد رضى الله عنه بجيش الزحف الى الرستن ينظر ما يكون من أصحابه وما فعلت الصحابة رضى الله عنهم فسار خالد بن الوليد برجاله حتى وصل القنطرة واذا بالصياح قد علا والتهليل والتكبير من داخل مدينة

بذلك فكتب اليه بطاقة صغيرة وأمره أن يلقيها فى النيل فأخذها عمرو وقرأها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة وقطع الله تلك العادة السيئة عن أهل مصر وفى خلافته فتحت مصر ودمشق والبصرة

الرستن (قال الواقدي رحمه الله تعالى) كان من أمر الصحابة انه لما تركهم نقيطاس في دار امارته ركب الى
البيعة مع بطارقته واهل مدينته ليصلوا صلاة الشكر لاجل رحيل المسلمين عنهم وارتفعت اصواتهم
بقراءة الانجيل وسمع اصواتهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا من الصناديق وشدوا على
أنفسهم واشهروا سلاحهم وقبضوا على امرأة نقيطاس وحريمه وقالوا انريد مفاتيح الابواب فسلمتها اليهم
فلما حصلت المفاتيح في ايديهم رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير
وكبس القوم على أبواب مدينتهم فلم يجسروا عليهم لانهم بدون عدة ولا سلاح وبعث عبد الله بن جعفر
الطيار ربيعة بن عامر والاصيد بن سلامة وعكرمة بن أبي جهل وعتبة بن العاص والفارع بن حرملة وسلم
اليهم المفاتيح وقال افتحوا الابواب وارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير فان اخوانكم المسلمين من
حول المدينة كاملون فتبادر الخمسة الى الباب القبلي وهو باب حمص ففتحوه ورفعوا أصواتهم بالتهليل
والتكبير ودخلوا المدينة واذاهم بعسكر الزحف وعلى المقدمة خالد بن الوليد رضى الله عنه فاجابوهم
بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة وسمع أهل الرستن أصوات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعلموا أنهم في قبضتهم وان مدينتهم قد أخذت من أيديهم فاستسلموا جميعا وخرجوا اليهم وقالوا لهم انا
لا نقاتلكم ونحن الآن أسرى لكم فاعدلوا فينا فانتم احب الينا من قومنا قال فعرض خالد بن الوليد
رضى الله عنه الاسلام عليهم فاسلم منهم كثير وبقي الاكثر يؤدون الجزية واما أميرهم نقيطاس فانه قال
لا أريد بديني بدلا فقال له خالد بن الوليد رضى الله عنه الآن فاخرج باهلك عنا وحدث قومك بعدلنا
فاخرجوه من الرستن فتوجه باهله وأمواله الى حمص واعلم أهلها بفتح الرستن فصعب ذلك على أهل حمص
وعلموا ان العرب تصبحهم أو تمسيهم بالغارة وبعث جعفر بن عبد الله الطيار الى أبي عبيدة يخبره بالفتح
والنصر فسجد لله تعالى شكرا وبعث اليهم ألف رجل من اليمن ووصاهم بحفظ الرستن وأمر عليهم هلال
ابن مرة اليشكري فلما استقروا بالرستن رحل خالد بن الوليد رضى الله عنه وعبد الله بن جعفر واهلهم
وعساكرهم وتوجهوا الى حماة وكان أهل حماة في صلح المسلمين كما ذكرنا وكذلك أهل شيزر الا أن
بطريق أهل شيزر مات وبعث اليهم الملك هرقل بطريقا عاتيا جبارا اسمه نكس ففسخ الصلح واذاق
أهل شيزر ضرا وشرا وكان يصادرهم ويأخذ أموالهم ويحتجب عنهم لاهيا في أكله وشربه فلما بلغ الخبر
الامير أبا عبيدة بعث خيلا جريدة الى شيزر ففارت الخيل على بلدهم ووقعت الضجة بشيزر وسمع
البطريق نكس الضجة فنزل اليهم من قلعته وأظهر لهم بعض حجابه وجلس في بيعتهم المعظمة عندهم
وجمع الرؤساء منهم وقال لهم يا أهل شيزر أنتم تعلمون ان الملك هرقل قد استخلفني عليكم احفظ
مدينتكم وامنع عن حريمكم وأموالكم ثم فتح خزانة السلاح وفرق عليهم العدد وأمرهم بالحرب
والقتال فبينما القوم كذلك اذا أشرف عليهم خالد بن الوليد في أصحابه ومعهم جيش الزحف فنزلوا
بازائهم وأشرف بعده يزيد بن أبي سفيان باصحابه فنزل عليهم وأشرف بعده الامير أبو عبيدة في عساكره
جميعهم فلما نظر أهل شيزر الى لاحق العساكر بهم هالهم ذلك وعظم عليهم وحارت أبصارهم (قال الواقدي
رحمه الله تعالى) فلما نظر أبو عبيدة رضى الله عنه كتب الى أهل شيزر كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن
الرحيم أما بعد يا أهل شيزر فان حصنكم ليس بامنع من حصن بعلبك ولا من الرستن ولا رجالكم
أشجع فاذا قرأتم كتابي هذا فادخلوا في طاعتي ولا تخالفوني فيكون وبالا عليكم وقد بلغكم عدلنا
وحسن سيرتنا فكونوا مثل سائر من صالحنا ودخل في طاعتنا من سائر بلاد الشام والسلام
وطوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وبعثه اليهم فلما وصل الكتاب اليهم اعطوه بطريقهم
نكس فقرئ عليه فلما فهم مافيه قال ماتقولون يا أهل شيزر فيما ذكرت العرب فقالوا صدقت العرب
أيها البطريق الكبير فان حصننا ليس بامنع من الرستن ولا بعلبك ولا دمشق ولا بصرى وأنت تعلم شدة
أهل حمص وحدة شجعانهم وقد صالحوا العرب وكذلك أهل فلسطين ومدن نهار الاردن وحصنها فكيف

وبعلبك وحمص وهرب
هرقل من انطاكية الى
قسطنطينية (وولى بعده
عثمان بن عفان) وكنيته
أبو عمرو بعد ثلاثة أيام
من وفاة عمر بحكم الشورى
فبقي واليا اثنى عشر عاما
كاملة غير عشرة أيام وقتل
سنة خمس وثلاثين في ذي
الحجة وله فضائل كثيرة منها
تجهيز جيش العسرة
بثلاثمائة بعير بأحلاسها
وأقتابها وكان يطعم الناس
طعام الامارة ويدخل بيته
يأكل الزيت والخل وكان
على مصر في مدة خلافته
عبد الله بن أبي سرح وذلك
انه خلع عمرو بن العاص
وولى عبد الله على مصر
فاقام على ولايته الى أن

تمنع عنهم شيزر وهى حصن لطيف فان عصيت هؤلاء العرب فانك معول على هلاكنا وخراب مدينتنا (قال الواقدى) وكثر فيهم الخطاب وعلا الكلام وأقبل البطريق نكس يسب أهل شيزر وأمر غلمانه بضربهم فلما نظر أهل شيزر ذلك غضبوا وأظهروا سلاحهم عليه وعلى غلمانه ووقع القتال بين الفريقين فعرف المسلمون ذلك وقالوا اللهم اهلكهم ببأسهم ولم يزل أهل شيزر فى القتال حتى نصروا على البطريق وعلى غلمانه وقتلوهم عن آخرهم ثم أخرجوا الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه رجالا الى لقائه بغير سلاح فلما وقفوا بين يدى الامير أبى عبيدة سلموا عليه وقالوا أيها الامير انا قتلنا بطريقنا فى محبتكم قال يا أهل شيزر بيض الله وجوهكم وأدر رزقكم فقد كفيتمونا الحرب والقتال ثم قال للمسلمين الا ترون الى حسن طاعة هؤلاء العرب وفعالهم ببطريقهم فى محبتكم والدخول فى طاعتكم وقد رأيت من الرأى ان أحسن الى القوم وأنعم عليهم فقال المسلمون نعم ما رأيت حتى يصل ما تصنع الى غيرهم و يفتح الله علينا البلاد ان شاء الله تعالى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فاقبل على أهل شيزر وقال ابشروا فانى لست أكره أحدا منكم فمن أحب منكم الدخول فى ديننا فله ما لنا وعليه ما علينا والخراج موضوع عنكم سنتين ومن أقام على دينه فعليه الجزية وقد وضعنا عنه الخراج سنة كاملة ففرح الروم بذلك وقالوا أيها الامير سمعنا وأطعنا وهذا قصر بطريقنا فأنت أحق بما فيه وهو هدية منا اليك فدونك واياه وما فيه من الرحال والآنية والاموال فأخرج أبو عبيدة رضى الله عنه منها الخمس وقسم الباقى على المسلمين بالسوية ونادى أبو عبيدة رضى الله عنه يا معاشر المسلمين قد فتح الله على أيديكم هذه المدينة أيسر فتح وأهونه وقد خرج أهل حمص من ذمتكم ووفيتم لهم ما عاهدوكم عليه فارجعوا بنا عليهم رحمكم الله تعالى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فركب المسلمون ظهور خيولهم وهموا بالمسير واذا قد لاح لهم غبرة مرتفعة من وراء النهر المقلوب وهى منقلبة من طريق انطاكية وقد أخذت عرضا فأسرعت خيل المسلمين اليها فاذا معها قسيس كبير من قسوس الروم ومعه مائة برذون موسوقة بالاحمال ومن حولها مائة علج من علوج الروم يحفظونها (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولم يكن للقسيس خبر بنزول المسلمين على شيزر فصاح بهم خالد بن الوليد رضى الله عنه وكبر المسلمون معه وأحدقوا بهم من كل جانب وأخذوا العلوج أسرى وأخذوا البراذين وأقبل خالد على القسيس وقال له يا ويلك من أين أقبلت بهذه الاحمال قال فرطن القسيس بالرومية فلم يدر خالد ما يقول هذا القسيس المشوم فبدأ اليه رجل من أهل شيزر وقال أيها الامير انه يذكر انه من القسوس المعظمة عند الملك هرقل وقد بعثه وبعث معه الى هربيس هذه الاحمال فيها ديباج أحمر منسوج بقضبان الذهب وعشرة أحمال مملوءة دنانير وباقى الاحمال مملوءة من الثياب والدنانير فأخذوها وأخرجوا منها مالا عظيما وغنم المسلمون غنيمة عظيمة لم يغنموا مثلها وساق خالد بن الوليد الاحمال الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه فوجده على النهر المقلوب مما يلى شيزر وتحته عباءة قطوانية وعلى رأسه مثلها تظله من حر الشمس فأقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه بالقسيس فأوقفه بين يديه فقال أبو عبيدة رضى الله عنه ما هذا يا أبا سليمان فقال خالد رضى الله عنه انهم قوم من انطاكية ومعهم هدية لهربيس صاحب حمص من كلب الروم هرقل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وعرض عليه الغنيمة ففرح الامير أبو عبيدة بها فرحا شديدا وقال يا أبا سليمان لقد كان فتح شيزر علينا مباركا ثم دعا بترجمان كان معه لا يفارقه وقال اسأل هؤلاء عن كلب الروم الطاغية هرقل هل هو فى جمع كثير أم لا فكلم الترجمان القسيس ساعة فقال القسيس قل للامير ان الملك هرقل قد بلغه أنكم فتحتم دمشق وبعلبك وحوسية وانكم لم تنزلوا على حمص فبعث معى هذه الهدية الى هربيس البطريق وكتب اليه يأمره بقتالكم ويعده بالنجدة وقدوم العساكر اليه لان الملك هرقل قد استنجد عليكم كل من يعبد الصليب ويقرأ الانجيل فأجابته الروسية والصقالبة والافرنج والارمن والدوقس والمغليط والكرج واليونان والعلف والغزانة وأهل رومية

مات فى سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة فكانت مدة ولايته على مصر ثنتى عشرة سنة (ثم ولى بعده على بن أبى طالب) رضى الله عنه سنة خمس وثلاثين من الهجرة فانه لما قتل عثمان اجتمع الناس من المهاجرين والانصار على على رضى الله عنه وقالوا لابد لنا من امام وأنت أحق بها فقال لهم لا حاجة لى فى أمركم فمن اخترتموه رضيته فقالوا نختارك فقال اذا كان ولابد فان بيعتى لا تكون خفية فخرج من المسجد وبايعه الناس ورحل من المدينة الى الكوفة واستقر بها وكانت مدة خلافته أربع سنين

وكل من يحمل صليبا والعساكر قد وصلت الى الملك هرقل من كل جانب ومكان قال فحدث الترجمان
الامير أبا عبيدة رضى الله عنه بكل ما أعلمه القسيس به فعظم ذلك على الامير أبى عبيدة وعرض على
القسيس الاسلام فقال القسيس للترجمان قل للامير أبى عبيدة انى البارحة رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى المنام وقد أسلمت على يديه ففرح الامير أبو عبيدة بذلك وعرض على الاعلاج الاسلام
فأبوا ذلك فضربت رقابهم ورحل أبو عبيدة رضى الله عنه متوجها الى حمص وقد سير الخيل جريدة
فى مقدمته فما يشعر أهل حمص الا والخيل قد أغارت عليهم فرجع القوم الى المدينة وقد غلقوا الابواب
وقالوا غدرت العرب وحق المسيح قال ونزل المسلمون حول حمص وداروا بها من كل جانب ومكان وقد
نفد الزاد من المدينة وأكثر أهلها قد خرجوا الى تجاراتهم وفى طلب الميرة وقد تفرقوا فى البلاد فلما نزل
الامير أبو عبيدة رضى الله عنه على حمص دعا بالعبيد والموالى وأمرهم أن يتفرقوا على الطرقات
والمحارس وقال لهم كل من وجدتموه قد رجع الى حمص بزاد أو تجارة فائتونى به ففعل العبيد ذلك وصعب
ذلك على هربيس صاحب حمص وكتب الى الامير أبى عبيدة كتابا يقول فيه أما بعد يا معاشر
العرب فانا لم نخبر عنكم بالغدر ولا بنقض العهد ألستم صالحتمونا على الميرة فرنا كم فطلبتم منا البيع
فبايعناكم فلم نقضتم ما عاهدناكم عليه فكتب الامير أبو عبيدة رضى الله عنه يقول أريد أن ترسل
الى القسوس والرهبان الذين أرسلتهم الى حتى أوقفهم على ما عاهدتهم عليه ليعلموك اننا لم نغدر ولا
مثلنا من يفعل ذلك ان شاء الله تعالى فلما قرأ هربيس الكتاب أحضر القسوس والرهبان وبعث بهم
الى الامير أبى عبيدة فخرجوا اليه وفتح لهم باب حمص وساروا الى أن وصلوا للامير أبى عبيدة فسلموا عليه
وجلسوا بين يديه فقال لهم أبو عبيدة رضى الله عنه ألم تعلموا أنى عاهدتكم وحلفت لكم أنى منصرف
عنكم حتى أفتح مدينة من مدائن الشام سهلا كان أو جبلا ثم يكون الرأى لى ان شئت رجعت اليكم
أو سرت الى غيركم فقالوا بلى وحق المسيح فقال لهم ان الله تعالى قد فتح علينا شيزر والرستن فى أهون
وقت وقد غنمنا الله مال بطريقهم نكس وغيره مما لم نؤمله فى هذه المدة اليسيرة والآن فلا عهد لكم
عندنا ولا صلح الا أن تصالحونا على فتح المدينة وتكونوا فى ذمتنا وأمانتنا فقال القسوس والرهبان
لقد صدقت أيها الامير ليس عليكم لوم وقد وفيتم بذمتكم وقد بلغنا فتحكم شيزر والرستن والخطأ كان
منا اذ لم نستوثق لأنفسنا والآن الامر بيد بطريقنا ونحن نرجع اليه ونعلمه بذلك ثم رجعوا الى
مدينتهم ودعا الامير أبو عبيدة رضى الله عنه بالرجال والابطال وأهل الحرب وقال خذوا أهبتكم فان
القوم بلا زاد ولا مدد يأتى اليهم من عند طاغيتهم ولا نجدة فاستعينوا بالله وتوكلوا على الله قال فلبس
المسلمون السلاح والعدد ورجعوا الى الابواب والاسوار واجتمع أهل حمص ببطريقهم هربيس وقالوا
ما عندك من الرأى فى أمر هؤلاء العرب فقال الامر عندى أن نقاتلهم ولا نريهم منا ضعفا قالوا فان
الزاد قد نفد من مدينتنا وقد أخذه القوم منا وما سمعنا بمثل هذه الحيلة فقال هربيس ما لكم تعجزون
عن حرب عدوكم وما قتل منكم قتيل ولا جرح منكم جريح ولم تصبكم شدة ولا جوع وانما أصابوا
منكم على غرة ولو دخلوا المدينة لما قدروا عليكم وأقل الرجال على السور يكفيكم اياهم وعندى
من الزاد فى قصرى ما يكفيكم المدة الطويلة وما أحسب أن الملك هرقل يغفل وسيبلغه خبركم ويوجه
اليكم العساكر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان عند البطريق هربيس فى قصره جب عظيم مملوء
طعاما ففتحه وفرق الطعام على أهل حمص فسكنت بذلك نفوسهم وجعل البطريق يفرق على كبيرهم
وصغيرهم بقية يومهم ذلك وقد انحصر أهل حمص جميعهم فنفد ذلك اليوم نصف ما فى الجب وقال لهم
اقنعوا بما أعطيتكم ثلاثة أيام وابرزوا الى حرب عدوكم ثم خذوا أهبة الحرب وعرض عسكره
وانتخب منهم خمسة آلاف فارس من أولاد الزراوزة والعمالقة لا يساويهم غيرهم فيهم ألف مدججة
ملكية وفتح خزانة جده جرجيس وفرق عليهم الدروع والجواشن والبيض والمغافر والقسى والنشاب

وتسعة أشهر وعشرة أيام
وقتل غيلة فى الكوفة سنة
أربعين من الهجرة فى شهر
رمضان وله من العمر ثلاث
وستون سنة وكان الوالى
على مصر فى مدة خلافته
قيس بن سعد بن عبادة
الخزرجى الانصارى تولى
عليها سنة ست وثلاثين من
الهجرة وأقام على ولايته
حتى أرسل له معاوية يدعوه
الى القيام بطلب دم عثمان
ووعده ان يكون نائبه على
العراقين اذا تم له الامر
فاشيع عنه انه بايع
معاوية فعزله على وولى على
مصر محمد بن أبى بكر رضى
الله عنه فلم يزل بمصر قائما
على الامر حتى كانت
وقعت صفين بين على

والحراب وأقبل يحرضهم على القتال ويوعدهم بالمدد والنجدة من الملك هرقل ثم دعا بالقسوس والرهبان
وقال لهم خذوا أهبتكم وادعوا المسيح أن ينصرنا على العرب فان دعاءكم لا يحجب ولا يرد قال
فدخلوا كنيستهم المعظمة عندهم وهي كنيسة جرجيس وهي الجامع اليوم ونشروا المزامير وضجوا
بالتهمير وأقبلوا يبتهلون بكلمة الكفر وباتوا بقية ليلتهم على مثل ذلك فلما كان الصباح دخل
هربيس الى البيعة وتقرب وصلوا عليه صلاة الموتى فدخل قصره وقدم له دخنوص مشوى فأكله حتى
أتى على آخره وقدم بين يديه باطية الذهب والفضة فشرب حتى انقلبت عيناه في أم رأسه ثم لبس
ديباجا محشوا بالفرو والزرد الصغار المضعف العدد ولبس فوقها درعا من الذهب الاحمر وعلق في عنقه
صليبا من الياقوت وتقلد بسيف من صنعة الهند وقدم له مهر كالطود العظيم فاستوى على ظهره وخرج
من قصره طالبا باب الرستن فأحاطت به بطارقته من الروم من كل جانب ومكان وفتحت أبواب
حمص وخرجت الروم في عددهم وعديدهم وراياتهم وصلبانهم وبين يدي هربيس خمسة
آلاف فارس من علوج الروم وهم بالعدد العديد والزرد النضيد فصفهم هربيس امام المدينة
كأنهم سد من حديد أو قطع الجلمود وقد وطنوا انفوسهم على الموت دون أموالهم وذراريهم
فتبادر المسلمون اليهم مثل الجراد المنتشر وحملوا عليهم حملة عظيمة والعلوج كأنهم حجارة ثابتة ما ولوا
عن مواضعهم ولا فكروا فيما نزل بهم فعندها صاح البطريق هربيس على رجاله وزجرهم فتبادرت
الروم وصاح بعضهم ببعض وركب المسلمون وحملوا عليهم ورشقوا الرجال بالسهام واشتبكت الحرب
واختلط الفريقان واقتتلوا قتالا شديدا ما عليه من مزيد الا أن المسلمين رجعوا القهقرى وقد فشا
فيهم القتل والجراح فلما نظر الامير أبو عبيدة الى ذلك من هزيمة المسلمين عظم عليه وكبر لديه وصاح
فيهم بصوته يا بني القرآن الرجعة الرجعة بارك الله فيكم فهذا يوم من أيام الله تعالى فاحملوا معي بارك الله
فيكم فتراجع الناس وحملوا على أهل حمص حملة عظيمة وشدوا عليهم الحملة وحمل خالد بن الوليد رضي
الله عنه في جمع كثير من بني مخزوم وجعلوا يضربون فيهم بسيوفهم ويطعنون برماحهم حتى طحنوهم
طحن الحصيد ووضع المسلمون فيهم السيف وحمل ابن مسروق العبسي في طائفة من قومه من بني عبس
وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير وصدموا الروم صدمة عظيمة فتراجعت الروم الى الاسوار وقد
فشا فيهم القتل فبربرت الروم بلغاتهم وتراجعت على المسلمين وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان ورشقت
العلوج بالنشاب وطعنوا في المسلمين بالحراب وقد استتروا بالدرق والطوارق قال فلما نظر خالد بن الوليد
الى ذلك برز باللواء وكان هو صاحب اللواء يوم حمص وصاح خالد بأصحابه وقال شدوا عليهم بالحملة بارك الله
فيكم فانها والله غنيمة الدنيا والآخرة قال فبينما خالد بن الوليد يحرض أصحابه على القتال اذ حمل عليه
بطريق من عظماء الروم وعليه لامة مانعة وهو يهدر كالاسد فحمل خالد بن الوليد عليه وضربه على راسه
فوقع سيفه على البيضة فطار السيف من يد خالد بن الوليد وبقيت قبضته في يده فطمع العلج فيه وحمل
عليه ولاصقه حتى حل ركابه بركاب خالد وتعانقا جميعا بالسواعد والمناكب فضم خالد العلج الى
صدره واحتضنه بيده وشد عليه بقوته فطحن أضلاعه وادخل بعضها في بعض فارداه قتيلا وأخذ خالد
سيف العلج وهزه في يده حتى طار منه الشرر ووضع رأسه في قربوس سرجه وحمل وصاح في بني مخزوم
فحملوا حملة عظيمة وهاجوا في أوساطهم وخالد بن الوليد رضي الله عنه يفرقهم يمينا وشمالا وهو ينادي
برفيع صوته أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل وافي
القتال الشديد الذي ما عليه من مزيد حتى توسطت الشمس في كبد السماء وحمي الدرع على خالد بن
الوليد رضي الله عنه فخرج من المعركة وبنو مخزوم يتقاطرون من خلفه والدم يسيل مل ء دروعهم
وسواعدهم كأنها شقائق الارجوان وخالد بن الوليد رضي الله عنه في أوائلهم وهو يقول

ويل لجمع الروم من يوم شغب * اني رأيت الحرب فيه تلتهب

ومعاوية فاستخف أهل
مصر بمحمد بن أبي بكر رضي
الله عنه فولى علي رضي الله
عنه عليهم الاشتر النخعي
ثم مات فارجع محمد بن أبي
بكر الى ولاية مصر الى ان
أرسل له معاوية عمرو بن
العاص في جيوش كثيرة
فقتل بعض الجيوش محمد
ابن أبي بكر واستولى على
مصر عمرو بن العاص الى
ان مات بها كما مر وولى
معاوية عليها ولده عبد الله
فعمل له عليها سنتين ثم
عزله وولى اخاه عيينة بن ابي
سفيان ثم عزله وولى عتبة
ابن عامر الجهني ثم عزله
وولى معاوية بن حديد ثم
عزله وولى مسلمة بن مخلد
واستمر على ولاية مصر الى

وكم لقوامنا مواقع النصب * وكم تركت الروم فى حال العطب

قال فناداه الامير أبو عبيدة لله درك يا أبا سليمان لله درك لقد جاهدت فى الله حق جهاده فلما نظر المرقال
ابن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الى غفلة الروم صاح فى بنى زهرة وحملوا فى ميمنة الروم وحمل ميسرة بن
مسروق العبسى فى قوم وحمل عكرمة بن أبي جهل وحوله جمع كثير من بنى مخزوم وحمل المسلمون
باجمعهم وقد اطلعوا على الشهادة وايقنوا بالعناية (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم يكن يوم حمص
أشد حربا ولا أقوى جلدا من بنى مخزوم غير ان عكرمة بن أبي جهل كان أشدهم بأسا واقداما وهو يقصد
الاسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال يا قوم انا كنت أقاتل عن الاصنام فكيف اليوم
وأنا أقاتل فى طاعة الملك العلام وانى أرى الحور متشوقات الى ولو بدت واحدة منهن لاهل الدنيا لاغنتهم
عن الشمس والقمر ولقد صدقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وعدنا ثم سل سيفه وغاص فى الروم
ولم يزددا لا اقداما وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله فبينما هو كذلك اذ حمل عليه البطريق
هربيس صاحب حمص وبيده حربة عظيمة تفى ونلتهب فهزها فى كفه وضربه بها فوقعت فى قلبه
ومرقت من ظهره فانجدل صريعا وعجل الله تعالى بروحه الى الجنة فلما نظر خالد بن الوليد الى ابن
عمه وقد وقع صريعا أقبل حتى وقف عليه وبكى وقال يا ليت عمر بن الخطاب نظر الى ابن عمى صريعا
حتى يعلم أنا اذا لاقينا العدو ركبنا الاسنة ركوبا قال ولم يزالوا فى الاهوال الشديدة حتى هجم الليل
عليهم وتراجعت الروم الى مدينتهم وغلقوا الابواب وطلعوا على الاسوار ورجعت المسلمون الى رحالهم
وخيامهم وباتوا ليلتهم يتحارسون فلما أصبح الصباح قال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه معاشر المسلمين
ما بالكم قد صدكم هؤلاء القوم وبعد الطمع فيهم ما بالكم هزمتم وجزعتم منهم والله ألبسكم عافية مجللة
وسلامة سابغة وأظفركم على بطارقة الروم وفتح لكم الحصون والقلاع فما هذا التقصير والله تعالى
مطلع عليكم فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه هؤلاء فرسان الروم أشد الرجال ليس فيهم سوقة ولا جبان
وقد تعلم انهم يكونون أشد فى الحرب لانهم يمنعون عن الذرارى والنسوان فقال أبو عبيدة رضى الله عنه
فما الرأى عندك يا أبا سليمان يرحمك الله فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أيها الامير قد رأيت من الرأى
اننا ننكشف للقوم غدا وندع لهم سوادنا وابلنا فاذا تباعدنا عن مدينتهم وتبعتنا خيلهم وتباعدوا عن
مدينتهم وصاروا معنا عطفنا عليهم وخرقناهم بالاسنة ونقطع ظهورهم لبعدهم عن مدينتهم فقال أبو
عبيدة نعم الرأى ما أريت يا أبا سليمان ولقد أشرت وأحسنت قال وتواعد المسلمون على أن ينكشفوا
بين أيدى الروم وأن يتركوا لهم سوادهم فلما أصبح الصباح فتحت ابواب حمص وخرجت الروم من
جميع الابواب وزحفوا يريدون القتال فسألهم العرب كف القتال وأروهم التقصير والخوف وأطمعوهم
فى أنفسهم وجعلوا ينحرفون عن قتالهم حتى تضاحى النهار وانبسطت الشمس وطاب الحرب وطمعت
الروم فى المسلمين لما بان لهم من تقصيرهم فشد الروم بالحملة عليهم فانهزمت العرب من بين أيديهم وتركوا
سوادهم * قال نوفل بن عامر حدثنا رفحة بن ماجد التميمى عن سراقة النخعى وكان ممن حضر يوم حمص
قال لما انهزمت العرب أمام الروم وتبعنا هربيس البطريق فى خمسة آلاف فارس على خمسة آلاف
أشهب وكانوا أشد الروم قال سراقة بن عامر وانهزمنا أمام القوم كأننا نطلب الزراعة وجوسية
وأدركتنا البطارقة وبعضهم مال الى السواد طمعا فى الزاد والطعام (قال الواقدى رحمه الله تعالى)
وكان بحمص قسيس كبير السن عظيم القدر عند الروم قد حنكته التجارب وعرف أبواب الحيل
والخداع وكان عالما من علماء الروم وقد قرأ التوراة والانجيل والزبور والمزامير وصحف شيث وابراهيم
وأدرك بعض حوارى عيسى بن مريم عليه السلام فلما أشرف ذلك القسيس ونظر الى العرب وقد ملك
الروم سوادهم جعل يصيح ويقول وهو ينادى وحق المسيح ان هذه خديعة ومكر ومكيدة من مكايد
العرب وان العرب لا تسلم أولادها وابلها ولو قتلوا عن آخرهم قال وجعل القسيس يصيح وأهل حمص

ان مات فى خلافة يزيد فولى
بعده سعيد بن يزيد فلما
ولى ابن الزبير ولى على
مصر عبد الرحمن بن مخزوم
القرشى (ثم ولى الخلافة)
ابو محمد الحسن بن على بن ابى
طالب رضى الله عنهما
وبايعه على الموت أكثر من
أربعين ألفا من اهل
الكوفة وغيرهم وأطاعه
الناس وأحبوه أكثر من
حبهم لابيه فبقى ستة أشهر
وخلع نفسه كراهية فى
سفك الدماء ثم دس عليه
يزيد بن معاوية السم مع
بعض أزواجه فمكث مريضا
أربعين يوما ومات بالمدينة
خامس ربيع الاول سنة
خمس وأربعين من الهجرة
ودفن بالبقيع ولما حضرته

قد وقعوا في النهب وليس يغنيهم سوى الزاد والطعام والبطريق هربيس قد الح في طلب المسلمين في
خمسة آلاف فارس فلما أبعدوا عن المدينة صاح الامير أبو عبيدة رضي الله عنه برفيع صوته اعطفوا
على الروم كالسباع الضارية والعقبان الكاسرة فردوا عليهم كردوسا واحدا حتى أحاطوا بالبطريق
وأصحابه من كل جانب وداروا بهم مثل الحلقة المستديرة واحدقوا بهم كاحداق البياض بسواد العين
وبقيت الروم في أوساطهم كالشامة السوداء في الثور الابيض فعند ذلك نصبت العلوج نشابها على
العرب والمسلمون يكرون عليهم مثل الاسود الضارية ويحومون عليهم كما تحوم النسور ويضربونهم
بالسيوف ويصرعونهم يمينا وشمالا حتى انكسر اكثرهم (قال عطية بن فهر الزبيدي) فلما نظرت
الروم الى فعلنا بهم تركت البت علينا فلما حميت الحرب ابتدر خالد بن الوليد رضي الله عنه من وسط
العسكر وهو على جواد أشقر وعليه جوشن مذهب كان لصاحب بعلبك أهداه له يوم فتح بعلبك وكان
خالد بن الوليد رضي الله عنه قد عمم نفسه بعمامة حمراء وكانت تلك العمامة عمامته في الحرب وجعل
يهدر كالاسد الحردان وقد انتضى سيفه من غمده وهزه حتى طار منه الشرار ونادى برفيع صوته رحم
الله رجلا جرد سيفه وقوى عزمه وقاتل أعداءه فعندها انتضت المسلمون سيوفهم وصدموا الروم صدمة
عظيمة ونادى الامير أبو عبيدة يا بني العرب قاتلوا عن حريمكم ودينكم وأموالكم فان الله مطلع عليكم
وناصركم على عدوكم قال وكان معاذ بن جبل قد انفرد في خمسمائة فارس الى السواد والاموال وانقض
على الروم فما شعرت الروم والعلوج ممن انغمس في الغارة وحمل الزاد والرحال والامتعة الا والطعن قد
أخذهم باسنة الرماح من كل جانب كأنها ألسنة النار المضرمة ونادى مناد يافتيان العرب اطلبوا الباب
لئلا ينجو أحد من الروم برحالنا وأولادنا فجعل المسلمون يطلبون الابواب وكانت علوج الروم قد غرقت
في رحال المسلمين فلما نظروا الى معاذ وقد حمل عليهم في رجاله عادت وقد رمت الرحال وطلبت الهرب
فانفلت منهم من انفلت وقتل من قتل قال صهيب بن سيف الغزاري فوالله ما انفلت من الخمسة آلاف
الذين كانوا مع هربيس صاحب حمص الا ما لا ينوف عن مائة فارس قال واتبعنا القوم الى الابواب
فكان أعظم المصيبة قتلنا اياهم على الابواب لان أكثر الرجال من العواصم وغيرهم كانوا في المدينة
قال سعيد بن زيد شهدت يوم حمص وكنت ممن أولع بعدد القتلى فعددت خمسة آلاف وستة غير أسير
وجريح فدنوت من الامير أبي عبيدة رضي الله عنه وقلت البشارة أيها الامير فاني عددت خمسة آلاف
وستة غير أسير وجريح فقال الامير أبو عبيدة بشرت بخير يا سعيد يا ابن زيد فهل ترى قتل بطريقهم
هربيس فقال سعيد بن زيد أيها الامير اذا كان قتل بطريقهم هربيس فما قتله غيري فقال الامير
أبو عبيدة وكيف علمت أنه قتيلك يا سعيد فقال سعيد بن زيد أيها الامير اني رأيت فارسا عظيم الخلقة
طويلا ضخما أحمر اللون وبيده سيف وعليه لامة حربه صفتها كذا وكذا وهو في وسط الروم كأنه
البعير الهائج فحملت عليه وقلت في حملتي اللهم اني أقدم قدرتك على قدرتي وغلبتك على غلبتي اللهم
اجعل قتله على يدي وارزقني أجره فقال له أبو عبيدة أما أخذت سلبه يا سعيد قال لا ولكن علامتي فيه
نبلة من كنانتي أثبتها في قلبه فخر يهوي عن جواده ونفرت عنه أصحابه فلحقته فضربته بسيفي ضربة
فصرمت حقوته ونبلتي في قلبه فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه أدركوه رحمكم الله وسلموا سلبه الى
سعيد ففعلوا ذلك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما أخذت الحرب أوزارها أخذ المسلمون الاسلاب
والدروع والشهابي ومثلوا الجميع امام الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فاخرج منها الخمس لبيت
مال المسلمين وقسم الباقي على المجاهدين قال ووقع الصياح والبكاء في حمص على من قتل منهم من
فرسان الكفار ورجالهم قال واجتمع مشايخ حمص ورؤساؤهم الى بيعتهم وتعاهد توامع القسوس
والرهبان على أن يسلموا حمص الى المسلمين وخرج علماء دينهم ورؤساؤهم الى أبي عبيدة رضي الله تعالى
عنه وصالحوه على تسليم المدينة اليه وأن يكونوا تحت ذمامه وأمانه فصالحهم أبو عبيدة رضي الله تعالى

الوفاة قال لاخيه الحسين
رضي الله عنهما يا أخي ان
أباك استشرف لهذا الامر
فصرفه الله تعالى عنه
مرارا فلما تولى هذا الامر
نوزع حتى جرد السيف فلم
يتم له وما صفت له وأنا والله
لا أرى أن يجمع الله تعالى
لنا أهل البيت بين النبوة
والخلافة فاياك أن
يستخفك أهل الكوفة (ثم
ولي الخلافة بعده) أبو عبد
الرحمن معاوية بن أبي
سفيان وكان مدة خلافته
بعد ان خلص له الامر تسع
عشرة سنة وثلاثة أشهر
وخمسة أيام وكان أميرا على
الشام عشرين سنة وذلك
بقية خلافة عمر وعثمان

عنه وقال است أدخل مدينتكم حتى نرى ما يكون بيننا وبين الملك هرقل واراد اهل حمص ان يكرموا المسلمين بالاقامة والعلوفة فنهاهم الامير أبو عبيدة عن ذلك ولم يدخل أحد من المسلمين الى حمص الا بعد وقعة اليرموك كل ذلك لتتقرب المسلمون الى الروم بالعدل وحسن الصحبة (قال جرير بن عوف) حدثنا حميد الطويل قال حدثني سنان بن راشد اليربوعي قال حدثنا اسامة بن جريج قال حدثنا النجار وكان ممن يعرف فتوح الشام قال لما صالحنا اهل حمص بعد قتل هربيس خرج أهل حمص ودفنوا قتلاهم فافتقدنا القتلى الذين استشهدوا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا من استشهد من المسلمين مائتين وخمسة وثلاثين فارسا كلهم من حمير وهمدان الا ثلاثين رجلا من أهل مكة وهم عكرمة بن أبي جهل وصابر بن جرير والربيس بن عقيل ومروان بن عامر والمنهال بن عامر السلمي ابن عم العباس رضى الله عنه وجمع بن قادم وجابر بن خويلد اليربعي فهؤلاء من جملة المسلمين الذين استشهدوا يوم حمص والباقون من اليمن وهمدان ومن أخلاط الناس

(ذكر وقعة اليرموك)

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) واتصلت الاخبار الى الملك هرقل ان المسلمين قد فتحوا حمص والرستن وشيزر وقد أخذوا الهدية التي بعثها الى هربيس البطريق فبلغ ذلك منه دون النفس وأقام ينتظر الجيوش والعساكر من أقصى بلاد الروم لانه قد كان كاتب كل من يحمل الصليب فما مضى عليه الا أيام قلائل حتى صار أول جيوشه عنده بانطاكية وآخرها في رومية الكبرى وانه بعث جيشا الى قيسارية ساحل الشام يكون حفظه على عكة وطبرية وبعث بجيش آخر الى بيت المقدس وأقام ينتظر قوم ماهان الارمني ملك الارمن وقد جمع من الارمن مالا يجمعه أحد من أهالى الملك هرقل وبعد أيام قدم على الملك هرقل للقائه في أرباب دولته فلما اقترب منه ترجل ماهان وجنوده وكفروا بين يديه ورفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب مما وصل اليهم من فتح المسلمين بلادهم فنهاهم عن ذلك وقال يا أهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية قد حذرتكم وخوفتكم من هؤلاء العرب ولم تقبلوا مني فوحق المسيح والانجيل الصحيح والقربان ومذبحنا العمدان لابد لهؤلاء العرب ان علكوا ما تحت سريري هذا والآن البكاء لا يصلح الا للنساء وقد اجتمع لكم من العساكر مالم يقدر عليه ملك من ملوك الدنيا وقد بذلت مالي ورجالي كل ذلك لأذب عنكم وعن دينكم وعن حريمكم فتوبوا للمسيح من ذنوبكم وانووا للرعية خيرا ولا تظلموا وعليكم بالصبر في القتال ولا يخاصم بعضكم بعضا واياكم والعجب والحسد فانه ما نزلا بقوم الا ونزل عليهم الخذلان واني أريد ان أسألكم وأريد منكم الجواب عما أسألكم عنه فقالت العظماء من الروم والملوك اسأل أيها الملك عما شئت قال انكم اليوم أكثر عددا وأغزر مددا من العرب وأكثر جمعا وأكثر خياما وأعظم قوة فمن أين لكم هذا الخذلان وكانت الفرس والترك والجرامقة تهاب سطوتكم وتفزع من حربكم وشدتكم وقد قصدوا اليكم مرارا ورجعوا منكسرين والآن قد علا عليكم العرب وهم أضعف الخلق عراة الاجساد جياع الاكباد ولا عدد ولا سلاح وقد غلبوكم على بصرى وحوران وأجنادين ودمشق وبعلبك وحمص قال فسكت الملوك عن جوابه فعندها قام قسيس كبير عالم بدين النصرانية وقال أيها الملك أما تعلم لم نصرت العرب علينا قال لا وحق المسيح فقال القسيس أيها الملك لان قومنا بدلوا دينهم وغيروا ملتهم وجحدوا باجابة المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه وظلموا بعضهم وليس فيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وليس فيهم عدل ولا احسان ولا يفعلون الطاعات وضيعوا أوقات الصلوات وأكلوا الربا وارتكبوا الزنا وفشت فيهم المعاصي والفواحش وهؤلاء العرب طائعون لربهم متبعون دينهم رهبان بالليل صوام بالنهار ولا يفترون عن ذكر ربهم ولا عن الصلاة على نبيهم وليس فيهم ظلم ولا عدوان ولا يتكبر بعضهم على بعض شعارهم الصدق ودثارهم العبادة وان حملوا علينا لا يرجعون وان حملنا عليهم فلا يولون وقد علموا ان الدنيا دار الفناء وان الآخرة هي دار البقاء (قال الواقدى) فلما سمع القوم والملك

وفى خلافة على لما نازله صار متغلبا فمكث أميرا وخليفة أربعين سنة وتوفى سنة ستين فى رجب (وولى بعده يزيد) ولده فأقام ثلاث سنين وثمانية أشهر وفى مدة خلافته أرسل الى الحسين بن على رضى الله عنه وقتله لكونه امتنع من البيعة له وأرسل له أهل الكوفة يبايعونه ليخلصوا من جور يزيد فذهب اليهم بعد امتناعه من ذلك مرارا ليقضى الله أمرا كان مفعولا وكان موته عاشر المحرم سنة احدى وستين ومكث يزيد بعده سنتين ومات ولا يجوز لعنه على الراجح (وولى

هرقل ماقاله القسيس قالوا وحق المسيح لقد صدقت بهذا نصرت العرب علينا لا محالة واذا كان فعل
قومنا ماذكرت فلا حاجة لى فى نصرتهم وانى قد عولت أن اصرف هذه الجيوش والعساكر الى بلادها
وآخذ أهلى ومالى وأنزل من ارض سورية وارحل الى اسبول يعنى القسطنطينية فاكون هناك آمنا من
العرب قال فلما سمع القوم ذلك من الملك صفوا بين يديه وقالوا أيها الملك لا تفعل ولا تخذل دين المسيح
فيطالبك بذلك يوم القيامة وتعيرك الملوك بذلك ويستضعفون رأيك وأيضا تشمت بنا اعداؤنا اذا أنت
خرجت من جنة الشام وسكن بعد نافيها العرب وقد اجتمع لنا مثل هذا الجيش الذى ما اجتمع لملك من ملوك
الدنيا ونحن نلقى العرب ونصبر على قتالهم ولعل المسيح ان ينصرنا عليهم فاعزم وقدم من شئت واتركنا
ننهض الى قتال العرب قال ففرح الملك هرقل بقولهم ونشاطهم وعول على ان يبعث الجيش مع خمسة
ملوك من الروم فاول ما عقد لواء من الديباج المنسوج بالذهب الاحمر وعلى رأسه صليب من الجوهر
وسلمه الى قناطير ملك الروسية وضم اليه مائة ألف فارس من الصقالبة وغيرهم وخلع عليه وتوجه ومنطقه
وسوره ثم عقد لواء آخر من الديباج الابيض فيه شمس من الذهب الاحمر وعلى رأسه صليب من الزبرجد
الاخضر وسلمه الى جرجير وهو ملك عمورية وملورية وخلع عليه وسوره ومنطقه وضم اليه مائة ألف فارس
من الروم والفرادنة ومن سائر الاجناس الرومية ثم عقد لواء ثالثا من الدستري الملون وعليه صليب من
الذهب الاحمر وسلمه الى الديرجان صاحب القسطنطينية وضم اليه مائة ألف فارس من المغليط والافرنج
والقلان وخلع عليه ومنطقه وسوره ثم عقد لواء رابعا مرصعا بالدر والجوهر عليه قبضة من الذهب وعليه
صليب من الياقوت الاحمر وسلمه الى ماهان ملك الارمن وكان يحبه محبة عظيمة لانه كان من اهل
الشجاعة والتدبير وقد قاتل عساكر الفرس والترك وهزمهم مرارا فلما عقد له اللواء خلع عليه الثياب
التى كانت عليه وتوجه وسوره ومنطقه وقلده بالقلائد التى لا يتقلد بها الا الملوك الاكابر وقال له ياماهان
قد وليتك على هذا الجيش كله ولا أمر على امرك ولا حكم على حكمك ثم قال لقناطير وجرجير والديرجان
وقورين وهم ملوك الجيش اعلموا ان صلبانكم تحت صليب ماهان وامركم اليه فلا تصنعوا أمرا الا
بمشورته ورأيه واطلبوا العرب حيث كانوا ولا تفشلوا وقاتلوا عن دينكم القديم وشرعكم المستقيم
وافترقوا على أربع طرق فانكم ان أخذتم على طريق واحد لم تسعكم وتهلكون الارض ومن عليها ثم
خلع على جبلة بن الايهم الغسانى وضم اليه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام وقال لهم كونوا فى
المقدمة فان هلاك كل شئ بجنسه والحديد لا يقطعه الا الحديد ثم أمر القسوس ان يغمسوهم فى ماء
المعمودية ويقرؤا عليهم ويصلوا عليهم صلاة الموتى (قال حدثنا) نوفل بن عدى عن سراقة عن خالد قال
اخبرنا قاسم مولى هشام بن عمرو بن عتبة وكان ممن حضر فتوح الشام كله قال فكانت جملة من بعث الملك
هرقل الى اليرموك من العساكر ستمائة ألف فارس من سائر طوائف أهل الكفر ممن يعتقد الصليب
(قال) وحدثنا جرير بن عبد الله عن يونس بن عبد الاعلى ان جملة من بعث الملك هرقل سوى جيش
انطاكية الى اليرموك سبعمائة ألف فارس قال راشد بن سعيد الحميرى كنت أحضر اليرموك من أوله الى
آخره فلما أشرفت علينا عساكر الروم باليرموك نحونا صعدت على محل من الارض مرتفع واقبلت الروم
بالرايات والصلبان فعددت عشرين راية فلما استقرت الروم باليرموك بعث الامير أبو عبيدة رضى الله
تعالى عنه روماس صاحب بصرى ليحزر عدد القوم قال فتنكر روماس وغاب عنا يوما وليلة ثم عاد الينا
فلما رأيناه اجتمعنا عنده وسأل ابو عبيدة روماس عن ذلك فقال أيها الامير سمعت القوم يذكرون ان
عددهم ألف ألف فلا ادرى اهم يتحدثون بذلك ليسمع جواسيسنا ويحدثوا بذلك ام لا فقال ابو عبيدة
ياروماس كم عهدك بهم وكم يكون تحت كل راية من عساكر الروم فقال أيها الامير أما ما عهدت فى
عساكر الروم فتحت كل راية خمسون ألف فارس فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال الله أكبر أبشروا بالنصر على
الاعداء ثم قرأ الآية كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (قال الواقدى رحمه الله

بعده ولده معاوية بن يزيد) وكان صالحا فاقام أربعين يوما ورأى شدة هذا الامر فخلع نفسه ولزم بيته ومات بعد أربعين يوما من خلعه (وولى بعده عبد الله بن الزبير بمكة) ولم يختلف عليه أحد الا مروان بن الحكم فانه ظهر بالشام ثم توجه الى مصر فملكها واستعمل عليها ولده عبد العزيز فبايعوه ثم رجع الى الشام وجددت له البيعة وذلك فى سنة خمس وستين ثم مات عبد العزيز بحلوان فحمل فى البحر الى الفسطاط ودفن بقربها سنة ست وثمانين فأمر بعده عبد الملك فاقام شهرا الا ليلة ثم صرف وولى بعده ابنه عبد الله

تعالى) ثم ان الملك هرقل لما قلد امر جيوشه ماهان ملك الارمن وأمره بالنهوض الى قتال المسلمين ركب
الملك هرقل وركب الروم وضربوا بوق الرحيل وخرج الملك هرقل ليتبع عساكره على باب فارس وسار
معهم يوصيهم وقال لقناطير وجرجير والديرجان وقورين ليأخذ كل رجل منكم طريقا وأمر كل واحد
منكم نافذ على جيشه فاذا لقيتم العرب فالامر فيكم لماهان ولا يد على يده واعلموا انه ليس بينكم و بين
هؤلاء الا هذه الوقعة فان غلبوكم فلا يقنعوا ببلادكم بل يطلبونكم حيث سلكتم ولا يقنعون بالمال دون
النفس ويتخذون حريمكم واولادكم عبيدا فاصبروا على القتال وانصروا دينكم وشرعكم قال الواقدي رحمه
الله تعالى) ثم وجه قناطير بجيشه على طريق جبلة واللاذقية وبعث جرجير على طريق الجادة العظمى
وهي أرض العراق وسومين وبعث قورين على طريق حلب وحماة وبعث الديرجان على أرض العواصم
وسار ماهان في اثر القوم بجيوشه والرجالة امامه ينحتون له الارض ويزيلون من طريقهم الحجارة وكانوا
لا يمرون على بلد ولا مدينة الا اضروا باهلها وبطالبونهم بالعلوفة والاماقات ولا قدرة لهم بذلك فيدعون
عليهم ويقولون لا ردكم الله سالمين قال وجبلة بن الايهم في مقدمة ماهان ومعه العرب المتنصرة من غسان
ولخم وجذام (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني من أثق به ان الطاغية هرقل لما بعث جيوشه الى
قتال المسلمين وكان للامير ابي عبيدة في جيوش الروم عيون وجواسيس من المعاهدين يتعرفون له
الاخبار فلما وصل جيش الروم الى شيزر فارقتهم عيون ابي عبيدة وسار واطالبين عسكر المسلمين فلم
يجدوهم على حمص فسألوهم عنهم فأخبروهم انهم رحلوا الان الامير اباعبيدة رضي الله تعالى عنه لما فتح
حمص ترك عندهم من يأخذ الخراج والذي تركه عندهم رجال من أهل حمص من كبرائهم ورؤسائهم
وجعل الجواسيس يسيرون حتى وصلوا الى الجابية وحضروا بين يدي الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى
عنه وأخبروه بما رأوه من عظم الجيوش والعساكر فلما سمع أبو عبيدة ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبات قلقا لم تغمض له عين خوفا على المسلمين فلما طلع الفجر أذن
فصلى بالمسلمين فلما فرغ من صلاته اقسم على المسلمين أن لا يبرحوا حتى يسمعوا ما يقول ثم قام فيهم
خطيبا وحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وترحم على أبي بكر الصديق رضي الله
تعالى عنه ودعا للمسلمين بالنصر وقال يا معاشر المسلمين اعلموا رحمكم الله أن الله ابتلاكم ببلاء حسن
لينظر كيف تعملون وذلك عند ما صدقكم الوعد وأيدكم بالنصر في مواطن كثيرة واعلموا أن عيوني
أخبروني أن عدو الله هرقل استنجد علينا من كبار بلاد الشرك وقد سيرهم اليكم وأثقلهم بالزاد والسلاح
يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون واعلموا أنهم قد ساروا اليكم في طرق
مختلفة ووعدهم طاغيتهم أن يجتمعوا بازائكم على قتالكم واعلموا أن الله معكم وليس بكثير من يخذله
الله تعالى وليس بقليل من يكون الله تعالى معه فما عندكم من الرأي رحمكم الله تعالى ثم قال لبعض
عيونه قم وأخبر المسلمين بما رأيت فقام الرجل وأخبر الناس بما رأى من الجيوش الثقيلة وعددها
وعديدها فعظم ذلك على المسلمين وداخل قلوب رجال منهم الهيبة والجزع وجعل بعضهم ينظر الى بعض
ولم يرد أحد منهم جوابا فقال أبو عبيدة رضي الله عنه ما هذا السكوت عن جوابي رحمكم الله فاشيروا علي
برأيكم فان الله عز وجل يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله
(قال الواقدي رحمه الله تعالى) فتكلم رجل من أهل السبق وقال أيها الامير أنت رجل لك رفعة
ومكان وقد نزلت فيك آية من القرآن وأنت الذي جعلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أمين هذه الامة
فقال عليه السلام لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه عامر بن الجراح أشر أنت
علينا بما يكون فيه الصلاح للمسلمين فقال الأمين أبو عبيدة رضي الله عنه انما أنا رجل منكم تقولون
وأقول وتشيرون وأشير والله الموفق في ذلك فقام اليه رجل من أهل اليمن وقال أيها الامير الذي نشير به
عليك أن تسير من مكانك وتنزل في فرجة من وادي القرى فتكون المسلمون قريبا من المدينة والنجدة

فاقام الى التسعين فعزله
اخوه الوليد وولى سرى بن
شريك وكان ظلوما عسوفا
وأقام واليا بمصر الى ان مات
سنة ست وتسعين فولى بعده
عبد الملك بن رفاعة فاقام الى
سنة تسع وتسعين ثم ولى بعده
ايوب الاصبحي فاقام الى
سنة احدى ومائة ثم ولى
بشر بن صفوان الكلبي
فاقام الى سنة ثلاث ومائة
ثم تولى اخوه حنظلة فاقام
الى سنة خمس ومائة ثم تولى
محمد بن عبد الملك اخو هشام
ابن عبد الملك الخليفة ثم تولى
حفص بن الوليد فاقام الى
سنة ثمان عشرة ومائة وولى
بعده عبد الرحمن بن خالد
فاقام سبعة أشهر وصرف
وأعيد حنظلة بن صفوان

تصل الينا من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واذا طاب القوم أثرنا وأقبلوا الينا كنا عليهم ظاهرين فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه اجلسوا رحمكم الله فقد أشرتم بما عندكم من الرأى وانى ان برحت من موضعى هذا كره لى عمر بن الخطاب ذلك وأخذ يعنفنى ويقول تركت مدائن فتحها الله على يديك ونزحت عنها وكان ذلك هزيمة منك ثم قال أشيروا على برأيكم رحمكم الله تعالى فقام اليه قيس بن هبيرة المرادى وقال يا أمير المؤمنين لاردنا الله الى اهلنا سالمين ان خرجنا من الشام وكيف ندع هذه الانهار المتفجرة والزروع والاعناب والذهب والفضة والديباج ونرجع الى قحط الحجاز وجدبه وأكل خبز الشعير ولباس الصوف ونحن فى مثل هذا العيش الرغد فان قتلنا فالجنة وعدنا ونكون فى نعيم لا يشبه نعيم الدنيا فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه صدق والله قيس بن هبيرة وبالحق نطق ثم قال يا معاشر المسلمين أترجعون الى بلاد الحجاز والمدينة وتدعون لهؤلاء الاعلاج قصورا وحصونا وبساتين وأنهارا وطعاما وشرابا وذهبا وفضة مع ما لكم عند الله عز وجل فى دار البقاء من حسن الطعام ولقد صدق قيس ابن هبيرة فى قوله لنا واسنا نبارحين من منزلنا هذا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال فوثب قيس ابن هبيرة وقال صدق الله قولك أيها الامير وأعانك على ولايتك ولا تبرح من مكانك وتوكل على الله وقاتل أعداء الله فان فاتنا فتح عاجل فما يفوتنا ثواب آجل فقال أبو عبيدة رضى الله عنه شكر الله فضلك وغفر لنا ولك والرأى رأيك وتتابع قول المسلمين بحسن رأيهم الا خالد بن الوليد رضى الله عنه فانه ساكت لا يقول شيأ فقال أبو عبيدة رضى الله عنه يا أبا سليمان أنت الرجل الجرىء والفارس الشهم ومعك رأى وعزم فما تقول فيما قال قيس بن هبيرة فقال خالد رضى الله تعالى عنه نعم ما أشار به قيس الا أن الرأى عندى غير رأيه ولكن لا اخالف المسلمين فقال ان كان عندك رأى فيه صلاح فأت به وكنا لرأيك نتبع فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه اعلم أيها الامير أنك ان أقمت فى مكانك هذا فانك تعين على نفسك لان هذه الجابية قريبة من قيسارية وفيها قسطنطين ابن الملك هرقل فى أربعين ألف فارس واهل الاردن قد اجتمعوا اليه خوفا منكم والذى أشير به عليكم أن ترحلوا من منزلكم هذا وتجعلوا أذرعات خلف ظهوركم حتى ينزلوا اليرموك ويكون المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قريبا منكم متلاحقا بكم وأنتم على فتح لقتال عدوكم وهى ارض واسعة لمجال الخيل قال فلما نطق خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بهذا الكلام قال المسلمون نعم ما أشار به خالد وقال أبو سفيان بن حرب أيها الامير افعل برأى خالد بن الوليد رضى الله عنه وابعثه الى ما يلى الرمادة فيكون بين عساكرنا وعساكر الروم المقيمة بالاردن لئلا ندهى منهم عند رحيلنا فانه سيكون لرحيلنا ورحيل عسكرنا بين هذه الاشجار ضجة عظيمة وجلبة هائلة فيدا خل عدوكم فيكم الطمع فان أقبلوا يريدون غارة ومكيدة لقيهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بمن معه فقال خالد بن الوليد والله يا ابن حرب لقد نطقت عن ضميرى وهكذا الرأى عندى فعند ذلك أمر أبو عبيدة الناس بالرحيل من الجابية فرحلوا ودعا أبو عبيدة بجيش خالد بن الوليد الذى أقبل به من أرض العراق وهو جيش الزحف وهو يومئذ أربعة آلاف فارس وأمر خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ان يسير بهم ويكون على طلائع المسلمين ويحرسهم من وراء ظهورهم قال ووقعت الضجة للمسلمين عند رحيلهم حتى سمع ضجيجهم من مسيرة فرسخين وطلبوا اليرموك وسمع الروم المجتمعة بالاردن ضجة المسلمين عند رحيلهم فظنوا أنهم هاربون الى الحجاز لما بلغهم من جيش هرقل فطمعوا فيهم وهموا بالغارة على أطرافهم فلقيهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فصاح فى رجاله وقال دونكم والقوم فهذه علامة النصر قال فانتضى المسلمون السيوف ومدوا الرماح وحمل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وحمل ضرار بن الازور رضى الله تعالى عنه والمرقال وطلحة بن نوفل العامرى وزاهد بن الاسد وعامر بن الطفيل وابن أكال الدم وغير هؤلاء من الفرسان المعدودين للبراز فلم يكن للروم طاقة بهم فولوا منهزمين والمسلمون يقتلون ويأسرون حتى وصلوا الى الاردن فغرق منهم خلق

فى سنة عشرين ثم صرف وولى بعده حسان بن العتاهية التجيبى سنة تسع وعشرين ثم أعيد حفص ابن الوليد وعزل عنها سنة ثمان وعشرين وولى حوثرة ابن سهل الباهلى ثم ولى المغيرة بن عبيد الفزارى سنة احدى وثلاثين ثم ولى الامير عبد الله بن مروان سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو آخر من تولى على مصر من بنى أمية وما ذكر من كون ولاية ابن الزبير بعد ولاية معاوية الصغير هو الصحيح عند المؤرخين وبعضهم يذكره بعد ولاية عبد الملك بن مروان وذلك انه لما كانت نوبة معاوية الصغير اجتمع على بيعة

كثير ورجع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه واما الامير أبو عبيدة فانه نزل باليرموك وجعل أذرعات
من خلفه وكان هناك تل عظيم فعمد أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى نساء المسلمين وأولادهم فاصعدهم
على ذلك التل واقام الحراس والطلائع على سائر الطرقات فلما وصل خالد بن الوليد رضى الله تعالى
عنه بالاسارى والغنائم فرح أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه فرحا شديدا وقال ابشروا رحمكم الله تعالى
هذه علامة النصر والظفر وأقام المسلمون باليرموك وهم مستعدون لقتال عدوهم كانهم ينتظرون
وعدا وعدوا به و بلغ الخبر الى قسطنطين ابن الملك هرقل بان المسلمين قد نزلوا باليرموك وأن ملوك الروم
سائرون لقتالهم فبعث رسولا الى الملوك يستضعف رأيهم فى ابطاء أمرهم ويحثهم على قتال المسلمين فلما
ورد رسوله الى ماهان دعا بالملوك والبطارقة وقرأ عليهم كتاب قسطنطين ابن الملك قرقل وأمرهم بالمسير
فسارت جيوش الروم يتلو بعضها بعضا لا يمرون ببلد من مدائن الشام التى فتحها المسلمون الا ويعنفون
أهلها ويقولون لهم ياويلكم تركتم أهل دينكم وملتكم وملتم الى العرب فيقولون لهم أنتم أحق بالملامة
منا لانكم هربتم منهم وتركتمونا للبلاء فصالحنا عن أنفسنا فيعرفون الحق فيسكتون ولم يزالوا سائرين
حتى وصلوا الى اليرموك فنزلوا بدير يقال له دير الجبل وهو بالقرب من الرمادة والجولان وجعلوا بينهم
و بين عسكر المسلمين ثلاثة فراسخ طولا وعرضا فلما تكاملت الجيوش باليرموك أشرفت سوابق الخيل
على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جبلة بن الايهم فى المقدمة فى ستين ألف فارس من العرب
المتنصرة من غسان ولخم وجذام وهم على مقدمة ماهان فلما نظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
كثرة جيوش الروم قالوا لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال عطية بن عامر فوالله ماشبهت عساكر
اليرموك الا كالجراد المنتشر اذا سد بكثرته الوادى قال ونظرت الى المسلمين قد ظهر منهم القلق وهم
لا يفترون عن قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يقول ربنا أفرغ
علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال وأخذ المسلمون أهبتهم ودعا الامير أبو عبيدة
بجواسيسه من المعاهدين وأمرهم أن يدخلوا عساكر الروم يجسون له خبر القوم وعددهم وعديدهم
وسلاحهم وقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه أنا أرجو من الله تعالى أن يجعلهم غنيمة لنا (قال الواقدى
رحمه الله تعالى) فلما نزل ماهان بعساكره بازاء المسلمين على نهر اليرموك أقام أياما لم يقاتل ولا يدنيهم
حربا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان تاخير ماهان لامر وذلك أن رسولا ورد عليه من الملك هرقل
يقول له لا تنجز الحرب بينك وبين المسلمين حتى نبعث اليهم رسولا ونعدهم منا كل سنة بمال كثير وهدايا
لصاحبهم عمر بن الخطاب ولكل أمير منهم ويكون لهم من الجابية الى الحجاز فلما وصل الرسول الى ماهان
قال هيهات هيهات ان كانوا يجيبون الى ذلك أبدا فقال لجرجير وهو من بعض ملوك الجيش وما عليك فى
هذا الذى ذكره الملك هرقل من المشقة فقال ماهان اخرج أنت اليهم وادع منهم رجلا عاقلا وخاطبه بالذى
سمعت واجتهد فى ذلك قال فلبس جرجير ثياب الديباج وتعصب بعصابة من الجوهر وركب شهباء عالية
بسرج من الذهب الاحمر المرصع بالدر والجوهر وخرج معه ألف فارس من المدبجة وسار حتى أشرف على
عساكر المسلمين فاوقف جرجير أصحابه وقرب من المسلمين ووقف بازائهم وقال يامعاشر العرب أنا رسول
من الملك ماهان فليخرج الى اميركم والمقدم عليكم حتى نعرض عليه ما معنا لعلنا نصطلح ولا نسفك دم
بعضنا قال فسمعه المسلمون فاعلموا الامير أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه بذلك فخرج بنفسه اليه وعليه ثوب
من كرابيس العراق وعلى رأسه عمامة سوداء وهو متقلد بسيفه وسار الى أن وصل الى جرجير ورفس
فرسه حتى التقت عنق فرسيهما والناس ينظرون اليهما فقال أبو عبيدة رضى الله عنه يا أخا الكفر قل
ما أنت قائل واسأل عما تريد فقال جرجير يا معاشر العرب لا يغرنكم أن تقولوا هزمنا عساكر الروم فى
مواطن كثيرة وفتحنا بلادهم وعلونا كثر أرضهم فانظروا الآن ما قد أتاكم من العساكر فان معنا من سائر
الاجناس المختلفة وقد تحالف الروم ان لا يفروا ولا ينهزموا او يموت آخرهم وليس لكم على ماترون

عبد الله بن الزبير أهل
الحجاز واليمن والعراق
وخراسان وحج بالناس ثمانى
حجج وكان عبد الملك بن
مروان واليا على اهل الشام
فأرسل الى ابن الزبير نائبه
الحجاج بن يوسف الثقفى
فذهب اليه بمكة وحاربه حتى
قتله فى الحرم وكانت مدة
خلافة ابن الزبير تسع سنين
وشهرين ولما قتل خلص
الامر لعبد الملك بن مروان
الى ان مات سنة ست
وثمانين بدمشق (وولى بعده
ابنه ابو العباس) الوليد بن
عبد الملك سنة سبع وثمانين
واستمر الى سنة ست وتسعين
ومات بدمشق (وولى بعده
اخوه سليمان بن عبد
الملك) وتوفى سنة تسع

من طاقة فانصرفوا الى بلادكم وقد نلتم ما نلتم من بلاد الملك هرقل وقد عول الملك ان يتعود الاحسان اليكم وهو يهب لكم ما أخذتم من بلادهم منذ ثلاث سنين وقد أخذتم السلاح والذهب والفضة وقد كنتم حين قدمتم الشام منكم على رجليه ومنكم عريان فاجيبوا الى ما دعوتكم اليه والا كنتم من الهالكين فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه اما ما ذكرت من عساكر الروم وأنهم لا يفرون ولا ينهزمون فلو رأت الروم شفار سيوفنا هربت ناكصة على أعقابها وأما تهويلك انا بكثرة عددكم فقد رأيت قلتنا وضعف اجسامنا وكيف لقيناجموعكم وكثرتها وعظم عددها وسلاحها وأحب الاشياء الينا يوم مشاجرتكم بالحرب والقتال حتى يعرف من الذى يثبت للحرب فلما سمع جرجير كلام الامير أبى عبيدة التفت الى رجل من أصحابه يقال له بهيل فقال يا بهيل الملك هرقل كأنه أعرف بهؤلاء العرب منا ثم لوى رأس جواده ورجع الى ماهان وأخبره بما قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه فقال له ماهان دعوتهم الى الموعد فقال لا وحق المسيح انى لم افاتحه فى شىء من ذلك لكن ابعث لهم بعض العرب المتنصرة فان العرب يميل بعضهم الى بعض قال فعند ذلك دعا ماهان بجبلة بن الايهم الغسانى وقال يا جبلة اخرج الى هؤلاء وخوفهم من كثرتنا وتواتر عددنا وألق فى قلوبهم الرعب وأحط بهم مكرك قال فخرج جبلة بن الايهم وسار حتى قرب من عساكر المسلمين ونادى برفيع صوته يا معاشر العرب ليخرج الى رجل من ولد عمرو ابن عامر لاخاطبه بما أرسلت به فلما سمع الامير أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه كلام جبلة بن الايهم قال قد بعث اليكم القوم بابناء جنسكم يريدون الخديعة بصلة الرحم والقرابة فابعثوا اليه رجلا من الانصار من ولد عمرو بن عامر فاسرع اليه بالخروج عبادة بن الصامت الخزرجى رضى الله تعالى عنه وقال لابى عبيدة أيها الامير أنا أخرج اليه وانظر ماذا يقول فأجيبه عنه ثم خرج عبادة نحوه بجواده الى ان وقف أمام جبلة بن الايهم فنظر جبلة الى رجل أسمر طويل شديد السمرة كأنه من رجال شنوأة فهابه ودخل الرعب فى قلبه من عظيم خلقته وكان عبادة بن الصامت من الخطاط رضى الله تعالى عنه فقال له جبلة يا فتى من أى الناس أنت فقال عبادة أنا من ولد عمرو بن عامر فقال جبلة حييت فمن أنت فقال أنا عبادة بن الصامت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأل عما تريد فقال جبلة يا ابن العم انما خرجت اليكم لانى أعلم ان أكثركم من الرحم والقرابة فخرجت اليكم ناصحا ومشيرا واعلم ان هؤلاء القوم الذين قد نزلوا بازائكم معهم جنود لا قبل لكم بها وخلفهم عساكر وحصون وقلاع وأموال ولا تقولوا كسرناوهزمنا عساكر الروم واعلم ان الحرب دول وسجال وان هزمكم هؤلاء القوم لا يكون لكم ملجأ غير الموت وهؤلاء القوم ان انهزموا يرجعون الى بلادهم وعساكرهم والخزائن والحصون وما قد نلتم نيلا فخذوه وامضوا الى بلادكم سالمين (قال عبادة بن الصامت) رضى الله تعالى عنه يا جبلة أما علمت ما لقينا من جموعكم المتقدمة بأجنادين وغيرها وكيف نصرنا الله عليكم وهرب طاغيتكم ونحن نعلم أنه من بقى من جموعكم قد تيسر علينا أمره ونحن لا نخاف ممن يقدم علينا من جموعكم وقد ولغنا فى الدماء فلم نجد أحلى من دماء الروم وانا يا جبلة ادعوك الى دين الاسلام وأن تدخل مع قومك فى ديننا وتكون على شرفك فى الدنيا والآخرة ولا تكون تابع علج من علوج الروم تفديه بنفسك من المهالك وأنت رجل من سادات العرب وملوكهم وأن ديننا اظهر أوله وآخره يظهر كما ظهر أوله فاتبع سبيل من أناب الى الحق وصدق به فقل لا اله الا الله محمد رسول الله اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وسلم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فغضب جبلة ابن الايهم من كلام عبادة بن الصامت وقال لست مفارقا دينى فقال عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه فان أبيت الا ما أنت عليه من الكفر فاياك ان تلقانى فى الموعد الاول فان لنا وقعة عظيمة فان أخذتك شفار سيوفنا فلا تخلص من شفارها وعنا وعساكر الروم فهم أهون علينا فان أبيت الا ما أنت عليه حل بك مثل ما حل بهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فغضب جبلة بن الايهم وقال ماذا تخوفنى من سيوفكم اما نحن عرب مثلكم رجل لرجل فقال عبادة بن الصامت قد علمنا أنك انما خرجت

وتسعين بعد ان عهد بالخلافة الى ابن عمه أبى حفص عمر بن عبد العزيز ابن مروان فاستمر سنتين وخمسة أشهر ثم مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة وله من العمر تسع وعشرون سنة وكان يقال له أشجع بنى مروان وقبره بدير سمعان من أعمال حمص ويضرب بعدله المثل (وولى بعده ابن عمه يزيد بن عبد الملك ابن مروان) أربعة أعوام وشهرا واحدا ومات سنة خمس ومائة (وولى بعده أخوه هشام بن عبد الملك ابن مروان) فبقى متوليا تسع عشرة سنة وسبعة أشهر غير أيام ومات سنة

الينا مخادعا ومعيننا واسنا كانتم يا وبا لكم نحن على قلتنا ونحدر بنا ونتبع سنة نبينا محمد وان وراءنا
عسكرا يملؤا الاقطار ويسد القفار فقال جبلة لست أعرف وراءكم جيشا غير هذا الجيش ولا من ينصركم
غيرهم فقال عبادة بن الصامت كذبت والله يا ابن الايهم فى قولك وان وراءنا رجالا انجادا وأبطالا
شدادا يرون الموت مغنما والحياة مغرما كل واحد بنفسه يلقى جيشا فلا يا ويلك أنسيت عليا وسطوته
وعمر وشدته وعثمان وبراعته والعباس وطلعته والزبير مع ما يجتمع اليهم من فرسان المسلمين من
مكة والطائف واليمن وغير ذلك قال فلما سمع جبلة ذلك من كلام عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه
قال يا ابن العم أنا ما خرجت الا أريد النصيحة لكم فان أبيتم ذلك فاسأل قومك يجيبونا الى الصلح فقال
عبادة بن الصامت لا صلح بيننا الا باداء الجزية أو الاسلام أو السيف وهو حكم بيننا وبينكم ووالله لولا
ان الغدر يقبح بنا العلوتك بسيفى هذا فلما سمع جبلة كلام عبادة وانه قد حاف عليه فى الكلام لم يرد عليه
جوابا غير انه ثنى رأس جواده وأتى الى ماهان فزعا مرعوبا وقد امتلأ قلبه رعبا من كلام عبادة بن
الصامت رضى الله تعالى عنه فلما وقف بين يدى ماهان تبين فى وجهه الجزع والفزع فقال لجبلة ما وراءك
فقال أيها الملك انى خوفت وارعبت ومنيت فكان ذلك كله عندهم بالسواء وقالوا ما بيننا الا الحرب
والقتال فقال له ماهان فما هذا الفزع الذى أراه فى وجهك وهم عرب مثلكم وأنتم عرب مثلهم وقد
بلغنى انهم ثلاثون ألف فارس وأنتم ستون ألف فارس اما يقاتل الرجلان منكم الرجل الواحد منهم
دونك يا جبلة فسر أنت وابناء عمك من العرب المتنصرة الى قتالهم وأنا وراءكم فان ظفرتم بهم كان الملك
مشتركا بيننا وبينكم وتكون أقرب الناس الينا ويسلم اليكم ما فتحه العرب من بلاد الشام (قال
الواقدى) وجعل ماهان يرغب جبلة فى العطاء ويلينه ويحرضه على القتال فى المسلمين حتى اجابه الى
ذلك واخبر قومه وبنى عمه من بنى غسان ولخم وجذام وغيرهم من العرب المتنصرة وأمرهم باخذ الاهبة
للحرب والقتال ففعل القوم ذلك وركبوا فى سابغ الحديد والزرد النضيد وهم ستون ألف فارس
ما يخالطهم من غير العرب احد يقدمهم جبلة بن الايهم وعليه درع من الذهب الاحمر متقلد بسيف من
عمل التبابعة وعلى رأسه الراية التى عقدها له الملك هرقل فسار جبلة نحو الصحابة فى ستين ألف فارس
حتى اشرف على عساكر المسلمين وابو عبيدة رضى الله عنه يتحدث مع عبادة بن الصامت بما جرى بينه
وبين جبلة بن الايهم اذ أشرفت عليهم العرب المتنصرة فلما رآهم المسلمون صاح بعضهم على بعض
يا معاشر المسلمين قد اقبلت عليكم العرب المتنصرة لقتالكم فما انتم قائلون قالوا نقاتلهم ونرجو من الله
تعالى الظهور عليهم والمعونة وعلى غيرهم وهموا بالحملة فصاح عليهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وقال
اصبروا رحمكم الله ولا تعجلوا حتى أكيدهم مكيدة يهلكون بها وقال لابى عبيدة رضى الله تعالى عنه
ايها الامير ان القوم قد استعانوا علينا بالعرب المتنصرة وهم أضعاف عددنا وان نحن قاتلناهم بجمعنا
كله كان ذلك وهنا منا وضعفا وأريد أن أبعث لهم رسولا من بنى عمهم يكلمهم فى شأن ردهم عنا فان
فعلوا كان ذلك كسرا لهم وللمشركين ووهنا عظيما وان أبوا الا الحرب والقتال خرج منا نفر يسير يردونهم
على أعقابهم بعزة الله عز وجل قال فتعجب أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وقال يا أبا سليمان افعل ما تريد
فعند ذلك دعا خالد بن الوليد بقيس بن سعيد وعبادة بن الصامت الخزرجى وجابر بن عبد الله وأبى أيوب
ابن خالد بن يزيد رضوان الله عليهم أجمعين فلما وقفوا بين يديه قال لهم يا أنصار الله تعالى ورسوله هؤلاء
العرب المتنصرة يريدون قتالكم وهم غسان ولخم وجذام وهم بنو عمكم فى النسب فاخرجوا اليهم
وخاطبوهم واجتهدوا فى ردهم عن حربكم وقتالكم فان فعلوا ذلك والا أخذهم السيف منا ومنكم وكنا
لقتالهم كفأ (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فخرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب
المتنصرة فوجدوا جبلة بن الايهم قد نزل بازاء المسلمين يريد حربهم وقتالهم فلما قربوا من بنى غسان
نادى جابر بن عبد الله وقال يا معاشر العرب من لخم وغسان وجذام اننا بنو عمكم ونريد الدنو اليكم قال

خمس وعشرين ومائة
(وولى بعده الوليد بن يزيد
ابن عبد الملك بن مروان)
سنة واحدة وشهرين
وكانت سيرته قبيحة (وولى
بعده يزيد بن الوليد) وهو
الذى قتل ابن عمه الوليد
المذكور ومكث ستة أشهر
وكانت سيرته حميدة وأزال
منكرات كثيرة ويقال له
الناقص لانه انتقص
ارزاق الجند وكان عادلا
يقارب فى سيرته عمر بن
عبد العزيز وهما المرادان
بقول العرب الناقص
والاشج اعدلا بنى مروان
فالناقص يزيد والاشج
عمر ولما مات ولى بعده
ابراهيم بن الوليد وأقام
ثلاثة أشهر واضطرب الامر

فأذن لهم جبلة بالدنو اليه فدخلوا عليه فاذا هو فى مضرب من الديباج وقد فرش بالحرير الاصفر وهو جالس
وحوله ملوكه وملوك جفنة فحيوه بتحية ملوك العرب فرفع جبلة أقدارهم وأدنى مزارهم وقال يا بنى العم
أنتم من الرحم ومن القرابة وانى خرجت اليكم من جهة هذا الجيش الذى يرهقكم فخرج الى رجل منكم
فافرط على فى المقال فما الذى أتى بكم الى فكان أول من كلمه جابر بن عبد الله وقال يا ابن العم لا تؤاخذنا
فيما تكلم به صاحبنا فان ديننا الا يقوم الا بالحق والصدق وان النصيحة لك منا واجبة لانك ذو قرابة
ورحم وقد أتينا اليك ندعوك الى دين الاسلام وتكون من أهل ملتنا ويكون لك مالنا وعليك ما علينا فان
ديننا شريف ونبينا ظريف فقال ما أحب ذلك ولا غيره انى ضنين بدينى وأنتم يا معاشر الأوس والخزرج
رضيتم لانفسكم أمرا ونحن رضينا الانفسنا أمر الكم دينكم ولنا ديننا فقال له الانصار ان كنت لا تحب
أن تفارق دينك الذى أنت عليه فاعتزل عن قتالنا لننظر لمن تكون العاقبة والغلبة فان كانت لنا
وأردت الدخول فى ديننا قبلناك وكنت منا وأخانا وان أقمت على دينك قنعنا منك بالجزية وأقررناك على
بلدك وعلى مواطن كثيرة لآبائك وأجدادك فقال جبلة أخشى ان تركت حربكم وقتالكم وكانت الدائرة
للقوم لا آمن أن يتقووا على بلدى لان الروم لا ترضى منى الان أكون مقاتلا لكم وقد رأسوفى على جميع
العرب وأنا لو دخلت دينكم كنت دنيا ولا أتبع فقال الانصار فان أبيت ما عرضناه عليك فان
ظفرنا بك قتلناك فاعتزل عنا وعن سيوفنا فانها تفلق الهام وتبرى العظام فتكون الوقعة
بغيرك أحب الينا من الوقعة بك وبمن معك قال وكانت الانصار يريدون بهذا الكلام تخويفه وترغيبه
كى ينصرف عنهم وجبلة يأبى ذلك فقال وحق المسيح والصليب لابد أن أقاتل عن الروم ولو كان
لجميع الاهل والقرابة فقال له قيس بن سعيد يا جبلة ابيت الا أن يحتوى الشيطان على قلبك فيهوى بك
فى النار فتكون من الهالكين وانما اتينا لندعوك الى دين الاسلام لأن رحمك متصلة برحمنا فان ابيت
فستعاين مناحربا شديدة يشيب فيه الطفل الصغير ثم وثب قيس بن سعيد وقال لقومه انهضوا على بركة
الله تعالى وعونه وحسن طاعته فبعدا له وسحقا فقام جبلة فاستعد للقتال بعدته قال فركب الانصار
خيولهم ورجعوا الى الامير أبى عبيدة وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهما واعلموهما بمقالة جبلة وانه
ما يريد الا القتال فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أبعده الله تعالى فوعيش عاش فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين لينظرن منا جبلة ما ينظر ثم قال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه اعلموا
معاشر المسلمين ان القوم فى ستين الف فارس من العرب المتنصرة وهم حزب الشيطان ونحن ثلاثون
الف فارس من حزب الرحمن ونريد أن نلقى هذا الجمع الكبير فان قاتلنا جبلة بجمعنا كله كان ذلك وهنا
منا ولكن ينتدب منا ابطال ورجال الى قتال هؤلاء العرب المتنصرة فقال أبو سفيان صخر بن حرب
لله درك يا أبا سليمان فلقد أصبت الرأى فاصنع ما تريد وخذ من الجيش ما أحببت فقال انى قد رأيت من
الرأى ان ننتدب من جيشنا ثلاثين فارسا فيلقى كل واحد ألفى فارس من العرب المتنصرة (قال الواقدى
رحمه الله تعالى) فلم يبق أحد من المسلمين الا عجب من مقالة خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وظنوا انه
يمزح بمقالته وكان أول من خاطبه فى ذلك أبو سفيان صخر بن حرب وقال يا ابن الوليد هذا الكلام منك
جد أو هزل فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لا وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما قلت الا جدا فقال ابو سفيان فتكون مخالفا لامر الله تعالى ظالما لنفسك وما أظن ان لك فى هذه
المقالة مساعدا ولو قاتل الرجل منا مائتين كان ذلك أسهل من قولك يقاتل الرجل منا ألفين وان الله عز
وجل رحيم بعباده فرض علينا ان الرجل منا يقاتل الرجلين والمائة المائتين والالف الالفين وانك تقول
ثلاثون رجلا منا تلقى الستين الف فارس فما يجيبك أحد الى ذلك وان أجابك رجل لما قلته فانه ظالم
لنفسه معين على قتله فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه يا ابا سفيان كنت شجاعا فى الجاهلية فلا
تكن جبانا فى الاسلام وانظر لمن أنتخب من رجال المسلمين وابطال الموحدين فانك اذا رأيتهم علمت أنهم

وانخلع (وولى بعده مروان بن محمد) سنة سبع وعشرين ومائة واضطرب الامر عليه فهرب وقتل بمصر بموضع يقال له أبو صير بالفيوم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانقطعت بموته دولة بنى أمية وهم أربعة عشر أولهم معاوية وآخرهم مروان ومدتهم اثنان وثمانون عاما وهى ألف شهر وانتقل الامر الى بنى العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وكانت ولايتهم بالعراق وينيبون عليهم نوابا بمصر والشام وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة تصرفهم بالعراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر

رجال قد وهبوا انفسهم لله عز وجل ومايريدون بقتالهم غير الله تعالى ومن علم الله عز وجل ذلك من ضميره كان حقا على الله أن ينصره ولو سلك مقطعات النيران فقال ابو سفيان يا ابا سليمان الامر كما ذكرت وما اردت بقولى الا الشفقة على المسلمين فاذا قد صح عزمك على ذلك فاجعل القوم ستين رجلا ليقاتل الرجل منهم الف فارس من العرب المتنصرة فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه نعم ما اشار به أبو سفيان يا ابا سليمان فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه والله يا أيها الامير ما أردت بفعلى هذا الا مكيدة لعدونا لانهم اذا رجعوا الى اصحابهم منهزمين بقوة الله عز وجل ويقولون لهم من لقيكم فيقولون لقينا ثلاثون رجلا يداخلهم الرعب منا ويعلم ماهان أن جيشنا كفء له فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ان الامر كما ذكرت الا انه اذا كان ستون رجلا منا يكونون عصبة ومعينا بعضهم بعضا فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أنا انتدب من المسلمين رجالا أعرف صبرهم وقرارهم واقدامهم فى الحرب وأعرض عليهم هذه المقالة فان أحبوا لقاء الله ورغبوا فى ثواب الله عز وجل فانهم يستجيبون الى ذلك وان أحبوا الحياة الدنيا والبقاء فيها ولم يكن فيهم من تطيب نفسه للموت فيا خالد الان يبذل مهجته لله عز وجل والله الموفق لما يحبه ويرضاه ﴿قال أبو عبد الله﴾ حدثنا عمرو بن سالم عن جده عمى بن عدى قال كنت بين يدى خالد ابن الوليد رضى الله تعالى عنه فدعا بستين رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول ما دعا خالد ابن الوليد قال أين عمرو التميمى أين شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين خالد بن سعيد أين العاص أين يزيد بن ابى سفيان الأموى أين صفوان بن أمية الجمحى أين سهل بن عمرو العامرى أين ضرار بن الازور الكندى أين رافع بن عميرة الطائى أين زيد الخيل أبيض الركابين أين حذيفة بن اليمان أين قيس بن سعد أين كعب بن مالك الانصارى أين سويد بن عمرو الغنوى أين عبادة ابن الصامت أين جابر بن عبد الله أين ابو أيوب الانصارى أين عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم اجمعين أين عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى أين رافع بن سهل أين يزيد بن عامر أين عبيد ابن اوس أين مالك بن نصر أين نصر بن الحرث أين عبد الله بن ظفر أين ابو لبابة بن المنذر أين عوف أين عابس بن قيس أين عبادة بن عبد الله الانصارى أين رافع بن بجرة ابن عبيد بن عبد الله ابن معقب بن قيس أين هلال أين الصابرون يوم أحد وقد ذكرهم الله تعالى فى كتابه فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ابن اسيد الساعدى أين كلال بن الحرث المازنى أين حمزة بن عمرو الاسلمى ابن يزيد بن عامر ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ وقد سمى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الرجال الذين دعاهم لقتال جبلة بن الايهم الا انى اختصرت فى ذكرهم وقدمت ذكر الانصار رضى الله تعالى عنهم لان خالد ابن الوليد رضى الله تعالى عنه انتخب أكثر الرجال من الانصار فلما كثر النداء فيهم قالت الانصار ان خالدا اليوم يقدم ذكر الانصار ويؤخر المهاجرين من ولد المغيرة بن قصى ويوشك انه يختبرهم أو يقدمهم للهالك ويشفق على ولد المغيرة ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه﴾ فلما سمع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ذلك من قولهم اقبل يخط بجواده حتى توسط جميع الانصار وقال لهم والله يا اولاد عامر مادعوتكم الا لما ارتضيته منكم وحسن يقينى بكم وبايمانكم فانتم ممن رسخ الايمان فى قلبه فقالوا انك صادق فى قولك يا ابا سليمان ثم صالحه القوم ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ فلما انتخب خالد بن الوليد من فرسان المسلمين ستين رجلا كل واحد منهم يلقى جيشا بنفسه قال لهم خالد بن الوليد رضى الله عنه يا انصار الله ما تقولون فى الحملة معى على هذا الجيش الذى قد أتى يريد حربكم وقتالكم فان كان لكم صبر وأيدكم الله بنصره مع صبركم وهزمتم هؤلاء العرب المتنصرة فاعلموا انكم لجيش الروم غالبون فاذا هزمتم هؤلاء العرب وقع الرعب فى قلوبهم فينقلبون خاسرين فقالوا يا أبا سليمان افعل بنا ما تريد والق ما تشاء فوالله انقاتلن أعداءنا قتال من ينصر دين الله ونتوكل على الله تعالى وقوته ونبذل فى طلب الآخرة مهجنا فجزاهم خالد بن الوليد رضى الله عنه خيرا وكذلك الامير أبو عبيدة رضى الله عنه وقال لهم

وعدتهم بها خمسة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى سنة خمسين وستمائة وكان يظن بقاؤها فيهم الى أن يسلموها للمهدى فى آخر الزمان (وأول من ولى منهم عبد الله السفاح) ابن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فاقام اربع سنين وثمانية أشهر (وولى بعده المنصور) أبو جعفر وكان أكبر سنا من السفاح واسمه عبد الله بن محمد ببغداد وهو الذى بنى بغداد سنة مائة وأربعين وجعلها قاعدة ملكه وسماها مدينة السلام واقام اثنتين وعشرين سنة وتوفى سنة ثمان وخمسين متوجها الى الحج ودفن قريبا من

تأهبوا رحمكم الله وخذوا اسلحتكم وعدتكم وليكن قتالكم بالسيف ولا يأخذ أحد منكم رمحا فان
الرمح خوان ربما زاغ عن الطعن ولا تأخذوا السهام فانها امنا يامنها المخطى ومنها المصيب والسيف
والجحف عليهما تدور دوائر الحرب واركبوا خيولكم السبق النواجي ولا يركب الرجل منكم الاجواده
الذى يصبر به وتواعدوا أن الملتقى عند قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم قال فقدموا على أهاليهم وودعوهم
فاما ضرار بن الازور فانه عمد الى خيمته ليستعد عما يريد و يسلم على أخته خولة رضى الله تعالى عنها بنت
الازور فلما لبس لامة حربه قالت له أخته خولة يا أخى مالى أراك تودعنى وداع من أيقن بالفراق اخبرنى
ماذا عزمت عليه فاخبرها ضرار بما قد عزم عليه وانه يريد أن يلقى العدو مع خالد بن الوليد رضى الله عنه
فبكت خولة وقالت يا أخى افعل ما تريد أن تفعل والق عدوك وأنت موقن بالله تبارك وتعالى فانه لكم
ناصر وان عدوك لا يقرب اليك أجلا بعيدا ولا يبعد عنك اجلا قريبا فان حدث عليك حدث أو لحقك
من عدوك نائبة فوالله العظيم شأنه لاهدأت خولة على الارض أو تأخذ بثارك فبكى ضرار بن الازور
لبكائها وأعد آلة الحرب وكذلك الستون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينامو اطول ليلتهم
حتى ودعوا أولادهم وأهاليهم وباتوا فى بكاء وتضرع وهم يسألون الله تعالى النصر على الاعداء الى ان
اصبح الصباح فصلى بهم الامير أبو عبيدة رضى الله عنه صلاة الفجر فلما فرغ من صلاته كان أول من
أسرع الى الخروج خالد بن الوليد رضى الله عنه وحرض اصحابه على الخروج وهو ينشد ويقول

هبوا جميعا اخوتى أرواحا * نحو العدو نبتغى الكفاحا * نرجو بذاك الفوز والنجاحا
اذا بذلنا دونه أرواحا * ويرزق الله لنا صلاحا * فى نصرنا الغدو والرواحا

﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ وأنشد بيتا آخر لم أدر ماهو وخرج امام المسلمين واصحابه يقدمون اليه
واحدا بعد واحد حتى اجتمع اليه الستون رجلا الذين انتخبهم وكان آخر من أقبل عليه الزبير بن العوام
رضى الله عنه ومعه زوجته اسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها وهى سائرة الى جانب أخيها
عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنه وهى تدعو لهم بالسلامة والنصر وتقول لاخيها يا اخى
لا تفارق ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقت الحملة اصنع كما يصنع ولا تأخذ كم فى الله لومة لائم
قال وودع المسلمون الستين أصحابهم وساروا بأجمعهم وخالد بن الوليد رضى الله عنه فى أوساطهم كأنه أسد
قد احتوشته الاسود ولم يزالوا حتى وقفوا بازاء العرب المتنصرة ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ ونظرت
العرب المتنصرة الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقبلوا نحوهم وهم نفر يسير فظنوا أنهم
رسل يطلبون الصلح والمواعدة فصاح جبلة بالعرب المتنصرة وحرضهم ليرهب المسلمين ونادى يا آل غسان
اسرعوا الى نصرة الصليب وقاتلوا من كفر به فبادروا بالاجابة وأخذوا الاهبة للحرب ورفعوا الصليب
واصطفوا للقتال وقد طلعت الشمس على لامة الحرب فلمع شعاعها على الحديد والزرد والبيض كأنها
شعل نار ووقفوا يبصرون ما يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قاربوا صلبان العرب
المتنصرة ونادى خالد بن الوليد رضى الله عنه يا عبدة الصلبان ويا أعداء الرحمن هلموا الى الحرب
والطعان فلما سمع جبلة كلام خالد رضى الله عنه علم انهم ما خرجوا رسلا وانما خرجوا للقتال فخرج جبلة
من بين أصحابه وقد اشتمل بلامة حربه وهو يقول

انا لمن عبدوا الصليب ومن به * نسطو على من عابنا بفعالنا * ولقد علونا بالمسيح وأمه
والحرب تعلم أنه أميرا ننا * انا خرجنا والصليب أمامنا * حتى تبدد كم سيوف رجالنا

ثم قال جبلة من الصائح بنا والمستنهض لنا فى قتالنا فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أنا فاخرج الى حومة
الحرب فقال جبلة نحن قد رتبنا أمورنا الحربكم وقتالكم وأنتم تتربصون عن قتالنا فوحق المسيح
لا أجبنا كم الى الصلح أبدا فارجعوا الى قومكم وأخبروهم اننا ما نريد الا القتال قال فاظهر خالد التعجب
من قوله وقال له يا جبلة أتظن اننا خرجنا رسلا اليك فقال جبلة أجل فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه

من مكة ﴿وولى بعده المهدى﴾ محمد بن عبد الله المنصور فأقام عشر سنين وشهرين وأياما وتوفى سنة تسع وستين ومائة ﴿وولى بعده ابنه الهادى﴾ موسى بن محمد المهدى فأقام عاما واحدا وشهرا وتوفى سنة سبعين ومائة ﴿وولى بعده اخوه هرون الرشيد﴾ فأقام ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وهو من أجل ملوك الارض له نظر فى العلم والآداب وكان يصلى فى كل يوم وليلة مائة ركعة و يتصدق من خالص ماله كل يوم بألف درهم وكان يحب العلم ويوقر أهله وكانت أيامه من حسنها كأنها أعراس وله أخبار

لا تظن ذلك أبدا فوالله ما خرجنا الا لحربكم وقتالكم فان قلتم اننا شرذمة قليلة فان الله ينصرنا عليكم
فقال جبلة يافتى قد غررت بنفسك و بقومك اذ خرجت الى قتالنا ونحن سادات غسان ولخم وجذام
فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لا تظن ذلك وانا وان كنا قليلون فقتالكم رجل منا الالف منكم وتخاف
منا رجال أشهى اليهم الحرب من العطشان الى الماء البارد فقال جبلة يا أخا بنى مخزوم لقد كنت
أفضلك فى عقلك وأروم بك مرام الابطال حتى سمعت منك هذا الكلام أتلك أنت وستين رجلا
ترومون قتالنا ونحن سادات غسان وأبطال الزمان ها أنا أحمل بهذه الستين ألف فارس فلا يبقى منكم
أحد ثم صاح جبلة بقومه يا آل غسان الحملة فلما سمعوا كلام سيدهم حملت الستون ألف فارس
فى وجه خالد بن الوليد والستين رجلا فثبت لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتبك الحرب
بينهم فما كنت تسمع الا زئير الرجال و زمجرة الابطال ووقع السيف على البيض الصقال حتى
ما ظن أحد من المسلمين ولا من المشركين ان خالدا ومن معه ينجو منهم أحد فبكى المسلمون وأخذهم
القلق على اخوانهم وجعل بعضهم يقول لقد غرر خالد بن الوليد باصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأهلكهم والروم تقول ان جبلة أهلك هؤلاء القوم فهلاك العرب حاصل بايدينا لامحالة ولم يزل
القوم فى الحرب والقتال حتى قامت الشمس فى كبد السماء قال عبادة بن الصامت فلله در خالد بن
الوليد رضى الله عنه والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنهما والفضل بن
العباس وضرار بن الازور وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم أجمعين لقد رأيت هؤلاء الستة
قد قرنوا مناكبهم فى الحرب وقام بعضهم بجنب بعض وهم لا يفترقون وزادت الحرب اشتعالا وخرقت
الاسنة صدور الليوث حين بلغت الى خزائن القلوب لانقطاع الآجال ولم يزالوا فى القتال الشديد الذى
ما عليه من مزيد قال عبادة بن الصامت فحملت معهم وكنت فى جملتهم وقلت يصيبنى ما يصيبهم ونادى
خالد بن الوليد وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ههنا المحشر وقد أعطى خالد القلب مناه فلما
حمى بينهم القتال حمل خالد بن الوليد وهاشم والمرقال وتكاثرت عليهم الرجال فلله در الزبير بن العوام
والفضل بن عباس وهم ينادون افرجوا يامعاشر الكلاب وتباعدوا عن الاصحاب نحن الفرسان هذا
الزبير بن العوام وأنا الفضل بن العباس أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبادة بن الصامت
رضى الله عنه فوحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أحصيت للفضل بن العباس عشرين حملة يحملها
عن خالد بن الوليد حتى أزال عنه الرجال والابطال وحملوا عن المشركين حملة عظيمة ولم يزالوا فى القتال
يومهم الى أن جنحت الشمس الى الغروب والمسلمون قد جهدهم القلق على اخوانهم أما الأمير أبو عبيدة
رضى الله عنه فانه صاح بالمسلمين وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك خالد بن الوليد ومن معه
لا محالة وذهبت فرسان المسلمين فاحملوا بارك الله فيكم لننظر ما كان من أمر اخواننا فكل أجاب الى قوله
واشارته الا أبا سفيان صخر بن حرب رضى الله عنه فانه قال للامير أبى عبيدة رضى الله عنه لا تفعل أيها
الامير فانه لابد للقوم أن يتخلصوا ونرى ما يكون من أمرهم قال فلم يلتفت أبو عبيدة رضى الله عنه الى
كلامه وهم أن يحمل وقد أخذه القلق فبينما هو كذلك واذا جيش العرب المتنصرة منهزمون وأصوات
الصحابة رضى الله عنهم قد ارتفعت بالتهليل والتكبير كل ينادى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له
وأن محمدا عبده ورسوله والعرب المتنصرة منهزمة على أعقابهم كأنما صاح بهم صائح من السماء فبدد
شملهم وأقبل خالد بن الوليد من وسط المعمعة يلتهب بما لحقه من التعب وكذا أصحابه الذين كانوا معه قال
وان خالد بن الوليد افتقد أصحابه الستين رجلا فلم يجد منهم الا عشرين فجعل يلطم على وجهه وهو يقول
أهلكت المسلمين يا ابن الوليد فما عذرك غدا عند الرحمن وعند الامير عمر بن الخطاب رضى الله عنه
فبينما هو متحير فى ذلك اذ أقبل عليه الامير أبو عبيدة رضى الله عنه وفرسان المسلمين وأبطال الموحدين
فنظر أبو عبيدة رضى الله عنه الى خالد بن الوليد وما يصنع بنفسه وقد اشتغل عن متابعة المشركين فقال

كثيرة فى اللهو واللذات
وتوفى سنة ثلاث وتسعين
ومائة ❊ وولى بعده ابنه
محمد الامين ❊ فأقام أربع
سنين وسبعة أشهر وثمانية
أيام وقتل ليلة الاحد لخمس
بقين من المحرم سنة ثمان
وتسعين ومائة ببغداد
❊ وولى بعده أخوه عبد الله
المأمون بن هرون الرشيد ❊
فأقام عشرين سنة وخمسة
أشهر وفى مدته خرج أهل
مصر عن طاعة الخليفة
وامتنعوا من وزن الخراج
وطردوا العمال من البلاد
وصارت فتنة عظيمة بمصر
حتى كادت أن تخرب
مصر وأطفأ تلك الفتنة
وقتل من القبط خلقا
كثيرا ورجع الى بغداد

أبو عبيدة يا أبا سليمان الحمد لله على نصر المسلمين ودمار المشركين فقال خالد بن الوليد اعلم أيها الامير أن
الله قد هزم الجيش ولكن أعقبتك الفرحة قرحة فقال أبو عبيدة رضى الله عنه وكيف ذلك فقال خالد
أيها الامير فقدت أربعين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الزبير بن العوام ابن عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم الفضل بن العباس وجعل خالد بن الوليد رضى الله عنه يسمى فرسان
المسلمين واحدا بعد واحد حتى سمى أربعين رجلا فاسترجع أبو عبيدة رضى الله عنه وقال لا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم وقال خالد لا بد لعجبك يهلك المسلمون فقال سلامة بن الاحوص السلمى أيها الامير
دونك والمعركة فاطلب فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان رأيتهم والا فالقوم أسرى أو قد
تبعوا المشركين فأمر أبو عبيدة فأتوا بهوادى النيران وكان الظلام قد اعتكر فافتقدوا المعركة بين
القتلى فاذا قتل من العرب المتنصرة خمسة آلاف فارس وسيدان من ساداتهم وهما رفاعة بن مطعم
الغسانى والآخر شداد بن الاوس ووجدوا من قتل من المسلمين عشرة رجال منهم اثنان من الانصار أحدهما
عامر الاوسى والآخر سلمة الخزرجى فقال أبو عبيدة رضى الله عنه يوشك أن بعض الصحابة قد تبع
المشركين فقال أبو عبيدة رضى الله عنه اللهم ائتنا بالفرج القريب ولا تفجعنا بابن عمة نبيك الزبير بن
العوام ولا بابن عمه الفضل بن العباس ثم قال أبو عبيدة معاشر المسلمين من يقفو لنا أثر القوم ويتعرف خبر
الصحابة وأجره على الله عز وجل فكان أول من أجابه خالد بن الوليد رضى الله عنه فقال له الامير أبو
عبيدة لا تفعل يا أبا سليمان لانك تعبت من شدة الحرب فقال خالد والله لا يمضى فى طلبهم غيرى ثم غير
جواده بفرس من خيول المسلمين وهو فرس حازم بن جبير بن عدى من بنى النجار فركبه خالد بن الوليد
رضى الله عنه وطلب آثار القوم وتبعه جماعة من المسلمين فسار خالد بعيدا حتى سمع خالد التهليل
والتكبير فاجابهم بمثله فاقبل القوم وفى أوائلهم الزبير بن العوام والفضل بن العباس وهاشم والمرقال
فلما نظر خالد اليهم فرح فرحا شديدا ورحب بهم وسلم عليهم وقال خالد بن الوليد رضى الله عنه للفضل بن
العباس يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أمركم فقال يا أبا سليمان هزم الله المشركين
وردهم على أدبارهم خائبين فتبعنا آثارهم وان رجالا منا أسر وافرجونا خلاصهم فلم نرهم ولا شك أنهم
قتلوا فقال خالد رضى الله عنه ان القوم فى الاسر لا محالة فقال له الزبير بن العوام من أين علمت ذلك يا
أبا سليمان فقال خالد رضى الله عنه انا لم نجد فى المعركة غير عشرة رجال ونحن عشرون وأنتم خمسة
وعشرون وقد أسر خمسة رجال لا محالة وكانت الاسرى رافع بن عميرة وربيعة بن عامر وضرار بن الازور
وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبى سفيان فعظم ذلك على المسلمين ورجعوا الى أبى عبيدة رضى الله عنه فلما
نظر الى الفضل بن العباس والى الزبير بن العوام والمرقال بن هاشم وقد رجعوا سالمين فرحين بما نصرهم
الله على الكافرين سجد على قربوس سرجه شكرا لله تعالى فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه معاشر
المسلمين لقد بذلت مهجتى أن أقتل فى سبيل الله تعالى فلم أرزق الشهادة فمن قتل من المسلمين كان
أجله قد حضر ومن أسر كان خلاصه على يدى ان شاء الله تعالى قال وباتت الفرسان فى فرح وسرور
وبات الروم فى نوح عظيم حين كسرت حامية عسكرهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى من أثق
به ان الامير أبا عبيدة رضى الله عنه لما نظر الى عساكر الروم معولة على قتاله كتب الى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أبى عبيدة عامر
ابن الجراح عامله سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
واعلم يا أمير المؤمنين ان كلب الروم هرقل قد استفز علينا كل من يحمل الصليب وقد سار القوم الينا
كالجراد المنتشر وقد نزلنا باليرموك بالقرب من أرض الرمادة والجولان والعدو فى ثمانمائة ألف مقاتل
غير التبع وفى مقدمتهم ستون ألفا من العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام فأول من لقينا جبلة بن
الايهم فى ستين ألف فارس وأخرجنا اليه ستين رجلا فهزم الله تعالى المشركين على أيديهم وما انفصل الا

وتوفى غازيا فى أرض الروم
فى رجب سنة ثمانية عشر
ومائتين ودفن بطرطوس
﴿وولى بعده المعتصم
بالله﴾ محمد بن هرون
الرشيد ورحل عن بغداد
واتخذ قاعدة ملكه سرمن
رأى وكان لا يقرأ ولا يكتب
فأقام ثمانية أعوام وثمانية
أشهر وثمانية أيام وتوفى
سنة سبع وعشرين
ومائتين ﴿وولى بعده ابنه
الواثق بالله﴾ هرون بن
محمد فأقام خمس سنين
وشهرا وتوفى سنة اثنتين
وثلاثين ومائتين ﴿وولى
بعده أخوه المتوكل على الله
جعفر بن محمد﴾ فأقام
أربع عشرة سنة وستة
أشهر وسبعة أيام وقتل

من عند الله العزيز الحكيم وقتل من أصحابنا عشرة رجال وهم راعلة وجعفر بن المسيب ونوفل بن ورقة وقيس بن عامر وسلمة بن سلامة الخزرجى وأسر منهم خمسة رجال وهم رافع بن عميرة وربيعة بن عامر وضرار ابن الازور وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبى سفيان ونحن على نية الحرب والقتال فلا تغفل عن المسلمين وأمدنا برجال من الموحدين ونحن نسأل الله تعالى أن ينصرنا وينصر الاسلام وأهله والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن قرط الازدى وأمره أن يتوجه الى مدينة يثرب قال عبد الله بن قرط فركبت من اليرموك يوم الجمعة فى الساعة العاشرة بعد العصر وقد مضى من شهر ذى الحجة اثنا عشر يوما والقمر زائد النور فوصلت يوم الجمعة فى الساعة الخامسة والمسجد مملوء بالناس فانخت ناقتى على باب جبريل عليه السلام وأتيت الروضة وسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وصليت فيها ركعتين ونشرت الكتاب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فضجت المسلمون عند رؤيته وتطاولت الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقبلت يديه وسلمت عليه فلما افتتح عمر الكتاب انتقع لونه وتزعزع كونه وقال انا لله وانا اليه راجعون فقال عثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب والعباس وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وغيرهم من الصحابة يا أمير المؤمنين أطلعنا على ما فى هذا الكتاب من أمر اخواننا المسلمين فقام عمر رضى الله عنه ورقى المنبر خطيبا وقرأ الكتاب على الناس فلما سمعوا ما فيه ضجوا بالبكاء شوقا الى اخوانهم وشفقة عليهم وكان أكثر الناس بكاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وقال يا أمير المؤمنين ابعث بنا اليهم ولو قدمت أنت الى الشام لشدت بك ظهور المسلمين فوالله ما أملك الا نفسى ومالى وما أبخل بهما على المسلمين قال فلما سمع عمر بن الخطاب كلام عبد الرحمن بن عوف ونظر الى اشفاق المسلمين وجزعهم على اخوانهم أقبل على عبد الله وقال يا ابن قرط من المقدم على عساكر الروم فقلت خمسة بطارقة أحدهم ابن أخت الملك هرقل وهو قورين والديرجان وقناطر وجرجير وصلبانهم تحت صليب ماهان الارمنى وهو الملك على الجميع وجبلة بن الايهم الغسانى مقدم على ستين ألف فارس من العرب المتنصرة فاسترجع عمر وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قرأ يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم قال ما تشيرون به على رحمكم الله تعالى فقال له على بن أبى طالب رضى الله عنه ابشروا رحمكم الله تعالى فان هذه الوقعة يكون فيها آية من آيات الله تعالى يختبر بها عباده المؤمنين لينظر أفعالهم وصبرهم فمن صبر واحتسب كان عند الله من الصابرين واعلموا أن هذه الوقعة هى التى ذكرها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم التى يبقى ذكرها الى الابد هذه الدائرة المهلكة فقال العباس على من هى يا ابن أخى فقال يا عماه على من كفر بالله واتخذ معه ولدا فاتقوا بنصر الله عز وجل ثم قال لعمر يا أمير المؤمنين اكتب الى عاملك أبى عبيدة كتابا وأعلمه فيه ان نصر الله خير له من غوثنا ونجدتنا فيوشك أنه فى أمر عظيم فقام عمر ورقى المنبر وخطب خطبة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وذكر فضل الجهاد ثم نزل وصلى بالمسلمين فلما فرغ من صلاته كتب الى أبى عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أمين الامة أبى عبيدة بن الجراح ومن معه من المهاجرين والانصار سلام عليكم فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فان نصر الله خير لكم من معونتنا واعلموا انه ليس بالجمع الكثير يهزم الجمع القليل وانما يهزم بما أنزل الله من النصر وان الله عز وجل يقول وان تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع المؤمنين وربما ينصر الله العصابة القليل عددها على العصابة الكثيرة وما النصر الا من عند الله وقد قال تعالى فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر الآية يا طوبى للشهداء و يا طوبى لمن يتكل على الله فالق العدو بمن معك من المسلمين ولا تيأس عن صرع من المسلمين فقد رأيت من صرع بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عجزوا عن عدوهم فى مواطن كثيرة حتى قتلوا فى سبيل الله ولم يهابوا لقاء الموت فى جنب الله تعالى بل جاهدوا فى سبيل الله

غرة شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ✻ وولى بعده ابنه المستنصر بالله محمد بن جعفر) فأقام ستة أشهر ✻ وولى بعده المستعين بالله أحمد بن المستنصر) فاقام ثلاث سنين وتسعة اشهر وخلع سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقتل (وولى بعده ابن أخيه المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله) فاقام ثلاث سنين وسبعة أشهر وقتل سنة خمس وخمسين ومائتين (وولى بعده ابن عمه المعتمد على الله أحمد بن جعفر المتوكل على الله) فاقام عشر سنين وتوفى سنة ست وستين ومائتين (وولى بعده أخوه المعتضد بالله احمد بن طلحة بن المتوكل)

حق جهاده وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فاذا ورد عليك كتابى هذا فاقرأه على المسلمين وأمرهم أن يقاتلوا العدو فى سبيل الله عز وجل واقرأ عليهم يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن قرط وقال له يا ابن قرط اذا أشرفت على المسلمين وقد استوت الصفوف فسر بين صفوف الموحدين وقف على أصحاب الرايات منهم وخبرهم انك رسولى اليهم وقل لهم ان عمر بن الخطاب يسلم عليكم و يقول لكم يا أهل الايمان اصدقوهم الحرب عند اللقاء وشدوا عليهم شد الليوث واضربوا هاماتهم بالسيوف وليكونوا عليكم أهون من الذباب فانكم المنصورون عليهم ان شاء الله تعالى ثم اقرأ عليهم ألا ان حزب الله هم الغالبون قال عبد الله بن قرط قلت له يا أمير المؤمنين ادع الله تعالى لى بالسلامة والسرعة فى السير فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اللهم احمه وسلمه واطوله البعيد انك على كل شئ قدير قال عبد الله بن قرط وخرجت من المسجد من باب الحبشة فقلت فى نفسى لقد أخطأت فى الرأى اذ لم أسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أدرى أراه بعد اليوم أم لا قال عبد الله فقصدت حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها جالسة عند قبره وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه والعباس جالسان عند القبر والحسين فى حجر على والحسن فى حجر العباس رضى الله عنهم وهم يتلون سورة الانعام وعلى رضى الله عنه يتلو سورة هود فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على رضى الله عنه يا ابن قرط عولت على المسير الى الشام فقلت نعم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أظن ان أصل اليهم الا والجيش قد التقى والحرب دائرة واذا أشرفت عليهم لا يرون معى مددا ولا نجدة خشيت عليهم أن يهنوا ويجزعوا وكنت أحب أن اصل اليهم قبل التقائهم بعدوهم حتى أعظم وأصبرهم فقال على رضى الله عنه فما منعك ان تسأل عمر بن الخطاب أن يدعو لك اما علمت يا ابن قرط ان دعاءه لا يرد ولا يحجب وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه لو كان نبى ثان بعدى لكان عمر بن الخطاب أليس هو الذى يوافق حكمه حكم الكتاب حتى قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لو نزل من السماء الى الارض عذاب ما نجا منه الا عمر بن الخطاب أما علمت ان الله تعالى أنزل فيه آيات بينات أما هو الزاهد التقى أما هو العابد أما هو المشبه بنوح النبى فان كان هو قد دعا لك فقد قرن دعاءه بالاجابة فقال عبد الله بن قرط ما ذكرت شيأ الا وأنا عارف به من فضل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولكنى أردت الزيادة من دعائك ودعاء العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما عند قبر الرسول المعظم المكرم قال فرفع العباس رضى الله عنه يديه وعلى رضى الله عنه كذلك وقالا اللهم انا نتوسل بهذا النبى المصطفى والرسول المجتبى الذى توسل به آدم فأجبت دعوته وغفرت خطيئته الا سهلت على عبد الله طريقه وطويت له البعيد وأيدت أصحاب نبيك بالنصر انك سميع الدعاء ثم قال سر يا عبد الله بن قرط فالله تعالى أكرم من أن يرد دعاء عمر وعباس وعلى والحسن والحسين وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد توسلوا اليه بأكرم الخلق عليه قال عبد الله بن قرط فخرجت من الحجرة وأنا فرح مستبشر واستويت على كور المطية وركبت الفلاة وأنا فرح بدعاء على والعباس وعمر رضى الله عنهم أجمعين قال عبد الله خرجت من المدينة بعد العصر من يومى ذلك الذى دخلت فيه المدينة وانا أرقب الطريق فلما اختلط الظلام وأسبل الليل سجفه ارخيت زمام المطية فحسبت أنها تطير بى ولم أزل سائرا ثلاثة أيام فلما كانت صلاة العصر من اليوم الثالث أشرفت على اليرموك وسمعت ضجيج أذان المسلمين قال الراوى فقصدت خيمة الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وأنخت ناقتى وسلمت عليه وكان لى منذ فارقته عشرة أيام فاخبرته بدعاء عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب والعباس والحسن والحسين رضى الله عنهم فقال أبو عبيدة صدقت يا ابن قرط وانهم لكرام على الله عز وجل وان دعاءهم لا يرد ثم قرأ

فاقام تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا وتوفى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان قد رجع الى بغداد وسكنها وانقطع حج الخلفاء بانفسهم فى خلافته (وولى بعده ابنه المكتفى بالله على ابن أحمد) فاقام ستة اعوام ونصفا وعشرين يوما ومات سنة خمس وتسعين ومائتين (وولى بعده أخوه المقتدر بالله) جعفر بن أحمد وله من العمر ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة من بنى العباس أصغر سنا منه فاقام خمسا وعشرين سنة غير أيام وتوفى فى شوال سنة عشرين وثلثمائة (وولى بعده أخوه القاهر بالله محمد بن أحمد) فاقام عاما واحدا وستة أشهر

الكتاب على المسلمين فطابت قلوبهم بذلك وقالوا أيها الامير مامنا الامن يطلب الشهادة فالله تعالى يبلغنا أياها (قال الواقدى) حدثنى عمرو بن العلاء قال حدثنا ماجد عن الثقات قال لماسار عبد الله بن قرط من المدينة يوم الجمعة فلما كان يوم السبت وقد صلينا الصبح خلف عمر بن الخطاب ونحن نقرأ من القرآن ماتيسر اذ سمعنا ضجة عظيمة وجلبة هائلة ففزعت قلوبنا فخرجنا مبادرين واذا نحن بقوم من اليمن من صدوان وارض سبا وحضرموت واجتمعوا للجهاد وهم ستة آلاف يقدمهم جابر بن خول الربعى فترجلت ساداتهم وسلموا على امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فامرهم بالنزول فلما أقبل الظلام جاء ألف فارس من مكة والطائف ووادى نخلة وثقيف يقدمهم سعيد بن عامر وسلموا على عمر ونزلوا بازاء أهل اليمن فلما كان يوم الاحد حل عمر ضعيفهم وزودهم وعقد راية حمراء على قناة تامة وسلمها الى سعيد بن عامر قال سعيد بن عامر فهممت بالمسير فقال عمر على رسلك يا ابن عامر حتى أوصيك ثم اقبل عمر بن الخطاب يمشى راجلا ومعه عثمان بن عفان والعباس وعلى بن أبى طالب وعبد الرحمن بن عوف فلما اقربوا من الجيش وقف عمر والناس حوله وقال لسعيد بن عامر يا سعيد انى وليتك على هذا الجيش ولست بخير رجل منهم الا أن تتقى الله فاذا سرت فارفق بهم مااستطعت ولا تشتم اعراضهم ولا تحتقر صغيرهم ولا تؤثر قويهم ولا تتبع هواك ولا تسلك بهم المفاوز واقطع بهم السهل ولا ترقد بهم على جادة الطريق والله تعالى خليفتى عليك وعلى من معك من المسلمين فقال له على بن أبى طالب كرم الله وجهه اسمع وصية امامك امير المؤمنين الذى ختم الله تعالى به الاربعين وسميت به الامة مؤمنين وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطيعوه تهتدوا وترشدوا فسر يا سعيد واذا وصلت الى ابى عبيدة والتقى بكم الجيش الذى لا تلقون مثله وصعب عليكم امره فاكتبوا الى امير المؤمنين عمر حتى يوجهنى اليكم حتى اقلب ارض الشام على من فيها من المشركين ان شاء الله تعالى قال فسار سعيد ابن عامر وهو يقول

نسير بجيش من رجال أعزة * على كل عجعاج من الخيل يصبر
الى شبل جراح وصحب نبينا * لننصره والله للدين ينصر
على كل كفار لعين معاند * تراه على الصلبان بالله يكفر

قال وسار يجد السير قال سعيد بن عامر وكنت عارفا ببلاد الشام وطرقه وكنت أسير اليه فى السنة مرة أو مرتين عسفا من غير جادة طريق أسير على الكواكب فلما سرت من المدينة وأنا بين يدى المسلمين سلكت بهم على طريق بصرى فضللت عن الطريق وعدلت عن الجادة وأنا محترز من العدو وخائف على المسلمين فجعلت أحيد على العمارات واسلك الفلاة توفيقا من الله واكراما ولطفا بعباده المؤمنين فلما ضللت أشكل على الطريق كأنى ماسلكته يوما قط فوقفت حائرا حتى تلاحق بى المسلمون فلم أعلمهم بامرى ولا أنى ضللت عن الطريق وأنا أقول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فسرت يومين وليلتين وانا أتيه بالناس والمسلمون يسألونى عن ذلك وانا اقول لهم انى على طريق فلما كان فى اليوم العاشر من مسيرنا من المدينة لاح لى جبل عظيم فنظرت اليه وحققته فلم أعرفه فقلت غررت والله بالمسلمين وأنا أقول فى نفسى أترى هذا جبل بعلبك وقد سهل علينا الطريق وكان الجبل قد لاح لنا من بعيد من أول النهار وما أدركناه الا والليل قد أقبل فلما سرنا بقربه اعترضنا واد عظيم فيه شجرة عظيمة كبيرة قال فلما تأملت الشجرة عرفتها وقلت لاصحابى أبشروا فقد وصلنا الى بلاد الشام وفتح المسلمين ودخلنا الوادى واذا به وعر ليس فيه جادة ولا طريق فلحق المسلمين من هوله تعب عظيم قال سعيد بن عامر وكان أكثر المسلمين رجالة وانما كان يحمل بعضهم بعضا ويتعقبون على ظهور الخيل والابل فلما نظرت المسلمون الى وحشة ذلك الوادى ووعورة مسلكه قالوا ياسعيد انا نظن انك قد أخطأت الطريق وسلكت بنا غير طريقنا فارحنا فى هذا الوادى قليلا فقد أضر بنا المسير قال فاجبتهم الى ذلك وكان فى

وأياما وسملت عيناه سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وعاش خاملا مضاعا الى ان مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (وولى بعده ابن أخيه الراضى بالله محمد بن جعفر المقتدر) فأقام ست سنين وعشرة أشهر وأياما ومات سنة تسع وعشرين وثلثمائة وهو آخر خليفة خطب على المنبر فى يوم الجمعة وفى زمانه اختل أمر الخلافة جدا وصارت البلاد بين خارجى تغلب عليها أو عامل لا يحمل اليه مالا ولم يبق بيد الراضى غير بغداد والسواد (وولى بعده أخوه المتقى لله ابراهيم بن جعفر المقتدر بالله) فاقام اربع سنين غير شهر وكان صالحا

الوادى عين ماء غزيرة فنزل المسلمون عليها فشربوا وسقوا خيلهم وابلهم ورعت الخيل والجمال ورق الشجر ونام أكثر الناس وبعضهم يصلى على محمد قال سعيد بن عامر وكنت جلست فى آخر الناس أحرسهم وأنا أتلو القرآن العظيم وأدعو الله لنا بالسلامة اذ غلبتنى عينى فنمت فرأيت فى منامى كأنى فى جنة خضراء كثيرة الاشجار والثمار وكأنى آكل من ثمرها وأشرب من أنهارها وأجنى من ثمرها وأناول أصحابى وهم يأكلون وأنا فرح مسرور فبينما أنا كذلك اذ خرج من بين تلك الشجرة أسد عظيم فزأر فى وجهى وهم أن يفترسنى وانا من ذلك فزع مرعوب اذ خرج على الاسد اسدان عظيمان فصرعاه فى موضعه فسمعت له خوارا عظيما فانتبهت من نومى وحلاوة ذلك الثمر فى فى والاسود تمثل بين يدى قال سعيد بن عامر ففسرتها انها غنيمة يأخذها المسلمون ويغنمونها ما منع ونظفر به فقلت فى نفسى الجنة هى الشهادة قال سعيد بن عامر ولم أزل جالسا اتلو القرآن وانا قلق اذ سمعت هاتفا يهتف بى من عين الوادى وهو يقول

يا عصبة الهادى الى الرشاد * لا تفزعوا من وعر هذا الوادى
مافيه من جن ولا معادى * ستعلمون معشر العباد
لطف الذى يرفق بالاولاد * ويطرح الرحمة فى الاكباد
سيصنع الله بكهل شاد * وتغنموا المال مع الاولاد

قال سعيد بن عامر فلما سمعت شعر الهاتف وما يشير به من الغنيمة سجدت لله تعالى شكرا واستيقظ المسلمون لصوت الهاتف قال سعيد بن عامر وكنت قد حفظت من الهاتف بيتا وحفظ سماح ثلاثة ابيات وأنشدنى أياها وفرح المسلمون بما سمعوا من الهاتف وطابت قلوبهم بالغنيمة واقام المسلمون فى الوادى حتى أصبح الصباح وصلى بهم سعيد بن عامر صلاة الفجر فلما طلعت الشمس خرج المسلمون من الوادى وحققت تلك الارض والجبل واذا به جبل الرقيم فلما رأيته عرفته فرفعت صوتى بالتكبير وقلت الله أكبر وكبرت المسلمون لتكبيرى وقالوا ما الذى رأيت يا ابن عامر فقلت وصلنا الى بلاد الشام وهذا جبل الرقيم قال سعيد واكثر من معى طماعى العرب قالوا يا سعيد وما الرقيم أما تعرفه فحدثتهم بحديث الرقيم قال سعيد فعجبوا من ذلك ثم اقبلت بهم الى الغار فصلوا فيه ثم سرنا حتى اشرفنا على بلاد عمان قال سعيد بن عامر فعدلت الى قرية هناك يقال لها الجنان فنظرت الى دهاقين القرية وهم خارجون منها ومعهم الاهل والاولاد فلما رآهم المسلمون حملوا عليهم من غير اذن لهم وأخذوا بعضهم أسارى فرجع القوم الى القرية وكان فيها حصن منيع فتحصنوا فيها منا قال سعيد بن عامر فقربت من الحصن وصحت بهم وقلت ياويلكم ما بالكم كنتم خارجين من قريتكم فرجعتم فأشرف على واحد منهم وقال لى يا معاشر العرب اعلموا أننا كنا خارجين من المدينة ففزعنا منكم وذلك ان صاحب عمان بعث الينا وأمرنا بالمسير الى عمان لنكون من تحت كنفه فى عمان والآن يا معاشر العرب هل لكم أن نكون فى ذمامكم وأمانكم قال سعيد نعم فوقع الصلح بيننا على عشرة آلاف دينار وكتبت لهم كتاب الصلح فلما هممت بالمسير قالوا يا معاشر العرب قد صالحنا كم ونحن خائفون من قومنا واعلموا ان نقيطاس صاحب عمان لا بد أن نلقى منه شدة عظيمة فلو ظفرتم به لكان خيرا لنا ولكم فقلت فكيف نظفر به فقالوا ان الملك ماهان مقدم العساكر قد بعث الينا حتى نسير الى الساحل الى قيسارية لنكون مع قسطنطين ابن الملك هرقل يدا واحدة وبعث بذلك اليه وان أنتم ظفرتم بصاحب عمان ملكتم غنيمة جسيمة فقال سعيد بن عامر رضى الله عنه ورفى كم يكون جيش عمان فقالوا فى خمسة آلاف فارس ولكن قد وقع خوفكم فى قلوبهم فلن يقطوا اذا ابدا فقال سعيد بن عامر يا معاشر المسلمين ما تقولون فى لقاء هذا البطريق صاحب عمان وأخذ غنيمته فقالوا افعل ما تريد فان قتله الله على أيدينا كان ذلك صلاحا للمسلمين ووهنا على المشركين فقال سعيد بن عامر لاهل القرية على أى طريق يأتى القوم فقالوا على هذا الطريق قال فدلونا على طريق عورية فسرنا الى واد عظيم وكنا فيه يوما وليلة فلم يأتنا أحد فلما أصبح الصباح قال سعيد

ولم يتمكن من تدبير الامور وخلع وسملت عيناه سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى ان مات سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة (وولى بعده ابن عمه عبد الله المستكفى بالله) وسنه احدى واربعون سنة وهو سن أبى جعفر المنصور ولم يل الخلافة بعدهما من وصل الى هذا السن فاقام سنة عشر شهرا ثم خلع وسملت عيناه سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (وولى بعده ابن عمه المطيع لله القاسم بن المقتدر) فأقام ستا وعشرين سنة وأربعة أشهر وأياما ومرض بالفالج وتخلى عن الامر لابنه

يا معاشر المسلمين ان الذى وجهنا اليه عمر بن الخطاب من نجدة أبى عبيدة والمسلمين أفضل من مقامنا هنا فاخرجوا رحمكم الله فانا اذا أشرفنا على المسلمين فى سبعة آلاف فارس كان ذلك وهنا على المشركين وذلة للكافرين فقال المسلمون يا ابن عامر ان قلوبنا تتوق بالغنيمة فلا تحرمنا ذلك قال فبينما هم فى المحاورة اذ أشرف عليهم جماعة من القسوس والرهبان وعليهم ثياب الشعر وفى أيديهم الصلبان وقد حلقوا أوساط رؤسهم فابتدر المسلمون اليهم وأخذوهم وأوقفوهم بين يدى سعيد بن عامر فقال لهم من أنتم وكان فيهم قس كبير فكلم سعيدا وقال نحن رهبان هذه الاديرة والصوامع ونريد أن نصل الى قسطنطين ولد الملك هرقل حتى ندعو لعساكره بالنصر قال سعيد فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فما وراءكم من الاخبار قالوا وراءنا صاحب عمان فى خمسة آلاف فارس من فرسان النصرانية وعباد الصليب فقال سعيد اللهم اجعلهم غنيمة لنا ثم قال سعيد للقسيس الذى خاطبه اسمع أيها الشيخ ان نبينا أمرنا أن لا نتعرض لراهب حبس نفسه فى صومعته ولولا انكم تنذرون العدو لخلينا سبيلكم ثم أمر المسلمين أن يوثقوهم كتافا فأوثقوهم بزنانيرهم التى فى أوساطهم فبينما نحن كذلك اذ أشرف علينا جيش عمان والرجالة أمامهم يعزلون لهم الحجر من الدروب فلما أشرفوا على المسلمين حمل عليهم المسلمون من غير أهبة ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ووضعوا فيهم السيف فقتلوا الرجالة عن آخرهم فأخبر صاحب عمان بذلك فلما نظر الى صنع المسلمين أمر أصحابه بالحملة فحملوا عليهم حملة عظيمة واقتتلوا قتالا شديدا قال سعيد بن عامر ونظرت الى المسلمين وهم يقتلون الروم قتلا ذريعا ويضجون بالتهليل والتكبير فلما نظر البطريق صاحب عمان ما صنع المسلمون بأصحابه ولى منهزما طالب عمان وتبعه قومه وتبعهم المسلمون وبعضهم مال الى الغنيمة والبطريق نقيطاس صاحب عمان فى الهرب وكان قد سبق فوقف حتى تلاحق به المنهزمون من قومه قال فبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم خيل من ورائهم تسرع بركابها وقد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وهم زهاء من ألف فارس يقدمهم فارسان كأنهما أسدان أحدهما الزبير بن العوام والآخر الفضل بن العباس فحملوا على الروم فقتلوهم قتلا ذريعا وحمل الزبير بن العوام على نقيطاس بطريق عمان وهو واقف تحت الصليب فطعنه الزبير فقلبه عن جواده وعجل الله بروحه الى النار وأقبل الفضل بن العباس يجندل الفرسان وينكس الابطال قال وأشرف سعيد بن عامر على الموضع فرأى الحرب قائمة فظن انه وقع بينهم الخلف فلما قربوا منهم سمعوا التهليل والتكبير فقالوا هذه دعوة الحق لمن قالها فاقتحم سعيد ابن عامر المعركة فسمع الفضل بن العباس وهو ينتمى باسمه ويقول أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن عامر فوالله ما انفلت من القوم أحد فقلت له لله درك يا ابن العباس ومن معك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معى الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد ابن عامر فوالله ما انفلت من القوم أحد الا بين أسير وقتيل وغنم المسلمون غنيمة عظيمة وسلم بعضهم على بعض وأقبل الزبير على سعيد بن عامر وقال يا ابن الطفيل ما الذى حبسك عن المسير جهتنا وقد جاءنا سالم بن نوفل العدوى وأخبرنا بمسيرك الينا وقد ساءت بك ظنوننا فأرسلنا أبو عبيدة لنغير على عمان والحمد لله على سلامة المسلمين ودمار المشركين ثم أمر الزبير برؤس القتلى فسلخت وحملتها العرب على اسنة الرماح فكانت الرؤس اربعة آلاف رأس والاسرى ألف أسير قال وأطلق سعيد بن عامر الرهبان وسار المسلمون حتى أشرفوا على أبى عبيدة رضى الله عنه ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير وأجابهم جيش المسلمين بمثل ذلك فانزعجت قلوب الروم لذلك ونظروا الى ثمانية آلاف فارس والرؤس معهم على الاسنة فبهتوا لذلك وحدث سعيد بن عامر أبا عبيدة بالنصر وغنيمتهم من الروم فسجد شكرا لله عز وجل وأمر بالالف أسير فضربت أعناقهم والروم ينظرون اليهم قال قطبة بن سويد وأخبرت الروم انه لم ينج أحد من جيش عمان (قال الواقدى) رحمه الله تعالى لما أسر الخمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

الطائع لله أبى بكر يوم الاربعاء ثالث عشر ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة ومات بعد شهرين وتسعة أيام فى المحرم سنة أربع وستين وثلثمائة وأقام الطائع ابنه واليا سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وأياما وخلع سنة احدى وثمانين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى أن مات غرة شوال سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وفى أيامه قطعت الخطبة من الحرمين الشريفين لبنى العباس وأقيمت للمحسن العبيدى صاحب مصر والمغرب (وولى بعده أحمد القادر بالله) ابن المقتدر فأقام ثلاثا وأربعين سنة ولم يبلغ

افتتم افقدهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أكثرهم غما أبو عبيدة بن الجراح وأقبل على
البكاء والتضرع يدعو لمن أسر بالخلاص وأما الخمسة فانهم مثلوا بين يدى ماهان لعنه الله تعالى وغضب
عليه فلما نظر اليهم استحقر شأنهم وقال لجبلة بن الايهم من هؤلاء قال أيها الملك هؤلاء قوم من جيش
المسلمين وقد كانوا ستين رجلا فقتلت أكثرهم وأسرت هؤلاء وما بقى فى عسكرهم من تخاف غائلته الا
رجل واحد وهو الذى يشجعهم ويرمى بهم كل المرامى وهو الذى فتح أركة وتدمر وحوران وبصرى ودمشق
وهو الذى كسر عساكر اجنادين وتبع توما وهربيس وقتلهم فى مرج الديباج وأسر ابنة الملك هرقل
وهو خالد بن الوليد قال فلما سمع ماهان ذلك قال لا بد لى أن أحتال على هذا الرجل حتى أحصله عندى
وأقتله مع هؤلاء الخمسة الاسرى ثم دعا ماهان برجل من الروم اسمه جرجة وكان حكيما فاضلا عند الروم
فصيحا بلسان العرب فقال يا جرجة أريد أن تمضى الى هؤلاء العرب وتقول لهم يبعثوا الىّ رسولا وليكن
هذا الرسول الرجل المسمى بخالد قال فركب جرجة وسار نحو عساكر المسلمين فالتقى بخالد بن الوليد فقال
له ما الذى تريد فقال ان الملك ماهان قد بعثنى اليكم حتى تبعثوا رجلا منكم فلعل الله ان يحقن دماءنا
ودماءكم فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أنا أكون الرسول اليه وأوقف رسول الروم بين يديه وبين يدى
ابى عبيدة رضى الله تعالى عنهما وأخبره انه يريد المسير الى ماهان فقال أبو عبيدة امض يا أبا سليمان سلمك
الله تعالى فلعل الله تعالى ان يهديهم أو يدعونا للصلح واداء الجزية فيحقن الدماء على يدك لحقن دم رجل
واحد أحب الى الله تعالى من أهل الشرك جميعا فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أنا أطلب من الله تعالى
العون ثم وثب خالد بن الوليد رضى الله عنه الى خيمته ولبس خفين حجازيين وتعمم بعمامة سوداء وشد
وسطه بمنطقة من الاديم وتقلد سيفه الذى استلبه من مسيلمة الكذاب يوم اليمامة وأمر عبيده همّاما أن
يأخذ قبته الحمراء وكانت من الاديم الطائفى وفيها شمعات من الذهب الأحمر وحليتها من الفضة البيضاء
وكان خالد قد اشتراها من امرأة ميسرة بن مسروق العبسى بثلثمائة دينار فحملها على بغل وركب خالد
جواده فلما هم بالمسير قال له أبو عبيدة يا أبا سليمان خذ معك رجالا من المسلمين يكونون لك عونا فقال خالد
أيها الامير أحب ذلك ولكن لا اكراه فى الدين وليس لى عليهم طاعة فأمر أنت من شئت فلما سمع
المسلمون كلام خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه قال معاذ بن جبل يا أبا سليمان انك من أهل الفضل
ولو أمرتنا بأمر امتثلناه لانك سائر فى طاعة الله تعالى ورسوله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فاستركب
معه مائة فارس من المهاجرين والانصار منهم المرقال بن عتبة بن وقاص وشرحبيل بن حسنة وسعيد بن زيد
ابن عمرو بن نفيل العدوى وميسرة بن مسروق العبسى وقيس بن هبيرة المرادى وسهل بن عمرو
العامرى وجرير بن عبد الله البجلى والقعقاع بن عمرو التميمى وجابر بن عبد الله الانصارى وعبادة بن
الصامت الخزرجى والاسود بن سويد المازنى وذو الكلاع الحميرى والمقداد بن الاسود الكندى وعمرو
ابن معديكرب الزبيدى رضى الله تعالى عنهم أجمعين ولم يزل خالد ينتخب مثل هؤلاء السادات رضى الله
عنهم حتى كمل منهم مائة فارس كل فارس منهم يرد جيشا وحده فاخذ وازينتهم واشتملوا بلباس الحرب
وتوشحوا بالابراد وتعمموا بالعمائم وتمنطقوا بالخناجر وتقلدوا بالسيوف وركبوا الخيل العتاق وسار خالد
ابن الوليد رضى الله عنه وعن يمينه معاذ بن جبل وعن شماله المقداد بن الاسود الكندى والمائة فارس
محدقون به قال معاذ بن جبل رضى الله عنه وسرنا ونحن نعلن بالتهليل والتكبير قال نصر بن سالم المازنى
فنظرت الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه حين سار خالد عن معه يقرأ آية من القرآن ودموعه جارية على
خده فقلت أيها الامير ما يبكيك فقال يا ابن سالم هؤلاء والله أنصار الدين فان أصيب رجل منهم فى امارة ابى
عبيدة فما يكون عذرى عند رب العالمين وعند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه (قال الواقدى
رحمه الله تعالى) فلما أشرف خالد بن الوليد رضى الله عنه ومن معه على عساكر الروم ونظر المسلمون الى
عساكر الروم وهم خمسة فراسخ فى العرض وعن نوفل بن دحية ان خالد بن الوليد لما ترجل عن جواده

أحد من الخلفاء قبله فى امرة الخلافة مدته ولا طول عمره لانه مات وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وتوفى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة (وولى بعده ابنه القائم بأمر الله) عبد الله بن احمد واقام فى الخلافة اربعة واربعين عاما وتوفى سنة سبع وستين واربعمائة (وولى بعده ابنه المقتدى بأمر الله محمد بن عبد الله القائم بأمر الله واقام فى الخلافة تسع عشرة سنة وتوفى سنة ست وثمانين واربعمائة (وولى بعده ابنه المستظهر بالله احمد) فاقام خمسا وعشرين سنة وثلاثة اشهر وعشرة ايام وتوفى سنة ثنتى

وترجل المائة جعلوا يتخترون فى مسيرهم ويجرون حمائل سيوفهم ويخترقون صفوف الحجاب والبطارقة ولا يهابون أحدا الى ان وصلوا الى النمارق والفراش الديباج ولاح لهم ماهان وهو جالس على سريره فلما نظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ماظهر من زينته وملكه عظموا الله تعالى وكبروه وطرحت لهم الكراسى فلم يجلسوا عليها بل رفع كل واحد منهم ماتحته وجلسوا على الارض فلما نظر ماهان الى فعلهم تبسم وقال يامعاشر العرب لم تأبون كرامتنا ولم أزلتم ماتحتكم من الكراسى وجلستم على الارض ولم تستعملوا الادب معنا ودستم على فراشنا قال فقال خالد بن الوليد ان الادب مع الله تعالى افضل من الادب معكم او بساط الله أطهر من فرشكم لان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا ثم قرأ قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى قال حدثنى عاصم بن رواح الزبيدى قال حدثنا ورقة بن عبد الله الشيبانى قال حدثنا طرفة بن شيبة الخولانى عن عمه جرير وكان مجالفا لخالد بن الوليد رضى الله عنه قال لم يكن بين خالد وماهان ترجمان يبلغ عنهما بل كان يتحدثان كلاهما فقال خالد ياماهان انى أكره أن أبدأك بالكلام فتتكلم أنت بما تريد فانى لست أبالى بما تتكلم والكل كلام جواب فان شئت فتكلم وان شئت بدأتك قال ماهان أنا ابدؤكم الحمد لله الذى جعل سيدنا الروح المسيح كلمته وملكنا أفضل الملوك وأمتنا خير الامم قال فعظم ذلك على خالد بن الوليد وقطع خالد كلامه فقال الترجمان لا تقطع كلام الملك ياأخا العرب واستعمل حسن الادب فأبى خالد أن يسكت بل قال خالد الحمد لله الذى جعلنا نؤمن بنبينا ونبيكم وجميع الانبياء وجعل أميرنا الذى وليناه أمورنا كبعضنا وزعم انه ملك علينا لعزلناه فلسنا نرى ان له فضلا علينا الا ان يكون أتقى لله عز وجل منا وقد جعل الله أمتنا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقر بالذنب وتستغفر منه وتعبد الله تعالى وحده لاشريك له قال فاصفر وجه ماهان وسكت قليلا ثم قال الحمد لله الذى أبلانا وأحسن البلاء الينا وعافانا من الفقر ونصرنا على الامم وأعزنا ومنعنا من الضيم ولسنا فيما خولنا الله فيه من نعيم الدنيا بطرين ولا باغين على الناس وقدم يامعاشر العرب طائفة منكم يغشوننا ويلتمسون نائلنا ورفدنا وجوائزنا ونحن نحسن اليهم ونكرمهم ونكرم ضعيفهم ونعظم قدرهم ونتفضل عليهم ونفى لهم بالوعد وكنا نظن ان العرب كلها تعرف لنا ذلك من جميع القبائل وتشكرنا عليه لما أسدينا من عطايانا الجميلة لهم فما شعرنا حتى جئتمونا بالخيل والرجل وظننا انكم تطلبون مناطلب اخوانكم فاذا أنتم على خلاف رأى أولئك جئتم تقتلون الرجال وتسبون النساء وتغنمون الاموال وتهدمون الاطلال وتطلبون أن تخرجونا من أرضنا وتغلبونا على بلادنا وقد طلب منا ذلك من كان قبلكم ممن هوأكثر منكم عددا وأكثر أموالا وسلاحا وظهرا فرددناهم خائفين وجلين خائبين بين قتيل وجريح وطريد وطريح فأول مافعلنا ذلك بملك فارس فرده الله على عقبيه بالخيبة والذل وكذلك فعلنا بملك الترك وملك الجرامقة وغيرهم وأنتم لم يكن فى امة من الامم أصغر منكم مكانا ولا أحقر شأنا لانكم أهل الشعر والوبر والبؤس والشقاء وانكم مع ذلك تظلمون فى بلادكم و بلادنا وحوالينا أمة كثيرة العدد وشوكتنا شديدة وعصبتنا عظيمة وانما اقبلتم علينا لانكم خرجتم من جدوبة الارض وقحط المطر فجئتم الى بلادنا وافسدتم كل الفساد وركبتم مراكب ليست لكم وأكلتم طعاما ليس كطعامكم وملئت ايديكم من الذهب والفضة والمتاع الفاخر ولقد لقيناكم الآن ومعكم اموالنا وما غنمتموه من قومنا وأهل ديننا وقد تركناه لكم لانطالبكم به ولا ننازعكم فيه ولا نعتب عليكم فيما تقدم من فعالكم والآن فاخرجوا من بلادنا فان أبيتم الانصراف عنا عزمنا عليكم عزمة فنتركم كامس الدابر وان جنحتم للصلح نأمر لكل واحد من عسكركم بمائة دينار وثوب ولاميركم ابى عبيدة بألف دينار وللخليفتكم عمر بن الخطاب بعشرة آلاف دينار على أنكم تحلفون لنا ان لا تعودوا الى حربنا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وماهان يرغب تارة ويرهب أخرى وخالد مطرق لا يتكلم

عشرة وخمسمائة (وولى بعده ابنه المسترشد بالله منصور) فاقام سبع عشرة سنة وثمانية اشهر وخلع وقتل سنة خمسمائة وتسع وعشرين (وولى بعده ولده الراشد بالله) منصور وأتهموه بالمنكرات وخلعوه وأرسلوه الى الموصل ثم قتلوه سنة خمسمائة وثلاثين (وولى بعده محمد المقتفى لامر الله) ابن المستظهر بالله فأقام اربعا وعشرين سنة ثم قامت عليه الجند ورجوه ثم حبسوه شهرا من غير شرب فمات بالظمأ سنة خمسمائة وخمسة وخمسين (وولى بعده ولده المستنجد بالله يوسف فاقام احد عشر عاما وخمسة أيام وتوفى سنة

حتى فرغ ماهان من كلامه فقال خالدان الملك قد تكلم فاحسن وسمعنا كلامه ونتكلم ويسمع كلامنا ثم
قال خالدبن الوليد رضى الله عنه الحمد لله الذى لا اله الا هو فلما سمع ماهان ذلك مد يده الى السماء وقال نعم
ماقلت ياعربى فقال أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله المرتضى ونبيه المجتبى صلى الله
عليه وسلم فقال ماهان ماأدرى أمحمد رسول الله أم لا ولعله كما تقول وتزعم وتذكر فقال خالد رضى الله
عنه حسب الرجل دينه ثم قال أفضل الساعات وخيرها الساعات التى يطلع فيها الله رب العالمين فالتفت
ماهان الى قومه وقال بلسانه انه رجل عاقل يتكلم بالحكمة فقال خالد ما الذى قلت لقومك فاخبره بمقالته
فقال خالدان كنت أوتيت العقل فالله تعالى المحمود على ذلك وقد سمعنا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
يقول لما خلق الله تعالى العقل وصوره وقدره قال اقبل فأقبل ثم قال له أدبر فادبر فقال الله تعالى وعزتى
وجلالى ماخلقت خلقا أحب الى منك بك تنال طاعتى وتدخل جنتى فقال ماهان اذا كنت بهذا العقل
والفهم فلم جئت بهؤلاء معك قال خالدبن الوليد رضى الله عنه جئت بهم لاشاورهم قال ماهان وأنت مع
جودة عقلك وحسن رأيك وبصيرتك تحتاج الى مشورة غيرك قال خالد نعم بهذا أمر الله عز وجل نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى فى كتابه العزيز وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله
وقال صلى الله عليه وسلم ماضاع أمرؤ عرف قدره ولا ضاع مسلم استشار فاناوان كنت ذا رأى وعقل كما
تزعم وكما بلغك فانى لا استغنى عن رأى ذى رأى ومشورة أصحابى قال ماهان وهل فى عسكركم من له رأى
مثل رأيك وحزم مثل حزمك قال نعم ان فى عسكرنا اكثر من ألف فارس لا يستغنى عن رأيهم ولا عن
مشورتهم فقال له ماهان ما كنا نظن ذلك فيكم وانما كان يبلغنا عنكم أنكم طماعون جهال لا عقول
لكم يغير بعضكم على بعض وينهب بعضكم أموال بعض فقال له خالد رضى الله عنه ذلك كان شأن أكثرنا
حتى بعث الله عز وجل فينا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فهدانا الرشد وعرفنا سبيلنا وفهمنا الخير من
الشر والهدى من الضلال فقال ماهان ياخالد انك قد أعجبتنى بما أراه من رأيك وبصيرتك وقد أحببت
أن أواخيك فتكون أخى وخليلى فقال خالدبن الوليد رضى الله تعالى عنه وافرحاه ان تمم الله مقالتك
فتكون اذا سعيدا ولا نفترق فقال ماهان وكيف ذلك قال خالد تقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا
عبده ورسوله الذى بشر به عيسى بن مريم فاذا فعلت ذلك كنت أخى وكنت اخاك وتكون خليلى وأكون
خليلك ولا نفترق الا ما يحدث فقال ماهان اما ما دعوتنى اليه من الترك لدينى والدخول فى دينكم
فمالى الى ذلك من سبيل فقال خالد بن الوليد وكذلك أيضا لا سبيل الى مؤاخاتى لك وانت مقيم على دينك
دين الضلال قال ماهان أريد أن ألقى الحشمة بينى وبينك وأكلمك كلام الاخ لاخيه فاجبنى عن كلامى
الذى دعوتك اليه حتى أسمع ماتقول قال خالد أما بعد فانك تعلم أن الذى ذكرته مما فيه قومك من الغنى
والعز ومنع الحريم والظهور على الاعداء والتمكن فى البلاد فنحن عارفون به وكل ماذكرته من انعامكم
على جيرانكم من العرب فقد عرفناه ولكن انما فعلتم ذلك ابقاء لنعمتكم ونظرا منكم لانفسكم
وذراريكم وزيادة لكم فى مالكم وعزالكم فتستكثرون جموعكم وتلقون الشوكة على من ارادكم وأما
ماذكرته من فقرنا ورعينا الابل والشاه فما منا من لم يرعوا اكثر نار عاة ومن رعى منا كان له الفضل على
من لم يرع وأما قولك باننا أهل فقر وفاقة وبؤس وشقاء فنحن لا ننكر ذلك وانما ذلك من أجل أنا كنا
معاشر العرب أنزلنا الله تعالى منزلا ليس فيه أنهار ولا أشجار ولا زرع الا القليل وكنا أهل جاهلية جهلاء
لا يملك الرجل منا الا فرسه وسيفه وأباعره وشياهه ويأكل قوينا ضعيفنا ولا يأمن بعضنا بعضا الا فى
الاربع الأشهر الحرم نعبد من دون الله الاصنام والاوثان التى لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ونحن عليها
مكبون ولها حاملون فبينما نحن كذلك على شفا حفرة من النار من مات منا مات مشركا وصار الى النار
ومن بقى منا كان كافرا بربه قاطعا لرحمه حتى بعث الله لنا نبيا نعرف حسبه ونسبه هاديا مهديا رسولا
نبيا واماما تقيا أظهر الاسلام بدعوته ودحض المشركين بكلمته جاءنا بقرآن مبين وصراط مستقيم ختم

خمسمائة وست وستين
(وولى بعده ولده الحسن
المستضىء بأمر الله) فاقام
سبعة أعوام وأربعة أشهر
وتوفى سنة خمسمائة وثلاثة
وسبعين بالطاعون وفى
أيامه عادت الخطبة بمصر
لبنى العباس بعد انقطاعها
منها مائتين وخمس عشرة
سنة وانقرضت دولة بنى
عبيد بمصر (وولى بعده
احمد الناصر لدين الله)
فاقام سبعا وأربعين سنة
وتوفى سنة اثنتين وعشرين
وستمائة وخطب له حتى
بالصين والاندلس (وولى
بعده ولده محمد الظاهر)
فاقام تسعة أشهر وتوفى
سنة ثلاث وعشرين وستمائة
(وولى بعده ولده المستنصر

الله تعالى به النبيين وأمرنا بعبادة رب العالمين نعبده ولا نشرك به شيأ ولا نتخذ من دونه وليا ولا نجعل
له منا صاحبة ولا ولدا ولا شريك له ولا ضد ولا ند له ولا نسجد للشمس ولا للقمر ولا للنور ولا للنار ولا للصليب
ولا للقربان ولا نسجد الا لله وحده لا شريك له ونقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه
أنزل الله عليه كلامه الذى هدانا به مولانا فاستجبنا له وأطعنا أمره فكان مما أمرنا به أن نجاهد من
لا يدين بديننا ولا يقول بقولنا ممن كفر بالله واتخذ معه شريكا جل ربنا وتعالى عن ذلك لا تأخذه سنة ولا
نوم فمن اتبعنا كان أخانا وصار له ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى الاسلام كانت عليه الجزية يؤديها الينا
عن يد وهو صاغر فاذا أداها حقن بها ماله ودمه وولده ومن أبى الاسلام وأن يؤدى الجزية فالسيف حكم
بيننا وبينه حتى يقضى الله جل جلاله بحكمه وهو خير الحاكمين ونحن ندعوكم الى هذه الخصال الثلاث
ليس غيرها اما أن تقولوا أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله أو الجزية فى كل
عام على كل محتلم من الرجال وليس على من لم يبلغ الحلم جزية ولا على امرأة ولا على راهب منقطع فى
صومعته قال ماهان فهل بعد قول لا اله الا الله غير هذا فقال خالد نعم ان تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة
وتحجوا البيت الحرام وتجاهدوا من كفر بالله تعالى وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتوالوا فى الله
تعالى وتعادوا فى الله فان أبيتم ذلك فالحرب بيننا وبينكم حتى يورث الله أرضه من يشاء والعاقبة للمتقين
قال ماهان فافعل ما تشاء فاننا لا نرجع عن ديننا ولا نؤدى الجزية وأما ما ذكرت من أن الارض لله
يورثها من يشاء من عباده فلقد صدقت فانها لم تكن لنا ولا لكم بل كانت لقوم غيرنا وغيركم فقاتلناهم
عليها حتى ملكناها منهم والحرب بيننا وبينكم فابرزوا على اسم الله تعالى فقال خالد بن الوليد رضى
الله عنه ما أنتم بأشهى منا الى الحرب وكأنى بجيوشكم وقد انهزمت والنصر يقدمنا وتساق أنت والحبل فى
عنقك ذليلا حقيرا وتقدم بين يدى عمر بن الخطاب فيضرب عنقك قال فلما سمع ماهان كلام خالد بن
الوليد غضب غضبا شديدا قال فلما نظرت البطارقة والحجاب والهرقلية والقياصرة الى غضب ماهان
هموا بقتل خالد الا أنهم صبروا ينظرون أمره فقال ماهان لخالد وقد استشاط غضبا وحق المسيح لاحضرن
أصحابك الخمسة الاسارى وأضرب أعناقهم وأنت تنظر اليهم فقال له خالد اسمع ما أقول لك يا ماهان أنت
أقل وأذل وأحقر من ذلك واعلم ان هؤلاء الذين فى يدك هم منا ونحن منهم فوحق صاحب الدعوة المستجابة
وحق بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وخلافة عمر بن الخطاب ان قتلتهم لاقتلنك بسيفى هذا ويقتل
كل رجل منا من قومك بعددهم وزيادة ثم وثب خالد رضى الله عنه من موضعه وانتضى سيفه من غمده
وفعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفعله وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله وجردوا سيوفهم
وهاجوا كالجمال أو كالسباع الضوارى واستقتلوا وأيقنوا بالشهادة فى ذلك المكان (قال الشيخ أبو عبد
الله محمد الواقدى) مؤلف هذا الكتاب والله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت فى أخبار
هذه الفتوح الا الصدق وما نقلت أحاديثها الا عن ثقات وعن قاعدة الحق لأثبت فضائل أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم حتى أرغم بذلك أهل الرفض الخارجين عن السنة والفرض اذ لولاهم
بمشيئة الله لم تكن البلاد للمسلمين وما انتشر هذا الدين فلله درهم لقد جاهدوا فى الله حق جهاده ونصروا
دينه وثبتوا للقاء الاعداء وبذلوا جهدهم ونصروا الدين حتى زحزحوا الكفر عن سريره وتقهقر لا جرم وقد
قال فيهم الملك المقتدر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى مسلم بن
عبد الحميد عن جده رافع بن مازن قال كنت مع خالد يوم سرنا الى ماهان وكأنى بسرادقه فلما جذبنا
السيوف وهممنا بالقوم وما فى أعيننا من جيوش الروم شئ وقد أيقنا بالحشر من ذلك الموضع (قال
الواقدى رحمه الله تعالى) فلما رأى ماهان الحقيقة منا ومن خالد وتبين الموت فى شفار سيوفنا نادى ماهان
مهلا يا خالد لا تكن بهذه العجلة تهلك وانا أعلم انك ما قلت ذلك القول الا أنك رسول والرسول يحمل ولا
يقتل وانا انما تكلمت بما تكلمت لاختبركم وانظر ما عندكم والآن فما أؤاخذك فارجع الى عسكرك

بالله منصور) فاقام سبع
عشرة سنة وتوفى سنة
أربعين وستمائة وله من
العمر اثنان وخمسون سنة
(وولى بعده ولده المستعصم
بالله عبد الله) فأقام سبع
عشرة سنة وتوفى سنة
ستمائة وتسع وخمسين
بخيانة وزيره ابن العلقمى
الذى كان رافضيا وخربت
بغداد وزالت دولة بنى
العباس منها وكان سبب
زوالها استيلاء عمالهم
وأمرائهم عليهم ومن أعظم
أسباب زوالها ان ابن
العلقمى استولى على
المستعصم وكان رافضيا
عدوا لاهل السنة يداريهم
فى الظاهر وينافقهم فى
الباطن وكان يريد ازالة

واعزم على القتال حتى يعطى الله تعالى النصر لمن يشاء فلما سمع ذلك أغمد سيفه وقال يا ماهان ما تصنع
فى هؤلاء الاسرى فقال ماهان أطلقهم كرامة لك وأخلى سبيلهم فيكونون عونا لك ولن تعجزونا فى الحرب
غدا ففرح خالد بذلك وأمر ماهان بتخلية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطلقوا من وثاقهم
وهم خالد بالمسير فقال ماهان يا خالد انى كنت أحب أن يصلح الامر بينى وبينكم وانى أسألك حاجة فقال
خالد سل ما تريده فقال ان قبتك هذه الحمراء قد أعجبتنى وانى أريد أن تهبها لى وانظر فى عسكرى ما أعجبك
من شىء فأهبه لك فقال خالد والله لقد فرحتنى اذ طلبت ما أملكه وهى موهوبة لك وأما ما عرضت على من
عسكرك فلا حاجة لى فيه فقال ماهان لله درك أنت تكرمت وأجملت فقال خالد رضى الله عنه وأنت أيضا
قد تكرمت علينا بما صنعت من اطلاق أصحابى من الاسر ثم انثنى خارجا من عند ماهان وأصحابه من
حوله وقدم له جواده فركبه وركب أصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر ماهان اصحابه
وحجابه ان يسيروا معهم حتى يبلغوهم قال ففعل القوم ذلك ووصل خالد واصحابه الى الامير أبى عبيدة
رضى الله عنهم أجمعين وسلموا عليه وفرح المسلمون بخلاص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحدث خالد أبا عبيدة بكل ما جرى لهم ثم قال خالد وحق المنبر والروضة ما كان ماهان ليطلق لنا أصحابنا
الا فزعا من سيوفنا فقال أبو عبيدة حين سمع ما مر لخالد وماهان من الخطاب والجدال هذا رجل حكيم
الا أن الشيطان غلب على عقله فعلام افترقتم قال على اننا نلتقى معهم ويعطى الله النصر لمن يشاء فلما
سمع أبو عبيدة رضى الله عنه ذلك جمع عظماء المسلمين وقام فيهم خطيبا فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر
النبى صلى الله عليه وسلم واخبرهم ان العدو يصبحهم بالقتال فى غداة غد وامرهم بالاهبة واقبل فرسان
المسلمين يحرض بعضهم بعضا واقبل خالد على اصحابه وهم عسكر الزحف وقال لهم اعلموا ان هؤلاء
الكفرة الذين نصركم الله عليهم فى المواطن الكثيرة قد حشدوا لكم جموع بلادهم وانى دخلت الى
عسكرهم ونظرت اليهم فكانهم النمل ولكنهم اصحاب عدة بلا قلوب ولا لهم من ينصرهم عليكم وهذه الوقعة
بيننا وبينهم وقد أيقنا ان القتال فى غداة غد وأنتم أهل البأس والشدة فما عندكم رحمكم الله تعالى قال
فتكلم أصحاب خالد وقالوا أيها الامير القتال بغيتنا القتل فى سبيل الله تعالى مسرتنا ولا نزال نصبر لهم
على الحرب والطعن والضرب حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ففرح خالد بقولهم وقال لهم وفقكم
الله تعالى وأرشدكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم يبق أحد منهم تلك الليلة الا وقد أخذ عدته وأهبته
واستعد بآلة الحرب والقتال وباتوا فرحين بالجهاد والثواب وخائفين من العقاب فلما أصبح القوم
ولاح الفجر اذن المؤذنون فى عسكر المسلمين حتى ارتفعت لهم جلبة عظيمة بالتوحيد وأسبغوا الوضوء
وصلوا ثم خلف أبى عبيدة فلما صلوا ركبوا خيولهم الى قتال عدوهم وعبوا صفوفهم للقتال وكانوا ثلاثة
صفوف متلاصقة أول الصف لا يرى آخره وأقبل خالد بن الوليد على أبى عبيدة رضى الله عنه وقال أيها
الامير من تجعل فى الميسرة قال كنانة بن مبارك الكنانى أو قال عمرو بن معديكرب الزبيدى والله أعلم
أيهما كان فولاه الميسرة وأمره أن يكون مكانه فى الميسرة ففعل وضم الى كنانة قيسا قال فسار لما أمره
أبو عبيدة رضى الله عنه ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ حدثنى فضالة بن عامر قال حدثنى موسى بن
عوف عن جده يوسف بن معن قال كان هذا الغلام كنانة عارفا بالحرب صاحب شجاعة وغارة وقد ذكر أنه
كان من شجاعته وشدة فراسته انه كان يخرج من حى قومه بنى كنانة وحده ويسير حتى يأتى أحياء العرب
المعادين له فاذا أشرف عليهم صرخ بهم وانتمى باسمه فتثور الرجال على أعناق الخيل فلا يزال يقاتلهم
ويقاتلونه فان ظفر بهم كان مراده وان رأى منهم غلبة وعظم عليه أمرهم نزل عن جواده وسعى بين
أيديهم فلا يلحقون منه الا الغبار (قال الراوى رحمه الله تعالى) لما ولاه أبو عبيدة وقف حيث أمره والتفت
أبو عبيدة الى خالد وقال يا أبا سليمان قد وليتك على الخيل والرجل فول أمر الرجالة من شئت فقال خالد بن
الوليد رضى الله عنه سأولى أمرهم رجلا لا يؤتى المسلمون من قبله ثم نادى بهاشم بن عتبة بن أبى وقاص

الخلافة من بنى العباس
واعادتها الى العلويين
واطفاء أهل السنة واظهار
أهل البدعة فصار يكاتب
كبير التتار وهو هلاكو
ويطمعه فى ملك بغداد
ويخبره بضعف الخليفة
ويعلمه صورة أخذها
ويحسن للمستعصم توفير
الخزينة وعدم الصرف
على العسكر فقطع فى مرة
عشرين ألف مقاتل ووفر
علوفاتهم فى الخزينة
وأظهر للخليفة انه وفر من
علوفات العسكر أموالا
عظيمة فى بيت المال فأعجبه
رأيه لكونه كان يحب
المال وجمعه فدخل التتار
الى بلاد العراق واستأصلوا
من بها وتوجهوا الى بغداد

وقال له قد ولاك الامير على الرجالة فقال أبو عبيدة رضى الله عنه انزل يا هاشم وكن معهم رحمك الله وانا أوافقك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورتب أبو عبيدة صفوف المسلمين وعباهم قال خالد بن الوليد رضى الله عنه ابعث الآن الى أصحاب الرايات وقل لهم يسمعوا منى فدعا أبو عبيدة رضى الله عنه بالضحاك بن قيس وقال له يا ابن قيس اسرع الى أصحاب الرايات وقل لهم ان الامير أبا عبيدة يأمركم أن تسمعوا لخالد وتطيعوا أمره ففعل الضحاك ذلك وجعل يدور على أصحاب الرايات حتى انتهى الى معاذ بن جبل وقال له مثل ذلك قال معاذ بن جبل سمعا وطاعة ثم أقبل معاذ على الناس وقال أما انكم قد أمرتم بطاعة رجل ميمون الغرة مبارك الطلعة فان أمركم بأمر فلا تخالفوه فيما يأمركم به فما يريد غير صلاح المسلمين والاجر من رب العالمين قال فقلت لمعاذ بن جبل انك لتقول فى خالد قولا عظيما فقال ما أقول الا ما قد عرفته فلله دره وقال الضحاك فرجعت الى خالد وأخبرته بما تكلم به معاذ بن جبل وبما أثنى به عليه فأثنى عليه وقال هو أخى فى الله تعالى ولقد سبقت له ولاصحابه سوابق لا يفعلها خالد بن الوليد فى يناله قال الضحاك فرجعت الى معاذ بن جبل وأخبرته بما قال خالد وبما أثنى به عليه وما ذكره من أمره وبما أورده من على شأنه فقال معاذ والله انى أحبه فى الله تعالى وأرجو من الله أن يكون قد أثابه بحسن نيته ونصيحته للمسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما وصى الضحاك بن قيس أصحاب الرايات بقول أبى عبيدة بالطاعة لخالد بن الوليد رضى الله عنه جعل خالد يسير بين الصفوف ويقف على كل راية ويقول يا اهل الاسلام ان الصبر قد عزم ان شاء الله تعالى على صحبتكم والفشل والجبن سببان من اسباب الخذلان فمن صبر كان حقا على الله نصره على عدوه لان الله معه ومن صبر على حد السيوف فانه اذا قدم على الله تعالى اكرم منزلته وشكر له فعله وسعيه والله يحب الشاكرين قال ومازال خالد رضى الله عنه يقول هذا الكلام لاهل كل راية حتى مر بجماعة الناس ثم ان خالدا اجتمع اليه خيل المسلمين من اهل الشدة والصبر ومن شهد معه الزحف فقسمهم أربعة أرباع فجعل على أحدهم قيس بن هبيرة المرادى وقال له أنت فارس العرب فكن على هذه الخيل واصنع كما أصنع وجعل على الربع الآخر ميسرة بن مسروق العبسى وأوصاه بمثل ذلك ودعا عامر ابن الطفيل على الربع الثالث وأوصاه بمثل ذلك ووقف خالد مع عسكر الزحف (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم تطلع الشمس الا وقد فرغوا من تعبية صفوفهم للحرب وأما ماهان الارمنى فانه أمر الروم بالزينة والاهبة للحرب ففعلوا ذلك الا أن المسلمين كانوا أسرع فى التعبية قال وزحف عسكر الروم الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الروم الى تعبيتهم فكان عسكر المسلمين صفوفهم كالبنيان المرصوص وكأن الطير تظلهم والصفوف متلاصقة والرماح مشرعة مشتبكة قال فلما رأى الروم ذلك داخلهم الفزع والجزع وألقى الله الرعب فى قلوبهم ثم ان ماهان عبى عسكره فجعل العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام فى مقدمة الصفوف وجعل عليهم جبلة وقدم أمامهم صليبا من الفضة زنته خمسة أرطال وهو مطلى بالذهب وفى أربعة أركانه أربع جواهر تضىء كأنها الكواكب (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى سنان بن اوس الربعى قال حدثنى عدى بن الحرث الهمدانى وكان ممن حضر الفتوح من أولها الى آخرها قال وكانت الصفوف التى صفها ماهان ثلاثين صفا كل صف منها مثل عسكر المسلمين كله وقد أظهر ماهان بين الصفوف القسوس والرهبان وهم يتلون الانجيل ويترغون وأكثر من الرايات والاعلام والصلبان فلما تكاملت صفوفهم واذا ببطريق عظيم الخلقة قد برز وعليه درع مذهب ولامة حرب مليحة وفى عنقه صليب من الذهب مرصع بالجوهر وتحته فرس أشهب وكان البطريق من عظماء الروم ممن يقف عند سرير الملك فلما برز جعل يرطن بكلام الروم بصوت كالرعد فعلم المسلمون أنه يطلب البراز فتوقف المسلمون عن الخروج اليه فصاح خالد وقال يا أصحاب رسول الله هذا العلج الاغلف يدعوكم لقتاله وأنتم تتأخرون فان لم تخرجوا اليه والا خرج خالد وهم بالخروج واذا بفارس قد خرج من المسلمين على برذون أشهب عظيم الخلقة يشبه برذون المشرك وعلى المسلم

فاستيقظ الخليفة من غفلته وجمع من قدر عليه من الجيوش وبرز الى قتالهم فلم يقدر عليهم وغرق من عسكره كثير فى نهر الدجلة وقتل أكثرهم وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن والاموال وأسروا المستعصم وأولاده فاستبقاه هلاكو الى ان استخلص أمواله وخزائنه ودفائنه ثم قتل أولاده واتباعه وأمر أن يوضع الخليفة فى غرارة ويرفس بالارجل الى أن يموت وأوقع بوزيره الذل والهوان وصار معهم من جملة الغلمان ومات كمدا وهذه الحادثة قد استطار شررها وعم ضررها وهم قوم لا يحصون عددا ولا

الفارس الذى خرج فقال خالد من يعرف الفارس الذى خرج فقال لامة حسنة وعدة سابغة وقصد نحو البطريق فلم يكن فى رجال خالد من يعرف الفارس الذى خرج فقال خالد لهمام مولاى اخرج الى هذا الفارس وانظر من هو من المسلمين ومن أى العرب هو ومن قومه فمضى همام يهتف به وقد هم أن يقرب من البطريق فصاح به من أنت ياذا الرجل من المسلمين رحمك الله فقال أنا روماس صاحب بصرى فلما أخبر خالد به قال اللهم بارك فيه وزد فى نيته فلما صار بازاء العلج كلمه بلسانه فقال الرومى وقد عرفه ياروماس كيف تركت دينك وصبأت الى هؤلاء القوم فقال روماس هذا الدين الذى دخلت فيه دين جليل شريف فمن تبعه كان سعيدا ومن خالفه فقد ضل ثم حمل روماس على العلج وحمل العلج على روماس وتقاتلا ساعة حتى عجب الجمعان منهما فوجد العلج من روماس غفلة فضربه ضربة صعبة أسال دمه قال فاحس روماس بالضربة وقد وصلت اليه فانثنى راجعا نحو المسلمين فأتبعه العلج طالبا له لا يقصر عن طلبه وكاد أن يدركه فصاح به فرسان المسلمين من الميسرة والميمنة فقوى قلب روماس وداخل العلج الجزع والخوف من صياحهم والهلع وقصر عن طلبه ودخل روماس عسكر المسلمين والدم على وجهه فوثر فأخذه جماعة من المسلمين فشدوا جراحه وشكروه على فعله ووعدوه بالغفران من الله تعالى وهنؤه بالسلامة قال ولما رجع روماس منهزما أعجب العلج بنفسه وأظهر عناده وأغلظ فى كلامه وطلب البراز فهم أن يخرج اليه ميسرة بن مسروق العبسى فقال له خالد ياميسرة ان وقوفك فى مكانك أحب الى من خروجك الى هذا العلج وأنت شيخ كبير وهذا علج عظيم الخلق والشان شجاع ولا أحب أن تخرج اليه فانه لا يكاد الشيخ الكبير يقاوم الشاب الحدث ولا سيما أن شعرة من مسلم أحب الى الله تعالى من جميع أهل الشرك فرجع ميسرة الى مكانه وهم أن يخرج اليه عامر بن الطفيل وقال أيها الامير انك قد عظمت قدر هذا الرومى الذميم وأدخلت فى قلوب المسلمين منه الرعب فقال خالد ان الفرسان تعرف أكفاءها فى الحرب وما يخفى على ما هو فيه من الشجاعة والشدة وأنت لا تقاومه لانه مابرز بين أصحابه وبين شجاعته الا وهو فارس فى قومه فقف فى مكانك فوقف عامر بن الطفيل فى مكانه ولم يخالف قال والعلج يدعو الى البراز والحرب فاقبل الى خالد الحرث بن عبد الله الازدى فلما وقف بين يديه قال أيها الامير أخرج اليه قال خالد لعمرى ان لك جسارة وقوة وشدة وما علمتك الا شهما فان شئت ان تخرج فاخرج على اسم الله واعزم فاخذ الازدى أهبته وهم أن يخرج فقال خالد رضى الله عنه على رسلك ياعبد الله حتى أسألك فقال اسأل قال خالد هل بارزت أحدا قبله قال لا قال فارجع ياابن أخى ولا تخرج فانك غير مجرب الحروب وهذا فارس قد جرب الحرب وجربته وعرف مصادرها وما أحب أن يخرج اليه الا رجل مثله بصير بالحروب وجعل خالد يقول ذلك وينظر الى قيس بن هبيرة فقال ياأباسليمان انى أظنك تعرض بى واياى تعنى أنا أبرز اليه فقال خالد ابرز على اسم الله تعالى فانك كفء والله تعالى يعينك عليه وخرج قيس بن هبيرة وأجرى جواده حتى لين عريكته وكسر حدته ثم سرحه نحو البطريق وهو يقول بسم الله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب من البطريق فلما نظر العلج الى فعاله علم أنه فارس شديد من فرسان المسلمين فعدل نحوه وقصد اليه وتحامل قال فبادره قيس بن هبيرة وضربه على هامته فتلقاها العلج فى حجفته فقد سيف ابن هبيرة الحجفة ووصل الى البيضة فاشتبك فيها وهم أن يخرج سيفه فامتنع عليه وضرب العلج قيس بن هبيرة على حبل عاتقه فثبت للضربة والتقيا بعد الضربتين فطرح العلج نفسه عليه يريد اسره وهو جبار من الجبابرة وكان قيس بعد رجوعه من قتال أهل الردة قد عود نفسه الصيام والقيام وهو نحيف الجسم فلما نظر قيس الى العلج وقد ظهر عليه انجذب من يده وبعد عنه وجعل ينظر اليه شزرا ويضمر له مكرا الا أن سيفه قد خرج من يده فثنى عنان فرسه يريد عسكر المسلمين ليأخذ سيفا ويعود الى القتال وقد أيس من نفسه فلما عطف راجعا صاح العلج فى اثره وسعى فى طلبه فقصر قيس بن هبيرة فى سيره وقال فى نفسه أنت مرادك الشهادة وتهرب من هذا العلج فرجع الى العلج فصاح به خالد ياقيس سألتك بالله ورسوله الا رجعت وتركت حدتها على فقال

يحتاجون الى المدد يأتيهم فان معهم الاغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لاغير وأما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير وأما دياناتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولما حصل فى بغداد ماحصل انتقل أولاد الخلفاء العباسيين الى مصر فى زمن السلطان بيبرس لأنها كانت بأيدى اسلافهم ويبنون فيها نوابا وجملة نوابهم سبع وخمسون لم تتعرض لهم خوف الاطالة المؤدية الى السآمة ومن جملة نوابهم أحمد بن طولون فانه كان نائبا على مصر فى زمن

قيس ياخالد لقد أقسمت على بعظيمين ولكن ان رجعت اليك اتزيد فى اجلى قال لا قال فلم اختار الفرار واكون من اصحاب النار بل اصبر وافوز بالغفران من الله تعالى ثم انه عطف على قرنه وليس فى يده سيف بل استل خنجرا كان معه على وسطه قال ونظر خالد الى قيس بن هبيرة وليس فى يده سيف فقال من يأخذ هذا السيف ويدفعه الى قيس ابتغاء ثواب الله تعالى قال عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انا يا أبا سليمان فقال خالد انت والله لها يا ابن الصديق ثم اخذ عبد الرحمن سيفه ولحق قيس بن هبيرة يريد ان يناوله السيف فلما نظرت الروم الى عبد الرحمن وقد لحق بقيس ظنوا انه يريدان يعاون قيسا على صاحبهم فخرج عليه بطريق آخر واقبل الى صاحبه ووقف بازائه قال فدفع عبد الرحمن السيف الى ابن هبيرة ووقف معه وجعل البطريق الآخر يتكلم بكلام لا يفهمه عبد الرحمن فقال عبد الرحمن ياويلك ما الذى تقول فانا لا اعرف كلامك فخرج اليه ترجمان وقال له يامعاشر العرب ألستم ذكرتم أنكم اصحاب نصفة وحق قال عبد الرحمن بلى قال الترجمان فما رأينا من نصفتكم شيأ يخرج فارسان الى فارس قال عبد الرحمن انما خرجت لاعطى صاحبي هذا السيف وأرجع ولو خرج اليه منكم مائة لواحد ما كبر علينا ولا عظم لدينا وها أنتم ثلاثة وأنا واحد وأنا لكم كفء قال فاخبر الترجمان صاحبه بذلك فجعل ينظر اليه شزرا فقال عبد الرحمن ياقيس قد تعبت فقف وتفرج على وانظر ما يكون منى ومنهم ثم حمل عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما على الذى كان يخاطبه فطعنه فى نحره فأخرج السنان يلمع من ظهره فوقع مجندلا ونظر العلجان الى صاحبهما مجندلا فحملا على عبد الرحمن وقصداه فاراد قيس بن هبيرة ان يعاونه عليهما فقال له عبد الرحمن سألتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وبحق أبى بكر الا تركت عبد الرحمن يصطلى بهما فان قتلت فانت شريكى فى الثواب وأقرئ عائشة منى السلام وقل لها أخوك قد لحق بعلك وابيك فتأخر قيس عنه وقد عجب من فعاله فحمل عبد الرحمن على أحد العلجين وهو الاول فطعنه برمحه فاشتبك السنان فى درعه فرمى عبد الرحمن الرمح من يده وانتضى سيفه وقام فى الركاب وضرب العلج بسيفه ضربة طرحه بها نصفين ونظر العلج الثالث الى عبد الرحمن وجراءته فبقى حائرا متعجبا من حاله ونظر قيس الى البطريق وهو متحير باهت فبانت له فيه غفلة فقال ما يوقفك ياقيس وحمل على البطريق وضربه ضربة هشم بها هامته فسقط الى الارض صريعا فلما نظرت الروم الى أصحابهم قال بعضهم لبعض ما هؤلاء العرب الا شياطين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأخبر ماهان بفعالهم فقال لقومه ان الملك كان أخبر بهؤلاء القوم وحق المسيح لقد أعلم ان لكم أمرا فان لم تحملوا عليهم بكثرتكم والا فما تقوم لكم قائمة قال فأتاه بطريق من البطارقة وسار رماهان فى أذنه طويلا ثم انزاح عنه وقد اصفر وجه ماهان وسكت كأنه أخرس فاستخبروا ماهان عما حدثه البطريق فلم يخبرهم قال فحدث من رأى ذلك أنه سأل جبلة بن الايهم فقال لما أخبر ماهان بخبر الثلاثة وفيهم البطريق الاول قال ماهان انهم منصورون عليكم فقال له البطريق فى اذنيه أيها الملك الحق ما قلت اعلم أنى رأيت البارحة فى منامى كأن رجالا نزلوا من السماء الى الارض وهم على دواب بلق وشهب وعليهم كامل السلاح واحدقوا بهؤلاء العرب ونحن قيام بازائهم لا يخرج أحد من عسكرنا الا قتلوه حتى أتوا على أكثرنا وأظن انهم هؤلاء الذين نراهم فى اليقظة لأن واحدا منهم قتل ثلاثة منا وما هم الا منصورون علينا من السماء قال فكسر بهذا قلب ماهان فلم يرد جوابا فاجتمع القوم يسألونه عما قاله البطريق فلم يخبرهم فلما أكثروا عليه السؤال تكلم فيهم كالخطيب وقال يا أهل هذا الدين انكم ان لم تقاتلوا كنتم من الخاسرين وغضب عليكم المسيح وان الله عز وجل لم يزل لدينكم ناصرا ومظهرا وان لله الحجة عليكم اذ بعث فيكم رسولا وأنزل عليه كتابا ولم يتبع رسولكم الدنيا وأمركم أن لا تتبعوها وفى كتابه لا تظلموا فانه لا يحب الظلم ولا الظالمين فلما اتبعتم الدنيا وظلمتم وخالفتم نصر أعداءكم عليكم فما عذركم عند خالقكم وقد تركتم أمر نبيكم وما أنزل عليكم فى كتاب ربكم وهؤلاء العرب بازائكم يريدون قتل فرسانكم وسبي

خلافة المعتز سنة أربع وخمسين ومائتين ثم سطا على الخلفاء وادعى الخلافة لنفسه وانفرد بالخراج وحاربه الخليفة أشد المحاربة فلم يقدر عليه فخضع له وتركه وصار سلطانا بمصر وتحول من دار النيابة بقصر الشمع وبنى بناء بين مصر وجامعه وسماه القطائع وهو أول من تسلطن بمصر والشام والفرات والمغرب وكان يشتغل بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف به الآن مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار والنفقة برسم الصدقة كل يوم ألف دينار ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل

ذراريكم ونسائكم وأنتم على المعاصي والذنوب ولا تخافون من علام الغيوب فان نزع الله سلطانكم من أيديكم واظهر عدوكم عليكم فذلك بحق منه وعدل لانكم لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان ماهان لما سمع كلام البطريق الذي رآه في المنام أمره أن يكتمه واما قيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فأخذا سلاحهم واسلابهم ورجعا الى المسلمين فدفعا السلب الى أبي عبيدة فقال هو لكم ومن قتل فارسا فله سلبه فكذا عهد الينا عمر بن الخطاب فاخذ السلب ووقف قيس في موضعه الذي أقامه خالد فيه ورجع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق الى ميدان الحرب فجال بين الصفين وكان قد ركب أشهب البطريق الذي قتله فرآه لا ينبعث تحته كما عهد من خيل العرب فرجع وغيره من تحته بفرس غيره وحمل على ميمنة الروم فشوش صفوفهم وقتل منهم فارسين ورجع فحمل على القلب ثم انثنى على الميسرة فرشق بالسهام فرجع حتى وقف في صدر الجيش وجعل يقرع الروم باسمه ويدعو الى البراز فخرج اليه علج من علوج الروم فما جال غير ساعة حتى قتله فخرج اليه آخر فقتله فقال خالد اللهم ارعه بعينك واحفظه فان عبد الرحمن قد اصطلى اليوم الحرب بنفسه ثم ان خالدا صاح به يا عبد الرحمن بحق شيبة أبيك وبيعته الا رجعت الى مكانك فرجع حين أقسم عليه قال حزام ابن غنم قلت لرجل ممن شهد اليرموك أكانت النساء معكم مشاهدات القتال قال نعم احداهن أسماء بنت أبي بكر زوجة الزبير بن العوام وخولة بنت الازور ونسيبة بنت كعب وأم أبان زوجة عكرمة بن أبي جهل وعزة بنت عامر بن عاصم الضمري مع زوجها سلمة بن عوف الضمري ورملة بنت طليحة الزبيري ورعلة وامامة وزينب وهند ويعمر ولبنى وامثالهن رضي الله تعالى عنهن فلقد كن يقاتلن قتالا يرضين به الله ورسوله ❊ (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ❊ حدثني عبد الملك بن عبد الحميد وكان قد شهد وقعة اليرموك قال أولها شرار وآخرها ضرام الحرب وان كل يوم يأتي من القتال أصعب من اليوم الآخر قال عمرو بن جرير فشهدنا في اليوم الاول حربا يسيرا وذلك ان ماهان أمر عشرة من الصفوف أن تحمل على المسلمين بعد أن قتل عبد الرحمن من قتل وحمل المسلمون عليهم فالتقت الرجال بالرجال فنظر أبو عبيدة وكان واقفا الى ماهان ولم يحمل على المسلمين فعلم أن الامر يصعب فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وجعلوا يتلون قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال ولم يزل الحرب بين الفريقين من قيام الشمس في قبة السماء الى أن همت بالغروب ولم ينفصل الجمعان حتى فرق الليل بينهم فحينئذ افترق الجمعان وهم ما يعرفون الا بالشعار وخرج كل قوم من العرب يهتفون بشعارهم وينادون بانسابهم ورجعت كل فئة الى مكانها واستقبل المسلمين نساؤهم فصارت تجعل المرأة مرطها تمسح به عن وجه زوجها وتقول له أبشر بالجنة ياولي الله وبات المسلمون في خير وسرور وأوقدوا النيران وذلك ان القتل في أول يوم لم يتبين في الفريقين بل قتل من الروم يسير ومن المسلمين عشرة رجلان من حضرموت احدهما يقال له مازن والثاني يقال له صارم وثلاثة من عسفان رافع ومجلي وعلي وواحد من الانصار وهو عبد الله بن الاخرم وثلاثة من بجيلة وواحد من مراد وهو سويد ابن أخي قيس بن هبيرة فحزن عليه قيس لما فقده فعلم انه في القتلى فخرج قيس وخرج معه رجال من قومه حتى أتوا موضع المعركة وفتشوا عليه فلم يروه فلما هموا بالرجوع نظر الى نار قد اقبلت من جهة الروم يطلبون مكان الوقعة وهم يطلبون بطريقا كان معظما عندهم فقال قيس لجماعته أخمدوا ناركم فوالله لآخذن بثار ابن أخي من هؤلاء القوم قال فاخمدوا نارهم ورقدوا بين القتلى وتأهبوا للقتال واذا بالروم قد أتوا وهم نحو مائة وهم في زينة عظيمة وآلة وعدة وكان مع قيس سبعة من قومه فقالوا له ان القوم مائة ونحن سبعة وقد نالنا من التعب فقال قيس ارجعوا انتم واني والله أطلب الموت لا أريد غيره وأجاهد في الله حق جهاده فعجبوا من قوله ووقفوا معه وقفة الكرام وأقبلت الاعلاج يريدون المعركة ويدورون بين القتلى وقد وقفوا بالعلج وهو الذي برز اولا وقتله ابن أبي بكر

شهر عشرة آلاف دينار وتوفي ليلة الاحد لعشرين خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين وكان مدة سلطنته عشرين سنة وشهرين (وتولى بعده ولده خمارويه) وبايعه الجند يوم الاحد لعشرين خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين فتعقب ما كان

الصديق فلما احتملوه وولوا يريدون عسكرهم صاح فيهم قيس من ورائهم وتابعه أصحابه بالصياح فذهلوا ورموا البطريق ووضع المسلمون السيف فيهم وجعلوا يقتلونهم قتلا ذريعا وكان قيس اذا ضرب فيهم يقول هذه من ابن أخي قال فقتل منهم ستة عشر رجلا وقتل أصحابه أكثر القوم وانفلت الباقون فلما فرغ قيس من القوم عاد يطلب ابن أخيه نحو عسكر الروم فسمع أنينا فاقبل نحوه فاذا هو ابن أخيه سويد بن بهرام المرادي فلما عرفه بكى فقال ما أبكاك يا ابن أخي فقال يا عماه اني تبعت القوم فرجع الى واحد منهم وطعنني في صدري واني لأعاج منها أمرا عظيما وهؤلاء الحور العين في حذائي ينتظرن خروج روحي قال فبكى قيس وقال يا ابن أخي اكل اجل كتاب ولعل أن يكون في اجلك طول فقال هيهات والله يا عم أفتقدر أن تحملني الى عسكر المسلمين فاموت هناك قال أجل قال ثم احتملته على ظهري وأقبلت به الى عسكر المسلمين وقصدت به الى رحله وبهيته وسمع أبو عبيدة بمجيء قيس فاتى اليه ورأى الغلام يجود بنفسه فجلس عند رأسه وبكى وبكت المسلمون فقال له أبو عبيدة كيف تجدك يا ابن أخي فقال بخير والله وغفران وجزى الله محمدا عنا خيرا ولقد صدقنا في قوله وهذه الحور تنادي وتشخص فمات قال فابرحنا حتى واريناه التراب قال واخبره قيس عن قتل في تلك الليلة من المشركين ففرح فرحا شديدا وعلم أن ذلك علامة النصر قال وبات الناس في ليلتهم يقرؤن القرآن ويصلون ويسألون المعونة والنصر قال وأما ماهان فانه لما رجع الى عسكره اجتمع اليه البطارقة والرهبان والقسوس فقدموا له طعاما ومدوا له سماطا فلم يأكل منه شيأ عما وقع في نفسه من الرؤيا التي رآها البطريق وكان ماهان يود لو ترك الامر وصالح على أداء الجزية ولكنه كان مغلوبا على أمره وأقبلت الملوك والقسوس والبطارقة والرهبان على ماهان وقالوا ما بال الملك امتنع من الطعام فان كان ذلك من غمه على من مات وعلى ما جرى عليه من الحرب فان الحرب سجال فيوم لك ويوم عليك واعلم أيها الملك أن القوم بنا ظافرون وما غلبكم الان نحمل عليهم فلا يبقى منهم أحد قال ماهان ما أظنكم غير منصورين الامن تغير أديانكم والجور في سلطانكم فبهذا نصرت العرب عليكم فقام اليه رجل وقال أيها الملك عشت الدهر وأنا رجل من أهل دينكم وكان لي مائة رأس الغنم وكان فيها ولدي يرعاها فضرب عظيم من عظماء أصحابك الفسطاط الى جانبها ثم انه عدا عليها فاخذ منها حاجته واخذ بقيتها أصحابه فجاءني زوجتي تشكو اليه انتهاب غنمي فلما رآها أمر بها فادخلت اليه فطال مكثها عنده فلما راى ولدها ذلك دنا من الفسطاط فاذا هو يجامع أمه فصاح الغلام فامر البطريق بقتل الغلام فقتل فاتيت أريد خلاص ولدي وزوجتي فامر بي فضربت بالسيف فتلقيت الضربة بيدي فقطعها ثم انه أخرج يده فاذا هي مقطوعة قال فغضب ماهان عند ذلك غضبا شديدا وقال للمعاهد أتعرف هذا البطريق الذي فعل بك ذلك قال نعم هو هذا وأومأ بيده الى بطريق من البطارقة فنظر اليه ماهان مغضبا قال فغضب البطريق وغضب البطارقة لغضبه ومالوا على المعاهد فضربوه باسيافهم حتى قطعوه وماهان ينظر اليهم فزاد غضبه وقال خذلتم وهلكتم وحق المسيح يا ويلكم ترجون النصر وأنتم تفعلون هذه الفعال أما تخافون القصاص غدا وأن الله ينتقم منكم وينزع منكم صالح ما أعطاكم ويعطيه غيركم ممن يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فوالله أنتم الآن عندي كالكلاب وسوف ترون عاقبة هذا كله والى أي مصير مصيركم يكون قال ثم انه قام وتركهم فلما انصرف القوم ولم يبق عنده الا بطريق واحد قال له أيها الملك والله ان القوم لكما تقول وما أظن الا أننا مغلوبون واعلم أني رأيت في منامي كأن رجالا نزلوا من السماء على خيل شهب فاحدقوا بهؤلاء العرب وعليهم كامل السلاح ونحن وقوف بازائهم فنظرت اليهم لا يخرج منا أحد الا قتلوه حتى أتوا على أكثرنا وذكر له كما قال ذلك الاول فاقبل ماهان يفكر طول ليلته فيما يصنع في أمر المسلمين فلما أصبح الصباح عبى المسلمون صفوفهم ونظروا الى عسكر الروم واذا فيه ارتعاد وانزعاج فعلموا أن لهم أمرا (قال أبو عبيدة) دعوهم ولا تبقوا عليهم فان الباغي مخذول قال

يفعله والدم من الصدقات والمأكولات والرفاهية والهيبة وزاد على ذلك ثم قتل بدمشق على فراشه مذبوحا ذبحه بعض جواريه في ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وحمل في صندوق الى مصر فكانت ولايته ثنتي عشرة سنة وثمانية عشر يوما (وتولى بعده ولده

واجتمعت البطارقة والملوك الاربعة الاماهان وهم قناطر وجرجير والديرجان وقورين وهم أصحاب الجيش يستأذنونه فى الحرب فقال ماهان وكيف لى ان أقاتل بقوم يظلمون ان كنتم أحرارا فقاتلوا عن سلطانكم وامنعوا عن حريمكم فقالوا الآن احببنا الحرب فوحق المسيح لا نفارقهم حتى ننفيهم من الشام الى بلادهم أو يقتلونا أونقتلهم فثق بقولنا وانهض بنا اليهم فاذا عزمت على القتال فدع كل واحد منا يقاتل يوما حتى تعرف منا من هو أفرس وأشد ويضجر المسلمون من المطاولة ونجمع عيالنا وأطفالنا وأموالنا فان كانت على العرب رددنا كل شئ الى مكانه وان كانت للعرب علينا الحقوه ببلادهم وقومهم ويكون الامر بيننا وبينهم فى يوم واحد او يومين فقال له ماهان لعنه الله هذا هو الرأى أمهلوا الى أن أكتب الى الملك بمثل ذلك ثم انه كتب الى هرقل امابعد فاسأل الله لك أيها الملك ولجيشك النصر ولاهل سلطانك العز والنصر وانك بعثتنى فيما لايحصى من العدد وانى قدمت على هؤلاء العرب فنزلت بساحتهم وأطمعتهم فلم يطمعوا وسألتهم الصلح فلم يقبلوا وجعلت لهم جعلا على ان ينصرفوا فلم يفعلوا وقد فزع جند الملك منهم فزعا شديدا وانى خشيت ان يكون الفشل قد عمهم والرعب قد دخل فى قلوبهم وذلك لكثرة الظلم فيهم وقد جمعت ذوى الرأى من أصحابى وذوى النصيحة للملك وقد أجمع رأينا على النهوض اليهم جميعا فى يوم واحد ولا نزايلهم حتى يحكم الله بيننا فان أظهر الله عدونا علينا فارض بقضاء الله واعلم ان الدنيا زائلة عنك فلا تأسف على مافات منها ولا تغتبط منها بشئ فى يدك والحق بعاقلك وبدار ملكك بالقسطنطينية واحسن الى رعيتك يحسن الله اليك وارحم ترحم وتواضع لله يرفعك الله فانه لايحب المتكبرين ولقد عملت حيلة فى احضار أميرهم خالد ومنيته ورغبته فأجاب ورأيته على الحق مقيما فاردت ان افتك به وأمكر فخفت عاقبة المكر والغدر وما نصر هؤلاء الا بالعدل واتباع الحق بينهم والسلام ثم طوى الكتاب وبعث به مع أصحابه من العلوج (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وبقى ماهان سبعة أيام اخر بعد الوقعة الاولى لم يقاتل المسلمين ولم يقاتلوه وبعث أبو عبيدة برجل من عيونه ينظر ما الذى اخر الروم عن القتال فغاب الرجل يوما وليلة ثم عاد وأخبر أبا عبيدة ان ماهان قد كاتب الملك وهو منتظر الجواب فقال خالد بن الوليد ما تأخر ماهان عن قتالنا الا وقد وقع الفزع فى قلبه فازحف بنا اليهم فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه لا تعجل فان العجلة من الشيطان (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان أبو عبيدة رجلا لين العريكة يحب الرفق فلما كان فى اليوم الثامن نظر ماهان الى تلهف أصحابه على الحرب والقتال فعزم ان يلتقى بهم المسلمين وقد فرح بنشاطهم فدعا برجل من المتنصرة من لخم وقال له اذهب فادخل هؤلاء العرب وتجسس لى أخبارهم وانظر ما عندهم قال فمضى اللخمى حتى دخل عسكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام فيهم يوما وليلة يطوف فى عسكرهم وليس أحد من المسلمين ينكره وهم آمنون وليس لهم همة الا اصلاح شأنهم والصلاة والقرآن والتسبيح وليس فيهم عدوان ولا ظلم ولا أحد يتعدى على أحد وقصد الموضع الذى فيه أبو عبيدة رضى الله عنه فنظر اليه كأنه أضعف ضعيف فى العرب ساعة يجلس على الارض وساعة ينام عليها فاذا كان وقت الصلاة قام واسبغ الوضوء وأذن المؤذنون وصلى بالناس ونظر المتنصر الى المسلمين وهم يصنعون كصنعه فقال المتنصر ان هذه طاعة حسنة ويوشك انهم ينصرون قال فرجع الى ماهان وحدثه بما رأى من القوم وما عاينه وقال أيها الملك انى جئتك من قوم يصومون النهار ويقومون الليل ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر رهبان فى الليل ليوث بالنهار ولو سرق واحد منهم ولو كان كبيرهم قطعوه ولو زنى رجموه لا يغلب هواهم على الحق بل الحق عندهم غالب واميرهم كأضعف من فيهم الا أنه مطاع عندهم ان قام قاموا وان قعد قعدوا ومناهم القتال وشهوتهم النزال ومرادهم ان يموتوا شهداء فى قتالكم وما تأخروا عن قتالكم الا ليكون البغى منكم اذا بدأتموهم فقال ماهان هؤلاء القوم منصورون غير انى قد وجدت حيلة أعملها عليهم فقال المتنصر ما الحيلة أيها الملك فقال ماهان ألست زعمت أنهم لا يبدؤن بالقتال حتى نقاتلهم فنكون نحن

أبو العساكر) فى عاشر ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وأقام ثمانية أشهر واثنى عشر يوما وقتل سنة ثلاث وثمانين ومائتين (وتولى بعده أخوه أبو موسى هرون بن خمارويه) فأقام ثمانى سنين وثمانية أشهر وقتل سنة احدى وتسعين ومائتين (وتولى بعده شيبان

الباغين قال ثم قال فانا لا نطلب الحرب بل نطول بيننا وبينهم وندهمهم على حين غفلة دون عدة منهم ولا أخذ حذرهم فعسى ان نظفر بهم قال ثم ان ماهان جمع الملوك وجعل يعقد لهم الرايات والصلبان حتى عقد ستين ومائة صليب تحت كل صليب عشرة آلاف وكان أول صليب عقد لقناطر وكان نظيره فى الرتبة وأمره ان يكون فى الميمنة ثم عقد صليبا للديرجان وضم اليه الارمن والنجد والنوبة والروسية والصقالبة ثم عقد لابن اخت الملك صليبا على الافرنج والهرقلية والقياصرة والبرفل والدوقس وعقد لجبلة بن الايهم عقدا وضم اليه المتنصرة من لخم وجذام وغسان وضبة وأمره ان يكون على المقدمة وقال أنتم عرب وأعداؤنا عرب والحديد لا يقطعه الا الحديد ثم فرق الاعلام فى أجناد عسكره فما انفجر الفجر وبان الصباح وأضاء بنوره ولاح حتى فرغ من تعبية جيوشه وترتيب طلائعه وأمر بعضرب له فضرب على كثيب عال على جانب اليرموك يشرف منه على العسكرين وأوقف عن يمينه ألف فارس عتاة حماة الروم شاكين السلاح وعن يساره كذلك وهم الملكية وأصحاب السرير وأمرهم باليقظة وقال أى حرب يكون على العرب أعظم من هذه فانكم على تعبية وهم على غير اهبة فاذا طلعت الشمس ورأيتم المسلمين على غير تعبية فاحملوا عليهم من كل جانب ومكان فما هم فى عسكرنا الا كالشامة البيضاء فى جلد الثور الاسود هكذا سمعت أياد بن غالب الحميرى يذكر وكان من المعمرين قال حدثنى جواد بن أسيد السكاسكى عن أبيه اسد بن علقمة فلما انشق الفجر اذن المؤذن وتقدم أبو عبيدة وصلى بالناس وهو لا يعلم بكيد ماهان فقرأ فى أول ركعة والفجر وليال عشر حتى قرأ ان ربك لبالمرصاد اذ هتف بهم هاتف وهم فى الصلاة وهو يقول ظفرتم بالقوم ورب العزة وما يغنى عنهم كيدهم شيئا وما اجرى الله هذه الآية على لسان أميركم الا بشارة لكم فلما سمع المسلمون كلام الهاتف عجبوا مما سمعوا ثم قرأ فى الركعة الثانية والشمس وضحاها الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها واذا بالهاتف يقول تم الفال وصح الزجر وهذه علامة النصر فلما فرغ أبو عبيدة من صلاته قال يا معاشر المسلمين هل سمعتم الهاتف قالوا نعم سمعنا قائلا يقول كذا وكذا فقال أبو عبيدة والله هذا هاتف النصر وبلوغ الامل فأبشروا بنصر الله ومعونته فوالله لينصرنكم الله وليرسلن عليهم سوط عذاب كما أنزل على القرون الاول ثم قال أبو عبيدة معاشر القوم انى رأيت الليلة فى منامى رؤيا تدل على النصر على الاعداء والمعونة من الملأ الأعلى فقالوا أصلح الله شأن الامير فما الذى رأيت قال رأيت كأنى واقف بازاء أعدائنا من الروم اذ حف بنا رجال وعليهم ثياب بيض لم أر كهيئتها احسنا البياضها واشراق ونور يغشى الابصار وعلى رؤسهم عمائم خضر وبأيديهم رايات صفر وهم على خيول شهب فلما اجتمعوا حولى قالوا تقدموا على عدوكم ولا تهابوهم فانكم غالبون فان الله ناصركم ثم دعوا برجال منكم وسقوهم بكاس كان معهم فيه شراب وكأنى انظر عسكرنا وقد دخل فى عسكر الروم فلما رأونا ولوا بين أيدينا منهزمين فقال رجل من المسلمين أصلحك الله أيها الامير وأنا رأيت الليلة رؤيا فقال أبو عبيدة خيرا تكون ان شاء الله تعالى ما الذى رأيت يرحمك الله فقال رأيت كأنا خرجنا نحو عدونا فصاففناهم للحرب وقد انقضت عليهم من السماء طيور بيض لها أجنحة خضر ومخاليب كمخاليب النسور فجعلت تنقض عليهم كانقضاض العقبان فاذا جاءت للرجل منهم ضربته ضربة فيقع قطعا قال ففرح المسلمون بتلك الرؤيا وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد أمنكم الله وأيدكم بالنصر وأمدكم بملائكته تقاتل معكم كما فعل بكم يوم بدر قال فسر أبو عبيدة بذلك وقال هذه رؤيا حسنة وهى حق وتأويلها النصر وانى أرجو من الله تعالى النصر وعاقبة المتقين فقال رجل من المسلمين أيها الامير ما وقوفنا عن هؤلاء الكلاب الاعلاج وما انتظارك للحرب وعدو الله يريد كيدنا بمطاولته وما أخرعنا الا بليلة يريد أن يوقعنا بها قال أبو عبيدة ان الامر أقرب مما تظنون قال سعيد بن رفاعة الحميرى فبينما نحن كذلك اذ سمعنا الاصوات قد علت والزعقات قد ارتفعت من كل جانب يهتفون بالقتال وان الروم قد زحفت الينا فظن أبو عبيدة ان المسلمين قد كبسوا فى وجه

ابن احمد بن طولون) فى عاشر صفر سنة اثنتين وتسعين فاقام اثنى عشر يوما فانكر عليه قواد هرون بن خمارويه وبعثوا الى محمد بن سليمان غلام أحمد بن طولون فجاء الى مصر فى عسكر عظيم وقبض على شيبان وألقى النار فى القطائع ونهب أصحاب

السحر فقام ليرى وكان على حرس المسلمين تلك الليلة سعيد بن زيد وعمرو بن نفيل العدوى رضى الله
تعالى عنهما اذ أقبل سعيد وهو ينادى النفير النفير حتى وقف أمام أبى عبيدة ومعه رجل من المتنصرة
فقال أيها الامير ماهان كاد المسلمين بتخلفه عن الحرب وها هو قد عبى عساكره وصف جيوشه وزحف
علينا زحف من يريد الكبسة بنا ونحن على غير أهبة ولا عدة وهذا الرجل قد أقبل الينا راغبا فى
الاسلام محذرا لنا من بأسه ويزعم ان ماهان قد قدم الينا حماة البطارقة وقد اتفق رأيهم على أن
يقاتلنا كل ملك من ملوكهم بمن معه وهذا أصعب القتال ونظر المسلمون الى رايات الروم تقرب منهم
والصلبان تدنو فقال أبو عبيدة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال أين أبو سليمان خالد بن
الوليد فأجابه بالتلبية فقال له أنت لها يا أبا سليمان فابرز فى أبطال المسلمين وصد عن الحريم الى أن تأخذ
الرجال صفوفها وتستعد بآلات حربها فقال حبا وكرامة فنادى خالد أين الزبير بن العوام أين
عبد الرحمن بن أبى بكر أين الفضل بن العباس أين يزيد بن أبى سفيان أين ربيعة بن عامر أين ميسرة بن
مسروق العبسى أين ميسرة بن قيس أين عبد الله بن أنيس الجهنى أين صخر بن حرب الاموى أين عمارة
الدوسى أين عبد الله بن سلام أين غانم الغنوى أين المقداد بن الاسود الكندى أين أبو ذر الغفارى أين
عمرو بن معديكرب الزبيدى أين عمار بن ياسر العبسى أين ضرار بن الازور أين عامر بن الطفيل أين
ابان بن عثمان بن عفان وجعل خالد يدعوهم رجلا بعد رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكل رجل منهم يلقى جيشا فاجتمعوا الى خالد بأجمعهم واشتغلوا بالحرب واشتغل أبو عبيدة بترتيب
الصفوف وتعبية العساكر فأقبل أبو سفيان الى أبى عبيدة وقال له أيها الامير مر نساءنا أن يعلون على
هذا التل قال نعم الرأى ما رأيت فأمرهن بذلك ففعلن وعلون على التل وحصن أنفسهن وأولادهن
ومعهن الاطفال والاولاد فقال لهن أبو عبيدة خذوا بأيديكن أعمدة البيوت والخيام واجعلن الحجارة بين
أيديكن وحرضن المؤمنين على القتال فان كان الامر لنا والظفر فكن على ما أنتن عليه وان رأيتن أحدا
من المسلمين منهزما فاضربن وجهه بأعمدتكن واحصبنه بحجارتكن وارفعن اليه أولادكن وقلن له قاتل
عن أهلك وولدك وعن دين الاسلام فقال النساء أيها الامير أبشر بما يسرك (قال الواقدى رحمه الله
تعالى ورضى عنه) فلما حصن أبو عبيدة النساء على التل أقبل يعبى جيشه وقد ابتدر الناس القتال
بعد ما عباهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وقدم أصحاب الرايات وكانت راية المهاجرين صفراء وفيها
أبيض وأخضر وأسود وسائر القبائل أيضا راياتهم مختلفة وجعل المهاجرين والانصار فى القلب وأظهر
المسلمون العدة والسلاح وجعل عسكره ثلاثة صفوف فصف فيه النبالة من أهل اليمن وصف فيه أصحاب
الخيل والعدة وقسم الخيالة ثلاث فرق فجعلها فى الثلاثة صفوف واستعمل عليهم ثلاثة من المسلمين
أحدهم غياث بن حرملة العامرى والثانى مسلمة بن سيف اليربوعى والثالث القعقاع بن عمرو التميمى
ووقف المسلمون تحت راياتهم ووقف أبو عبيدة تحت رايته التى عقدها له أبو بكر الصديق رضى الله
تعالى عنه يوم مسيره الى الشام وهى راية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء التى سار بها يوم خيبر
قال ومع خالد راية العقاب وكانت سوداء وجعل على الرجالة شرحبيل بن حسنة وعلى الجناح الايمن يزيد
ابن أبى سفيان وعلى الايسر قيس بن هبيرة فلما ترتبت الصفوف سار أبو عبيدة بين الصفوف وجعل
يحرض المؤمنين على القتال ويقول ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والزموا الصبر فان الصبر
منجاة من الكرب ومرضاة للرب ومقمعة للعدو فلا تزايلوا صفوفكم ولا تنقضوا نياتكم ولا تخطوا
خطوة الا وأنتم تذكرون الله ولا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم وشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا
الصمت الا من ذكر الله ولا تحدثوا حدثا حتى آمركم ثم رجع الى مقامه من القلب فوقف فيه ثم خرج من
بعده معاذ بن جبل فطاف على الناس محرضا لهم يقول يا أهل الدين ويا انصار الهدى والحق اعلموا رحمكم
الله تعالى ان رحمة الله لا تنال الا بالعمل والنية ولا تدرك بالمعصية والتمنى بغير عمل مرضى ولا تدخل

الفسطاط واستباح الحريم
وافتض الابكار وساق
النساء وأخرج بقية أولاد
أحمد بن طولون وقوادهم
فى اهانة وذلة ولم يبق منهم
احد وخلت الديار منهم
وكانت مدة ولايتهم سبعا
وثلاثين سنة وسبعة أشهر
وعشرين يوما ثم عادت الدولة
العباسية بمصر فى خلافة

الجنة الا بالاعمال الصالحة مع رحمة الله ولا يؤتى الله الرحمة والمغفرة الواسعة الا الصابرين والصادقين ألم تسمعوا قوله جل من قائل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون واستحيوا من الله أن يراكم فى فرار من عدوكم وأنتم فى قبضته ليس لكم ملجأ من دونه ولم يزل معاذ يقول ذلك الى أن رجع الى مقامه ثم خرج سهل بن عمرو فمشى بين الصفوف وهو شاكى السلاح راكب فرسه متقلد سيفه وهو يقول مثله ثم رجع وخرج من بعده أبو سفيان فطاف بين الصفوف وهو شاكى السلاح راكب فرسه متقلد سيفه معتقل رمحه وهو يقول معاشر العرب الكرام السادة العظام قد أصبحتم فى ديار الاعلاج منقطعين عن الاهل والاوطان ووالله لا ينجيكم منهم الا الطعن الصائب فى أعينهم والضرب المتدارك فى هاماتهم وبذلك تبلغون أربكم وتنالون الفوز من ربكم واعلموا أن الصبر فى مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجى به من الغم فاصدقوا القتال فان النصر ينزل مع الصبر فان صبرتم ملكتم بلادهم وأمصارهم واستعبدتم أبناءهم ونساءهم وان وليتم فليس بين أيديكم الا مفاوز لا تنقطع الا بالزاد الكثير والماء الغزير ولا ترجعوا الى دور ولا الى قصور فامنعوا بسيوفكم وجاهدوا فى الله حق جهاده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال ثم خرج من بين الصفوف وأقبل على النساء وهن على التل وفيهن المهاجرات وبنات الانصار وغيرهن من نساء المسلمين ومعهن أولادهن فقال لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان النساء ناقصات عقل ودين فكن ممن احتفظن على أديانهن وقدمن فى ذلك النية وحرضن أزواجكن على القتال ومن رجع منهم منهزما فاحصبن وجهه بالحجارة واضربن جواده بالعمد وأظهرن أولادكن لأزواجكن حتى يرجعوا قال فوقف النساء وهن مستعدات متشمرات مرتجزات بأشعارهن ورجع أبو سفيان الى موضعه وهو يقول معاشر المسلمين قد حضر ما ترون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجنة أمامكم والشيطان والنار وراءكم وأقبل حتى وقف مكانه ولم تغن مكيدة ماهان شيأ ورجعت الروم الى ورائها حين نظروا خالدا زحف اليهم فى خمسمائة فارس فخافوا لذلك ورجعوا حتى اصطفت الصفوف وعبى المسلمون كتائبهم فقال ماهان ما يوقفكم عن قتالهم فازحفوا اليهم فزحف الروم الى المسلمين فنظر خالد الى جيش عظيم عرمرم قال وكان ماهان قد أنفذ ثلاثين ألفا من عظمائهم فحفروا لهم فى الميمنة حفائر ونزلوا فيها وشدوا أرجلهم بالسلاسل واقترن كل عشرة فى سلسلة التماسا لحفظ عسكرهم وحلفوا بعيسى بن مريم والصليب والقسيسين والرهبان والكنائس الاربع ان لا يفروا حتى يقتلوا عن آخرهم فلما نظر خالد الى ما صنعوا قال لمن حوله من جيش الزحف هذا يوشك ان يكون يوما عظيما ثم قال اللهم ايد المسلمين بالنصر ثم اقبل على ابى عبيدة وقال ايها الامير ان القوم قد اقترنوا فى السلاسل وزحفوا الينا بالقواضب ويوشك ان يكون على الناس يوما عظيما فقال لهم ان العدو عدده كثير وما ينجيكم الا الصبر ثم قال لخالد فما الذى ترى من الرأى يا ابا سليمان (قال الواقدى) وكان ماهان قدم من الروم من عرفت شجاعته وعلمت براعته واشتهر بالثبات فى بلادهم وهم مائة ألف فلما نظر خالد اليهم شهد لهم بالفروسية وانهم من أهل الشدة وقال لابى عبيدة ان الرأى عندى ان توقف فى مكاننا الذى أنت فيه سعيد بن زيد وتقف أنت من وراء الناس فى مائتين أو فى ثلثمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا علم الناس انك من ورائهم استحيوا من الله ثم منك أن لا يفروا قال فقبل أبو عبيدة مشورته ودعا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة فاوقفه أبو عبيدة مكانه ثم انتخب أبو عبيدة مائتى فارس من اليمن وفيهم رجال من المهاجرين والانصار ووقف بهم من وراء الجيش بحذاء سعيد بن زيد * (قال حدثنى) * ورقة بن مهلهل التنوخى وكان صاحب راية أبى عبيدة يوم اليرموك قال وكان أول من فتح

المكتفى فارسلوا نوابهم الى مصر ومن جملة نوابهم محمد بن طغج الملقب بالاخشيد ثم تغلب على مصر وصار يدعى له على المنابر فاقام احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة (وولى بعده ابنه أبو القاسم) فاقيم كافور

باب الحرب يوم اليرموك فى جيش السلاسل غلاما من الازد حدثا كيسا فقال لابى عبيدة أيها الامير انى أردت أن أشفى قلبى واجاهد عدوى وعدو الاسلام وأبذل نفسى فى سبيل الله تعالى لعلى أرزق الشهادة فهل تأذن لى فى ذلك وان كان لك حاجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرنى بها قال فبكى أبو عبيدة وقال اقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام واخبره انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا قال ثم دفع الغلام الازدى جواده وحمل يريد الحرب فخرج اليه علج من الروم قام من الرجال على فرس اشهب فلما رآه الغلام قصد نحوه وقد احتبس نفسه فى سبيل الله تعالى فلما اقرب منه قال

لابد من طعن وضرب صائب * بكل لدن وحسام قاضب

عسى أنال الفوز بالمواهب * فى جنة الفردوس والمراتب

قال وبعد شعره حمل كل منهما على صاحبه وابتدأ الغلام الازدى الرومى بطعنة فجندله صريعا وأخذ عدته وجواده وسلم ذلك لرجل من قومه وعاد الى البراز فخرج اليه آخر فقتله وثالث ورابع فقتلهم فخرج اليه خامس فقتل الازدى فغضبت الازد عند ذلك ودنت من صفوف المشركين فعندها أقبلت الروم وزحفت كالجراد المنتشر حتى دنا طرفهم من ميمنة المسلمين فقال أبو عبيدة ان أعداء الله قد زحفوا عليكم فنكلوهم واعلموا أن الله معكم وثبتوا نفوسكم بالصبر والصدق واللقاء والنصر من الله ثم رمق الى السماء بطرفه وقال اللهم اياك نعبد واياك نستعين ولك نوحد ولا نشرك بك شيأ وان هؤلاء اعداؤك يكفرون بك وبآياتك ويتخذون لك ولدا اللهم زلزل أقدامهم وأرجف قلوبهم وأنزل علينا السكينة وألزمنا كلمة التقوى وآمنا عذابك يا من لا تخاف الميعاد اللهم انصرنا عليهم يا من قال فى كتابه العزيز واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير قال فبينما هو يدعو بهذه الدعوات اذ حملت الروم على ميمنة المسلمين وكان فيها الازد ومذحج وحضرموت وخولان فحملت عليهم الروم حملة منكرة فصبروا لهم صبر الكرام وقاتلوا قتالا شديدا وثبتوا ثباتا حسنا وحملت عليهم كتيبة ثانية فصبروا وصبرا جميلا وحملت عليهم كتيبة ثالثة فازالوا المسلمين عن الميمنة فابتدرهم عمرو بن معديكرب الزبيدى وهو المقدم على زبيد والامير عليهم وهو يعظمونه لما سبق من شجاعته فى الجاهلية وكان يوم اليرموك قد مر له من العمر مائة وعشرون سنة الا أن همته الشجاعة فلما نظر الى قومه وقد انكشفوا صاح فى قومه يا آل زبيد يا آل زبيد تفرون من الاعدا وتفزعون من شرب كاس الردى أترضون لانفسكم بالعار والمذلة فاهذا الانزعاج من كلاب الاعلاج أما علمتم أن الله مطلع عليكم وعلى المجاهدين والصابرين فاذا نظر اليهم وقد لزموا الصبر فى مرضاته وثبتوا لقضائه أمدهم بنصره وأيدهم بصبره فاين تهربون من الجنة أرضيتم بالعار ودخول النار وغضب الجبار قال فلما سمعت زبيد كلام سيدهم عمرو بن معديكرب رجعوا اليه وعطفوا عليه عطفة الابل على أولادها فاجتمعوا حوله وهم زهاء من خمسمائة فارس وراجل وشدوا على القوم شدة واحدة وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان وحملوا حملة صعبة فازالوا الروم عن أماكنهم وحملت دوس مع أبى هريرة وهز رايته وهو يحرض قومه على القتال ويقول أيها الناس سارعوا الى معانقة الحور العين فى جوار رب العالمين وما من موطن أحب الى الله من هذا الموطن الاوان الصابرين قد فضلهم الله على غيرهم الذين لم يشهدوا مشهدهم فلما سمعت دوس كلامه طافوا به وحملوا على الروم حملة منكرة ودارت بينهم الحرب كما تدور الرحى وتكاثرت جموع الروم على ميمنة المسلمين فعادت الخيل تنكص باذنابها راجعة على أعقابها منكشفة كانكشاف الغنم بين أيدى الاسد ونظرت النساء خيل المسلمين راجعة على أعقابها فنادت النساء يا بنات العرب دونكن والرجال ردوهم من الهزيمة حتى يعودوا الى الحرب قالت سعيدة بنت عاصم الخولانى كنت فى جملة النساء يومئذ على التل فلما انكشفت ميمنة المسلمين صاحت بنا عفيرة بنت غفار وكانت من المترجلات البازلات ونادت يا نساء العرب دونكن والرجال واحملن أولادكن على أيديكن واستقبلنهم بالتحريض فاقبلت النسوة يرجمن

الخادم الاسود نائبا عنه فكان يدبر المملكة فاقام أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفى سنة تسع وأربعين وثلثمائة (وتولى بعده أبو الحسن على ولد الاخشيد) فاقام سنتين والكلام لكافور الاخشيدى ثم استقرت المملكة باسم كافور فكان

وجوه الخيل بالحجارة وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادى قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته وجعل النساء يقلن لازواجهن لستم لنا ببعولة ان لم تمنعوا عنا هؤلاء الاعلاج قال العباس بن سهل الساعدى كانت خولة بنت الازور وخولة بنت ثعلبة الانصارية وكعوب ابنة مالك بن عاصم وسلمى ابنة هاشم ونعم ابنة فياض وهند ابنة عتبة بن ربيعة ولبنى ابنة جرير الحميرية متحزمات وهن أمام النساء والمزاهر معهن وخولة تقول هذه الابيات

يا هاربا عن نسوة ثقات * لها جمال ولها ثبات
تسلمهن الى الهنات * تملك نواصيهن مع البنات
أعلاج سوء فسق عتات * ينلن منا أعظم الشتات

قال ورجعت الفرسان تحرض الفرسان على القتال فرجع المنهزمون رجعة عظيمة عندما سمعوا تحريض النساء وخرجت هند ابنة عتبة وبيدها مزهر ومن خلفها نساء من المهاجرين وهى تقول الشعر الذى قالته يوم أحد وهو هذا

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق
مشى القطا الموافق * قيدى مع المرافق
ومن أبى نفارق * أن تغلبوا نعانق
أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق
هل من كريم عاشق * يحمى عن العواتق

قال ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين فرأتهم منهزمين فصاحت بهم الى أين تنهزمون والى أين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم ونظرت الى زوجها أبى سفيان منهزما فضربت وجه حصانه بعمودها وقالت له الى أين يا ابن صخر ارجع الى القتال وابذل مهجتك حتى تمحص ما سلف من تحريضك على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزبير بن العوام فلما سمعت كلام هند لابى سفيان ذكرت يوم أحد ونحن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعطف أبو سفيان عندما سمع كلام هند وعطف المسلمون معه ونظرت الى النساء وقد حملن معهم وقد رأيتهن يسابقن الرجال وبأيديهن العمد بين أرجل الخيل ولقد رأيت منهن امرأة وقد أقبلت الى علج عظيم وهو على فرسه فتعلقت به ومازالت به حتى نكسته عن جواده وقتلته وهى تقول هذا بيان نصر الله المسلمين قال الزبير بن العوام وحمل المسلمون حملة منكرة لا يريدون غير رضاء الله ورسوله وقاتلت الازد مع أبى هريرة وفشا فيهم القتل وأصيب منهم خلق كثير لانهم تلقوا الصدمة الاولى بانفسهم واستشهد منهم مالم يستشهد من غيرهم قال سعيد بن زيد كان القتال فى الميمنة شديدا وكان المسلمون ينهزمون تارة ويعودون مرة وساعة نتأخر وساعة نصبر قال ونظر خالد بن الوليد الى الميمنة وقد وصلت الى القلب فصاح بمن معه من الخيل ومال عليهم قالوا وكانوا زهاء من ستة آلاف فكبر وحمل على الروم فنكى بهم نكاية عظيمة حتى كشف أعداء الله عن الميمنة والقلب الى ان ردت الى مواضعها ووقف خالد أمامهم يطارد من كان قريبا للمسلمين قال فانكسر الروم أمام خالد ونظر خالد الى فرسانه فرآهم متبددين فنادى يا أهل الاسلام والايمان ويا حملة القرآن ويا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قد تبينت فى الروم الكسرة العظيمة ولم يبق عند القوم من الجلد والقتال الا ما رأيتم وقد كسر الله حدتهم فردوا عليهم الكسرة وشدوا عليهم الكرة رحمكم الله فوالذى نفس خالد بيده انى لأرجو أن يمنحكم الله اكتافهم فنادى المسلمون من كل جانب احمل حتى نحمل معك قال فانتضى خالد سيفه وحمل وحملت اصحابه معه قال عبد الرحمن بن الحميدى الجمحى كنت ممن حمل مع خالد فوالله لقد انكشفت الروم بين أيدينا وولت كما تولى الغنم بين يدى الاسد وتبعهم المسلمون وكانت الحملة على ميمنة الروم فانكشفوا انكشافا قبيحا وأما المسلسلة فابرحوا من مواضعهم وكانوا يرمون بالسهام وهم حماة القوم قال

يدعى له على المنابر فى الديار المصرية والشامية والحجازية وكان حسن السيرة فاقام سنتين وأربعة اشهر ومات سنة سبع وخمسين وثلثمائة (وولى أحمد بن على الاخشيد) فاقام سنة واحدة وزالت دولة الاخشيدية وكانت مدة تصرفهم أربعا وثلاثين

عبد الرحمن وكان خالد امامنا فى حملته ونحن من ورائه وكان شعارنا يا محمد يا منصور أمتك أمتك فلم يزل خالد
فى حملته ونحن من ورائه حتى وصل الى الديرجان وكان قائما فى موضعه الذى أقامه فيه ماهان معه صليب
من الجوهر ومعه أصحابه ينتظرون حملته فيحملون معه فلما وصلت خيل خالد الى موضعه قال له البطارقة
أيها الملك أما آن لك أن تحمل فنحمل معك أو تولى فقد خالطتنا خيل العرب فقال لاصحابه اعلموا أن يوم
السوء لا أحبه ولا أحب أن أراه ولا أحضره وقد أحضرنى الملك الى هذا الموقف وأنا كاره ولكن لفوا
وجهى ورأسى فى هذا الثوب حتى لا أرى الحرب قال فلفوا وجهه ورأسه فى ثوب ديباج والناس
يقتتلون حتى انهزمت الروم بين أيدى المسلمين ووصلوا الى الديرجان وهو ملفوف الرأس فحمل عليه
ضرار بن الازور فقتله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان من أحسن صنع الله تعالى بالمسلمين ان
جرجير وقناطر اختلفا وتنازعا وكان جرجير فى الميمنة مع الارمن وقناطر فى الميسرة تحته فقال جرجير
لقناطر احمل على العرب فما هذا وقت الوقوف فقال قناطر تأمرنى أن أحمل وكيف لا تحمل أنت فقال
جرجير لقناطر وكيف لا آمرك وأنا أمير عليك فقال قناطر كذبت أنت أمير وأنا أمير عليك وفوقك
وأنت مأمور لى بالطاعة فاختلفا وغضب جرجير من قول قناطر فحمل على المسلمين حملة شديدة وكانت
حملته على كنانة وقيس وخثعم وجذام وقضاعة وعاملة وغسان وهم يومئذ فيما بين الميسرة والقلب
فكشف الروم المسلمين حتى زالت عن مصافهم ولم يبق منهم الا أصحاب الرايات فقاتلوا من يليهم قتالا
شديدا وركب الروم أكتاف المسلمين المنهزمين الى أن دخلوا معهم الى معسكرهم فاستقبلهم النساء
بالعمد يضربن وجوه الخيل ويرمين وجوهها بالحجارة وينادين بهم الى أين تنهزمون يا أهل الاسلام عن
الامهات والاخوات والبنين والبنات أتريدون ان تسلمونا للاعلاج قال منهال الدوسى فلقد كانت النساء
أشد علينا غلاظة من الروم فرجع المسلمون عن الهزيمة ونادى بعضهم بعضا وتواصوا بالحق وتواصوا
بالصبر وعطفوا على الروم عطفة عظيمة قال وكان قتامة بن ايشم الكنانى امام المسلمين يضرب فى
عراض المشركين تارة بالسيف وتارة بالرمح حتى كسر ثلاثة رماح وهو يقول

سأحمل فى الروم الكلاب النوابح * وأضربهم ضربا بحد الصفائح
وأرضى رسول الله خير مؤمل * نبى الهدى للدين أشرف ناصح

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم حمل حتى كسر سيفين وجعل كلما كسر رمحا أو سيفا يقول من يعيرنى
سيفا أو رمحا فى سبيل الله وأجره على الله ثم نادى يا معاشر قيس خذوا نصيبكم من الاجر والصبر فان الصبر
فى الدنيا عز ومكرمة وفى الآخرة رحمة وفضيلة فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون قال
فاجابه قومه ونشطوا للقتال قال قتامة بن ايشم الكنانى فما رأيت مثل حملة قناطر وقومه ولقد اختلطوا بنا
واختلطنا بهم قال ورجع خالد من دهمته ومعه ألفان من أصحابه وقد وضعوا السيوف فى الروم وقتلوهم
قتلا ذريعا والقتل لا يبين فيهم لكثرتهم وأقبل خالد على الناس من كرته فرأى الناس يقولون جزى الله
قتامة بن الايشم خيرا عن الاسلام فشكره وجزاه خيرا قال وأقبلت ذرعة ابنة الحرث منحدرة عن التل
وهى تقول ما فعل خالد حتى وقفت بين يديه وقالت يا ابن الوليد أنت من العرب الكرام وانما الرجال بأمرائها
فان ثبتوا ثبتت الرجال معهم وان انهزموا انهزمت الرجال معهم فقال لها خالد ما كنت من المنهزمين وما
كنا الا نقاتل فى الاعلاج فقالت قبح الله وجه عبد نظر الى أميره ثابتا وهو منهزم عنه (قال الواقدى رحمه
الله تعالى) ونظر ماهان لعنه الله الى الميمنة من عسكره وقد عركت عراك الاديم فبعث اليهم يحرضهم على
القتال فعندها خرج علج من الروم وعليه درع سابغ والسلاح كأنه قطعة جبل وهو على شهباء عظيمة
الخلقة فبرز بين الصفين وجال على شهبائه وسأل القتال فخرج اليه غلام من الازد فجال معه جولة
حتى قتله العلج ثم دعا بالبراز فهم أن يخرج اليه معاذ بن جبل فقال أبو عبيدة يا معاذ سألتك بحق رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا ما ثبت مكانك ولزمت رايتك ولزومك الراية أحب الى من برازك الى هذا العلج

سنة وعشرة اشهر وأربعة
وعشرين يوما

(الباب الثانى فى دولة
الفواطم والدولة الايوبية
والدولة التركية المعروفين
بالمماليك البحرية ودولة
الجراكسة)

امادولة الفواطم ويقال
لهم العبيديون فسبب دخولهم
مصرانه لما مات الامير

فوقف معاذ بالراية ونادى يا معاشر المسلمين من أراد فرسا يقاتل عليه فى سبيل الله فهذا فرسى وسلاحى فجاءه ولده عبد الرحمن فقال أنا يا أبت وكان غلاما لم يحتلم قال فلبس السلاح وركب الجواد وقال يا أبت أنا خارج الى هذا العلج فان صبرت فالمنة لله على وان قتلت فالسلام عليك وان كان لك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فاوصنى بها فقال له معاذ يا بنى اقرئه منى السلام وقل له جزاك الله عن أمتك خيرا ثم قال يا بنى اخرج وفقك الله لما يحب ويرضى فخرج عبد الرحمن بن معاذ الى العلج كانه شعلة نار وحمل على العلج وضربه بالسيف فمال عنه العلج ومال اليه وضربه على رأسه فقطع العمامة وشجه شجة فاضحة أسال دمه فلما رأى العلج ذلك الدم ظن انه قتل فتأخر الى ورائه لينظر كيف يسقط عن جواده فلما نظر عبد الرحمن الى العلج وقد تأخر عنه انثنى راجعا الى المسلمين فقال له معاذ مابك يا بنى قال قتلنى العلج قال له ما الذى تريد من الدنيا يا بنى ثم انه شد جرحه قال فعندها صال العلج وحمل فردته الازد قال أبو عبيدة فمن له منكم فخرج اليه عامر بن الطفيل الدوسى وكان من أصحاب الرايات ممن شهد اليمامة مع خالد بن الوليد وكان قد رأى يوم اليمامة فى منامه فى قتال مسيلمة الكذاب كأن امرأة لقيته ففتحت له فرجها فدخل فيه ونظر اليه ابنه فأسرع ليدخل مكانه ثم استيقظ وقص ذلك على المسلمين فلم يدر احد ما تأويلها فقال ابن الطفيل أما أنا فأعرف تأويلها قالوا وما تأويلها يا ابن الطفيل قال تأويلها انى أقتل لان المرأة التى أدخلتنى فرجها هى الارض وابنى سيصيبه جراح ويوشك أن يلتقى بى قال فقاتل يوم اليمامة وأبلى بلاء حسنا وسلم ولم يلحقه أذى فلما كان يوم اليرموك شهد فيه الحرب وخرج الى قتال العلج وهو كأنه شعلة حريق أو صاعقة وطعن البطريق وكانت قناته قد شهدت معه المشاهد فاندقت بين يديه وانتضى سيفه وهزه وضرب به العلج على عاتقه فخالط أمعاءه فتنكس العلج صريعا عن جواده وأسرع عامر بن الطفيل فرمحه الى المسلمين وسلمه الى ولده وانثنى راجعا نحو الروم وحمل على الميمنة وعلى الميسرة وعلى القلب ثم قصد المتنصرة فقتل منهم فارسا ودعا للبراز فخرج اليه جبلة بن الايهم وعليه درع من الديباج المثقل بالذهب وتحتها درع من دروع التبابعة وعليه بيضة تلمع كشعاع الشمس وتحته فرس من نسل خيول عاد فلما خرج جبلة الى عامر بن الطفيل قال له من أى الناس أنت قال أنا من دوس قال جبلة انك من القرابة فابق على نفسك وارجع الى قومك ودع عنك الطمع فقال له عامر قد أخبرتك من أنا ومن قبيلتى فانت من اى العرب قال أنا من غسان وأنا سيدها جميعها أنا جبلة بن الايهم الغسانى وانما خرجت اليك حين نظرت اليك وقد قتلت هذا البطريق الشديد وهو نظير ماهان وجرجير فى الشجاعة فعلمت انك كفو فخرجت لأقتلك وأحظى عند ماهان وهرقل بقتلك فقال عامر بن الطفيل أما ما ذكرت من شدة القوم وعظم خلقهم فالله أشد منعة وهو مهلك الجبابرة وأما قولك انك تحظى بقتلى عند مخلوق مثلك فانى أريد أن أحظى بجهادى عند رب العالمين بقتلك وحمل عامر على جبلة بن الايهم والتقيا بضربتين فخرجت ضربة عامر بن الطفيل غير ممكنة وخرجت ضربة جبلة ممكنة فقطعت من قرنه الى كتفه فسقط عامر قتيلا فجال جبلة على مصرعه ووقف يعجب بنفسه وعاصمع وطلب البراز فخرج اليه ولد المقتول وهو جندب بن عامر بن الطفيل وكانت معه راية أبيه فاقبل الى أبى عبيدة وقال ايها الامير ان أبى قد قتل وأريد أن آخذ بثاره أو اقتل فادفع رايتك لمن شئت من دوس فأخذ أبو عبيدة الراية ودفعها الرجل من دوس فحملها وخرج جندب الى قتال جبلة بن الايهم وهو ينشد ويقول

سأبذل مهجتى أبدا لانى * أريد العفو من رب كريم * وأضرب فى العدا جهدى بسيفى
وأقتل كل جبار لئيم * فان الخلد فى الجنات حق * تباح لكل مقدام سليم

قال ودنا من جبلة وقال له اثبت يا قاتل أبى لاقتلك به فقال جبلة ومن أنت من المقتول قال ولده قال جبلة ما الذى حملكم على قتل نفوسكم وأولادكم وقتل النفوس محرم قال جندب ان قتل النفس فى سبيل الله محمود عند الله وننال به الدرجة العالية فقال له جبلة انى لا أريد قتلك فقال جندب وكيف أرجع وأنا

كافور اضطربت أحوال الديار المصرية وطمعت أهل القرى فى الجند فكتبت اعيان مصر الى الملك المعز الفاطمى فارسل اليهم جوهر الصقلى القائد فى مائة ألف مقاتل فدخلوا مصر فى يوم الثلاثا سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فهرب

المفجوع بأبى والله لارجعت او آخذ بثار أبى او الحق به ثم حمل على جبلة وجعلا يقتتلان وقد شخصت نحوهما الابصار ونظر جبلة الى الغلام وما أبدى من شجاعته فعلم انه شديد البأس صعب المراس فأخذ منه حذره وغسان ترمق صاحبها فرأت الغلام جندبا وقد ظهر على صاحبهم وقارنه فى الحرب فصاح بعضهم على بعض وقالوا ان هذا الغلام الذى برز الى سيدكم غلام نجيب وان تركتموه ظهر عليه فانجدوه ولا تدعوه فتأهب غسان للحملة ليستنقذوه ونظر المسلمون الى جندب وما قد ظهر منه من شجاعته وشدته ففرحوا بذلك ونظر الامير ابو عبيدة الى ذلك وما فعل فبكى وقال هكذا يكون من يبذل مهجته فى سبيل الله اللهم تقبل له فعله (قال جابر بن عبد الله) شهدت قتال اليرموك فما رأيت غلاما كان انجب من جندب بن عامر ابن الطفيل حين قاتل جبلة وبعد ذلك حمل على جبلة وضربه ضربة اوهنه بها وضربه جبلة فقتله وعجل الله بروحه الى الجنة وتحقق منام أبيه عامر بن الطفيل وجال جبلة على مصرعه وطلب البراز فصاح به قومه ارجع الينا فقد قضيت ما يجب عليك فرجع وهو معجب بنفسه حتى وقف تحت صليبه قال وبعث اليه ماهان يشكره وأصيب المسلمون بعامر بن الطفيل وولده جندب قال فعندها صاحت دوس الجنة الجنة خذوا بثار سيدكم عامر وساعدتها الازد وكانوا احلافهم وحملوا على غسان ولخم وجذام وتناشدوا الاشعار فصاح أبو عبيدة بالسلمين وقال أيها الناس سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية ومعانقة الحور العين فى جنات النعيم فما من موطن احب الى الله من هذا الموطن الا وان الصابرين فضلهم الله على غيرهم ممن لم يشهد مشهدهم هذا ولما سمعت الازد ذلك حملت مع درس وكان شعارهم يومئذ الجنة الجنة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى موسى بن محمد عن عطا ابن مراد قال سألت رجالا عدة ما كان شعار المسلمين يوم اليرموك فأخبرت ان شعار أبى عبيدة أمت أمت وشعار عبس يالعبس وشعار اليمن من اخلاط الناس يا انصار الله وشعار خالد ومن معه يا حزب الله وشعار حمير الفتح الفتح وشعار دارم والسكاسك الصبر الصبر وشعار بنى مراد يا نصر الله انزل فهذه كانت شعار المسلمين يوم اليرموك قال فلما حملت دوس تبعها الازد وقصدت العرب المتنصرة وطلبت صليبهم وفرقتهم تفريقا صعبا حتى وصلوا الى الصليب فطلب رجل منهم حامل العلم الذى لغسان فارداه عن فرسه ووقع الصليب من يده منكوسا وقتل من الازد ودوس رجال الا انهم كانوا مثل الشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود ثم كرت غسان تريد أخذ صليبهم فاقتتلوا عنده قتالا شديدا حتى قتلوا خلقا كثيرا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى هشام بن عمارة عن أبى الجريرى عن نافع عن جبير بن الحويرث عن عبد الله بن عدى قال شهدت اليرموك فكان المسلمون خمسة وعشرين ألفا فغضب الحويرث وقال كذب من حدثك بهذا الحديث فان المسلمين كانوا يوم اليرموك أحدا وأربعين ألفا وقد أديت اليك ما سمعته عمن اثق به من الرواة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وهذا أثبت الاقاويل لان المسلمين كانوا يوم اجنادين اثنين وثلاثين ألفا وجاءت الامداد بعد ذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى ابن أبى غرة عن عبد الحميد بن سهل عن جده قال لما حملت الازد يوم اليرموك ودوس ودوخت المشركين دوخة عظيمة وحمل المشركون حملة هائلة انكشف المسلمون وكان صاحب لوائهم عياض بن غنم الاشعرى فولى منهزما واللواء بيده فصاح به الناس انما ثبات القوم وأهل الحرب بالويتهم فابتدر لاخذه عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كلاهما تسابق اليه فأخذه عمرو ولم يزل يقاتل به حتى انهزمت الروم وفتح الله على أيدى المسلمين وكان اليوم الثالث من اليرموك يوما شديدا انهزمت فيه فرسان المسلمين ثلاث مرات كل مرة تردهم النساء بالحجارة والعمد ويلوحون بالاطفال اليهم فيرجعون الى القتال ولم يزل القتال قائما الى ان أقبل الليل بسواده ورجعت الروم الى مواضعها والقتل فيهم كثير وفى المسلمين قليل الا ان الجراح فيهم فاشية من النشاب فلما دخل الليل بسواده رجعت كل فرقة الى اماكنها وباتوا تحت السلاح قال وأما المسلمون فما كانت همتهم الا الصلاة وبعد ذلك شدوا الجراح وصلى أبو عبيدة رضى الله عنه وقال أيها الناس اذا عظم البلاء فانتظروا الفرج فانه يأتى

أصحاب كافور وأخذ جوهر مصر بلا ضرب ولا طعن فخطب للمعز يوم الجمعة على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها وأمر المؤذنين بجامع عمرو وبجامع ابن طولون ان يؤذنوا بحى على خير العمل التى هى من شعائر الخوارج فشق ذلك على الناس وما استطاعوا

من عند الله فاضرموا نيرانكم وتحارسوا واظهروا التهليل والتكبير وقام أبو عبيدة يمشى فى الناس هو وخالد بن الوليد يتفقدون الجرحى وهم يقول أيها الناس ان عدوكم يألم كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وباتوا طول ليلهم كله وهم طائفون على المسلمين الى أن أصبح الصباح قال وانحازت الروم الى جانب اليرموك مع ماهان الارمنى فجمع بطارقته ووبخهم وزجرهم وقال لهم قد علمت أن هذا يكون منكم وقد رأيت فشلكم وخوفكم وجزعكم من هؤلاء العرب الضعاف قال فاعتذروا اليه وقالوا غدا نبارزهم فان فينا فرسانا وشجعانا لم يقاتلوا أصلا وغدا نصدقهم الحرب فتكون لنا العاقبة قال فسكت عن توبيخهم وأمرهم أن يتأهبوا الذلك وبات الفريقان يتحارسون وقد رعبت الروم من كثرة القتال فيهم وأما المسلمون فانهم أقوى قلوبا بالشدة دينهم ويقينهم قال فلما أصبح الصباح صلى بهم أبو عبيدة صلاة الخوف واذا بالصلبان قد بدت وبرايات القوم قد طلعت فى عدد الشوك والشجر كأنهم لم يلاقوا قتالا قط فوقفوا فى مصافهم ونصب ماهان سريره على الكثيب الذى كان عليه بالامس وهو يشرف منه على العساكر فأمرهم أن يعبوا مصافهم فلما نظر أمير المؤمنين الى سرعة الروم صاح كل أمير برجاله وحرضهم على القتال فانقلبوا من الصلاة الى خيولهم ولبسوا السلاح وركبوا خيولهم ورجع كل أمير الى مكانه وهو يعظ أصحابه ويوصيهم ويعدهم من الله بالنصر وسار أبو عبيدة بين الصفوف وهو يصف لهم فضل الجهاد وما أعد الله للمجاهدين الصابرين وخلف على الذرارى والنساء والاموال والاولاد عمرو بن سعيد بن عبد الله الانصارى وجعل من الرماة خمسمائة فى الميمنة وخمسمائة فى الميسرة وخمسمائة فى القلب وطاف أبو عبيدة عليهم وقال لهم معاشر الرماة الزموا مراكزكم فان رأيتم القوم زحفوا الينا فارشقوهم بالنبال واذكروهم عند رميكم ولا تتركوها مفرقة ولتخرج سهامكم كانها من كبد قوس واحدة فان هم زحفوا اليكم فاثبتوا مكانكم حتى يأتيكم أمرى ففعلوا ما أمرهم به الامير وتقدم أبو سفيان الى ولده يزيد والراية فى يده وحوله أصحابه وقد عزم على الحملة والجهاد فقال يا بنى ان أحسنت أحسن الله اليك عليك بتقوى الله والصبر فاتق الله حق تقاته وانصر دين الله وشرع نبيه صلى الله عليه وسلم اياك والجزع فالقضاء بنا قد أمضاه فاصبر مع أصحابك صبر أولى العزم واياك ثم اياك أن يراك الله منهزما فتبوء بغضب من الله قال يزيد أصبر جهدى وطاقتى والله أسأله أن يكون معينا لى وناصرا ثم صاح يزيد برجاله وهز الراية وندبهم الى القتال وحمل على من يليه من الروم فقاتلوا قتالا عظيما ولم يزالوا حتى نكوا العدو نكاية عظيمة وأبلوا بلاء حسنا وكان قتالهم من جانب القلب ولم يزالوا كذلك حتى برز اليهم بطريق من البطارقة وبيده رمح عظيم وعليه صليب من الذهب وحوله زهاء من عشرة آلاف فارس من الروم فحملوا على الميمنة وكان فيها عمرو بن العاص ومن معه فرجعوا على أعقابهم منهزمين حتى دخلت الروم فى أوائل عسكر المسلمين عمايلى عمرا ومن معه وهم يتراجعون على الرجال فيكرون تارة ويرجعون تارة حتى تكاثرت عليهم الروم فكشفوهم حتى ألصقوهم بالتل الذى عليه النساء وأحاطوا بالتل فصاحت امرأة أين أنصار الدين أين حماة المسلمين وكان الزبير بن العوام جالسا عند زوجته أسماء بنت أبى بكر الصديق يداوى عينه وكان أرمد فلما سمع صوت المرأة وهى تنادى أين أنصار الدين قال يا أسماء ما هذه المرأة تصيح أين أنصار الدين فقالت له عفرة ابنة عثمان يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم انهزمت ميمنة المسلمين حتى ألجأهم الروم الينا وأحاط بنا الاعلاج وهذه نساء الانصار مستصرخة بأنصار الدين فقال الزبير والله انى أنا من أنصار الدين ولا يرانى الله جالسا فى مثل هذا الوقت قال ثم طرح الخرقة عن عينه واستوى جالسا على متن جواده فأخذ قناته وتسمى باسمه وقال فى حملته أنا الزبير بن العوام أنا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يطعن فيهم طعنا متداركا حتى ردهم على أعقابهم وخيلهم تنكص باذنابها قال ليث بن جابر فلله در الزبير بن العوام لقد رد الروم بنفسه وحده اذ حمل عليهم وما كان معه من العرب أحد حتى ردهم الى عسكرهم وتراجعت خيل عمرو ورجاله وهو ينادى

له ردا وأرسل بشيرا الى المعز يبشره بفتح الديار المصرية واقامة الدعوة له بها وطلبه اليها ففرح بذلك فرحا شديدا ولما دخل جوهر القائد مصر لم يعجبه مدينة الفسطاط فاخذ فى أسباب عمارة القاهرة بنية المفاخرة لبنى العباس ببنائهم بغداد فحفر اساس

الرجعة الرجعة الحزم الحزم يا أهل الاسلام الصبر الصبر فتراجعوا بعد أدبارهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وحمل جرجير الارمنى فى ثلاثين ألفا من الارمن على شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكشف أصحاب شرحبيل بن حسنة ولم يثبت غيره لقتال الروم فى عصبة من قومه دون الخمسمائة فجعل شرحبيل يحمل على الارمن وهو يقول يا أهل الاسلام لا فرار من الموت الصبر الصبر قال فتراجع أصحابه اليه وحملوا على الارمن فردوهم على أعقابهم وجعلوا يضربون فيهم حتى أصابوا من الارمن مالم يصبه الارمن منهم فرجع شرحبيل الى مكانه ودار به أصحابه فجعل يعنفهم بالقتال ويقول لهم ما الذى أصابكم حتى انهزمتم امام هؤلاء الكفرة وأنتم الحماة البررة وأهل القرآن وعباد الرحمن أما سمعتم قوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير وقال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وأنتم تهربون فقالوا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم زلة من الشيطان مثل يوم أحد وحنين وها نحن معك فاحمل حتى نحمل معك فجزاهم خيرا ووقف مكانه وكان موقفه مما يلى سعيد بن زيد وقد لزموا مواقفهم لم يتحركوا التماسا للحفيظة ونظر قيس بن هبيرة الى خيل شرحبيل وقد تراجعت فحمل بمن معه ونادى هو وأصحابه بشعارهم وكان شعارهم يا نصر الله انزل يا منصور أمت أمت وكان هذا شعارهم يوم بدر وأحد وحمل خالد بن الوليد بمن معه من ذات اليمين وحمل قيس من ذات الشمال فقاتلوهم قتالا شديدا ولله در الزبير بن العوام وهاشم بن المرقال وخالد بن الوليد لقد حملوا حملة عظيمة حتى قربوا من سرادقات ماهان وتواقعت الروم على سرادقات ماهان وخيامه فلما نظر ماهان الى ذلك نزل عن سريره هاربا وصاح بالروم وعنفهم فتراجعوا يطلبون القتال وصاح أبو عبيدة بسعيد بن زيد فحمل بمن معه وهو ينادى لا اله الا الله يا منصور أمت أمت فاقبلوا يقتلون فى الروم قتلا ذريعا فبينما المسلمون فى حملتهم اذ سمعوا قائلا يقول يا نصر الله انزل يا نصر الله أقرب أيها الناس الثبات الثبات قال عامر بن أسلم فتأملنا الصارخ فاذا هو أبو سفيان وتحت رايته ابنه يزيد قال وشدت الامراء بأجمعهم على من يليهم وقاتلوا قتالا شديدا ولم يكن فى الروم أثبت من أصحاب السلاسل فانهم ثبتوا فى أماكنهم يمنعون من أتاهم وأما الرماة وهم مائة ألف رام فكانوا اذا رشقوا سهامهم نحو العرب يسترون الشمس فلولا النصر والمعونة من الله لكان المسلمون هلكوا وانفصل المسلمون فرحين مستبشرين والمشركون قد هلك أكثرهم وبرز علج من أعلاج الروم كأنه نخلة باسقة وعليه درع مذهب وعلى رأسه بيضة مذهبة وعليها صليب من ذهب مرصع بالجوهر وهو راكب على شهباء وعليه زرد من حديد وبيده رمح طويل وأشهر نفسه وسأل البراز فنظر المسلمون الى عظم خلقته وهول جثته فجعلوا ينظرون اليه فقال أبو عبيدة لا يهولنكم ما ترون من عظم خلقته فكم رأيتم من هو عظيم خلقة ولا قلب له فمن له منكم يخرج اليه واستعينوا بالله عليه قال فخرج اليه عبد من عبيد العرب وبيده سيفه وجحفته وهو راجل فلما أراد أن يدنو من العلج صاح به مولاه ذو الكلاع الحميرى فلما رجع خرج اليه ذو الكلاع وجال عليه وكان ذو الكلاع من أهل الشدة والباس فتواقعا وكل منهما رامح فتطاعنا طعنا شديدا أشد من الجرح ثم انهما اتحدا بسيوفهما والتقيا فضرب ذو الكلاع العلج ضربة وضرب العلج ضربة وكان سيف العلج قاطعا وساعده قويا فقطع سيفه درقة ذى الكلاع وسيفه ودرعه وما تحته من الثياب ووصلت الضربة الى عضده الأيسر فجرحته جرحا بليغا وثقلت يده فلما نظر ذو الكلاع الى ما لحقه من العلج عطف بجواده يريد المسلمين ونظر العلج الى ذى الكلاع قد انعطف راجعا فصاح بجواده ليلحقه وكان فرس ذى الكلاع سابقا فلم يلحقه حتى لحق بالمسلمين فأتى قومه والدم يفور من جرحه فاجتمع فرسان قومه فقال لهم يا فرسان حمير اياكم أن تتكلوا فى قتالكم على السلاح ومنعته ولكن اتكلوا فى قتالكم على الله عز وجل قالوا وكيف ذلك أيها السيد قال لانى رددت عبدى عن القتال شفقة عليه اذ ليس

المدينة وجمع أرباب الفلك فأمرهم ان يختاروا له طالعا سعيدا يضع اساس المدينة فيه فجعل على كل جهة من اساس المدينة قوائم من خشب وبين كل قائمتين حبلا فيه أجراس من نحاس ثم وقف الفلكية ينظرون دخول الساعة الجيدة والطالع السعيد

معه لامة حرب وقالت انى أفرس منه وأجود عدة ولامة فصنع بى هذا الاغلف ماترون والله ما لحقنى قبلها فى حرب مثلها قط فشدوا جرحه ووقف مكانه ثم انه صاح بقومه يارجال حميران كان سيدكم قد رجع كلالا فمن منكم من يأخذ بثاره فانتدب فارس من فرسان حمير وعليه ممانع اليمن من الابراد والحبر كأنه جمرة نار وحمل نحو العلج مصمما وجال جولة عظيمة وطعنه طعنة أثبتها فى صدره فارداه قتيلا وعجل الله بروحه الى النار فهم الحميرى أن ينزل عن جواده ويأخذ سلبه فحمل عليه كردوس من الروم ليكشفوه عنه فردهم الحميرى صاغرين ثم رجع اليه وأخذ سلبه وأقبل به على أبى عبيدة فاعطاه اياه فدفع السلب الى قومه ورجع الى مقامه فى القتال فخرج اليه آخر فقتله وآخر فقتله فخرج اليه علج رابع فقتل الحميرى ونزل ليأخذ سلب الحميرى فرماه رجل من رماة الانصار بنبلة فوضعها فى لبته فجندله صريعا وعجل الله بروحه الى النار قال فانقلبت الروم على وجوهها وهابوا جميع المسلمين وكان ذلك البطريق الذى قتل بالنبلة من عظمائهم ويقال انه كان صاحب نابلس فصاح بهم ماهان وسكنهم عن اضطرابهم وخرج الى القتال ملك اللان واسمه مريوس وعليه لامة الملوك وعليه ديباجة وفى وسطه منطقة مرصعة بالجوهر فجال بين الصفين وشهر نفسه وقال أنا ملك اللان فلا يبرزلى الا أميركم فخرج اليه شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده لواؤه وعليه درع من حديد وهو منطق بمنطقة من الاديم وهو على جواده فقال أبو عبيدة من هذا الذى خرج قالوا له شرحبيل بن حسنة فبعث اليه أبو عبيدة يقول له ادفع الراية لمن شئت واخرج من غير راية فلما سمع ذلك سلم الراية لرجل من قومه وقال له قف بها موضعى فان قدرعلى فسلم الراية الى الامير أبى عبيدة يدفعها لمن يريد وان رجعت أخذتها فاخذها الرجل وخرج شرحبيل كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ملك اللان وهو يقول

سأحمل فى اللئام بنى الاعادى * بكل مثقف لدن حداد

فيابؤس القيصر يوم ناتى * وجمع الروم شرد فى البلاد

قال فسمع البطريق شعر شرحبيل فلم يفهمه وكان يفهم قليلا بالعربية فقال له ياعربى ما الذى تقول قال أقول كلاما تقوله العرب عند الحرب تشجع به نفوسها ونثق بوعد الله الذى وعدبه نبينا فقال ملك اللان وما الذى وعدكم به نبيكم فقال شرحبيل وعدنا الله أن يفتح لنا الارض فى الطول والعرض ونملك الشام ونكون من الظافرين بنصر الله لنا قال ملك اللان ان الله لا ينصر من يبغى وأنتم تبغون علينا وتطلبون ماليس لكم بحق فقال شرحبيل نحن قوم أمرنا الله أن نفعل ذلك والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وانى أراك تعرف كلام العرب فلو تركت ما أنت عليه من عبادة الصليب ودخلت فى دين الاسلام كنت من أهل الجنة وسعدت فقال ملك اللان ما أترك دين المسيح أبدا فان دينه حق فقال شرحبيل لا تقل انه اله معبود ولا تقل صلب وقتل فان الله سبحانه وتعالى أحياه فى الارض ماشاء ثم رفعه الى السماء ثم قال ملك اللان لن أرجع عن قولى ثم استخرج صليبا من عنقه فرفعه ووضعه على عينه وأقبل يستنصر به فغضب شرحبيل من فعاله فقال له ياويلك تبا لك ولمن معك ولمن يقول بقولك ثم حمل عليه وأخذا فى القتال وجالا جولانا عظيما فرمقتهما الابصار وجعل المسلمون يدعون لشرحبيل بالنصر والمعونة ونظر شرحبيل الى شدة الكافر ففر بين يديه كأنه منهزم فتبعه عدو الله فلما علم شرحبيل انه قد قاربه ثنى عنان جواده فطعنه بقناته يريد ان يجعلها فى نحره فزاغ المشرك عن الطعنة ونجا منها سالما ثم قال معاشر العرب أنتم لا تدعون الخديعة والمكر فقال شرحبيل ويلك أما علمت أن الحرب خدعة والمكر رأسها فقال العلج فما الذى نفعل من حيلتك قال فتضاربا حتى انقطع السيفان فى أيديهما فاعتنقا معانقة شديدة وكان المشرك أعظم جثة وأشد منعة وكان شرحبيل نحيف الجسم من كثرة الصيام والقيام قال فضغط عليه المشرك ضغطة أوجعه بها وهم أن يقتله فى سرجه والفريقان ينظران اليهما قال ضرار بن الازور فداخلنى والله الغيظ فقلت فى نفسى ويحك ياضرار يقتل هذا

ليضعوا فيه الاساس فقدر الله أن طائرا حرك تلك الاجراس فالقوا مافى أيديهم من الحجارة فى أساس السور فصاحت عليهم الفلكية القاهر فى الطالع يعنون المريخ فانه يسمى عندهم القاهر فقال اعلموا أن هذه المدينة أكثر من علكها الاتراك وكان الام

العلج كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تنظر اليه فما منعك من نصرته * (قال الواقدى رحمه الله تعالى) * فخرج ضرار نحوهما يسعى على قدميه كالظبية الخمصاء حتى قرب منهما ولا يعلمان به جميعا وكان فى يده خنجر فضرب به العلج من ورائه فاطلع الخنجر من قلبه فسقط العلج قتيلا وخلص شرحبيل من الضغطة قال فلما سقط العلج عن ظهر جواده نزل اليه شرحبيل وسلب ما كان عليه من لامة حربه وركب ضرار جواده وانثنى راجعا هو وشرحبيل نحو المسلمين فهنا المسلمون شرحبيل وشكروا ضرارا على فعله قال ثم ان شرحبيل أخذ سلب العلج فنازعه ضرار فيه فقال السلب لى وأنا قتلته وقال شرحبيل أنا آخذ السلب فاتيا أبا عبيدة فخاف أبو عبيدة ان يحكم بينهما فلا يرضون بحكمه فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول يا أمير المؤمنين ان رجلا خرج الى البراز وقاتل علجا من الاعلاج وبلغ معه الجهد الى جهد جهيد فخرج آخر من المسلمين فأعان الرجل وقتل العلج قال ولم يسم أبو عبيدة الرجلين فلمن السلب منهما فجاء الجواب من عمر بن الخطاب ان السلب للقاتل فاخذ السلب أبو عبيدة من شرحبيل واعطاه ضرارا فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) ولما قتل ضرار ملك اللان غضبت الروم فخرج فارس شجاع وطلب البراز فخرج اليه الزبير بن العوام رضى الله عنه فقتله واخذ سلبه وخرج اليه ثان وثالث ورابع فقتلهم واخذ أسلابهم فقال خالد لابى عبيدة ان الزبير قد تجرد للروم وبذل نفسه لله ولرسوله وأخاف عليه من التعب فصاح عليه ابو عبيدة وأقسم عليه فرجع الزبير الى مقامه قال وخرج من الروم بطريق فخرج اليه خالد بن الوليد وكان ملك الروسية فقتله خالد وكان زوج بنت ملك اللان فقوم سلبه وتاجه ومنطقته وصليبه ودرعه بخمسة عشر ألفا قال فاخبر ماهان بذلك فغضب وقال سيدان مناقد قتلا فى يوم واحد وانى أظن ان المسيح لا ينصرنا ثم أمر الرماة أن يرموا عن يد واحدة فرموا سهامهم وأطلقوا نحو المسلمين دفعة واحدة مائة ألف سهم فكان النشاب يقع فى عساكر المسلمين كسقوط البرد من السماء فكثرت الجراح فى الناس واعور من المسلمين سبعمائة عين فسمى يوم التعوير ذلك اليوم وكان ممن أصيب بعينه المغيرة بن شعبة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل التميمى وابو سفيان صخر بن حرب وراشد بن سعيد وكان الرجل بعد ذلك يلقى الرجل فيقول له ما الذى أصاب عينك فيقول الآخر لا تقل مصيبة بل هى محنة من الله قال وعظم وقع السهام فى عسكر المسلمين حتى ما كنت تسمع الا من يصيح واعيناه وابصراه واحدقتاه وعظم اضطراب المسلمين من ذلك قال فجذبت العرب اعنة خيولها راجعة قال ونظر ماهان اللعين الى اضطراب جيش المسلمين فحرض الرماة والروم وصاح برجاله وزحفت المسلسلة نحو المسلمين فهالهم ذلك وحمل جرجير وقناطر وقورين وقال ماهان اثبتوا على الحملة وارموا العرب بالنشاب فزادت الرماة فى رميها وزحفت المسلسلة بحديدها والبوارق تلمع من أكف الرجال كمقابيس النيران والحرب قائمة على ساق واخذ المسلمون على انفسهم اشفاقا مما نزل بهم ووصل اليهم من قلع الاحداق قال عبادة بن عامر فنظرت الى جيش الشرك وهو نحونا سائر وفرسان المسلمين متأخرة وخيولهم ناكصة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اللهم أنزل علينا نصرك الذى نصرتنا به فى المواطن كلها ثم صحت فى رجال حمير تهربون من الجنة الى النار ماهذا الفرار اما تخافون العار اما انتم بين يدى الجبار اما هو عالم الاسرار افررتم من الكفار قال فما اجابنى والله احد كانهم صم لا يسمعون قال فقلت كان قبيلتك خرست عن الجواب فجعلت اهتف بقبائل العرب فكل قد شغل بنفسه عن اجابتى فجعلت اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فما كان غير بعيد حتى نزل النصر من الله وذلك ان المسلمين قد انقلبوا راجعين نحو تل النساء ولم يثبت غير أصحاب الرايات قال عبد الله بن قرط الاسدى شهدت القتال كله فلم ار قتالا أشد من يوم التعوير ورجعت الخيل على اذنابها وقاتلت الامراء بأنفسها والرايات بأيديهم حتى كان أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمسيب بن نجية الفزارى وعبد الرحمن

كذلك وبنى الجامع الازهر ثم لما دخل المعز مصر لم يعجبه ما بناه جوهر القائد وعابه وقال لاى شئ لم تجعلها على البحر وكان قد سماها المنصورية أولا ثم لما بلغه ما وقع للفلكية غير الاسم وسماها القاهرة المعزية ولما استقر للمعز ملك مصر انفرد بها ولم يدخل

ابن أبي بكر الصديق والفضل بن العباس يقاتلون قتالا شديدا قال عبد الله بن قرط فقلت في نفسي وكم
مقدار ما يقاتلون هؤلاء وهم نفر يسير حتى ساعدتنا النساء اللاتي شهدن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم المشاهد يداوين الجرحى ويسقين الماء ويبرزن الى القتال ولم أر امرأة من نساء قريش قاتلت بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في اليمامة مع خالد مثل ما قاتلت نساء قريش يوم اليرموك حين دهمهن
القتال وخالط الروم المسلمين فضربن بالسيوف ضربا وجيعا وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وكان قد انضم النساء المهاجرات لغيرهن وقامت الحرب على ساق وتنادى النساء بانسابهن وأمهاتهن
والقابهن وجعلن يقاتلن قتال الموت ويضربن وجوه الخيل بالعمد ويلوحن بالاطفال وجعل النساء بعضهن
يقاتل المشركين وبعضهن يقاتل المسلمين حتى رجعوا الى قتال المشركين وبعضهن يسقي الماء وبعضهن
يشد الجراح قال فبينماهن يقاتلن وقد هجمت الرجال اذا انهزمت نساء لخم وجذام وخولان فخرجت خولة
بنت الازور وأم حكيم ابنة حكيم بنت الحرث وسلمى بنت لؤي وجعلن يضربن في وجوههن ورؤسهن
بالعمد ويقلن اخرجن من بيننا فانتن توهن جمعنا قال فرجعت نساء لخم وجذام يقاتلن قتال الموت وقاتلت
أم حكيم بنت الحرث امام الخيل بالسيف وما نسمع يومئذ صوت واحدة من النساء غير صوت واعظة تعظ
وأما أم حكيم فانها جعلت تنادي يا معاشر العرب احصدوا الغلف بالسيوف وأما اسماء بنت أبي بكر فانها
قرنت عنانها بعنان زوجها الزبير بن العوام فما كان يضرب ضربة الا ضربت مثلها قال فتراجع
المسلمون الى القتال حين رأوا النساء يقاتلن قتال الموت ويقول الرجل لمن يليه ان لم نقاتل نحن هؤلاء والا
فنحن أحق بالخدور من النساء فلله در نساء قريش يوم اليرموك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني
عبد الرحمن بن الفضل عن يزيد بن أبي سفيان عن مكحول قال كانت وقعة اليرموك في رجب سنة خمس
عشرة من الهجرة قال أبو عامر وحملت خولة بنت الازور على علج من الاعلاج كان قد حمل علينا
فاستقبلته وجعلت تشاغله بالسيف فضربها العلج بسيفه على قصتها فاسال دمها وسقطت الى الارض
فصاحت عفيرة بنت عفان حين نظرتها صريعة ونادت فجع والله ضرار في أخته فأخذت رأسها على
ركبتها والدم قد صبغ شعرها كالشقائق فقالت لها كيف تجدك قالت انا بخير ان شاء الله تعالى ولكني
هالكة لا محالة فهل لك علم بأخي ضرار فقالت عفيرة يا ابنة الازور ما رأيته فقالت خولة اللهم اجعلني
فداء أخي ولا تفجع به الاسلام قالت عفيرة فجهدت أن تقوم معي فلم تقم فحملناها الى أن أتينا بها موضعها
فلما كان الليل رأيتها وهي تدور وتسقي الرجال وكأن ليس بها ألم قط ونظر اليها أخوها والضربة في رأسها
فقال لها ما بك فقالت ضربني علج فقتلته عفيرة فقال لها يا أختاه ابشري بالجنة فقد أخذت لك بثار
ضرابها أو قتلت منهم أعدادا قال ولم يزل الحرب من أول النهار وكلما قرب الليل يزيد ويشتعل
وأبو عبيدة يقاتل برايته والامراء يفعلون كفعله الى أن فصل بينهما الظلام وقد قتل من الروم
يوم التعوير أربعون ألفا أو يزيدون ونقل عن خالد انه انقطع في يده ذلك اليوم تسعة أسياف ولقد أخبرنا
عن خالد بن الوليد من حضر قتال اليرموك وشاهده قال كان بعد قتال خالد عادة رجل من شجعان
الرجال قال حازم بن معن وبرز من المشركين في قلب الوقعة أصحاب الديباج والحرير والتجافيف على
الخيول الشهب والبلق كأنها من الجبال الراسيات فلما برزوا غاصوا في القلب وكروا كرة واحدة
ورفعوا في وسطهم صليبا من الجوهر وحملت ميمنتهم على ميسرتنا وميسرتهم على ميمنتنا وقد شردوا الى
النساء والنساء يضربن وجوههم فجعلن يصحن بهم الله الله لا تغموا الاسلام بهزيمتكم واتقوا ربكم قال
كان بين يدي أبي عبيدة رجل من حمير واسمه نجم بن مفرح وكان من خطباء العصر وأفصح العرب
لسانا وأجرأهم جنانا وكان رفيع الصوت حسنه جيد الخطب فقصده العرب والفصحاء يسمعون ما ينطق
به من نظمه ونثره (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني عبد الملك بن محمد عن أبيه عن حسان بن كعب
عن عبد الواحد عن عوف عن موسى بن عمران اليشكري قال رأيت نصر بن مازن وهو بجامع النيل

تحت طاعة الخلفاء
العباسية وقال انا أفضل
منهم لاني من ولد فاطمة
بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأكثر المؤرخين
يكذبونهم في ذلك ويقولون
انهم أولاد الحسين بن محمد
ابن أحمد القداح وكان
مجوسيا وقيل يهوديا وأمهم
فاطمة بنت عبيد اليهودي

يحدث عن وقعة اليرموك قال ماردّ الناس عن الهزيمة بعد قضاء الله الى نصرة الاسلام الا غلام رجل
من بنى محارب يقال له نجم بن مفرج وكان لا يتكلم الا بالسجع يؤلفه بحسن نظمه ولقد حفظنا منه يوم
اليرموك ما نحن نذكره عنه ولقد بلغنى ان البلغاء الفصحاء المتأخرين مثل الاصمعى وأبى عبيدة اللغوى
ينسجان على منواله فى حسن كلامه فكان من جملة ما وعظ به المسلمين يوم اليرموك وقت هزيمتهم أيها
الناس هذا يوم له ما بعده وقد دنا منكم قربه من بعده ولن تنالوا الجنة الا بالصبر على المكاره وتالله لا ينالها
من هو للجهاد كاره وينشد

وللّه فى عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

وأعلى الدرجات درجة الشهادة فارضوا عالم الغيب والشهادة وهذا الجهاد قد قام على ساقه وكسد
النفاق فى أسواقه وأخفى نفاقه فى نفاقه وأنتم أصحاب نبى العصر فأيستم من الثبات والنصر بشروا
روح المصطفى بثباتكم وقوموا العزم بصفاء نياتكم واياكم ان تولوا الادبار فتستوجبوا عذاب النار
وغضب الجبار فوالذى قدر الاقدار وأدار الفلك الدوار وكل شئ عنده بمقدار لقد تزينت لكم الحور
العين بأيديهم أباريق وكأس من معين فمن طلب دار البقاء هان عليه ما يلقى فحققوا حملتكم تنالوا بغيتكم
واطعنوا الصدور تنالوا الحور وشرعوا الاسنة تنالوا الجنة واغتنموا الصبر يكتب لكم الاجر
بشروا المؤمنين بحسن عملكم واياكم ان تضلوا عن سبيلكم لا توافقوا الكفار فى جهنم واعدلوا عن
طريق قولهم ووافقوا من سلف من أسلافكم فى فعلهم واسمعوا ما نزل فى القرآن من أحكامهم وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك
هم الفاسقون سيروا فقد سبق المفردون واجتهدوا فقد فاز المجتهدون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق
تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال وحمل خالد بن الوليد بعصابة حمراء وهو يفزع الروم باسمه ويقول
أنا خالد بن الوليد فبرز اليه بطريق يقال له النسطور وعليه الديباج فاقبل يدعو خالدا ويهمهم وخالد فى
فى القتال لا يشعر به ولا يدرى ما يقول فعند ما سمعه يرطن عطف عليه فاقتتلا قتالا شديدا فبينما هما فى
أشد القتال اذ كبا بخالد الجواد فوقع الفرس على يديه وهوى خالد على أم رأسه فقال الناس لا حول ولا
قوة الا بالله العلى العظيم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وخالد يقول حى حى فعلا البطريق على ظهر خالد فى
عثرته وقد سقطت قلنسوته من رأسه فصاح قلنسوتى رحمكم الله فأخذها رجل من قومه من بنى مخزوم
وناوله اياها فأخذها خالد ولبسها فقيل له فيما بعد يا أبا سليمان أنت فى مثل هذا الحال من القتال وأنت
تقول قلنسوتى فقال خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه فى حجة الوداع اخذت من شعره
شعرات فقال لى ما تصنع بهؤلاء يا خالد فقلت أتبرك بها يا رسول الله واستعين بها على القتال فقال اعدائى
فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم لا تزال منصورا ما دامت معك فجعلتها فى مقدمة قلنسوتى فلم ألق جمعا
قط الا انهزموا ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم شدها بعصابة حمراء وحمل على النسطور وضربه
على عاتقه فأخرج السيف من علائقه وانكسر من بقى من ملوكهم وكرهوا البراز بعد ذلك فكان يدعوهم
الى البراز فلا يخرج اليه أحد ولم يزل يضرب فيهم بسيفه حتى كل فاشفق عليه الحرث بن هشام المخزومى
فقال لابى عبيدة أيها الامير لقد قضى خالد ما يجب عليه وأدى السيف حقه فلم أمرته ان يريح نفسه قال
فمشى أبو عبيدة اليه وجعل يعزم عليه ان لا يتقدم ويسأله ان يريح نفسه فقال خالد أيها الامير اما والله
لأطلبن الشهادة بكل وجه فان اخطأتنى فالله يعلم نيتى وحمل فلم يرجع عن حملته حتى جلاها وذلك
ان كل المسلمين استعفوه فى حملته وأقبلوا على القتال من بعد هزيمتهم والنساء امام الرجال ولم يزل الحرب
بين الفريقين حتى انقلبت الروم على اعقابها وقد قتل منهم ألوف عديدة واما أصحاب السلاسل فتحطم
أكثرهم ووطئتهم الخيل بحوافرها ولم يزل القتال بينهم حتى مالت الشمس بغروبها وانفصل الجمعان

وخلافتهم باطلة لانهم قاموا
والخلافة العباسية قائمة
ببغداد ولا تصح البيعة
بالخلافة لامامين فى وقت
واحد ومبدأ ظهورهم
بالمغرب المهدى بالله عبيد
الله فى المهدية تولى بالمغرب
خمسة وعشرين سنة
وثلاثة أشهر ثم القائم بامر
الله محمد تولى المغرب أيضا

وقد جرت الدماء بينهم وفرشت الارض بالقتلى والجراح فاشية فى الجمعين لكن فى الروم أكثر ورجع كل
قوم الى صلاح شأنهم وعدوا أجراحهم وأما النساء فأصلحن الطعام وشددن الجروح وداوين السقام
ولم يقل أبو عبيدة لاحد من المسلمين من يكون الليلة على حرس المسلمين لما عندهم من التعب بل انه تولى
الحرس بنفسه ومعه جماعة من المسلمين قال فبينما هو يدور اذ رأى فارسين قد لقياه وهما يدوران
بدورانه فكلما قال لا اله الا الله قالا محمد رسول الله فقرب أبو عبيدة منهما فاذا هما الزبير بن العوام
وزوجته أسماء بنت أبى بكر الصديق فسلم عليهما وقال يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذى
أخرجك قال الزبير نحرس المسلمين وذلك ان أسماء قالت لى يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
المسلمون مشتغلون بأنفسهم فى هذه الليلة عن الحرس بما لحقهم من التعب فى الجهاد طول يومهم فهل لك
ان تساعدنى على حرس المسلمين فأجبتها الى ذلك فشكرهما أبو عبيدة وعزم عليهما أن يرجعا فلم يفعلا
ولم يزالا كذلك الى الصباح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى أبو عبيدة عن صفوان بن عمرو عن
عبد الرحمن بن جبير ان أبا الجعيد كان رئيسا من رؤساء أهل حمص فلما اجتمعت الروم على المسلمين
فى اليرموك دخلوا على حمص ونزلوا فى بلدة تسمى الزراعة وكان أبو الجعيد هذا قد جعلها مسكنه لطيب
هوائها ومائها وانتقل من حمص اليها فنزل عسكر الروم على الزراعة عنده وكان فيها عرس لابى الجعيد
وزوجته تزف عليه فى تلك الليلة قال فتكلف أبو الجعيد بضيافة الروم وأكرمهم وأطعمهم وسقاهم الخمر
فلما فرغوا من أمورهم قالوا هات امرأتك الينا فأبى ذلك وسبهم فأبوا الا أخذ العروس فلما امتنع عليهم
بذلك عمدوا الى العروس وأخذوها كرها منه وعبثوا بها بقية ليلتهم فبكى أبو الجعيد من حزنه ودعا عليهم
فقتلوا أولاده وكان له ولد من زوجة غيرها قال فأقبلت أم الفتى فأخذت رأس ولدها فى خمارها وأقبلت به
الى مقدم ذلك الجيش ورمت الرأس اليه وشكت حالها وقالت له انظر ما صنع أصحابك بولدى نخذ بحقى
فلم يعبأ بكلامها فقالت له أم الفتى والله لتنصرن العرب عليكم ورجعت وهى تدعو عليه فما كان الا يسير
حتى هلكوا فى أيدى المسلمين قال فلما كان يوم اليرموك بعد ما قتل النسطور أتى أبو الجعيد الى عساكر
المسلمين وقال لخالد اعلم ان هذا الجيش النازل بازائكم جيش عظيم ولو سلموا أنفسهم اليكم للقتل لما فرغتم
من قتالهم الا فى المدة الطويلة فان كدتهم لكم فى هذه الليلة بمكيدة تظفرون بها عليهم ماذا تعطونى قالوا
نعطيك كذا وكذا ولا تؤدى جزية أنت وولدك وأهل بيتك ونكتب لك بذلك عهدا الى آخر عقبك (قال
الواقدى رحمه الله تعالى) فلما استوثق منهم لنفسه مضى الى الروم وهم لا يعلمون وأتى الى واد عظيم عمقه
ماء فأنزل الروم الى جانبه وقال لهم ان هذا المنزل به العرب وأنا سأكيد لكم العرب بمكيدة يهلكون بها
قال وجعل الناقوصة فيما بين الروم والعرب ولم يعلم أحد من الروم ما عمقها قال فلما كان يوم التعوير وعلم
أبو الجعيد ان النصر للعرب وأن العرب هم المنصورون جاء أبو الجعيد الى أبى عبيدة فوجده يطوف
تلك الليلة هو وجماعة من المسلمين المهاجرين فقال لهم ما قعودكم قالوا وما نصنع قال اذا كانت ليلة غد
فأكثروا من النيران ثم رجع الى الروم لينصب عليهم حيلة فلما كانت الليلة الثانية أوقد المسلمون أكثر
من عشرة آلاف نار فلما اشتعلت النيران أقبل اليهم أبو الجعيد فقالوا قد أشعلنا النيران كما أردت فما بعد
ذلك قال أريد منكم خمسمائة رجل من أبطالكم حتى أشير عليهم بما يصنعون (قال الواقدى) فاختار من
المسلمين خمسمائة رجل من جملتهم ضرار بن الازور وعياض ورافع وعبد الله بن ياسر وعبد الله بن أوس
وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وغانم بن عبد الله ومثل هؤلاء السادات فلما اجتمعوا سار بهم
أبو الجعيد على غير المخاضة وقصد بهم عسكر الروم فلما كادوا يخالطونهم أخذ أبو الجعيد منهم رجالا ودلهم
على المخاضة ولم يكن يعلم بها أحد سواه ممن سكن اليرموك وقال لهم ناوشوهم الحرب ثم انهزموا ودعونى
وإياهم ففعلوا ذلك وصاحوا فيهم وحملوا ثم انهزموا قدامهم نحو المخاضة فعند ذلك صاح أبو الجعيد برفيع
صوته يا معشر الروم دونكم ومن انهزم فهؤلاء المسلمون قد أوقدوا نيرانهم وعولوا على الهرب قال فأقبلت

ثنتى عشرة سنة وسبعة أشهر ثم المنصور اسمعيل صاحب افريقية تولى بالمغرب فاقام اثنتين وثلاثين سنة وأولهم بمصر المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور ابن القائم بامر الله بن المهدى صاحب المغرب بويع له بالمغرب بعد موت أبيه المنصور وكان رافضيا

الروم على حال عجلة يظنون ان ذلك حق فبعضهم ركب جواده عريانا وبعضهم راجل وساروا في طلب المنهزمين وأبو الجعيد يعدو بين أيديهم الى ان أوقفهم على الناقوصة وقال لهم هذه المخاضة دونكم واياهم فأقبلوا يتساقطون في الماء كتساقط الجراد حتى هلك في الماء مالا يعد ولا يحصى عددا ولا يدركه حسبان فسميت العرب الناقوصة لنقص الروم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) هذا ماجرى للروم ولا يعلم الاول بماجرى للآخر حتى أصبحوا فنظروا المسلمين في أماكنهم فعلموا أنهم قد دهموا في الليل وقل عددهم وتبدد شملهم فقال بعضهم لبعض من كان الصائح في ليلتنا فقال الرجل الذي ينتم بزوجته وقتلتم ولده وقد أخذ بثاره منكم قال فلما أصبح ماهان وعلم الحقيقة وعلم مانزل باصحابه علم أنه هالك لا محالة وأن العرب ظافرون عليه فبعث الى قورين فقال ماترى أن أصنع وقد ظهرت العرب علينا وان حملوا علينا حملة لم ينفلت منا أحد فهل لك أن تسألهم أن يؤخروا القتال حتى نفعل الحيلة في خلاص أنفسنا فقال قورين أفعل ذلك قال فدعا ماهان برجل من لخم وبعثه الى المسلمين يقول لهم اعلموا ان الحرب سجال والدنيا زوال وقد مكرتم بنا فلا تبغوا فالبغي له مصرع وأخروا الحرب عنا يومنا هذا فاذا كان غد يكون الانفصال بيننا وبينكم قال فاقبل اللخمي الى أبي عبيدة وبلغه الرسالة فهم أبو عبيدة أن يجيبهم الى ذلك فمنعه خالد من ذلك وقال له لا تفعل أيها الامير فما عند القوم خير بعد ذلك فقال أبو عبيدة ارجع الى صاحبك وقل له لا نؤخر عنك القتال وانا على عجل من أمرنا فرجع الرسول الى ماهان فاعلمه بجواب أبي عبيدة فعظم عليه وكبر لديه وكفر وتجبر وقال لقد كنت أتربص بنفسي عن العرب أرجو بذلك الصلح فوحق الصليب لا يبرز لهم غيري ثم صرخ بالروم وأصحاب سرير الملك ومن كان يتكل عليه في الشدائد وأمرهم أن يأخذوا الاهبة فاستعدوا وخرج ماهان في مقدمة الجيش والصليب أمامه واذا بالمسلمين أخذوا مصافهم للقتال وذلك ان أبا عبيدة صلى بالمسلمين صلاة الفجر وأمرهم بالسرعة للقتال وأخذوا مواضعهم للحرب ففعلوا وقد أيقنوا أنهم منصورون على عدوهم وصف أبو عبيدة أصحاب الرايات ووقف هو وخالد في الخيل المعروفة بخيل الزحف وطلعت الشمس وخرج جرجير هو وبعض ملوك الروم ودعا بالبراز وقال لا يبرز لي الا أمير العرب فسمعه أبو عبيدة فسلم الراية الى خالد وقال أنت للراية يا أبا سليمان فان عدت من قتاله فالراية لي وان هو قتلني فامسك الراية حتى يرى عمر رأيه فقال خالد أنا لقتاله دونك فقال أبو عبيدة لا هو طلبني ولا بد لي من الخروج اليه وأنت شريكي في الاجر فخرج أبو عبيدة وما أحد من المسلمين الا وهو كاره لذلك فاقبلوا يسألونه فلج في الخروج فتركوه ورأيه فلما قرب أبو عبيدة من جرجير وعاينه قال له أنت أمير هذا الجيش فقال أبو عبيدة انا ذلك وقد جئتك الى ماطلبت من أمر البراز فدونك وعرض الميدان فاما هزمتكم أو قتلتك واقتل ماهان بعدك فقال جرجير امة الصليب تغلبكم وحمل جرجير على ابي عبيدة وحمل أبو عبيدة على جرجير وطال بينهما القتال وبقي خالد ينظر الى ابي عبيدة ويدعو له بالسلامة والنصر وجميع المسلمين يدعون له قال وفر جرجير امام ابي عبيدة وأخذ في عرض الجيش وطلب في فرار جيش المشركين في الميمنة وتبعه أبو عبيدة على أثره فعندها عطف عليه جرجير وخرج كانه الابرق والتقيا بضربتين فكان أبو عبيدة اسبق فوقعت الضربة على عاتق جرجير فخرجت من علائقه فكبر عند ذلك أبو عبيدة وكبر المسلمون ووقف أبو عبيدة على مصرع جرجير وجعل يتعجب من عظم جثته ولم يأخذ من سلبه شيأ فنادى به خالد لله درك أيها الامير ارجع الى رايتك فقد قضيت مايجب عليك فلم يرجع أبو عبيدة فاقسم عليه المسلمون أن يرجع فرجع واخذ الراية من يد خالد ونظر ماهان الى جرجير فعظم ذلك عليه وكبر لديه لانه كان ركنا من أركانهم فهم بالهزيمة ثم قال في نفسه ماذا يكون عذري عند هرقل ولا بد أن ابرز الى الحرب فان قتلت فقد استرحت من العار وان سلمت كان لي عند الملك عذر أحسن من أن اولي الادبار ثم انه اعلم رجاله انه يريد المبارزة بنفسه وأخذ عدته ولبس زينته وخرج كانه جبل ذهب يلمع ثم جمع اليه البطارقة والقسوس والرهبان وقال لهم ان الملك

يبغض الصحابة ويسبهم يوم الجمعة على المنبر الا انه كان عاقلا فاضلا أديبا حاذقا وفيه عدل للرعية وكانت مدة ولايته بمصر أربع سنين وشهرا ويومين (وتولى من بعده ولده العزيز بالله نزار) بويع له بالخلافة بعد موت أبيه المعز سنة خمس وستين وثلثمائة وكان

هرقل كان اعلم منكم بهذا الامر وانه اراد الصلح فخالفتموه فها أنا ابرز اليهم بنفسي فتقدم اليه بطريق من بطارقة السر وكان فيه نسك ودين وكان يعظم الكنائس والرهبان ويتبع ما فرض عليه في الانجيل وكان يقرب من جرجير في النسب فلما علم بقتله عظم عليه وقال وحق الصليب لأبرزن الى المسلمين وآخذ بالثار فاما أن الحق به واما ان اقتل قاتله ثم قال لماهان قد تعين علي الجهاد وأنا اودي فرض المسيح ولا بد لي من المبارزة قال فتركه ماهان فخرج وكان اسمه جرجيس وكان عليه درع وعلى الدرع ثوب حديد متقلد بسيفه ومعه قنطارية وعوذته القسوس وبخروه ببخور الكنائس واقبل اليه راهب عمورية واعطاه صليبا كان في عنقه وقال هذا الصليب من أيام المسيح يتوارثه الرهبان ويتمسحون به فهو ينصرك فاخذه جرجيس ونادى البراز بكلام عربي فصيح حتى ظن الناس انه عربي من المتنصرة فخرج اليه ضرار بن الازور كانه شعلة نار فلما قاربه ونظر اليه والى عظم جثته ندم على خروجه بالعدة التي اثقلته فقال في نفسه وما عسى يغني هذا اللباس اذا حضر الاجل ثم رجع موليا فظن الناس أنه ولى فزعا فقال قائل منهم ان ضرارا قد انهزم من العلج وما ضبط عنه قط انه انهزم وهو لا يكلم أحدا حتى سار الى خيمته ونزع ثيابه وبقي بالسراويل واخذ قوسه وتقلد بسيفه وجحفته وعاد الى الميدان كانه الظبية الخمصاء فوجد مالكا النخعي قد سبقه الى البطريق وكان مالك من الطاط اذا ركب الجواد تسحب رجلاه على الارض فنظر ضرار فاذا بمالك ينادي العلج تقدم يا عدو الله يا عابد الصليب الى الرجل النجيب ناصر محمد الحبيب فلم يجبه العلج لما داخله من الخوف منه قال فجال عليه وهم ان يطعنه فلم يجد للطعنة مكانا لما عليه من الحديد فقصد جواده وطعنه في خاصرته فاطلع السنان يلمع من الجانب الآخر فنفر الجواد من حرارة الطعنة وهم مالك أن يخرج الرمح فلم يقدر لانه قد اشتبك في ضلوع الجواد وهو على ظهره لم يقدر ان يتحرك لانه مزرر في ظهر الجواد بزنانير الى سرجه فنظر المسلمون الى ضرار وقد اسرع اليه مثل الظبية حتى وصل اليه وضربه بسيفه على هامته فشطرها نصفين وأخذ سلبه فاتاه مالك وقال ما هذا يا ضرار تشاركني في صيدي فقال ما انا بشريكك وانما أنا صاحب السلب وهو لي فقال مالك أنا قتلت جواده فقال ضرار رب ساع لقاعد آكل غير حامل فتبسم مالك وقال خذ صيدك هناك الله به قال ضرار انما أنا مازح في كلامي خذه اليك فوالله ما آخذ منه شيأ هو لك وأنت احق به مني ثم انتزع سلب العلج وحمله على عاتقه وما كاد أن يمشي به وهو يتصبب عرقا قال زهير بن عابد ولقد رأيته وهو يسير به وهو راجل ومالك فارس حتى طرحه في رحل مالك فقال أبو عبيدة بابي وامي والله قوم وهبوا انفسهم لله وما يريدون الدنيا قال فلما قتل البطريق قص جناح ماهان فصاح بقومه وجمعهم اليه وقال لهم اسمعوا يا أصحاب الملك وبلغوه عني اني ما تركت جهدي في نصرة هذا الدين وحاميت عن الملك وقاتلت عن نعمته وما أقدر ان أغالب رب السماء لانه قد نصر العرب علينا وملكهم بلادنا والآن مالي وجه ارجع به الى الملك حتى اخرج الى الحرب وابرز الى مقام الطعن والضرب وعزمت ان اسلم الصليب الى أحدكم وابرز الى قتال المسلمين فان قتلت فقد استرحت من العار ومن توبيخ الملك لي وان رزقت النصر واثرت في المسلمين اثرا ورجعت سالما علم الملك اني لم اقصر عن نصرته فقالوا ايها الملك لا تخرج الى الحرب حتى نخرج نحن الى القتال قبلك فاذا قتلنا فافعل بعدنا ما شئت قال فحلف ماهان بالكنائس الاربع لا يبرز احد قبله قال فلما حلف امسكوا عنه وعن مراجعته ثم انه دعا بابن له فدفع اليه الصليب وقال قف مكاني وقدم لماهان عدة فافرغت عليه ﴿قال الواقدي﴾ وبلغنا ان عدته التي خرج بها الى الحرب تقومت بستين ألف دينار لان جميعها كان مرصعا بالجوهر فلما عزم على الخروج تقدم له راهب من الرهبان فقال أيها الملك ما ارى لك الى البراز سبيلا ولا احبه لك قال ولم ذلك قال لاني رأيت لك رؤيا فارجع ودع غيرك يبرز فقال ماهان لست افعل والقتل احب الي من العار قال فبخروه وودعوه وخرج ماهان الى القتال وهو كانه جبل ذهب يبرق واقبل حتى وقف بين الصفين ودعا الى البراز وخوف باسمه

جوهر القائد يدبر له المملكة كما كان في زمن والده فاقام احدى وعشرين سنة وتوفي في حمام ببلبيس سنة ست وثمانين وثلثمائة (وتولى بعده الحاكم بامر الله) أبو علي منصور بن العزيز كان شر الخليقة لم يل مصر بعد فرعون اشر منه رام ان يدعي الالوهية كما ادعاها

فكان أول من عرفه خالد بن الوليد فقال هذا ماهان هذا صاحب القوم قد خرج ووالله ما عندهم شئ من الخير قال وماهان يرعب باسمه فخرج اليه غلام من الاوس وقال والله أنا مشتاق الى الجنة وحمل ماهان وبيده عمود من ذهب كان تحت فخذه فضرب به الغلام فقتله وعجل الله بروحه الى الجنة قال أبو هريرة رضى الله عنه فنظرت الى الغلام عند ماسقط وهو يشير باصبعه نحو السماء ولم يمهله ماحقه فعلمت ان ذلك لفرحه بما عاين من الحور العين قال فجال ماهان على مصرعه وقوى قلبه ودعا الى البراز فسارع المسلمون اليه فكل يقول اللهم اجعل قتله على يدى وكان أول من برز مالك النخعى الاشتر رضى الله عنه وساواه فى الميدان فابتدر مالك ماهان بالكلام وقال له أيها العلج الاغلف لا تفتر بقتلته وانما اشتاق صاحبنا الى لقاء ربه وما منا الا من هو مشتاق الى الجنة فان اردت مجاورتنا فى جنات النعيم فانطق بكلمة الشهادة او اداء الجزية والا فانت هالك لا محالة فقال له ماهان أنت صاحب خالد بن الوليد قال لا أنا مالك النخعى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهان لا بدلى من الحرب ثم حمل على مالك وكان من اهل الشجاعة فاجتهدا فى القتال فاخرج ماهان عموده وضرب به مالكا على البيضة التى على رأسه فغاصت فى جبهة مالك فشترت عينيه فمن ذلك اليوم سمى بالاشتر قال فلما رأى مالك مانزل به من ضربة ماهان عزم على الرجوع ثم فكر فيما عزم عليه فدبر نفسه وعلم ان الله ناصره قال والدم فائر من جبهته وعدو الله يظن انه قتل مالكا وهو ينظره متى يقع عن ظهر فرسه واذا بمالك قد حمل واخذته اصوات المسلمين يامالك استعن بالله يعنك على قرينك قال مالك فاستعنت بالله عليه وصليت على رسول الله وضربته ضربة عظيمة فقطع سيفى فيه قطعا غير موهن فعلمت ان الاجل حصين فلما أحس ماهان بالضربة ولى ودخل فى عسكره ❊قال الواقدى رحمه الله تعالى❊ ولما ولى ماهان بين يدى مالك الاشتر منهزما صاح خالد بالمسلمين يا اهل النصر والباس احملوا على القوم ماداموا فى دهشتهم ثم حمل خالد ومن معه من جيشه وحمل كل الامراء بمن معهم وتبعهم المسلمون بالتهليل والتكبير فصبرت لهم الروم بعض الصبر حتى اذا غابت الشمس واظلم الافق انكشفت الروم منهزمين بين أيديهم وتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون كيف شاؤا فقتلوا منهم زهاء من مائة ألف واسروا مثلها وغرق فى الناقوصة منهم مثلها او انهم لا تحصى وتفرق منهم فى الجبال والاودية وخيول المسلمين من ورائهم يقتلون و يأسرون و يأتون من الجبال بالاسارى ولم يزل المسلمون يقتلون و يأسرون الى أن راق الليل فقال أبو عبيدة اتركوهم الى الصباح فتراجعت المسلمون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم والسرادقات وآنية الذهب والفضة والزلازل والنمارق والطنافس ❊قال الواقدى❊ و وكل ابو عبيدة رجالا من المسلمين بجمع الغنائم وبات المسلمون فرحين بنصر الله حتى اصبحوا فاذا ليس للروم خبر ووقع أكثرهم فى الناقوصة فى الليل (قال عامر بن يامر) حدثنى نوفل بن عدى عن جابر بن نصر عن حامد بن مجيد قال اراد أبو عبيدة ان يحصى عدد المشركين فلم يقدر ان يحصى ذلك فامر بقطع القصب من الوادى وجعل على كل قتيل قصبة ثم عدوا القصب فاذا القتلى مائة ألف وخمسة آلاف والاسارى أربعون ألفا غير من غرق فى الناقوصة وقتل من المسلمين أربعة آلاف ووجد أبو عبيدة رؤساء فى اليرموك فلم يعلم اهم من العرب ام من الروم قال ثم انه صلى على قتلى المسلمين وسار فى طلبهم الى الجبال والاودية واذاهم براع قد استقبلهم فسألوه هل مر بك أحد من الروم قال نعم مر بى بطريق ومعه زهاء من أربعين ألفا ❊(قال الواقدى)❊ وكان ذلك ماهان لعنه الله تعالى فاتبعهم خالد بن الوليد وجعل يقفوا أثرهم ومعه عسكر الزحف فادركهم على دمشق ولما أشرف عليهم كبر وكبر المسلمون وحملوا ووضعوا فيهم السيف فقتل منهم مقتلة عظيمة وكان ماهان قد ترجل عن جواده وقيل انه ترجل ينكر نفسه و يسلم من القتل فاتاه رجل من المسلمين فحامى عن نفسه فقتله الرجل وكان قاتله النعمان بن جهلة الازدى وعاصم بن خوال اليربوعى وقد اختلفوا فى ايهما قتل ماهان ❊قال الواقدى رحمه الله تعالى❊ وخرج أهل دمشق الى لقاء خالد وقالوا له نحن على عهدنا الذى كان بيننا وبينكم

فرعون فامر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر ان يقوموا اعظاما لذكره واحتراما لاسمه فكان ذلك فى سائر مماكله حتى فى الحرمين الشريفين وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا كثير التلون فى أقواله وافعاله وله أحكام مشهورة يجمعها صاحب

قال خالد انتم على عهدكم ومضى فى طلب الروم يقتلهم حيث وجدهم حتى انتهى الى ثنية العقاب واقام تحتها ابو ماهان ومضى الى حمص ونزل بها وبلغ ذلك أبا عبيدة فسار حتى لحق به فيمن معه قال والامراء فى طلب الروم من كل جهة من الشام ثم اجتمعوا وعادوا الى دمشق وجمع ابو عبيدة الغنائم واخرج منها الخمس وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتاب البشارة والفتح بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم من أبى عبيدة عامر بن الجراح أما بعد فانا احمد الله الذى لا اله الا هو وأشكره على ما أولانا من النعم وخصنا به من كرمه ببركات نبى الرحمة وشفيع الامة صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين انى نزلت اليرموك ونزل ماهان مقدم جيوش الروم بالقرب منا ولم ير المسلمون أكثر جمعا منه فأقصى الله تلك الجموع ونصرنا عليهم بمنه وكرمه وفضله فقتلنا منهم زهاء من مائة ألف وخمسة آلاف وأسرنا منهم أربعين ألفا واستشهد من المسلمين أربعة آلاف ختم الله لهم بالشهادة ووجدت فى المعركة وسادة مقطوعة فلم أعرفها فصليت عليها ودفنتها وقتل ماهان على دمشق قتله عاصم ابن خوال وقد كان قبل وقعة الانفصال نصب عليهم رجل منهم يقال له أبو الجعيد من أهل حمص حيلة فألقاهم فى موضع يقال له الناقوصة فغرق منهم ما لا يحصى عددهم الا الله تعالى وأما من قتل من المشركين فى الاودية والجبال من المنهزمين وغيرهم وأخذت عدتهم فتسعون ألفا وقد ملكنا أموالهم وخيولهم وحصونهم وبلادهم وكتبنا اليك هذا الكتاب بعد الفتح ونزلنا فى دمشق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب وختمه ودعا بحذيفة بن اليمان ودفع الكتاب اليه وضم اليه عشرة من المهاجرين والانصار وقال لهم سيروا بكتاب الفتح والبشرى الى أمير المؤمنين وبشروه بذلك وأجركم على الله فأخذ حذيفة الكتاب وسار هو والعشرة من وقتهم وساعتهم يجدون السير ليلا ونهارا حتى قربوا من المدينة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) قال عبد الله بن عوف المالكى عن أبيه قال لما هزم الله الروم فى اليرموك وكان من أمرهم ما كان رأى عمر بن الخطاب ليلة هزيمة الروم رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى الروضة ومعه ابو بكر الصديق رضى الله عنه وكأن عمر يسلم عليهما ويقول يارسول الله ان قلبى مشغول على المسلمين وما به ثم الله بهم وقد بلغنى أن الروم فى ألف ألف وستين ألفا فقال يا عمر أبشر فقد فتح الله على المسلمين وقد انهزم عدوهم وقتل كذا وكذا ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا الآية قال فلما كان من الغد صلى عمر بالناس صلاة الفجر وأعلم الناس بما رآى فى منامه قال فاستبشر المسلمون وفرحوا وعلموا ان الشيطان لا يتمثل بالنبى صلى الله عليه وسلم وأرخوا تلك الليلة فكانت كما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم فسجد عمر لله شكرا ووصله الكتاب فقرأه عمر على الناس فارتفعت أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم قال يا حذيفة فهل قسم أبو عبيدة الغنائم فقال يا أمير المؤمنين هو منتظر كتابك وأمرك فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب الى ابى عبيدة كتابا يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله بالشام سلام عليك أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد فرحت بما فتح الله على المسلمين من نصرتهم وانهزام عدوهم فاذا وصل اليك كتابى هذا فاقسم الغنيمة بين المسلمين وفضل أهل السبق واعط كل ذى حق حقه واحفظ المسلمين وا كلأهم واشكرهم على صبرهم وفعالهم وأقم بموضعك حتى يأتيك أمرى والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه لحذيفة بن اليمان فأخذه حذيفة وسار حتى ورد على أبى عبيدة فوجده على دمشق فسلم عليه وعلى المسلمين وناوله الكتاب فلما قرأه على المسلمين قسم الغنائم فأصاب الفارس أربعة وعشرين ألف مثقال من الذهب الاحمر والراجل ثمانية آلاف وكذلك من الفضة وأعطى الفرس الهجين سهما والفرس العتيق سهمين وألحق القادمين ٢ بالعراب فلما فعل أبو عبيدة ذلك قال أصحاب الخيل ألحقتنا بالعراب فقال أبو عبيدة انى

العقل السليم والطبع المستقيم وقبائح ينكرها العرف والشرع القويم حتى انه تعدى قبحه الى أخته وأراد أن يفعل بها الفاحشة فعملت على قتله فركب ليلة الى الجبل المقطم ينظر فى النجوم فأتاه عبدان فقتلاه وحملاه الى أخته ليلا فدفنته فى دارها وذلك سنة

قسمت عليكم بما قسم النبى صلى الله عليه وسلم الغنيمة بين أصحابه فلم يقبلوا قوله فكتب الى عمر بذلك يعلمه باختلاف الناس فى الخيل والهجين والعراب فكتب اليه عمر يقول أما بعد فقد عملت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تتعد حكمه فاعط الفرس العربى سهمين والهجين سهما واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرب العربى وهجن الهجين يوم خيبر فجعل للهجين سهما وللعربى سهمين فلما ورد الكتاب على أبى عبيدة وقرأه على المسلمين قال ما أراد أبو عبيدة أن يحقر رجلا منكم ولكن تبعت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما قسم أبو عبيدة الغنائم على المسلمين قال له خالد بن الوليد ان رجلا من المسلمين تشفع بى اليك أن تلحق فرسه الهجين بفرسه العتيق العربى وتعطيه سهمين فأبى أبو عبيدة وقال والله ان سف التراب أحب الى من ذلك (وروى) عثمان أن ابن الزبير قال شهدت جدى الزبير بن العوام يوم اليرموك ومعه فرسان يتعقب عليهما للقتال يركب هذا يوما وهذا يوما فلما كان وقت قسم الغنائم أعطاه أبو عبيدة ثلاثة أسهم له سهم ولفرسه سهمان فقال الزبير أما تصنع بى كما صنع بى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر كان معى فرسان فأسهمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر خمسة أسهم لفرسى أربعة وأعطانى سهما وقال المقداد بن عمرو كنت أنا وأنت يوم بدر ومعنا فرسان لا غيرهما فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمين سهمين للفرسين قال أبو عبيدة انك لصادق يا مقداد أنا أتبع فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطى الزبير وأقبل جابر بن عبد الله الانصارى فشهد عند أبى عبيدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الزبير يوم خيبر خمسة أسهم فلما فعل ذلك أتى رجال من رجال العرب لكل واحد منهم أربعة افراس وخمسة افراس فقالوا ألحقنا بالزبير قال فاستأذن عمر فى ذلك فقال صدق الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه يوم خيبر خمسة أسهم فلا تعط غيره مثله وروى عروة عن أبى الزبير قال اتى الزبير غلاما كان قد وقع بيده يوم غنيمة عمان فهرب منه فلما كان يوم اليرموك قبل قسم الغنائم عرفه فقبض عليه وأخذ بيده فقال له الموكل على حفظ الغنيمة لست أدعك فبينما هما فى المحاورة اذ أقبل أبو عبيدة فقال ما بالكما فقال الزبير أيها الامير هذا غلامى وصل الى من غنيمة عمان وهرب منى وقد رأيته الآن فلا بد لى منه فقال أبو عبيدة صدق ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو له وأنا سلمته له من غنيمة عمان فسلمه اليه فأخذه الزبير قال زيد المرادى هربت منا جارية الى العدو وظفرنا بها يوم اليرموك فى قسم الغنائم فكلمنا أبا عبيدة فيها فكتب الى عمر فرد اليه الجواب ان كانت جارية حربية ففيها السهام والا فلا سبيل اليها وان كانت لم تجر فيها السهام فردوها فكان القوم لا يرضون بهذا من أبى عبيدة فقال أبو عبيدة والله الذى لا اله الا هو هذا كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يحكم بما أمرتكم فقبل قوله ودفع الجارية الى القسم (قال الواقدى) حدثنى اوفى بن عبد ربه عن سالم مولى حذيفة بن اليمان عن القاسط بن سلمة عن عدى بن عاصم عمن حدثه عن فتوح الشام قال لما هزم الله الروم باليرموك على يد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ الخبر الى هرقل بهزيمة جيشه وقد قتل ماهان وجرجير وغيرهما قال علمت أن الامر يصل الى هذا ثم أقام ينتظر ما يجرى من المسلمين

﴿ذكر فتح مدينة بيت المقدس﴾

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأما ما كان من المسلمين فانهم أقاموا على دمشق شهرا فجمع أبو عبيدة أمراء المسلمين وقال لهم أشيروا على بما أصنع وأين أتوجه فاتفق رأى المسلمين اما الى قيسارية واما الى بيت المقدس فقال فما الذى ترون منهما فقالوا أنت الرجل الامين وما تسير الى موضع الا ونحن معك فقال معاذ بن جبل اكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فحيث أمرك فسر واستعن بالله فقال أصبت الرأى يا معاذ فكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعلمه انه قد عزم على قيسارية أو الى بيت المقدس وانه منتظر ما يأمره به والسلام وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعى وأمره بالمسير فسار حتى وصل

احدى وأربعمائة فتصرف خمسا وعشرين سنة وشهرا واحدا وبنى الجامع المعروف به الكائن بالقاهرة فيما بين بابى النصر والفتوح ولما بناه قصد قطع الخطبة بالجامع الازهر فقدر الله انه ماخطب به الا ولده من بعده (وتولى من بعده ابنه الظاهر) لدين الله أبو الحسن على بن

المدينة فأرسل الكتاب لعمر رضى الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فى الامر فقال
على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين مر صاحبك أن يسير الى بيت المقدس فيحدقوا بها ويقاتلوا
أهلها فهو خير الرأى وأكبره واذا فتحت بيت المقدس فاصرف جيشه الى قيسارية فانها تفتح بعدها
ان شاء الله تعالى كذا أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت يا أبا الحسن فكتب اليه (بسم
الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله بالشام أبى عبيدة أما بعد فانى أحمد الله الذى
لا اله الا هو وأصلى على نبيه وقد ورد على كتابك وفيه تستشيرنى فى أى ناحية تتوجه اليها
وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير الى بيت المقدس فان الله سبحانه وتعالى يفتحها على
يديك والسلام عليك ثم طوى الكتاب ودفعه الى عرفجة وأمره أن يعجل بالمسير فسار على قدم أبى
عبيدة فوجده على الجابية فدفع الكتاب اليه فقراه على المسلمين ففرحوا بسيرهم الى بيت المقدس فعندها
دعا أبو عبيدة بخالد بن الوليد وعقد له راية وضم اليه خمسة آلاف فارس من خيل الزحف وسرحه
الى بيت المقدس ثم دعا بيزيد بن أبى سفيان وعقد له راية على خمسة آلاف وامره ان يلحق بخالد الى بيت
المقدس وقال له يا ابن أبى سفيان ما علمتك الا ناصحا فاذا أشرفت على بلد ايلياء فارفعوا أصواتكم
بالتهليل والتكبير واسألوا الله بجاه نبيه ومن سكنها من الانبياء والصالحين أن يسهل فتحها على أيدى
المسلمين فأخذ يزيد الراية وسار يريد بيت المقدس فسار ثم دعا شرحبيل بن حسنة كاتب وحى النبى صلى
الله عليه وسلم وعقد له راية وضم اليه خمسة آلاف فارس من أهل اليمن وقال له سر بمن معك حتى تقدم
بيت المقدس وانزل بعسكرك عليها ولا تختلط بعسكر من تقدم قبلك ثم دعا بالمرقال بن هاشم بن عتبة بن أبى
وقاص وضم اليه خمسة آلاف فارس مع جمع من المسلمين وسرحه على أثر شرحبيل بن حسنة وقال له انزل
على حصنها وأنت منعزل عن أصحابك ثم عقد راية خامسة فسلمها للمسيب بن نجبة الفزارى وأمره ان يلحق
بأصحابه وضم اليه خمسة آلاف فارس من النخع وغيرهم من القبائل وعقد راية سادسة وسلمها الى قيس
ابن هبيرة المرادى وضم اليه خمسة آلاف فارس وسيره وراءهم ثم عقد راية سابعة وسلمها الى عروة بن مهلهل
ابن زيد الخيل وضم اليه خمسة آلاف فارس وسيره وراءهم فكان جملة من سرحه أبو عبيدة الى بيت
المقدس خمسة وثلاثين ألفا وسارت السبعة أمراء فى سبعة أيام فى كل يوم أمير وذلك كله يرهب به أعداء
الله فبقى كل يوم ينزل عليهم أمير بجيشه فكان أول من طلع عليهم بالراية خالد بن الوليد فلما أشرف عليهم
كبر وكبر أصحابه فلما سمع أهل بيت المقدس ضجيج أصواتهم انزعجوا وتزعزعت قلوبهم وصعدوا على
أسوار بلدهم فلما نظروا الى قلة المسلمين استحقروهم وظنوا أن ذلك جميع المسلمين فنزل خالد ومن معه
على باب أريحاء وأقبل فى اليوم الثانى يزيد بن أبى سفيان وفى اليوم الثالث شرحبيل بن حسنة وأقبل
فى اليوم الرابع المرقال وأقبل فى اليوم الخامس المسيب بن نجبة وأقبل فى اليوم السادس قيس بن هبيرة
فنزل وأقبل فى اليوم السابع عروة بن مهلهل بن زيد الخيل فنزل على طريق الرملة قال عبد الله بن
عامر بن ربيعة الغطفانى ما نزل احد من المسلمين على بيت المقدس الا وكبر وصلى ما قدره الله عليه ودعا
بالنصر والظفر على الاعداء ويقال ان خالدا كان هو وابو عبيدة قال فلما مضى العسكر أقام أبو عبيدة
وخالد وبقية المسلمين والذرارى والسواد والغنم وما أفاء الله على المسلمين من المواشى والاموال فلم يبرحوا
من مكانهم قال واقام العسكر على بيت المقدس ثلاثة أيام لا يبارزهم حرب ولا ينظرون رسولا يأتى اليهم
ولا يكلمهم أحد من أهلها الا انهم قد حصنوا أسوارهم بالمجانيق والطوارق والسيوف والدرق
والجواشن والزرد الفاخر قال المسيب بن نجبة الفزارى ما نزلنا ببلد من بلاد الشام فرأينا أكثر زينة
ولا أحسن عدة من بيت المقدس وما نزلنا بقوم الا وتضعضعوا وداخلهم الهلع وأخذتهم الهيبة الا أهل
بيت المقدس نزلنا بازائهم ثلاثة أيام فلم يكلمنا منهم أحد ولا ينطقون غير أن حارسهم شديد وعدتهم كاملة
فلما كان فى اليوم الرابع قال رجل من البادية لشرحبيل بن حسنة أيها الامير كأن هؤلاء القوم صم

الحاكم وهو الرابع من
الخلفاء العبيدية الفاطمية
وكان عمره ست عشرة سنة
فاقام مثلها وسبعة أشهر
وفعل أفعالا تقرب من
أفعال والده ومات يوم
الاحد سنة سبع وعشرين
وأربعمائة (وتولى من بعده
أبو أحمد المستنصر) بالله
معد بن الظاهر فاقام ستين

فلا يسمعون أو بكم فلا ينطقون أو عمى فلا يبصرون ازحفوا بنا اليهم فلما كان فى اليوم الخامس وقد صلى
المسلمون صلاة الفجر كان أول من ركب من المسلمين من الامراء لسؤال أهل بيت المقدس يزيد بن أبى
سفيان فشهر سلاحه وجعل يدنو من سورهم وقد أخذ معه ترجمانا يبلغه عنهم ما يقولون فوقف بازاء سورهم
بحيث يسمعون خطابه وهم صامتون فقال لترجمانه قل لهم أمير العرب يقول لكم ماذا تقولون فى اجابة
الدعوة الى الاسلام والحق وكلمة الاخلاص وهى كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله حتى يغفر لكم ربنا
ماسلف من ذنوبكم وتحقنون بها دماءكم وان أبيتم ولم تجيبونا فصالحونا عن بلادكم كما صالح غيركم ممن هو
أعظم منكم عدة وأشد منكم وان ابيتم هاتين الخالتين حل بكم البوار وكان مصيركم الى النار قال فتقدم
الترجمان اليهم وقال لهم من المخاطب عنكم فكلمه قس من القساوسة عليه مدارع الشعر وقال انا المخاطب
عنهم ماذا تريد فقال الترجمان ان هذا الامير يقول كذا وكذا ويدعوكم الى احدى هذه الخصال الثلاث
اما الدخول فى الاسلام او اداء الجزية واما السيف قال فبلغ القس من وراءه ما قال الترجمان قال فضجوا
بكلمة كفرهم وقالوا لا نرجع عن دين العز والقبول وان قتلنا أهون علينا من ذلك فبلغ الترجمان ذلك
ليزيد قال فمشى الى الامراء وأخبرهم بجواب القوم قال لهم ما انتظاركم بهم فقالوا ان الامير أبا عبيدة
ما أمرنا بالقتال ولا بحرب القوم بل بالنزول عليهم ولكن نكتب الى امين الامة فان أمرنا بالزحف
زحفنا فكتب يزيد بن أبى سفيان الى أبى عبيدة يعلمه بما كان من جواب القوم فالذى تأمر فكتب اليهم
أبو عبيدة يأمر بالزحف وانه واصل فى أثر الكتاب فلما وقف المسلمون على كتاب ابى عبيدة فرحوا
واستبشروا وباتوا ينتظرون الصباح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى ان المسلمين باتوا تلك الليلة
كانهم ينتظرون قادما يقدم عليهم من شدة فرحهم بقتال أهل بيت المقدس وكل أمير يريد أن يفتح على
يديه فيتمتع بالصلاة فيه والنظر الى آثار الانبياء قال فلما أضاء الفجر أذن وصلت الناس صلاة الفجر قال
فقرأ يزيد لاصحابه يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا الآية فيقال ان الامراء
اجرى الله على ألسنتهم فى تلك الصلاة أن قرؤا هذه الآية كانهم على ميعاد واحد فلما فرغوا من الصلاة
نادوا النفير النفير يا خيل الله اركبى قال فأول من برز للقتال حمير ورجال اليمن وبرز المسلمون للحرب
كانهم اسود ضارية ونظر اليهم أهل بيت المقدس وقد انشرحوا للقتال فنشطهم ورشقوا المسلمين بالنشاب
فكانت كالجراد فجعل المسلمون يتلقونها بدرقهم فلم تزل الحرب بينهم من الغد الى الغروب يقاتلون قتالا
شديدا ولم يظهروا فزعا ولا رعبا ولم يطمعوهم فى بلدهم فلما غربت الشمس رجع الناس وصلى
المسلمون ما فرض الله عليهم واخذوا فى اصلاح شأنهم وعشائهم فلما فرغوا من ذلك اوقدوا النيران
واستكثروا منها لان الحطب عندهم كثير فبقى قوم يصلون وقوم يقرؤن وقوم يتضرعون وقوم نائمون مما
لحقهم من التعب والقتل فلما كان الغد بادر المسلمون اليهم وذكروا الله كثيرا واثنوا عليه وصلوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدمت رماة النبل وأقبلوا يرمون ويذكرون الله وهم يضجون الى الله
بالدعاء (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولم يزل المسلمون على القتال عدة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون
الفرح وانه ليس على قلوبهم من هم ولا جزع فلما كان اليوم الحادى عشر أشرفت عليهم راية أبى عبيدة
يحملها غلامه سالم ومن ورائها فرسان المسلمين وأبطال الموحدين وقد أحدقوا بأبى عبيدة وخالد عن يمينه
وعبد الرحمن بن ابى بكر عن يساره وجاءت النسوان والاموال وضج الناس ضجة واحدة بالتهليل والتكبير
فاجابتهم القبائل ووقع الرعب فى قلوب أهل بيت المقدس فانقلب كبارهم وعظماؤهم وبطارقتهم الى
البيعة العظمى عندهم وهى القمامة فلما وقفوا بين يدى جاثليقهم وكانوا يعظمونه ويجلونه فلما سمعوا
تلك الضجة دخلوا عليه ووقفوا بين يديه وخضعوا له وقالوا يا أبانا قد قدم أمير القوم الينا ومعه بقية
المسلمين وهذه الضجة بسببه فلما سمع بتركهم وجاثليقهم تغير لونه وتغير وجهه وقال هى هى قالوا ماذلك
أيها البترك والاب الكبير قال وحق الانجيل ان كان قدم أميرهم فقد دنا هلاككم والسلام قالوا وكيف

سنة بتقديم السين المهملة
على المثناة الفوقية وأربعة
أشهر ولم يقم هذه المدة خليفة
ولا ملك فى الاسلام قبله
وحصل فى مدته غلاء عظيم
لم يعهد مثله الا ما كان فى
زمن يوسف عليه السلام
فكث سبع سنين حتى
أكل الناس بعضهم
بعضا وبيع الرغيف

ذلك قال لا نا نجد في العلم الذي ورثناه عن المتقدمين ان الذي يفتح الارض في الطول والعرض هو الرجل الاسمر الاحور المسمى بعمر صاحب نبيهم محمد فان كان قد قدم فلا سبيل لقتاله ولا طاقة لكم بنزاله ولا بد لي ان أشرف عليه وأنظر اليه والى صورته فان كان اياه عمدت الى مصالحته وأجبته الى ما يريد وان كان غيره فلا نسلم اليه قط لان مدينتنا لا تفتح الا على يد من ذكرته لكم والسلام ثم انه وثب قائما والقسوس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه وفتحوا الانجيل بين يديه ودارت البطارقة من حوله وصعد على السور من الجهة التي فيها أبو عبيدة فنظر الى المسلمين وهم يسلمون عليه ويعظمونه ثم يرجعون الى القتال كأنهم الأسد الضارية فناداهم رجل ممن كان يمشي بين يدي البترك فقال يا معاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نستخبركم ونسألكم قال فامسك الناس عن القتال فناداهم رجل من الروم بلسان عربي فصيح اعلموا ان صفة الرجل الذي يفتح بلدنا هذا وجميع الارض عندنا فان كان هو أميركم فلا نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم يكن اياه فلا نسلم اليكم ابدا (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما سمع المسلمون ذلك أقبل نفر منهم الى أبي عبيدة وحدثه بما سمعوه قال فخرج أبو عبيدة اليهم الى أن حاذاهم فنظر البترك اليه وقال ليس هو هذا الرجل فابشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم وحريمكم فلما سمعوا قوله رفعوا أصواتهم واعلنوا بكلمة كفرهم واقبلوا يقاتلون القتال الشديد وعاد البترك الى القمامة ولم يخاطب أبا عبيدة بكلمة واحدة بل أمر قومه بالحرب والقتال وعاد أبو عبيدة الى أصحابه فقال خالد ما كان منك أيها الامير فقال لا علم لي غير اني خرجت اليهم كما رأيت وأشرف على شيطان من شياطينهم الذي يضلهم فما هو غير أن نظر لي وتأملني حتى ضجوا ضجة واحدة وولى عني ولم يكلمني فقال خالد يوشك أن يكون لهم في ذلك تأويل ورأي فنقف عليه ونعلم نبأه ثم قال شدوا عليهم الحرب والقتال فشد عليهم المسلمون (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان نزول المسلمين على بيت المقدس في أيام الشتاء والبرد وظنت الروم ان المسلمين لا يقدرون عليهم في ذلك الوقت قال وزحف المسلمون اليهم وبرزت النبالة من أهل اليمن وهم أصحاب القسي ورشقوهم بالنبل وكانوا غير محترزين من النبل لقلة اكتراثهم به حتى رأوا النبل ينكسهم على رؤسهم من وراء ظهورهم وهم لا يشعرون قال مهاهل لله در عرب اليمن فلقد رأيتهم يرمون بالنبل الروم فيتهافتون من سورهم كالغنم فلما رأوا ما صنع بهم النبل احترزوا منه وستروا السور بالحجف والجلود وعبايد النبل قال ونظرت الروم الى ضرار بن الازور وقد أقبل نحو الباب الاعظم وعليه بطريق كبير وعلى رأسه صليب من الجوهر وحوله غلمان وعليهم الطوارق وبايديهم القسي الموترة والعمد وهو يحرض القوم على القتال قال عوف بن مهاهل فنظرت الى ضرار وقد قصد نحوه وهو يختفي ويستتر الى ان قرب من البرج الذي عليه البطريق ثم أطلق اليه نبلة قال عوف فنظرت الى النبلة مع علو هذا الجدار وقد خرجت من قوس ضرار والبرج عال رفيع فقلت وما تكون هذه النبلة مع علو هذا الجدار وما الذي تصنع في هذا العلج وعليه هذه اللامة اللامعة فاقسم بالله لقد وقعت هذه النبلة في فيه فتردى الى أسفل برجه فسمعت للقوم ضجة عظيمة وجولة هائلة فعلمت انه قتل قال ولم يزل أبو عبيدة ينازل بيت المقدس أربعة اشهر كاملة وما من يوم الا وبقاتلهم قتالا شديدا والمسلمون صابرون على البرد والثلج والمطر فلما نظر أهل بيت المقدس الى شدة الحصار وما نزل بهم من المسلمين قصدوا القمامة ووقفوا بين يدي بتركهم وسجدوا بين يديه وعظموه وقالوا له يا أبانا قد دار علينا حصار هؤلاء العرب ورجونا ان يأتينا امدد من قبل الملك ولا شك انه اشتغل عنا بنفسه من أجل هزيمة جيشه وانهم أشهى منا القتال وانتم من يوم نزلوا علينا لم تخاطبهم بكلمة واحدة ولم تجبهم احتقارا منا لهم والآن قد عظم علينا الامر وانا نريد منك ان تشرف على هؤلاء العرب وتنظر ما الذي يريدون منا فان كان أمرهم قريبا أجبنا الى ما يريدون ويطلبون وان كان صعبا فتحنا الأبواب وخرجنا اليهم فاما ان نقتل عن آخرنا واما ان نهزمهم عنا فاجابهم البترك الى ذلك واشتغل بلباسه وصعد معهم على السور وحمل الصليب بين

الواحد بخمسين دينارا وخرجت امرأة بعقد جواهر وطلبت عوضه مد بر فلم تجد فالقته وماتت جوعا فلم يوجد من يأخذه وتوفي المستنصر سنة سبع وثمانين وأربعمائة وبعد موته صار التصرف في الامور لوزرائهم ولم يبق للفواطم من الخلافة سوى

يديه واجتمع القسوس والرهبان حوله وبايديهم الأناجيل مفتحة والمباخر حتى أشرف على المكان الذى فيه أبو عبيدة فنادى منهم رجل بلسان فصيح العربية يا معاشر العرب ان عمدة دين النصرانية وصاحب شريعتها قد أقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فاخبروا أبا عبيدة بمقالهم فقال والله انى لا جيبه حيث دعانى ثم قام أبو عبيدة وجماعة من الامراء والصحابة ومعه ترجمان فلما وقف بازائه قال لهم الترجمان ما الذى تريدون منا فى هذه البلدة المقدسة ومن قصدها يوشك أن الله يغضب عليه ويهلكه فاخبره الترجمان بذلك فقال قل لهم نعم انها بلدة شريفة ومنها أسرى بنبينا الى السماء ودنا من ربه كقاب قوسين أو أدنى وانها معدن الانبياء وقبورهم فيها ونحن أحق منكم بها ولا نزال عليها أو يملكنا الله اياها كما ملككا غيرها قال البترك فما الذى تريدون منا قال أبو عبيدة خصلة من ثلاث أولها ان تقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فان أجبتم الى هذه الكلمة كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا قال البترك انها كلمة عظيمة ونحن قائلوها الا ان نبيكم محمد ما نقول انه رسول قال أبو عبيدة كذبت يا عدو الله انك لم توحد قط وقد أخبرنا الله فى كتابه أنكم تقولون المسيح ابن الله لا اله الا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال البترك هذه خصلة لا نجيبكم اليها فما الخصلة الثانية فقال أبو عبيدة تصالحوننا عن بلدكم أو تؤدون الجزية الينا عن يد وأنتم صاغرون كما أداها غيركم من أهل الشام قال البترك هذه الخصلة أعظم علينا من الاولى وما كنا بالذى يدخل تحت الذل والصغار أبدا فقال أبو عبيدة ما نزال نقاتلكم حتى يظفرنا الله بكم ونستعبد أولادكم ونساءكم ونقتل منكم من خالف كلمة التوحيد وعكف على كلمة الكفر فقال البترك فانا لا نسلم مدينتنا أو نهلك عن آخرنا وكيف نسلمها وقد استعددنا بآلة الحرب والحصار وفيها العدة الحسنة والرجال الشداد ولسنا كمن لاقيتم من أهل المدن الذين أذعنوا لكم بالجزية فانهم قوم غضب عليهم المسيح فادخلهم تحت طاعتكم ونحن فى بلدنا من اذا سأل المسيح ودعاه أجاب دعوته فقال أبو عبيدة كذبت والله يا عدو الله ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام فقال أنا أقسم بالمسيح انكم لو أقمتم علينا عشرين سنة ما فتحتموها أبدا وانما تفتح لرجل صفته ونعته فى كتبنا ولسنا نجد صفته ونعته معك أبدا فقال أبو عبيدة وما صفة من يفتح مدينتكم قال البترك لا نخبركم بصفته لكن نجد فى كتبنا وما قرأناه من علمنا أنه يفتح هذه البلدة صاحب محمد اسمه عمر يعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم قال فلما سمع أبو عبيدة ذلك من كلام البترك تبسم ضاحكا وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم أقبل عليه وقال له اذا رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندى وعدد سنينه وأيامه قال أبو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا فقال البترك ان كان الامر كما ذكرت فقد علمت صدق قولنا فاحقن الدماء وابعث الى صاحبك يأت فاذا رأيناه وتبيناه وعرفنا صفته ونعته فتحنا له البلد من غير هم ولا نكد وأعطينا الجزية فقال أبو عبيدة فانى أبعث اليه بان يقدم علينا أفتحبون القتال أم نكف عنكم فقال البترك معاشر العرب ألا تدعون بغيكم أخبركم باننا قد صدقناكم فى الكلام طلبا لحقن الدماء وأنتم تأبون الا القتال قال أبو عبيدة نعم لان ذلك أشهى الينا من الحياة نرجو به العفو والغفران من ربنا قال فأمر أبو عبيدة بالكف عنهم وانصرف البترك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فجمع أبو عبيدة الامراء والمسلمين اليه وأخبرهم بما قال البترك فرفع المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا افعل أيها الامير واكتب الى أمير المؤمنين بذلك فلعله يسير الينا ويفتح هذا البلد علينا فقال شرحبيل بن حسنة اصبر حتى نقول لهم ان الخليفة معنا ويتقدم خالد اليهم فاذا نظروا اليه فتحوا الباب وكفينا التعب وكان خالد أشبه الناس بعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلما أصبح الصباح قال له الترجمان قد جاء الخليفة وكان قد قال أبو عبيدة لخالد فركبوا جميعا وقالوا قد جاء الرجل الذى تطلبونه فعرفوا البترك فاقبل الى أن وقف على السور وقال له قل له يتقدم بحيث نراه عيانا

الاسم ✻ وتولى من بعده المستعلى بالله ✻ أبو القاسم ولد المستنصر المذكور فأقام سبع سنين وتوفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة ✻ وتولى من بعده الآمر بأحكام الله ✻ أبو على منصور بن المستعلى تولى وعمره خمس سنين فأقام تسعا وعشرين سنة

فتقدم خالد فتبينه وقال وحق المسيح كأنه هو ولكن باقي العلامات ماهي فيه فبحق دينك من أنت فقال
أنا من بعض أصحابه فقال البترك يا فتيان العرب كم يكون هذا الخداع فيكم وحق المسيح ان لم تر الرجل
الموصوف ما نفتح لكم ولا يرجع أحد منا يكلمكم ولو أقمتم علينا عشرين سنة ثم ولى ولم يتكلم فقال
المسلمون عند ذلك اكتبوا الى أمير المؤمنين وعرفوه بذلك فعسى أن يأتي ويتشرف بهذه البقعة فكتب أبو
عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عامله أبي عبيدة
عامر بن الجراح أما بعد السلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم واعلم يا أمير المؤمنين انا منازلون لاهل مدينة ايلياء نقاتلهم أربعة أشهر كل يوم نقاتلهم ويقاتلوننا
ولقد لقي المسلمون مشقة عظيمة من الثلج والبرد والامطار الا انهم صابرون على ذلك ويرجون الله ربهم
فلما كان اليوم الذي كتبت اليك الكتاب فيه أشرف علينا بتركهم الذي يعظمونه وقال انهم يجدون في
كتبهم انه لا يفتح بلادهم الا صاحب نبينا واسمه عمر وانه يعرف صفته ونعته وهو عندهم في كتبهم وقد سألنا
حقن الدماء فسر الينا بنفسك وأنجدنا لعل الله ان يفتح هذه البلدة علينا على يديك ثم انه طوى الكتاب
وختمه وقال يا معاشر المسلمين من ينطلق بكتابي هذا وأجره على الله فاسرع بالاجابة ميسرة بن مسروق
العبسي وقال أنا اكون الرسول وأرجع مع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان شاء الله تعالى قال أبو
عبيدة فخذ الكتاب بارك الله فيك فأخذه ميسرة واستوى على ناقة له كوماء ولم يزل سائرا الى أن دخل
المدينة فدخلها ليلا وقال والله لانزلت عند أحد من الناس فاناخ ناقته على باب المسجد وعقلها ودخل
المسجد وسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قبر أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ثم أتى
مكانا في المسجد فنام وكان له ليال عدة لم ينم فأخذته عيناه فما استيقظ الا على أذان عمر وكان عمر يغلس
في الاذان فلما أذن دخل المسجد وهو يقول الصلاة رحمكم الله قال ميسرة فقمت وتوضأت وصليت خلف
عمر صلاة الفجر فلما انحرف عن محرابه تقدمت اليه وسلمت عليه فلما نظر الى صافحني واستبشر وقال ميسرة
ورب الكعبة ثم قال ما وراءك يا ابن مسروق قلت الخير والسلامة يا أمير المؤمنين ثم ناولته الكتاب فقرأه
على المسلمين فاستبشروا به فقال ما ترون رحمكم الله فيما كتب به أبو عبيدة فكان أول من تكلم عثمان
ابن عفان رضى الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أذل الروم وأخرجهم من الشام ونصر المسلمين
عليهم وقد حاصر أصحابنا مدينة ايلياء وضيقوا عليهم وهم في كل يوم يزدادون ذلا وضعفا ورعبا فان أنت
أقمت ولم تسر اليهم رأوا انك بأمرهم مستخف ولقتالهم مستحقر فلا يلبثون الا اليسير حتى ينزلوا على
الصغار ويعطوا الجزية فلما سمع عمر ذلك من مقال عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأي غير
هذا فقال علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه نعم عندي غير هذا الرأي وأنا أبديه لك رحمك الله فقال عمر
وما هو يا أبا الحسن قال ان القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذلك فتح للمسلمين وقد أصاب المسلمين جهد عظيم
من البرد والقتال وطول المقام واني أرى انك ان سرت اليهم فتح الله هذه المدينة على يديك وكان في
مسيرك الاجر العظيم في كل ظمأ ومخمصة وفي قطع كل واد وصعود جبل حتى تقدم اليهم فاذا أنت قدمت
عليهم كان لك وللمسلمين الامن والعافية والصلاح والفتح ولست آمن أن ييأسوا منك ومن الصلح ويمسكوا
حصنهم ويأتيهم المدد من بلادهم وطاغيتهم فيدخل على المسلمين من ذلك الهم والبلاء لاسيما بيت
المقدس عندهم وهو معظم واليه يحجون فلا يتخلفون عنه والصواب ان تسير اليهم ان شاء الله تعالى قال
ففرح عمر بن الخطاب بمشورة علي رضى الله تعالى عنه وقال لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو
وأحسن علي المشورة للمسلمين فجزاهما الله خيرا ولست آخذا الا بمشورة علي فما عرفناه الا محمود المشورة
ميمون الغرة ثم ان عمر رضى الله تعالى عنه أمر الناس باخذ الاهبة للمسير معه والاستعداد فاسرع
المسلمون الى ذلك واستعدوا وتاهبوا وأمر عمر أن يكونوا خارج المدينة ففعلوا ذلك وأتى عمر المسجد فصلى
فيه أربع ركعات ثم قام الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه وعلى أبي بكر رضى الله تعالى

وسبعة أشهر الى أن قتل في
الروضة سنة أربع وعشرين
وخمسمائة وكان رافضيا
خبيثا فاسقا ظالما جبارا
متظاهرا بالمنكرات
فكانت مدة ولايته تسعا
وعشرين سنة وشهرين
* وتولى من بعده الحافظ
لدين الله عبد المجيد * فأقام
تسع عشرة سنة وتوفي سنة

عنه واستخلف على المدينة على بن أبى طالب وخرج من المدينة واهلها يشيعونه ويودعونه * (قال الواقدى رضى الله تعالى عنه) * وخرج عمر من المدينة وهو على بعير له أحمر وعليه غرارتان فى احداهما سويق وفى الأخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة للزاد وخرج معه جماعة من الصحابة قد شهدوا اليرموك وعادوا الى المدينة منهم الزبير وعبادة بن الصامت وسار عمر نحو بيت المقدس فكان اذا نزل منزلا لا يبرح منه حتى يصلى الصبح فاذا انفتل من الصلاة أقبل على المسلمين وقال الحمد لله الذى أعزنا بالاسلام وأكرمنا بالايمان وخصنا بنبيه عليه الصلاة والسلام وهدانا من الضلالة وجمعنا بعد الشتات على كلمة التقوى وألف بين قلوبنا ونصرنا على عدونا ومكن لنا فى بلاده وجعلنا اخوانا متحابين فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة السابغة والمنن الظاهرة فان الله يزيد المستزيدين الراغبين فيما لديه ويتم نعمته على الشاكرين ثم يأخذ الجفنة فيملأها سويقا ويصف التمر حولها ويقربها للمسلمين ويقول كلوا هنيأ مريأ فيأكل ويأكل المسلمون معه ثم يرحل فلم يزل كذلك فى مسيره قال عمرو بن مالك العبسى كنت مع عمر بن الخطاب حين سار الى الشام فمر على ماء لجذام وعليه طائفة منهم نزول والماء يدعى ذات المنار فنزل بالمسلمين عليه فبينما هو كذلك وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله اذ أقبل اليه قوم من جذام فقالوا يا أمير المؤمنين ان عندنا رجلا له امرأتان وهما اختان لأب وأم قال فغضب عمر وقال على به فأتى بالرجل اليه فقال له عمر ماهاتان المرأتان قال الرجل زوجتاى قال فهل بينهما قرابة قال نعم هما اختان قال عمر فما دينك ألست مسلما قال بلى قال عمر أوما علمت ان هذا حرام عليك والله يقول فى كتابه وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف فقال الرجل ما علمت وما هما على حرام فغضب عمر وقال كذبت والله انه لحرام عليك ولتخلين سبيل احداهما والا ضربت عنقك قال الرجل أفتحكم على قال أى والله الذى لا اله الا هو فقال الرجل ان هذا دين ما أصبنا فيه خيرا ولقد كنت غنيا عن ان أدخل فيه قال عمر ادن منى فدنا منه فخفق رأسه بالدرة خفقتين وقال له أتتشاءم بالاسلام يا عدو الله وعدو نفسه وهو الدين الذى ارتضاه الله لملائكته ورسله وخيرته من خلقه خل يا ويلك سبيل احداهما والا جلدتك جلدة المفترى فقال الرجل كيف أصنع بهما وانى أحبهما ولكن أقرع بينهما فمن خرجت القرعة عليها كنت لها وهى لى وان كنت لهما جميعا محبا فأمر عمر فاقترع فوقعت القرعة على احداهما فامسكها وأطلق سبيل الثانية ثم أقبل عليه عمر وقال له اسمع ياذا الرجل وع ما أقول لك انه من دخل فى ديننا ثم رجع عنه قتلناه فاياك ان تفارق الاسلام واياك يبلغنى انك قد أصبت اخت امرأتك التى فارقتها فانك ان فعلت ذلك رجمتك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار عمر حتى مر على حى من بنى مرة فاذا بقوم منهم قد أقاموا فى الشمس يعذبون فقال لهم عمر ما بال هؤلاء يعذبون فقيل عليهم خراج فهم يعذبون قال فما يقولون قال يقولون ما نجد ما نؤدى فقال عمر دعوهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تعذبوا الناس فى الدنيا يعذبكم الله يوم القيامة فخلى سبيلهم ثم سار حتى اذا كان بوادى القرى أخبروه أن شيخا على الماء وله صديق يوده فقال له صديقه هل لك أن تجعل لى فى زوجتك نصيبا وأكفيك رعى ابلك والقيام عليها ولى فيها يوم وليلة ولك فيها يوم وليلة قال له الشيخ قد فعلت ذلك ورضى فلما أخبر عمر بذلك أمر بهما فاحضرا فقال ويلكما ما دينكما قالا الاسلام قال عمر فما الذى بلغنى عنكما قالا وما هو فاخبرهما عمر بما سمعه من العرب فقال الشيخ قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فقال عمر أما علمتما ان ذلك حرام فى دين الاسلام قالا لا والله ما علمنا ذلك فقال عمر للشيخ وما دعاك أن صنعت هذا القبيح قال انا شيخ كبير ولم يكن لى أحد أثق به ولا أتكل عليه فقلت يا هذا أتكفينى الرعى والسقى وتعيننى على دوابى وانا اجعل لك نصيبا فى امرأتى والآن علمت انه حرام فلا افعله فقال عمر خذ بيد امرأتك فلا سبيل لى عليها ثم قال للشاب اياك ان تقرب منها فانه ان بلغنى ذلك ضربت عنقك ثم ارتحل عمر يريد بيت المقدس حتى دنا من اول الشام واشرف عليه قال اسلم بن برقان مولى عمر فلما اشرفنا على الشام واشرف عليه المسلمون

أربع وأربعين وخمسمائة * (وتولى من بعده ولده الظافر بأعداء الله اسمعيل) * فأقام أربع سنين وسبعة أشهر الى أن قتل بباب الزهومة سنة تسع وأربعين وخمسمائة وهو الذى عمر جامع الفكهانيين بالشوائين * (وتولى من بعده الفائز

نظرنا الى طائفة من خيل المسلمين فقال عمر للزبير أسرع وانظر ماهذه الخيل فاسرع الزبير اليها فلما
قرب منها واذا هي خيل من اليمن قد بعثهم ابو عبيدة يأخذون له خبر عمر رضي الله عنه قال الزبير
فسلموا علي وقالوا يا فتى من اين اقبلت فقلت من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كيف خلفت
اهلها قلت بخير قالوا افما فعل عمر هل قدم علينا ام لا قال الزبير من انتم قالوا نحن من عرب اليمن قد وجهنا
ابو عبيدة لنأخذ له خبر عمر قال فرجع الزبير الى عمر وحدثه قال اصبت يا اباعبد الله فاقبل علينا تبع
آخر فسلموا علينا وسألونا عن عمر فقال لهم ها أنا عمر فما تريدون قالوا يا أمير المؤمنين قد ذرفت العيون
وطالت الاعناق بطول قدومك فلعل الله أن يفتح بيت المقدس على يدك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ثم
رجعوا على أعقابهم حتى أشرفوا على عسكر المسلمين وأبي عبيدة ونادوا باصواتهم ابشروا يا مسلمين
بقدوم عمر قال فارتج الناس وهموا أن يركبوا الاستقباله بأجمعهم فقال لهم أبو عبيدة عزيمة على كل رجل
أن لا يخرج من مركزه ثم سار أبو عبيدة في اناس من المهاجرين والانصار حتى أشرف بمن معه على عمر قال
ونظر عمر الى أبي عبيدة وهو لابس سلاحه متنكب قوسه وهو راكب على قلوصه مغطى بعباءة قطوانية
وخطام قلوصه من شعر فلما نظر أبو عبيدة الى عمر رضي الله عنهما أناخ قلوصه وأناخ عمر بعيره وترجل
كلاهما ومد أبو عبيدة يده فصافح عمر وتعانقا جميعا وسلم بعضهما على بعض وأقبل المسلمون يسلمون
على عمر ثم ركبا جميعا وجعلا يسيران أمام الناس وهما يتحادثان ولم يزالا كذلك حتى نزلا ببيت المقدس
فلما نزلا صلى عمر رضي الله عنه بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم خطبة حسنة فقال في خطبته الحمد لله
الحميد المجيد القوي الشديد الفعال لما يريد ثم قال ان الله تعالى قد أكرمنا بالاسلام وهدانا بمحمد
عليه أفضل الصلاة والسلام وأزاح عنا الضلالة وجمعنا بعد الفرقة وألف بين قلوبنا من بعد البغضاء
فاحمدوه على هذه النعمة تستوجبوا منه المزيد فقد قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان
عذابي لشديد ثم قرأ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا قال فلما تلا عمر ذلك قام
قس من النصارى كان حاضرا بين يديه فقال ان الله لا يضل احدا فلما كررها قال عمر انظروا ان عاد الى
قوله فاضربوا عنقه فعرف القس ما قال عمر فامسك ومضى عمر في خطبته فقال أما بعد فاني أوصيكم
بتقوى الله عز وجل الذي يبقى ويفنى كل شئ سواه الذي بطاعته ينفع أولياءه وبمعصيته يفني أعداءه
أيها الناس أدوا زكاة أموالكم طيبة بها قلوبكم وأنفسكم لا تريدون بها جزاء من مخلوق ولا شكورا
افهموا ما توعظون به فان الكيس من أحرز دينه وان السعيد من اتعظ بغيره الا أن شر الامور
مبتدعاتها وعليكم بالسنة سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فالزموها فان الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد
في البدعة والزموا القرآن فان فيه الشفاء والثواب أيها الناس انه قد قام فينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم كقيامي فيكم وقال الزموا أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب حتى يشهد من لم
يستشهد ويحلف من لم يحلف فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة وتعوذوا من الشيطان ولا يخلون
أحدكم بامرأة فانهن من حبائل الشيطان ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن والصلاة
الصلاة فلما فرغ من خطبته جلس فجعل أبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم وعمر باهت فتارة يبكي وتارة
يحمد فلم يزل كذلك الى أن حضرت صلاة الظهر فقال الناس يا أمير المؤمنين اسأل بلالا أن يؤذن لنا وكان
بلال مقيما بالبلاد فلما بلغه أن الناس قد نزلوا على بيت المقدس أتى اليهم وشاهد قتالهم وجعل يقاتل معهم
فلما بلغه أن عمر قد وصل سار مع أبي عبيدة حتى سلم على عمر فعظم قدره فلما حضرت صلاة الظهر وسأل
المسلمون عمر أن يسأل بلالا فقال له يا بلال ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون أن تؤذن لهم
وتذكرهم أوقات نبيهم صلى الله عليه وسلم فقال بلال نعم فلما قال الله أكبر خشعت جلودهم واقشعرت
أبدانهم قال فلما قال أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا حتى
كادت قلوبهم أن تتصدع عند ذكر الله ورسوله فلما فرغ بلال من آذانه وجلس قال بلال يا أمير المؤمنين

عيسى بن الظاهر ✻ وعمره
خمس سنين فأقام ست
سنين ونصفا ومات سنة
خمس وخمسين وخمسمائة
﴿وتولى من بعده العاضد
عبد الله بن يوسف الحافظ﴾
فاقام احدى عشرة سنة
وستة أشهر وخلع
ومات سنة سبع وستين
وخمسمائة وبموته انقطعت

ان أمراء المسلمين وأجناد الشام يأكلون لحوم الطيور والخبز النقي ومالا يلحق ضعفاء الناس ومالا تناله أيديهم وان الكل يفنى ومآله الى التراب ومصيرنا اليه فقال له يزيد بن أبي سفيان ان سعر بلادنا هذه رخيص وانا لا نصيب ماقاله بلال هذا مثل ما كنا نقوت به أنفسنا مدة من الزمان في الحجاز فقال عمران الامر كما ذكرت فكلوا هنيأ مريأ ولست أبرح من مكاني حتى تجمعوا الى من في المنازل وأن تكتبوا الى فقراء المسلمين ممن في المهدن والقرى فافرض لكل أهل بيت مايجزيهم من البر والشعير والعسل والزيت وما يحتاجون اليه ولابدلهم منه ثم قال عمر هذا لكم من أمرائكم غير ما يأتيكم مني من بيت المسلمين فان قطعت عنكم أمراؤكم فارفعوني حتى أعزلهم عنكم ثم أمرهم بالرحيل فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة من صوف وفيها أربع عشرة رقعة بعضها من أدم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) بلغني عمن أثق به انها كانت مرقعة من صوف فقال له المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت بدل بعيرك جوادا ولبست ثيابا بيضا قال ففعل قال الزبير أحسب انها كانت من ثياب مصر تساوي خمسة عشر درهما وطرح على عاتقه منديلا من كتان ليس جديدا ولا بالخلق دفعه اليه ابو عبيدة وقدم اليه برذون اشهب من براذين الروم فلما صار عمر على ظهره جعل البرذون يهملج به فلما انظر عمر الى البرذون وفعاله نزل عنه مسرعا وقال أقيلوا عثرتي أقال الله عثرتكم يوم القيامة فقد كاد أميركم أن يهلك مما دخل قلبي من العجب والكبر واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من الكبر ولقد كاد أن يهلكني ثوبكم الابيض وبرذونكم المهملج ثم ان عمر رضي الله تعالى عنه نزع ما كان عليه ثم عاد الى لبس مرقعته (قال الواقدي) كنا يوما نقرأ فتوح الشام وفتوح بيت المقدس عند قبر أبي حنيفة وكان الفتوح يقرأ على عبادة بن عوف الدينوري وكان من أهل الفضل وكان يسمع كلامه فلما وصل الى ماذكرناه من لبس عمر لمرقعته قال قد سمع خاطري بما أنا قائله (قال الواقدي) قلت قل ولا تخف الصدق فهو في النار وان الصدق أمانة والكذب خيانة قال لما لبس عمر مرقعته وجعل يتميز في شمائل فقره والكائنات تتعجب من زهده وصبره عندها تزينت له الدنيا بملابسها وتراءت له في حلل أمنيتها بواسطة حدثان مشيتها وقد جعلت أشباح شهواتها على قمة رأس مرآتها وأقبلت رافلة في حلة مراودته مطلقة عنه الطمع في طلب زوال مجاهدته معرضة بملابس جمالها على سوق معارضته في سناء قبلة مرآة تبهرجها عين مشاهدته واقفة على قدم الاستدراج الى ترك خدمته جاعلة ودادها ذريعة الى وصلته وعمر قد أمسك عراطاعته بيد عصمته فلما نصبت له حبائل بلاها ولم تره وقع في أشراك هواها أسمعت في معناها قد شغفها حبا انا لنراها وقالت يا عمر قد وليت أرضي فلابد من القيام بفرضي فالولاية لا تقوم الا بالملابس الهنية والمآكل الشهية والظلم في الرعية فقال عمر اذهبي فلست من رجالك ولا ممن يقع في حبالك ولا في أوحالك أما علمت اني قد تجردت لمعاندتك ولا حاجة لي في مشاهدتك وها أنا على قدم تجردت لاقامة دعوة سيد الأمم حتى افتح بلاد الروم والعجم ثم اظهر في وجهها صارم اجتهاده من معنى قوله وجاهدوا في الله حق جهاده (قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه) فاستحسنت هذا الكلام وألحقت ماقاله في هذا الموضع بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال وان عمر سار يريد العقبة ليصعد منها الى بيت المقدس فلقيه قوم من المسلمين وعليهم ثياب الديباج مما أخذوه من اليرموك فأمر عمر أن يحثوا التراب في وجوههم وان تمزق عليهم ولم يزل على ذلك حتى أشرف على بيت المقدس فلما انظر اليها قال الله أكبر اللهم افتح لنا فتحا يسيرا واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا ثم سار واستقبلته العشائر والقبائل وأصحاب العقود وسار عمر حتى نزل بالموضع الذي كان فيه ابو عبيدة وضربت له خيمة من شعر وجلس فيها هنالك على التراب ثم قام يصلي أربع ركعات (قال الواقدي) وعلت للمسلمين ضجة عظيمة وصاح زعيم بالتهليل والتكبير فسمع أهل بيت المقدس الضجة والجلبة فقال لهم البترك ياويلكم ماشأن العرب قد ارتفعت لهم جلبة من غير

دولة الفاطميين ومدة تصرفهم مائتا سنة وقرنان وخمسة أشهر وقد طهر الله منهم البلاد وأراح منهم العباد * ثم جاءت الدولة الايوبية والكردية السنية أصحاب الفتوحات الذين جددوا الخطبة للعباسيين وهم اكراد وكانوا في خدمة زنكي ثم في خدمة نور

شئ فاشرفوا عليهم وانظروا ماشأنهم (قال الواقدى) فاشرف عليهم رجل ممن يعرف العربية فقال
يامعاشر العرب أخبرونا ماقصتكم قالوا ان أمير المؤمنين عمر قد قدم علينا من مدينة نبينا وهذه الضجة
من فرح المسلمين به قال فرجع وأعلم البترك فاطرق الى الارض ولم يتكلم فلما كان الغد
وصلى عمر بالناس صلاة الفجر قال لابى عبيدة ياعامر تقدم الى القوم وأعلمهم أنى قد أتيت قال فخرج
أبو عبيدة وصاح بهم وقال ياأهل هذه البلدة ان صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد فما تصنعون فيما قلتم قال
فاعلموا البترك فخرج من كنيسته وعليه المسوح وترجل الرهبان والقسوس والاساقفة معه وقد حمل
بين يديه صليب لايخرجونه الا فى عيدهم وسار معه الباطليق الوالى عليهم وهو يقول للبترك ياأبانا ان
كنت تعرفه معرفة حقيقية والا فلا تفتح له ودعنا وهؤلاء العرب فاما ان نبيدهم واما أن يبيدونا فقال
البترك انا أفعل ذلك ثم صعد على السور ووقف الباطليق الى جانبه والصليب امامهم واشرف على أبى
عبيدة وقال ماتشاء أيها الشيخ الباهى قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر وليس عليه أمير قد أتى
فاخرجوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة واداء الجزية فقال البترك ياذا الرجل ان كان صاحبك الذى
ليس عليه أمير قد أتى فدعه يدن منا فانا نعرفه بنعته وصفته وأفردوه من بينكم وليقف بازائنا حتى
نراه فان كان صاحبنا الذى نعته فى الانجيل نزلنا اليه وعقدنا معه الامان وأقررنا له بالجزية وان كان
غير الذى نجد نعته فى الانجيل وصفته فمالكم عندنا غير القتال قال فرجع أبو عبيدة الى عمر وأخبره
بما قاله البترك فهم عمر بالقيام فقال له أصحابه ياأمير المؤمنين اتخرج اليهم منفردا وليس عليك آلة
حرب غير هذه المرقعة وانا نخشى عليك منهم غدرا أو مكرا فيغتالون منك فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب
الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم أمر ببعيره فقدم اليه فاستوى فى ركوبه عليه وعليه مرقعة
ليس عليه غيرها وعلى رأسه قطعة عباءة قطوانية وقد عصب بها رأسه وليس معه غير أبى عبيدة رضى الله
تعالى عنهما وهو سائر بين يديه حتى قرب من السور ووقف بازاء السور والبترك والباطليق عليه فتكلم
أبو عبيدة وقال ياهؤلاء هذا امير المؤمنين قد أتى ففسح البترك عينه ونظر اليه وزعق بأعلى صوته هذا
والله الذى نجد صفته ونعته فى كتبنا ومن يكون فتح بلادنا على يديه بلامحالة ثم انه قال لاهل بيت المقدس
ياويحكم انزلوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة هذا والله صاحب محمد بن عبد الله (قال الواقدى) فلما
سمعت الروم كلام البترك نزلوا مسرعين وكانوا قد ضاقت أنفسهم من الحصار ففتحوا الباب وخرجوا الى
عمر بن الخطاب يسألونه العهد والميثاق والذمة ويقرون له بالجزية فلما نظر اليهم عمر على تلك الحالة
تواضع لله وخر ساجدا على قتب بعيره ثم نزل اليهم وقال ارجعوا الى بلادكم ولكم الذمة والعهد اذ سألتمونا
وأقررتم بالجزية قال فرجع القوم الى بلادهم ولم يغلقوا الابواب ورجع عمر الى عسكره فبات فيه ليلة
فلما كان الغد اقام فدخل اليها وكان دخوله يوم الاثنين واقام بها الى يوم الجمعة وخط بها محرابا من جهة
الشرق وهو موضع مسجده فتقدم وصلى هو واصحابه صلاة الجمعة فهمت الروم بغدرهم وكان أبو الجعيد
الذى احتال على الروم باليرموك ببيت المقدس هو واهله وماله فقالوا ماترى فى غدر هؤلاء العرب
اذاهم اشتغلوا بصلاتهم وليس معهم آلة حرب ولا مايحترزون به من الضرب والقتل فقال لهم أبو الجعيد
ياقوم لاتفعلوا ولاتغدروا بهم فان فعلتم ذلك أخبرتهم بما تريدون أن تفعلوا بهم فقالوا وما الذى نصنع
فقال أبو الجعيد أظهروا للعرب مالكم من الزينة ومتاع الدنيا فان متاع الدنيا ومافيها لايصبر صاحبهما
عنهما فان طلبوهما بغدر فشأنكم وماتريدون قال فاقبل القوم على ما كانوا يقدرون عليه من المال
والمتاع الحسن فاظهروه ووصفوه فى طريق المسلمين وشوارعهم فجعل المسلمون ينظرون الى ذلك فى
دخولهم وخروجهم وهم يتعجبون منهم ولم يمل أحد منهم اليه ولم يلمسه وهم يقولون الحمد لله الذى أورثنا
ديار قوم لهم مثل هذا ولو ساوت الدنيا عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء قال عوف بن
سالم فوالله مامن المسلمين من جعل يده على شئ من متاعهم ولا لمسه فقال لهم أبو الجعيد هؤلاء القوم الذين

الدين الشهيد وهو الذى
أرسلهم الى مصر فاولهم
الملك الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب حضر مصر
مع نور الدين الشهيد لما
أرسل له العاضد الفاطمى
يستعين به على الافرنج
الذين حضروا الى مصر
وأخذوا مدينة بلبيس
وقتلوا وأسروا ثم راموا

وصفهم الله فى التوراة والانجيل وانهم لايزالون على الحق ولا يقربهم أحد ماداموا على ماهم عليه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأقام عمر فى بيت المقدس عشرة أيام قال سهر بن حوشب سمعت كعب الاحبار يقول ان عمر بن الخطاب لما صالح أهل بيت المقدس ودخلها أقام فيها عشرة أيام فاقبلت اليه وكنت فى قرية من فلسطين وتقدمت اليه لاسلم عليه وأسلم على يديه وذلك ان أبى كان أعلم الناس بما أنزل الله على موسى بن عمران وانه كان لى محبا وعلى مشفقا ولم يكتم على شيأ الا أعلمنى اياه مما كان يعلم الناس فلما حضرته الوفاة دعانى اليه وقال لى يابنى انك تعلم أنى ما أدخرت عنك شيأ مما كنت أعلمه ولانى خشيت أن يخرج بعض هؤلاء الكاذبين وتتبعهم وقد جعلت هاتين الورقتين فى هذه الكرة التى ترى فلا تتعرض لهما ولا تنظر فيهما الى أن تسمع بخبر نبى يبعث فى آخر الزمان اسمه محمد فان يرد الله بك خيرا فانت تتبعه ثم مات بعد وصيته اياى قال كعب فدفنته فما كان شئ أحب الى بعد انقضاء العزاء من النظر فى الورقتين وقراءة مافيهما ففتحتهما فاذا فيهما لا اله الا الله محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبى بعده مولده بمكة ودار هجرته طيبة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب امته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال السنتهم رطبة بالتهليل والتكبير وهم منصورين على كل من عاداهم من اعدائهم أجمعين يغسلون وجوههم و يستررون أوساطهم اناجيلهم فى صدورهم تراحمهم بينهم تراحم الانبياء بين الامم وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الامم قال كعب الاحبار فلما اقرأت ذلك قلت فى نفسى وهل علمنى أبى شيأ أعظم من هذا ثم مكثت بعد وفاة والدى ماشاء الله الى أن بلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم الموصوف قد ظهر بمكة وهو يظهر مرة بعد أخرى فقلت هو والله لامحالة ولم أزل أبحث عن أمره حتى قيل انه خرج ونزل بيثرب فجعلت أترقب أمره حتى غزا غزوات ونصر على اعدائه فتجهزت أريد المسير اليه فبلغنى انه قد قبض صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى فقلت فى نفسى لعله ليس الذى كنت انتظره حتى رأيت فى منامى كان ابواب السماء قد فتحت والملائكة تنزل زمرة بعد زمرة وقائل يقول قد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى عن أهل الارض فرجعت الى دار قومى وجاءنا الخبر انه قدم من أمته خليفة اسمه أبو بكر فقلت أقدم عليه فلم ألبث حتى جاءتنا جنوده الى الشام ثم جاء تناوفاته ثم قيل انه استخلف عليهم رجل أسمر اسمه عمر فقلت لا أدخل هذا الدين حتى أحققه ولم أزل متوقفا حتى قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ببيت المقدس وصالح أهلها ونظرت الى وفائهم بعهدهم وماصنع الله باعدائهم فقلت انهم امة النبى الامى فحدثت نفسى بالدخول فى هذا الدين فوالله انى كنت ذات ليلة على سطحى واذا أنا برجل من المسلمين يقول ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان امر الله مفعولا قال كعب فلما سمعت هذه الآية خفت والله ان لا أصبح حتى يحول وجهى فما كان شئ أحب الى من الصباح أن يرد فلما أصبحت غدوت من منزلى وسألت عن عمر فقيل لى انه ببيت المقدس فقصدت اليه واذا به قد صلى باصحابه صلاة الفجر عند الصخرة فاقبلت اليه وسلمت عليه فرد على السلام وقال لى من أنت فقلت له أنا كعب الاحبار وانى جئت أريد الاسلام والدخول فيه فانى وجدت صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فى الكتب المنزلة وان الله عز وجل أوحى الى موسى عليه السلام انى ماخلقت خلقا أكرم على من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولولاه ماخلقت جنة ولا نارا ولا سماء ولا أرضا وأمته خير الامم ودينه خير الاديان بعثته آخر الزمان أمته مرحومة وهو نبى الرحمة وهو النبى الامى التهامى القرشى الرحيم بالمؤمنين الشديد على الكافر بسريرته مثل علانيته وقوله لايخالف فعله القريب والبعيد عنده سواء أصحابه متراحمون متواصلون فقال عمر أحقا ما تقول يا كعب قال أى والله والله يسمع ما أقول ويعلم ماتخفى الصدور فقال عمر الحمد لله الذى أعزنا وأكرمنا وشرفنا ورحمنا برحمته التى وسعت كل شئ وهدانا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهل لك يا كعب فى الدخول فى ديننا فقال كعب يا أمير المؤمنين فى كتابكم الذى أنزل اليكم فى أمر دينكم

أخذ القاهرة فأمر شاور الوزير بحرق مصر والنقلة الى القاهرة فالتهبت النار فيها أربعة وخمسين يوما ثم لما توجه نور الدين الشهيد من الشام هرب الافرنج لما سمعوا صولته وقتل الوزير شاور لانه كان الذى أطمع الافرنج فى المسلمين واقام العاضد مقامه وزيرا ومات

ذكر ابراهيم فقال عمر نعم وقرأ ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ثم قرأ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ثم قرأ أفغير دين الله يبغون وله أسلم الآية ثم قرأ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه الآية ثم قرأ قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما الآية ثم قرأ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل الآية قال كعب فلما سمعت هذه الآيات قلت يا أمير المؤمنين انا أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ففرح عمر باسلام كعب الاحبار ثم قال هل لك ان تسير معى الى المدينة فتزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم وتتمتع بزيارته فقلت نعم يا أمير المؤمنين أنا افعل ذلك قال وارتحل عمر بعد أن كتب لاهل بيت المقدس كتابا أى عهدا وأقرهم فى بلدهم على الجزية وسار بمن معه من العساكر الى الجابية فاقام بها ودون الدواوين وأخذ الخمس الذى لله مما أفاء الله على المسلمين ثم قسم الشام قسمين فاعطى اباعبيدة من حوران الى حلب وما يليها وأمره بالمسير الى حلب وان يقاتل أهلها الى أن يفتحها الله على يديه وأعطى ارض فلسطين وأرض القدس والساحل ليزيد بن ابى سفيان وجعل اباعبيدة واليا عليه وأمر يزيد ان يحارب أهل قيسارية الى أن يفتحها الله على يديه وكان قد اعطى أكثر الاجناد لابى عبيدة مع خالد وسير عمرو بن العاص الى مصر واستعمل على قضاء حمص عمرو بن سعيد الانصارى ثم سار عمر رضى الله عنه يريد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ كعب الاحبار معه وكان أهل المدينة يظنون ان عمر يقيم بالشام لما يرون من كثرة خيرها وطيب فواكهها ورخص اسعارها ولما يخبرون عنها انها بلاد الانبياء وهى الارض المقدسة وفيها المحشر فبقى الناس يتطاولون نحوه ويخرجون فى كل يوم ينظرونه حتى قدم عمر رضى الله عنه فارتجت المدينة يوم قدومه واستبشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم برؤيته وسلموا عليه ورحبوا به وهنؤه بما فتح الله على يديه فاوّل ما بدأ بالمسجد وسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم صلى ركعتين وعاد بكعب الاحبار وقال حدث المسلمين بما رأيت فى الورقتين فازداد الناس ايمانا (قال ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدى) حدثنا احمد بن الحسين بن العباس المعروف بابى سفيان النحوى قال حدثنا ابو جعفر بن احمد بن عبيد الناسخ قال حدثنى عبد الله بن اسلم الزهرى وعبد الله بن يحيى الزرقى عمن حدثه عمن تقدم ذكرهم واسماؤهم اوّل الكتاب وحديث القوم قريب بعضه من بعض والله يعيذنا من الزيادة والنقصان لان الصدق امانة والكذب خيانة والله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت فى خبر هذه الفتوح الا على الصدق وما حدثت حديثه الا على قاعدة الحق لأثبت فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم حتى ارغم بذلك اهل الرفض الخارجين عن اهل السنة والفرض اذ لولاهم بمشيئة الله تعالى لم تكن البلاد للمسلمين وما انتشر علم هذا الدين فلله درهم لقد جاهدوا فى الله حق جهاده لا جرم وقد قال فيهم الملك المقتدر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (قال الواقدى) وذلك انه لما بعث عمر بن الخطاب أباعبيدة وجعله أمير الشام وأمره بالمسير الى حلب وانطاكية والمفرق وما يليهم من الحصون بعث عمرو بن العاص الى مصر ويزيد بن أبى سفيان الى ساحل الشام فنازلوا قيسارية وهى آهلة بالخلق كثيرة الجند وكان عليها قسطنطين الى أن نزل يزيد وقسطنطين هذا ابن الملك هرقل وكان معه ثمانون ألفا من الروم والعرب المتنصرة والروسية فلما انظر قسطنطين الى نزول يزيد بن أبى سفيان عليه بعث الى أبيه يستنجده فبعث اليه هرقل بصاحب مرعش وعشرين ألفا من أبطال الروسية وانفذ له المراكب بالزاد والعلوفة فلما انظر يزيد الى ذلك وأن لا قدرة له على ذلك كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد بن أبى سفيان العامل على بعض الشام الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى نازلت أهل قيسارية وهى مدينة آهلة بالخلق كثيرة الجند وليس اليها سبيل وان

فاقام مقامه فى الوزارة يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر فقام بالسلطنة أتم قيام واجلى الافرنج من أرض مصر واستمر وزيرا للعاضد الى ان مات فتولى صلاح الدين السلطنة واستولى على قصر الفواطم بخزائنه فوجد فيه من الاموال ما لا يحصى وشرع

قسطنطين قد استنجد بابيه وقد أنجده بصاحب مرعش وعشرين ألفا والمراكب ترد عليه كل يوم بالعلوفة
والزاد وأريد النجدة والسلام وبعث الكتاب مع عمرو بن سالم بن حميد النخعي فلما ورد المدينة وسلم
الكتاب الى عمر بن الخطاب قال عمر من أين هذا الكتاب قال من عاملك يزيد بن أبي سفيان فقرأه فلما
أتى على آخره تفكر في أمر يزيد وما وقع له حتى دخل عليه على بن أبي طالب كرم الله وجهه فاراه كتاب
يزيد من قيسارية الشام يطلب منه نجدة فقال على لا تغتم على المسلمين فان الله يفتحها على يديك رغما
فانجد يزيد وأنفذ اليه الكتاب

ذكر فتح مدينة حلب وقلاعها

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) كان مع أبي عبيدة عشرون ألفا ومع يزيد وعمرو بن العاص عشرة آلاف
(قال الواقدى) فلما وصل كتاب عمر الى أبي عبيدة انفذ الى يزيد ثلاثة آلاف فارس مع حوب بن عدى
وبقى أبو عبيدة في سبعة عشر ألفا واكثرهم من اليمن وكان أبو عبيدة قد صالح أهل قنسرين والعواصم
على خمسة عشر ألف مثقال من الذهب ومثلها من فضة وألف ثوب من أصناف الديباج وخمسمائة وسق
من التين والزيت فلما اتم الصلح وجاؤا بما فعوه من مدينتهم كتب لهم كتابا وشرط فيه الشروط ودخل أبو
عبيدة وخالد في رجال من المؤمنين وسادات المسلمين فخطوا بها مسجدا فبلغ ذلك أهل حلب من الصلح
لقنسرين ومسير العرب فاضطربوا اضطرابا شديدا وكان عليهم رئيسان أخوان لاب وأم وكانا يسكنان
في القلعة ولم تكن القلعة محيطة بالمدينة بل كانت المدينة منفردة بذاتها وكان البطريقان يقال لأحدهما
يوقنا والآخر يوحنا وكان أبوهما ملك البلد وأعماله وضياعه ورساتيقه الى حدود الضروب والى حدود
الفرات وقد ملك حلب سنين لا ينازعه فيها منازع وكان هرقل طاغية الروم يهابه ويوقره ولا يحاربه كل
ذلك لبقاء ملكهم واجتماع كلمتهم لانه كان قد انتزع من رومية الى أقصى البلاد فلا يجيش عليه أحد
جيشا ولا ينازعه في ملكه لكثرة شره وتدبيره وشدة بني عمه فلما نزل بالعواصم استخلص لنفسه قلعة حلب
وبناها وحصنها ومكن في البلاد فلما هلك آل الامر بعده لولده يوقنا وكان الكبير وكان شجاعا بطلا
جامعا للاموال مقداما للحروب لا يصطلى له بنار ولا يدفع شره وكان أخوه يوحنا دينا قد نزع يده من
الرياسة وترهب وكان أعلم الناس في أهل زمانه وانه لما بلغهم الخبر ان أبا عبيدة قد قصد اليهم قال لأخيه
يوقنا على ماذا عولت قال على قتال العرب ولا أدعهم يقربون من أرضنا وبلادنا حتى يرى العرب انى
لست كمن لقوا من بطارقة الشام ولا من غيرها وكان يوحنا قد درس الانجيل وقرأ المزامير وليس له همة
الا عمارة الكنائس والاديرة وتشييد المواضع وكثرة الشمامسة والقسوس والرهبان والقيام بامورهم
فلما بلغ هذين الاخوين فتح العواصم عنوة وقنسرين صلحا وان العرب نازلون عليها وان خيلهم تضرب
الى الفرات والعواصم والبقاع فأقبل يوحنا على أخيه الاكبر يوقنا وقال يا أخى أريد أن أختلى بك
الليلة وأشاورك واطلعك على سرى ورأيي وأشرف على سرك ورأيك قال نعم فلما اجتمعا في الليل في
دار كانت لابيهما في القلعة وجلسا للمشورة أقبل يوقنا على أخيه يوحنا وقال يا أخى ألا ترى ما نزل بنا من
العرب الجياع الاكباد العراة الاجساد وما حل بأهل الشام منهم من القتل والنهب وأخذ الاموال وانهم
لا ينزلون مدينة من مدن الشام الا فتحوها وملكوا أهلها فما ترى ان نصنع في أمر هؤلاء فكانى بهم وقد
أشرفوا علينا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فقال يوحنا يا أخى اذ قد استشرتنى في أمرك فانى أنصحك
ولا اغشك اذا قبلت النصيحة وان كنت أصغر منك سنا فاني أعلم منك بصيرة فوحق المسيح والقربان لئن
قبلت مشورتى ليعلون أمرك ويسلم لك مالك ونفسك فقال يوقنا يا أخى ما علمتك الا ناصحا فما عندك من
الرأى فقال الرأى عندى ان ترسل رسولا الى العرب وتبذل لهم ما شاؤا وتسألهم الصلح وتتفق معهم
على معلوم يدفع لهم في كل عام ما دامت الغلبة لهم فلما سمع يوقنا ذلك من كلام أخيه يوحنا أقبل عليه وقد
استوثق منه الغضب وقال قبحك المسيح ما أعجز رأيك ما ولدتك أمك الا راهبا أوقسا ولم أقلدك لا ملكا

في نصر اهل السنة وتوهين
اهل البدعة والانتقام من
الروافض وكانوا أكثر من
في أرض مصر يومئذ وعزل
قضاة مصر كلهم منهم لانهم
كانوا شيعة وقطع الاذان
بحي على خير العمل اول جمعة
في المحرم سنة سبع وستين
وخمسمائة ثم تحركت همته
لغز والافرنج فمكنه الله

ولا محاربا ولا مقاتلا والرهبان ليس لهم قلوب لأ كلهم العدس والزيت والبقل ولا يأكلون اللحم ولا
يعرفون النعيم وليس لهم بالقتال بصيرة ولا بملاقاة الرجال خبرة وأما أنا فملك ابن ملك وليس بيني وبينهم
الا الحرب ولا ترى الملوك العجز ويلك كيف نسلم ملكنا العرب ونعطيهم القياد من أنفسنا من غير حرب
ولا قتال قال فلما سمع يوحنا ذلك من أخيه تبسم من كلامه وتعجب كل العجب وقال له يا أخي وحق المسيح
ان أجلك قد اقترب لانك صاحب بغي تحب سفك الدماء وقتل النفس وما أظن جموعك أكثر من جموع
الملك هرقل التي جمعها باليرموك مع ماهان ويوم أجنادين وهؤلاء القوم قد أيدهم الله علينا فاتق الله
ولا تسع في قتل نفسك فلما سمع يوقنا كلام أخيه داخله الغضب وقال له قد أكثرت وأطلت في مدح
العرب واني لست كمن لاقوه من هذه الجموع التي ذكرتها ولا أقاس بهم ومع ذلك اعلم أن كل من ذكرت من
أهل المدن وغيرها أسلم بلده عنوة أو صلحا قبل أن يقاتل بلا عذر في القتال ويبذل المجهود عن نفسه وانما
جمعت الاموال من قبل الى الآن لأدفع بها الاذى عن نفسي واني مجمع على قتال العرب ومحاربتهم فان
أظفرني الصليب بهم وأعانني المسيح عليهم طلبت العرب الى أن أدخل خلفهم الحجاز وأسود على سائر
الملوك وأرجع الى الشام مالكا فلا يقدر هرقل أن ينازعني وان هزمتني العرب طلعت الى قلعتي هذه
ولزمتها فاني قد عبيت فيها من الزاد والاطعمة ما يكفيني طول دهري وأكون فيها عزيزا الى أن أموت
ولا ألقي يدي الى العرب ولا أبذل أموالي من غير طلب فلا تعارضني في شيء من أمر العرب ولا تدعني الى
الصلح والا بطشت بك قبلهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) واحتوى الشيطان على قلب يوقنا وقد سولت
له نفسه العمل فلما سمع يوحنا من أخيه يوقنا هذا المقال قال له كلامك على حرام أبدا حتى ترجع الى
رأيي وتعود الى قولي ثم قام عنه مغضبا فلما كان من الغد جمع يوقنا اليه جميع من التجأ اليه من العسكر
من الارمن والمتنصرة وغيرهم وعرضهم على نفسه فمن أراد سلاحا أعطاه وفرق فيهم الاموال وجعل يهون
العرب عليهم ويقول اغناهم قليل ونحن أكثر منهم لان جموعهم قد تفرقت منها جماعة على قيسارية ومنهم
من توجه الى مصر ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ وعزم على قتال أبي عبيدة قبل أن يصل اليه والى
بلده ثم عمد الى بطريق من بطارقته يقال له كراكس وضم اليه ألف فارس ووكله بحفظ بلده وسار يوقنا
بمن معه يريد أن يلاقي جيش أبي عبيدة والمسلمين هو وقومه في اثني عشر ألف مدرع غير من كان معه
بغير درع ونشرت أمامه الاعلام والصلبان وكان فيها صليب من الذهب والجوهر ومن حوله ألف غلام
عليهم ثياب الديباج المنسوج بالذهب قال ابن ثعلبة الكندي فاقام أبو عبيدة على مدينة قنسرين بعد
ان فتحها بالصلح وبعد ان أتاه يزيد بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمره أن يبعث الى يزيد بن أبي
سفيان طائفة من جيشه فبعث له بثلاثة آلاف فارس لابسين السلاح الكامل وعول أبو عبيدة على
المسير الى حلب فدعا برجل من بني ضمرة وكان بطلا مجربا بشدة البأس وكان اذا ثبت على وجه الارض
للقتال لا يهاب الجحافل قلت أو كثرت فضم اليه ألف فارس وسيره على مقدمته وقال يا كعب لا تقاتل
جيشا لا تطيقه واختبر أمر هذا العلج واعرف خبره وأنا راحل من ورائك فسار كعب بن ضمرة يريد حلب
وكان يوقنا قدم امامه عيونا يأتونه بالاخبار فاتته جواسيسه يخبرونه أن خيول العرب قد أتت تريد بلده
وقتاله فقال لهم في كم أتت العرب قالوا في ألف فارس وهم على ستة أميال من بلدك نزول قال فكمن
يوقنا كمينا ثم سار اليهم بجيوشه وبطارقته فلما أشرف عليهم وهم نزول على نهر يسقون خيلهم ويتوضؤن
فبينما هم كذلك اذ اشرف عليهم يوقنا بجيوشه وبطارقته والصليب امامه فنادى المسلمون بعضهم بعضا
واستووا على متون خيولهم وورد كعب بن ضمرة على فرسه وسبق في أول الخيل واشرف على جيش يوقنا
لحزره انه في خمسة آلاف فارس وكان يوقنا قد قسم عسكره شطرين النصف معه والنصف مع الكمين
فلما نظر كعب الى يوقنا وجيشه انقلب الى أصحابه وقال يا أنصار دين الله اني نظرت عسكر عدوكم وحزرته
فهو في خمسة آلاف وهم لكم مغنم ويقاتل الواحد منكم خمسة قالوا بلى والله واقبل أصحابه تشجع بعضهم

تعالى منهم ويسر له فتح بلاد
الشام كلها وفتح بيت
المقدس سنة ثلاث وسبعين
وخمسمائة بعد استيلاء
الافرنج عليه وعلى الخليلي
احدى وسبعين سنة وهدم
ما أحدثوه من الكنائس وبنى
موضع كنيسة منها مدرسة
للشافعية وكان يقدمهم
لكونه كان شافعيا أبطل

بعضافقربت الفئة من الفئة وصاح يوقنا باصحابه ورجاله وغلمانه وعبيده وبطارقته وامرهم بالحملة على المسلمين فحملوا باجمعهم حملة صعبة وحمل عليهم المسلمون والتقى الجمعان واشتبك الحرب وقاتل الجمعان قتال الموت وقد أيقن المسلمون بالظفر والغنيمة فطلع عليهم الكمين من ورائهم وأكبوا عليهم جميعا قال مسعود بن علوان الجمحى شهدت الخيل التى بعثها أبو عبيدة طلائع مع كعب بن ضمرة وكنت فيها يوم التقى الجمعان وقد خرج علينا الكمين ونحن فى القتال ونحن لا نظن ان لهم كمينا يطلع من ورائنا واذا بأصوات حوافر الخيل أكبت علينا وايقنا بالهلكة بعد ما كنا موقنين بالغلبة وصرنا فى وسط عسكر الكفار فلم يكن لنا بد من القتال فافترقت المسلمون ثلاث فرق فرقة منهم منهزمة وفرقة قصدت قتال الكمين وفرقة مع كعب بن ضمرة قصدت قتال يوقنا ومن معه قال مسعود بن علوان فلله در كندة يومئذ لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا ووهبوا أنفسهم لله تعالى حتى قتل منهم ذلك اليوم مائة رجل فى مقام واحد وعمل أهل الكمين عملا عظيما وكعب بن ضمرة قلق على المسلمين فجاهد عنهم وهو يجول بالراية وينادى يا محمد يا نصر الله انزل معاشر المسلمين اثبتوا انما هى ساعة ويأتى النصر وأنتم الاعلون فاجتمع المسلمون عليه والجراح فيهم فاشية وقتل من المسلمين مائة وسبعون رجلا من الاعيان منهم عباد بن عاصم النخعى وزفر بن أم راضى وحازم بن شهاب المقرى وسهل بن أشيم ورفاعة بن محصن وغانم بن برد وسهيل بن مفلح وكان ممن شهد يوم السلاسل وتبوك بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد قتال اليمامة مع خالد بن الوليد قال مسعود بن عون والله لقد تأسفنا على قتله ووجدنا فيه أربعين ضربة كلها فى مقدمه رضى الله عنه ولم نجد واحدة فى ظهره وكان الاعيان أربعين رجلا لان الرجل منا ما قتل حتى قتل عددا من المشركين فلما نظروا الى ثبات المسلمين مع قلتهم وما هالهم ممن قتل منهم هم المشركون ان ينهزموا فثبتهم يوقنا وقال ويلكم ما العرب الا مثل الذئاب ان صدمت ولت وان تركت طمعت ولما نظر كعب بن ضمرة الى من قتل تحت رايته اغتم لذلك غما شديدا فنزل عن فرسه ولبس درعا من فوق درعه وشد وسطه بمنطقته ومسح وجه فرسه ومنخره وقبله بين عينيه وكان قد شهد معه المواطن وجاهد معه وبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد سماه الهطال فقال يا هطال هذا يومك المحمود عاقبته فأثبت للقتال فى طاعة الله ولما استوى على متنه وقف امام المسلمين وجعل ينظر الى القتلى وهو متفكر فى أمره والراية بيده وهو ينتظر من أبى عبيدة جيشا يقبل عليه او طليعة تنجده فلم ير لذلك اثرا وذلك ان أبا عبيدة ما قطعه عن المسير اليه الا قدوم أهل حلب عليه وذلك انه لما سار يوقنا الى حرب المسلمين اجتمع مشايخ أهل حلب والروسية بعضهم الى بعض وقالوا يا قوم تعلمون ان هؤلاء العرب قد أطاعهم أهل دين النصرانية والصليب ودخلوا فى دينهم ومنهم من رجع الى دينهم ومنهم من قاتلهم فاما الذى قاتلهم فخسر فهل لكم ان تسيروا الى أمير المؤمنين ونسأله الصلح ونصالح عن مدينتنا وندفع اليه ما أحب من أموالنا فان ظفر المسلمون بالبطريق يوقنا نكن نحن آمنين غير وجلين منهم ونقر عيننا من بأسهم وان صالح يوقنا القوم نكن نحن قد سبقناه الى الصلح وان غلب ورجع سالما لم نبلغه ولم نعلمه واستوى رأيهم على ذلك فخرج منهم ثلاثون رجلا من رؤسائهم وسلكوا طريقا غير طريق يوقنا حتى أشرفوا على عسكر المسلمين فنادوا الغوث الغوث وكان العرب قد علمت ان الغوث بالرومية هو الامان وقال لهم الامير فمن سمعتموه يقولها فلا تعجلوا عليه بالقتل لئلا يطالبكم الله يوم القيامة وعمر برئ منه فكان العرب يعرفونها فلما سمع المسلمون منهم ذلك أسرعوا اليهم وأوقفوهم بين يدى أبى عبيدة فقال خالد بن الوليد لا شك ان هؤلاء يطلبون الصلح والامان لانفسهم وهم أهل حلب قال أبو عبيدة أرجو ذلك ان شاء الله تعالى وان صالحونى صالحتهم وهو لا يعلم ما أصابه من الحرب الشديد والقتل العتيد وكان قدومهم عليه ليلا والنيران تضرم بين يديه وكان فى العسكر رجال قيام فى صلاتهم يتلون القرآن فجعل بعضهم يقول لبعض بهذه الفعال ينصرون علينا فلما سمع الترجمان مقالهم أخبر أبا عبيدة وما قد تناجوا بينهم فقال أبو عبيدة انا قوم قد سبقت لنا العناية

المكوس والمظالم وأخلى ما بين الشام ومصر من الافرنج ثم افتتح الحجاز واليمن وتسلم دمشق بعد موت نور الدين وفتح عسكره طرابلس الغرب وبرقة وتونس وخطب بها لبنى العباس وصار سلطان مصر والشام والحجاز واليمن والمغرب ولم يل مصر بعد

من ربنا وانا رجال لا نريد من الله ورسوله بدلا ولن نجزع من قتال الاعداء فأخبرهم الترجمان بذلك ثم قال
لهم من أنتم قالوا نحن سكان حلب من تجارها وسوقتها ورؤسائها وقد جئنا نطلب منكم الصلح فقال أبو
عبيدة فكيف نصالحكم وقد بلغنا أن بطريقكم قد صمم على قتالنا وقد حصن قلعته وجعل فيها ما يقوته
سنين واتخذ الجنود وأكثر من ذلك وما لكم عندنا صلح فقالوا أيها الامير ان صاحبنا قد خرج من عندنا
يريد حربكم وقتالكم قال أبو عبيدة ومتى خرج قالوا اخرج سحر ونحن من بعده وسلكنا طريقا غير طريقه
وانا نرجو أنه هالك لا محالة لانه ركب البغي ولم يرض بالصلح وقد اطاع هواه فقد وقع في شرك الردى فلما سمع
أبو عبيدة بخروج البطريق خاف على طليعته منه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هلك والله
كعب ومن معه انا لله وانا اليه راجعون ثم أطرق الى الارض فقالوا لبعض مشايخ أهل حلب كلم لنا الامير
في الصلح قال فكلمه فقال أبو عبيدة بفجر لا صلح لكم عندنا قال فخاف الشيوخ على انفسهم وقالوا
انا قد اجتمع عندنا من القرى والرساتيق خلق كثير فان صالحتمونا عمرنا لكم الارض وكنا لكم عونا على
عمارتها وعشنا في ظلكم أيام عدلكم وان أنتم أبيتم ذلك فر الناس عنكم وطلبوا أقصى البلاد وشاع
الخبر عنكم أنكم لا تصالحون فلا يبقى حولكم أحد قال فأعلمه الترجمان بما قالوا فجعل ينظر اليهم
واذا قد برز من القوم وصاح رجل أحمر الوجه وكان من حكماء الروم فصيحا بلسان عربي فقال أيها الامير
اسمع ما ألقيه اليك من العلم الذي أنزل الله في الصحف على الانبياء قال أبو عبيدة قل لنسمع فان كان
حقا علمناه وان كان غير حق لا نسمعه ولا نعمل به وكان اسمه دحداح فقال أيها الامير ان الله سبحانه
وتعالى أنزل على انبيائه يقول انا الرب الرحيم خلقت الرحمة وأسكنتها في قلوب المؤمنين واني لا أرحم
من لا يرحم من أحسن أحسنت اليه ومن تجاوز تجاوزت عنه ومن عفا عفوت عنه ومن طلبني وجدني
ومن أغاث ملهوفا أمنته يوم القيامة وبسطت له في رزقه وباركت له في عمره وأكثرت له أهله ونصرته
على عدوه ومن شكر المحسن على احسانه فقد شكرني وانا قد أتيناك ملهوفين خائفين فأقل عثراتنا وآمن
روعاتنا واحسن الينا قال فبكى أبو عبيدة من قوله وقرأ ان الله يحب المحسنين ثم قال اللهم صل على محمد
وعلى جميع الانبياء فبهذا والله أرسل نبينا أرسله الله الى جميع الخلق والحمد لله على هدايته لنا ثم أقبل
على المسلمين وهم حوله وفيهم الرؤساء من المهاجرين والانصار وقال لهم الحمد لله على هدايته ثم قال ان
هؤلاء أهل متجر وسوقة وضياع وهم مستضعفون وقد رأينا أن نحسن اليهم ونصالحهم ونطيب قلوبهم
ومتى كانت المدينة في أيدينا والسوقة معنا فانهم يميرونا بالعلوفة ويعلمونا بما يعزم عليه عدونا ويكونون
عونا لنا عليه فقال رجل من المسلمين أصلح الله الامير ان مدينة القوم بالقرب من القلعة ولا نأمن أن
القوم يدلون على عوراتنا ويخبرون بأحوالنا وما أتى القوم الا ليخدعونا ألا ترى الى بطريقهم وقد خرج
يبغي قتالنا وحربنا فكيف يطلب هؤلاء الصلح منا ولا شك أنهم مكروا بكعب بن ضمرة ومن معه من
المسلمين فقال أبو عبيدة احسن ظنك بالله وثق بالله فان الله ينصرنا ولا يسلط علينا عدونا فرحم الله من
قال خيرا أو صمت واذا أشرط عليهم النصيحة في صلحهم للمسلمين ثم أقبل على القوم وقال اني أريد ان تبذلوا
في صلحكم ما بذله أهل قنسرين فقالوا أيها الامير ان قنسرين أقدم من مدينتنا وأكثر جمعا ومدينتنا خالية
من السكان لجور صاحبنا لانه قد أخذ أموالنا وغلاتنا واصعد الكل الى قلعته وما بقي عندنا الا الضعفاء
ومن لا مال له وانا نسألك الترفق بنا والعدل فينا والاحسان الينا فقال أبو عبيدة فما الذي تريدون ان
تبذلوا في صلحكم قالوا نعطي نصف ما أعطى أهل قنسرين فقال أبو عبيدة قد قبلت منكم ذلك على انما
اذا نزلنا بصاحبكم أعنتمونا بالميرة والعلوفة وتبيعون وتشترون في عسكرنا ولا تكتموا عنا خبرا تكونون
تعلمونه من أعدائنا ولا تتركوا جاسوسا يتجسس علينا وان رجع اليكم بطريقكم منهزما تمنعوه ان
يصل الى القلعة فقالوا أيها الامير أما قولك هذا ان نمنع البطريق ان لا يصعد الى القلعة فما نجد الى ذلك
من سبيل ولا نقول لك ما لا نفعله ما لنا به طاقة ولا بمن معه من أعوانه وجنوده قال أبو عبيدة فلا تمنعوه

الصحابة مثله كانت مجالسه
منزهة عن اللغو والهزل
كثير الذكر محافظا على
الصلوات في الجماعة وما
وجبت عليه زكاة لان
الجهاد وصدقة التطوع
استغرقا أمواله كلها وارحل
بوالديه العزيز والافضل
أسماع الحديث من السلفي
بالاسكندرية وهذا لم يعهد

من الصعود الى القلعة وعليكم عهد الله وميثاقه والأيمان المؤكدة الغليظة ان لا تقولوا هذا القول وان توفوا لنا كل شرط تم عليكم ثم حلفهم بالأيمان التى يعرفونها الخلاف القوم عن آخرهم وصالحوا عن رجالهم وذراريهم وأبنائهم ونسائهم وعبيدهم وسائر أهاليهم وانتهوا على ذلك فقال أبو عبيدة انكم قد حلفتم وقد قبلنا قولكم وأيمانكم فان أصبنا أحدا قد أخلف أو علم من البطريق علما ولم يعلمنا به فقد وجب عليه القتل وأخذ ماله وولده حلال لنا لا يطالبنا الله بذمته ومتى نقضتم ما شرطنا عليكم فلا عهد لكم عندنا ولا ذمة لكم علينا ولنا عليكم الجزية فى العام المقبل قال سعيد بن عامر التنوخى فرضى أهل حلب بما شرطه عليهم أبو عبيدة وأخذوا عهدهم وكتب أسماءهم وعزم القوم على الانصراف الى ديارهم فقال لهم أبو عبيدة على رسلكم حتى أبعث معكم من يسير معكم الى مأمنكم فقد وجب علينا حفظكم الى أن تعودوا سالمين الى بلدكم فقال له الدحداح أيها الامير اننا نرجع من الطريق الذى جئنا منه وما تريد أحدا يسير معنا فتركهم أبو عبيدة وبات بقية ليلته قلقا على كعب بن ضمرة ومن معه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورجع القوم من ليلتهم الى حلب وانفجر الصبح ولم يصلوا فلما أشرفوا على حلب نظر اليهم بعض اعلاج البطريق وهم راجعون فاقبل اليهم وسألهم من أين أقبلتم وما صنعتم فظنوا انه من أهل حلب فاخبروه بصلحهم مع أبى عبيدة فتركهم ومضى وان القوم استقبلهم أهل حلب فسألوهم فاخبروهم بالصلح ففرحوا بذلك وأقبل العلج حتى أشرف على عسكر يوقنا وهو نازل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أحاط بهم وهو يظن انه قد ملكهم وهو يتوقع الصباح اذ أتى عليه العلج فقال له أيها البطريق انك غافل عما نزل بك وحل قال له وماذاك يا ويلك قال له ان أهل بلدك قد صالحوا العرب وكانك بهم وقد ملكوا القلعة وأخذوا الاموال والنسوان فلما سمع يوقنا ما اخبر به العلج خشى على قلعته ان يملكوها فى غيبته فانعكس عليه ما كان يؤمل ان يفوز به من الظفر باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قتل من المسلمين نيف عن المائتين وكعب قد اجهد نفسه فى الحرب وأيقنوا انهم هالكون لا محالة قال كعب ابن ضمرة وكنت ذلك اليوم صاحب القوم وأنا أثبتهم فى الحرب والى الحرب أنهضهم بهمتى وادفع عنهم بمهجتى فاذا أجحفنى القتال وركبنى الحرب التجأت الى اصحابى وأنا مع ذلك أتوقع فرجا من الله تعالى وأترقب راية أبى عبيدة ان تطلع فبعد علينا ذلك ولم تزل الحرب بيننا يوما وليلة الى الصباح من اليوم الثانى فاقسم بالله ان كان أحدنا يصلى ولا حصل له زاد يأكله ولا ماء يشربه وأنا بين اليأس والرجاء أترقب طريق قنسرين ان تطلع منه علينا راية الاسلام فما أرى لها أثرا فرأيت عند الصباح جيش العدو وقد اضطرب من جوانبه وقد علت لهم ضجة عظيمة من جميع جوانبه فقلت ما هذا الا عدد لحقهم من البلد أو من الملك فالتجأت الى كلمة الشدائد وهى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال كعب بن ضمرة فوعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت الكلمة حتى رأيت جيش العدو وقد انكشف عنا على عقبه فقلت الحمد لله حمد الشاكرين وانى أظن أن صائحا صاح بهم من السماء فبددهم أو ملائكة نزلت عليهم كيوم بدر فلم أر لهم أثرا قال كعب فهممت ان أتبعهم فصاح المسلمون الى أين يا كعب أما كفاك ما نحن فيه انزل بنا الى الارض وارض بما فيه من التعب والنصب ونؤدى فرضنا ونريح خيولنا فما رد الله هؤلاء القوم الا بمشيئته وقدرته قال فنزل كعب وشربوا الماء واسبغوا الوضوء وصلوا ما فاتهم وأكلوا زادهم واستقبلوا الراحة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وابطأ خبر كعب على أبى عبيدة فلما صلى الصبح انفتل من صلاته وأقبل على المسلمين وخاطب من بينهم خالدا وقال يا أبا سليمان ان أخاك أبا عبيدة ما رقد الليلة غما وانه كان يجب علينا الشكر بما فتح الله علينا وان نفسى تحدثنى بان الذين مع كعب بن ضمرة قد قتلوا لما أخبرنى هؤلاء الذين يسألون الصلح أن صاحبهم يوقنا قد سار اليهم ولم أر أثرا وأظن انه صادف أصحابنا رقتلهم وأفناهم عن آخرهم فقال خالد والله انى ما غمت مثلك من الغم عليهم فما الذى عزمت ان تصنع قال الرحيل ثم أمر الناس بالرحيل وارتحلوا وساروا يريدون حلب وعلى المقدمة خالد بن الوليد

لسلطان من زمن هرون الرشيد فانه رحل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطأ من مالك بالمدينة وفى زمنه جاءت الافرنج الى ثغر دمياط بمائتى مركب مملوءة بالعساكر فسار اليهم صلاح الدين بعساكر كثيرة من مصر وقاتلهم فانهزموا ورجعوا

وعلى الساقة أبو عبيدة فما كان غير بعيد حتى أشرف على المسلمين خالد بن الوليد وهم نيام وقد أقاموا لهم
من الديدبان من يحرسهم فلما أشرف عليهم خالد والراية في يده رفعها فوق رأسه فلما رآها الديدبان صاح
النفير يا أنصار الدين فثاروا عن مضاجعهم كأنهم أسد ثائرة واستووا على متون خيولهم واستقبلوا صاحب
الراية فعرفوه فصاح بعضهم ببعض هذه والله راية الاسلام والمسلمين فنزل خالد وسلم عليهم واتصلت
بهم الساقة وأقبل أبو عبيدة فلما نظر كعب بن ضمرة حمد الله وأثنى عليه ونظر الى موضع القتلى مطروحين
وما كان من المسلمين وراءهم فلما نظروا الى ذلك عاد فرحهم ترحا واسترجعوا وقالوا لا حول ولا قوة الا بالله
العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون وسأل كعبا كيف قتل أصحابك هؤلاء ومن قتلهم فأخبره كعب
بقتال يوقنا وانه أشرف هو وقومه ومن كان معه على الهلاك حتى لم يبق فيهم حركة وغنا الليلة هذه فلما
أصبحنا واذا هم قد صاحوا وانقلبوا راجعين عنا من غير قتال فقال أبو عبيدة فسبحان مسبب الاسباب
ليت أبا عبيدة قتل أمامهم ولم يقتلوا تحت رايته ثم أمر بدفن المسلمين بعد ما جمعهم زمرا زمرا وصلى
عليهم ودفنوهم بأسلابهم ودمائهم ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الشهداء
الذين قتلوا في سبيل الله يوم القيامة ودماؤهم على أجسادهم اللون لون الدم والريح ريح المسك والنور
يتلألأ عليهم ويدخلون الجنة فلما واروهم في حفرهم قال الواقدي كان عدو الله يوقنا رجع الى القوم
وعلم بصلحهم انا فيلقون منه تعبا عظيما فالحق بهم فقد وجب علينا أن نذب عنهم لانهم تحت ذمتنا وارتحل
أبو عبيدة يريد حلب فلما وصل البيهار أى البطريق وجنوده وقد أحدقوا بأهل البلد وهم يريدون قتلهم
ويقال لهم يا ويلكم صالحتم العرب عن أنفسكم وصرتم عونا لهم علينا قالوا قد فعلنا ذلك وانهم قوم
منصورون فقال يا ويلكم ان المسيح لا يرضى بفعلكم وحق المسيح لاقتلنكم عن آخركم أو تخرجون
معي الى قتالهم وتنقضون ما بينكم وبينهم من العهد والميثاق فأخبروني عن بدأ بهذا الامر حتى أبدأ به
قال فلم يطيعوه على ذلك فقال لعبيده ادخلوا عليهم وائتوني بهم لاقتلهم فقد أخبرني فلان انه لقيهم
وعرفني بهم فهجم العبيد عليهم وجعلوا يقتلونهم على فرشهم وأبواب منازلهم فسمع أخوه يوحنا الضجة
في البلد وهو في القلعة فنظر الى أخيه وهو يقتل في الناس وقد قتل من أهل البلد ثلثمائة فصاح بهم
وبأخيه على رسلك لا تفعل فان المسيح يغضب عليك وقد نهانا أن نقتل عدونا فكيف عن هو على ديننا
فقال يوقنا لاخيه انهم صالحوا العرب عن البلد وصاروا لهم عونا علينا فقال يوحنا وحق المسيح لا أبقت
عليك العرب أبدا وان لهم من يقتص منك قال ومن يقتص مني قال المسيح يقتلك كما قتلتهم بغير ذنب فقال
يوقنا أنت حملتهم على ذلك وأنت أول من أبطش به ثم عمد الى أخيه وقبض عليه وجرد سيفه ليعلوه به فلما
نظر يوحنا الى أخيه وقد جرد سيفه وعلم انه هالك رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اشهد على أني مسلم وأني
مخالف لدين هؤلاء القوم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم قال لاخيه اصنع ما أنت
صانع فان كنت قاتلي فاني صائر الى جنات النعيم فورد على يوقنا من اسلام أخيه مورد عظيم ومن أهل
بلده ومن فزعه من المسلمين فحمله الغيظ على أن رمى برأس أخيه عن جسده والتفت الى أهل البلد
فوجدهم يستغيثون فلا يغاثون ويسألونه فلا يجيبهم ولا يكف عنهم فكثر منهم الضجيج وعلت الجلبة وقد
أخذوا عليهم البلد من سائر جوانبها وقد آيس أهل حلب من نفوسهم واذا بالفرج وقد أتى والمعونة وقد
أدركتهم وأشرفت عليهم رايات المسلمين وأبطال الموحدين وهم ينادون بكلمة التوحيد ويقدمهم
خالد بن الوليد فلما نظر خالد الى أهل حلب ولهم ضجيج بالصياح والبكاء قال لأبي عبيدة أيها الامير هلك
والله أهل صلحك وذمامك كما ذكرت فصاح بجواده وحمل الراية وزعق في القوم وقال افرجوا معاشر
الاعلاج عن أهل صلحنا ثم أجاد فيهم الطعن وحمل المسلمون معه وبذلوا السيف في الاعلاج فلما نظر يوقنا
الى ذلك انهزم الى القلعة ومعه بطارقته قال محصن بن عترة فرج الله عن أهل البلد بقتل الاعلاج يوم
حلب في البلد فمن لجأ الى القلعة سلم ومن طلب الحرب قتلناه قال محصن فكان جملة من قتل يوقنا من أهل

الى بلادهم وكانت مدة
ولايته اثنتين وعشرين
سنة وشهرين وتوفى في سنة
تسع وثمانين وخمسمائة
بمحروسة دمشق وعمره
سبع وخمسون سنة وقبره
بها ظاهر بزار (ثم تولى من
بعده ولده عثمان) وأعطت
دمشق لاخيه الملك الافضل
على وحلب لاخيه غياث

صلبنا ثلثمائة وقتلنا نحن من أصحابه ثلاثة آلاف أو يزيدون فكانت وقعة عجيبة ففرح المسلمون بها فلما
قتل من قتل وفرج الله عن أهل حلب ما يجدون أخبروا أبا عبيدة كيف قتل يوقنا أخاه يوحنا وبالقصة
جميعها (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما سمع يوقنا سيوف المسلمين صعد القلعة هو ومن معه من جنده
واستعد للحصار ونصب المجانيق ونشر السلاح على الاسوار وكثر آلة الحصار وأما أهل حلب فانهم أخرجوا
لعساكر المسلمين أربعين أسيرا من البطارقة فقال لهم أبو عبيدة لأي سبب أسرتم هؤلاء قالوا لانهم من
أصحاب يوقنا هربوا الينا فلم نر أن نخفيهم منك لانهم ليسوا معنا ولا معنا في الصلح قال فعرض عليهم
الاسلام فأسلم منهم سبعة وأما الباقون فأبوا فضرب رقابهم وقال لهم لقد نصحتم في صلحكم وسترون منا
ما يسركم وصار لكم ما لنا وعليكم ما علينا وهذا بطريقكم قد تحصن في هذه القلعة فهل تعرفون لها
عورة تدلونا عليها حتى نقاتلهم منها فان فتحها الله علينا جعلنا سهم الكم غنيمة مع ما غنمتم من قومكم حتى
نكافئكم بفعلكم الجميل فقالوا أيها الامير والله ما نعرف لها عورة وان يوقنا قد شحن طرقاتها وقطع
مسالكها وعر فجاجها وهذا ما نعلمه ولولا أنه قتل يوحنا لكان أخذ نها منه لا لكم فقال أبو عبيدة وما
جرى له فأخبروه بخبره وحديثه مع أخيه وانه أسلم بعد ما رفع يديه الى السماء وما ندري ما قال غير اننا
سمعنا طرف كلامه وهو يقول اللهم انى أشهد أن لا اله الا أنت وان عيسى عبدك ورسولك ومحمدا
عبدك ورسولك ختمت به الانبياء وجعلته سيد المرسلين ولا دين أعلى من دينه فاصنع ما أنت صانع فلما
أسلم قتله قال فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال في أي موضع قتله ثم وثب وأخذ خالدا معه وجماعة من المسلمين
وأتوا الى موضع قتله وهو رأس سوق الساعة فوجده ملقى على ظهره وهو كأنه البدر ليلة تمامه مشيرا
باصبعه الى السماء وقدمات واصبعه قائمة فأخذه أبو عبيدة وكفنه وصلى عليه ودفنه في مقام ابراهيم فلما
واروه أتى الى أبي عبيدة رجل من المسلمين فقال أصلح الله الامير انظر الى هؤلاء القوم فان كانوا من
حزبنا نصحوا ودلونا على عورات قومهم فقال لا والله ما يفعلون ذلك أبدا فعندها أقبل أبو عبيدة على
المسلمين وقال أشيروا على رحمكم الله فقال له ذلك الرجل وكان اسمه يونس بن عمرو الغساني وكان رجلا
بصيرا بالشام وجباله ومدنه وجميع أرضه وعارفا بطريق الشام أصلح الله الامير انظر الى ما أعرفه من
البلاد وما عندي من الرأي قال أبو عبيدة تكلم يا ابن عمرو فأنت عندنا ناصح للمسلمين فقال ان الله قد فتح
على يدك الشام سهله وجبله وحزنه ووعره وقتل طاغية الكفر وحاميته وأما بقايا عساكرهم فهي من
وراء الدروب وهي جبال وعرة ومضايق والقوم قد رعبت قلوبهم مما أباد الله منهم وليس لهم قلوب
يقاتلون بها المسلمين فحاصر هذه القلعة وبث الخيل وشن الغارات في بقايا البلاد وشاطئ الفرات
فما لهم زاد يقوم بهم فتبسم خالد من كلام الغساني وقال هذا والله هو الرأي وأنا أشير عليكم بمشورة أخرى
أن نزحف نحو القلعة فلعل الله أن يفتحها في وقتنا هذا فاني أخشى ان طال بنا المقام أن تعطف علينا
جيوش الروم من جهة أخرى فيحولوا بينها وبيننا قال أبو عبيدة يا أبا سليمان لقد أشرت فأحسنت
وقلت فصدقت ثم أمر أبو عبيدة بالزحف الى القلعة فترجلت الفرسان عن خيولهم وتجردت من ثيابهم
واختلط العبيد والسادات وافتخرت القبائل وانبثت العشائر وتجاوبوا بالاشعار وتداعوا بالانساب
قال مسروق بن مالك فوالله ما رأيت في قتال حصون الشام يوما كان أعظم من ذلك اليوم لاننا كنا
نشبه دوران الحرب كدوران الرحى ثم شم ما دارت عليه وقد برزنا اليهم في أول حربهم وتبادرت أبطال
اليمن وسادات ربيعة ومضر يتلو بعضهم بعضا وجعلوا يطلبون القلعة من حيث لا طريق عليها فاذا دنوا
منها أخذتهم الحجارة من كل جانب ورموهم بالمجانيق والعرادات وكنت أنا وأصحابي أقرب الناس الى
الارض ففرزعنا راجعين على أعقابنا يدفع بعضنا بعضا لا أظن أن ينجو منا أحد فوقعت الخذلة في المسلمين
وقد شدخت منا الحجارة خلقا كثيرا فقتلت بعضنا وبعضنا رمته فكان من جملة من قتل يوم حصار قلعة
حلب بالحجارة عامر بن الاصلع الربعي ومالك بن خزعل الربعي وحسان بن حنظلة ومروان بن عبد الله

الدين غازى فاقام عثمان
خمس سنين وعشرة أشهر
ومات سنة خمس وتسعين
وسمائة ودفن بداره في
القاهرة ثم نقل لتربة
الامام الشافعي قبل بناء
القبة (ثم تولى من بعده
الملك المنصور محمد بن
عثمان) وهو الثالث من
ملوك بني أيوب فاقام سنة

وسليمان بن فارغ العامرى وعطاف بن سالم الكلابى وسراقة بن مسلم بن عوف العدوى ورجال من أهل اليمن من آل عامر ومن بنى كلاب وغيرهم وسبعة من بنى عبد الله قال مرزوق بن مالك فلقد كنا نرى بعد ذلك بسنين خلقا كثيرة عرجا من يوم حصار قلعة حلب فعندها نصب أبو عبيدة رايته خارج المدينة وجعل ينادى بالمسلمين فاجتمعوا اليه فقال أيها الناس انكم قاتلتم اليوم على غرة فادفنوا الشهداء وشدوا كل من أصابه جرح فانتدب المسلمون الى ذلك وفرح الروم بهزيمة المسلمين وما قد نزل بهم فقال لهم يوقنا ان العرب لا تدنو من القلعة بعد هذا اليوم أبدا وان حاصرونا فلأ كيدنهم ولأهبطن الى عسكرهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد حدثنى عبد الله بن سليمان الدينورى وكان ممن نقل أخبار الشام وفتوحه عن ثقات المسلمين قال حدثنى عمرو ان يوقنا انتخب ألفين من خيار بطارقته وأبطاله وقال لهم انزلوا مسرعين واحذر بعضكم بعضا وميلوا على طرف عسكر المسلمين اذا خمدت نيرانهم واغتنموا غرتهم وأمر عليهم وزيره فنزلوا ليلا من القلعة وجعلوا يدورون حول العسكر الى أن أتوا الى مكان وقد خمدت نيرانهم وكان القوم بادية من أهل اليمن مثل مراد وبنى كلاب وعبيدهم قال عبد الله بن صفوان البكى كنا تلك الليلة غافلين من عدونا آمنين لكثرتنا وقد غفل حرسنا فلم نشعر الا وجماعة الروم قد هجموا علينا وهم ينادون بلغتهم وقد أعلنوا التبهرج بزينتهم فلا نعلم ما يقولون ووضعوا السيف فينا فكان النجيب منا من استوى على جواده وطلب النجاة وهو لا يعلم من أين دهى ولا كيف يتخلص وقد وقعت الجندلة فى أبطال المسلمين وعساكرهم والقوم ينادون النفير النفير دهينا ورب الكعبة وهم يسرعون الى خيمة أبى عبيدة وينادون أيها الامير كبسنا يوقنا فعندها ركب الامير فى بعض الرجال وجعل يدور حول العسكر فنظر صاحب الروم الى العرب وقد لحقته فصاح بأصحابه من كان أخذ شيأ فليتركه وليطلب نجاة نفسه قال عبد الله بن صفوان أخذوا من رجالنا نحو خمسين رجلا من أخلاط الناس وأكثرهم من ربيعة ومضر ومضوا يجمع بعضهم بعضا ويطلبون القلعة فلما نظر خالد الى ذلك حمل فى أصحابه واقتطع من الروم زهاء من مائة رجل ووضع فيهم السيف فقتلهم عن آخرهم فلما وصل أصحاب يوقنا الى القلعة فتح لهم وأدخلهم فلما أضاء الفجر وطلعت الشمس دعا يوقنا بالمسلمين الخمسين رجلا وهم موثقون بالحبال فقربهم الى موضع ينظرهم المسلمون ويسمعون أصواتهم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله حتى قتلوا عن آخرهم فلما نظر أبو عبيدة الى ذلك أمر مناديا ينادى فى عسكره عزيمة من الله ورسوله ومن الامير أبى عبيدة على كل رجل لا يكل حرسه الى غيره وليكن كل رجل منكم حارس نفسه ولا يتكل بعضكم على بعض قال فأخذ القوم حذرهم وأعدوا حرسهم وأقبل يوقنا يدبر أمره فى مكيدة أخرى ليكيد بها المسلمين اذ علم انهم محاصرون ومع ذلك جواسيسه تأتيه بالاخبار فى الليل والنهار وكان أعظم جواسيسه من متنصرة العرب لانهم كانوا يحسنون لسان الرومية قال فبينما يوقنا ذات يوم جالس فى قلعته والبطارقة من حوله وقد اضر بهم الحصار وأشد ما كان عليهم من أهل المدينة لانهم لا ينظرون الى رجل من أصحابه يعرفونه الا أخذوه وسلموه للمسلمين واذا بجاسوس قد أقبل وهو من عيونه فقال له أيها السيد ان أردت أن تكيد العرب فهذا وقتك فقال له يوقنا وكيف ذلك وما الذى عندك من الخبر قال ان العلافة منهم قد خرجوا الى وادى بطنان وقد صالحوا أهله وعلوفة العرب وميرتهم منه وقد رأيت منهم جمالا وبغالا ومعهم طائفة منهم وعليهم القمصان الخلقة وبأيديهم الرماح المشبعة وهم يقصدون القرى فى طلب الميرة وهم قليلون وليس هم فى كثرة فلما سمع يوقنا ذلك من جاسوسه اختار ألفا من أصحابه وقال لهم أصطفوا شأنكم وحق المسيح لاضيقن على العرب مسالكهم ولاقطعن عليهم طرقاتهم فلما أقبل الليل فتح لهم الباب وسار الجاسوس أمامهم حتى استقاموا على الجادة وجعلوا يسيرون تحت جنح الليل فبينما هم كذلك اذ هم براع ومعه سرح من البقر يريد بها بلده وقد خرج بها من بلاد آخر وهو يسير بها سيرا عنيفا فلما نظروا اليه أسرعوا نحوه وقالوا أحسست

واحدة وشهرين وعزل اصغره فانه ولى وعمره تسع سنين ثم وضع فى السجن بقلعة الجبل حتى مات (وتولى من بعده عم ابيه أبو بكر بن أيوب) سنة ست وتسعين وخمسمائة وهى السنة التى ولد فيها سيدى احمد البدوى رضى الله تعالى عنه ولقب بالملك العادل ودعى له ولولده

باحد من العرب قد عبر عليك قال نعم والشمس عند الغروب قد اصفرت وهم نحو مائة رجل على خيول وهم مسرعون ومعهم جمال وبغال وهم يريدون الميرة من هذا الوادى من الذين هم فى صلحهم واسنا نخاف منهم فقال له المقدم عليهم الآن قد ألقيت علينا من صلح أهل هذا الوادى مالم يكن عندنا منه خبر فبحق المسيح أخبرنا بأى طريق ذهبت العرب فقال من ههنا وأومأ بيده الى الشرق فسار البطريق بمن معه ولم يعرفوا ان صاحب البقر منهم حتى اذا قرب الصبح أشرفوا على خيل المسلمين وكان الامير عليها يقال له مناوش فلما نظر مناوش الى خيل الروم قد أقبلت اقبل على أصحابه وقال يابنى العرب هذا بطريق من بطارقة الروم قد أقبل الينا فدونكم اياه والجهاد والصبر على الشدة تنالوا الجنة ثم حمل وحمل معه أصحابه فحملت عليهم الروم فثبت لهم المسلمون واقتتلوا اقتتالا شديدا وقتل مناوش بن الضحاك والغطريف بن ثابت ومنيع بن ثابت ومنيع بن عاصم وكهلان بن مرة فقتل من المسلمين ثلاثون رجلا كلهم من طيئ وانهزم الباقون وملكت الروم ما كان مع المسلمين من الابل والبغال وعاد المسلمون منهزمين فعند ذلك أقبل البطريق على أصحابه وقال ارموا الاحمال عن هذه الدواب واعقروها وسوقوا بقية الدواب بما عليها فانها النامرة واطلبوا الجبل واختفوا عن أعين العرب والا ففى هذه الساعة تطلع علينا خيول العرب كالرياح تهزمكم فاكمنوا حتى اذا جاء الليل طلبنا القلعة واعتصمنا بها ففعلوا ذلك وقتلوا الجمال وساقوا الدواب والتجؤا فى الجبل الى قرية فاقاموا بقية يومهم يرقبون الليل ليرجعوا الى القلعة وأقاموا لهم ديدبانا فقال عوف بن صباح الطائى كنت فى الخيل لما قتل عمى مناوش ونحن فى قلة وقد دهمتنا الخيل فلما نظرنا الى كثرة الروم وشدة بأسهم مع قلتنا أخذنا على أنفسنا وأتينا المسلمين فبادر الينا أبو عبيدة وقال لنا ماوراءكم قلنا الحرب والطعان فقتل منا مناوش وقتل معه خلق كثير من فرساننا وأخذ ما كان معنا من الزاد والدواب فقال أبو عبيدة وما الذى دهاكم وقد حاصر الله الروم وما يجسر أحد أن يخرج منهم قالوا الاعلم لنا غير انا رأينا بطريقا عظيما قد أشرف علينا وهو فى عدة حسنة وخيول كثيرة مستعدين للقتال لا نعلم عددهم ولا من أين أتى مددهم فهجموا علينا ونحن سائرون فاصيب أميرنا وقتل رجالنا وأخذوا ما كان معنا من الدواب والزاد فلما سمع أبو عبيدة ذلك دعا بخالد بن الوليد اليه وقال يا أبا سليمان أنت لها وللمعد لمثلها وانى واثق بالله ثم بك مع انى أستخير الله فى جميع أمورى سر على بركة الله تعالى وخذ معك من المسلمين من أردت لعلك أن تقفو القوم وتعاين موضع أثر الوقعة وتتبع آثارهم عسى الله أن يوقعنا بهم وأطلبهم أينما كانوا وحيث ساروا لعلك تأخذ بثار المسلمين واعلم اننا صالحنا أهل الوادى واننا لا ننقض عهدنا ولا نحول عن قولنا الا أن يكون القوم قد مكروا بنا فنجد الى قتالهم سبيلا فاتق الله فيهم سر يرحمك الله قال فاسرع خالد الى خيمته ولبس سلاحه واستوى على متن جواده وهم بالمسير وحده فقال له أبو عبيدة الى أين يا أبا سليمان قال له أسارع الى ما أمرتنى به فقال له خذ من اردت معك من المسلمين فقال خالد أنا أمضى وحدى وما اريد أحدا فقال له أبو عبيدة كيف تمضى وحدك وعدوك فى عدد كثير قال خالد لو كانوا الى ألف أو ألفين ألقاهم بعونة الله تعالى فقال له أبو عبيدة انك كذلك ولكن خذ معك رجالا قال فاخذ ضرارا وأمثاله وسار حتى أتى الى موضع الوقعة فرأى القتلى مطروحين ورأى حولهم أهل الوادى وهم يبكون خوفا من المسلمين على أنفسهم وذراريهم وان العرب تطالبهم بهم فلما طلع عليهم خالد ومن معه كأنهم شعلة نار تصارخ القوم فى وجهه وألقوا أنفسهم بين يديه فقال لهم خالد من هؤلاء القوم الذين قتلوا أصحابنا قالوا انا نحن بريئون من دماء أصحابكم ونحن فى صلحكم فاستحلفهم خالد انهم لا يعلمون من قتلهم خلفوا له فقال لهم من الذى أوقع باصحابى فقالوا بطريق بعثه يوقنا من القلعة ومعه ألف فارس من أشد قومه وان لهم فى عسكركم عيونا يخبرونه بما أنتم فيه كل ساعة فقال لهم وفى اى طريق قصد وا قالوا فى هذا الطريق فقال خالد أوما حلفتم ان ما عندكم علم بهم قالوا هذا الذى يخبرك من أهل حلب قد أتى يشترى طعاما ولولا انك أقبلت فى هذه الساعة ما كنا عرفنا عن قتلهم فقال له خالد ادلنا على هذا الطريق أخذوا

الكامل فى الخطبة وفى زمنه انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالدرب الاصفر الى قلعة الجبل فى سنة أربع وستمائة وأول من سكنها الكامل نائبا عن أبيه ثم توفى العادل سنة خمس عشرة وستمائة فكانت مدته تسع عشرة سنة وأربعين يوما (وتولى من بعده ولده

عبد الله عمر الى عامله أبى عبيدة سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم واعلم يا أبا عبيدة أن بانقطاع كتابك وابطاء خبرك يكثر قلقى ويضنى جسدى على اخوانى
المسلمين ومالى ليل ولا نهار الا وقلبى عندكم ومعكم فاذا لم يأت منك خبر ولا رسول فان عقلى طائر وفكرى
حائر وكأنك لا تكتب الى الا بالفتح او الغنيمة واعلم يا أبا عبيدة اننى وان كنت نائيا عنكم فان همتى عندكم
وانى داع لكم وقلقى عليكم كقلق الوالدة الشفيقة على ولدها فاذا قرأت كتابى هذا فكن للاسلام والمسلمين
عضدا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعث الكتاب الى أبى عبيدة فلما ورد عليه وقرأه عليهم قال
معاشر المسلمين اذا كان امير المؤمنين داعيا لكم وراضيا عنكم فى فعالكم فان الله ينصركم على
عدوكم ثم كتب جواب الكتاب يقول بسم الله الرحمن الرحيم الى أبى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
من عامله بالشام أبى عبيدة سلام عليك وانى أحمد الله تعالى واصلى على نبيه وبعد يا امير المؤمنين فان الله
تعالى له الحمد قد فتح على أيدينا قنسرين وقد شننا الغارة على العواصم وقد فتح الله علينا مدينة حلب صلحا
وقد عصت علينا قلعتها وبها خلق كثير مع بطريقها يوقنا وقد كادنا مرارا وذكر له ما جرى له مع أخيه يوحنا
وأنه قتل منا رجالا ورزقهم الله الشهادة على يديه ثم انه ذكر له من قتل والله تعالى من ورائه بالمرصاد
وقد أردنا الحيلة عليه فلم نقدر وأردت الرحيل عنه وعن محاصرته الى البلاد التى بين حلب وانطاكية
وأنا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين وبعث الكتاب مع عبد الله بن قرط وجعدة بن جبير
فسارا الى أن أخذا فى طريق هيشت العتيقة وجدا فى السير حتى قطعا أرض الجفار الى صكاصكة وهى
حصن العرب قريبة من تيما فلما وصلا اليها عارضهما فارس وعليه درع سابغ وعلى رأسه بيضة تلمع
وهو معتقل برمح كأنه قد برز الى عدوه أو قاصد الى قتال فلما نظر اليهما قصدهما فقال عبد الله بن قرط لجعدة
ابن جبير يا ويلك أما ترى هذا الفارس وقد عارضنا فى مثل هذا المكان على مثل هذه الحالة فقال له جعدة
وما عسى أن نتخوف من فرسان العرب ورجالها وليس فى هذا الموضع من رفع عمودا أو ضرب
وتدا الا وأصبح معنا ودخل تحت طاعتنا وفى شر يعتنا فلما قرب الفارس منا سلم علينا وقال من أين اقبلتما
والى أين قاصدين فقالا له نحن رسولان من الامير أبى عبيدة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله
عنه فمن أنت أيها الرجل قال انا هلال بن بدر الطائى فقالا له ما لنا نرى عليك آلة الحرب قال انى خرجت فى
طوائف من قومى وجماعة من أصحابى نريد الشام للجهاد لكتاب ورد علينا من عمر بن الخطاب فلما رأيتكما
فى بطن الوادى قصدتكما لأنظر ما قصتكما ولى اصحاب من ورائى مقبلون ثم سلم عليهما وولى فركضا مطيتهما
وسارا واذا بالخيل قد أشرفت والابل قد أقبلت تتبع هلال بن بدر ارسالا لا يتبع بعضا بعضا الى ان
لحقوه فأخبرهم بقصة صاحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك وساروا يريدون الشام وأما عبد
الله بن قرط وجعدة بن جبير فانهما وصلا المدينة ودخلا المسجد وسلما على عمر بن الخطاب وعلى المسلمين
ودفعا له الكتاب فلما قرأه استبشر ورفع كفيه الى السماء وقال اللهم اكف الناس شر كل ذى شر ثم أمر
مناديا فنادى فى الناس الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس قرأ عليهم كتاب أبى عبيدة فلما قرأه قدم عليه
ركب من حضرموت واقاصى اليمن من همدان ومدان وسبا ومارب يسألونه ان ينفذهم الى الشام فقال
لهم عمر فى كم أنتم بارك الله فيكم قالوا نحن زهاء من أربعمائة فارس وثلثمائة مطية مردفين ومعنا أناس
يمشون على اقدامهم لا ركاب لهم فان كان عند أمير المؤمنين ما يحملهم عليه حتى نصل الى عدونا فقال لهم
عمر وكم يبلغ الرجال الذين معكم قالوا أربعين ومائة رجل فقال لهم عرب أو موال قالوا عرب وموال أذن
لهم ساداتهم فى الجهاد والمسير الى الاعداء فعندها دعا عمر بعبد الله ابنه رضى الله تعالى عنهما وقال امض
الى مال الصدقات فات القوم بسبعين راحلة ليتعقبوا عليها ويحملوا زادهم وميرتهم على ظهورها فأسرع
عبد الله بن عمر وأتى بسبعين بعيرا وسلمها اليهم وقال لهم جدوا رحمكم الله الى اخوانكم المسلمين وأسرعوا
الى حرب عدوكم ثم كتب الى أبى عبيدة أما بعد فقد ورد على كتابك مع رسلك فسرنى ما سمعت من الفتح

أكثر ثم خلع وسجن سنة
تسع وثلاثين وستمائة وقتل
بعد ذلك ودفن عند الامام
الشافعى (وتولى من بعده
أخوه الصالح نجم الدين
أيوب ابن الملك الكامل)
فاقام عشر سنين الا أربعة
اشهر وبنى المدارس الاربعة
بين القصرين وعمر قلعة
بالروضة واشترى الف مملوك

فقال له الرجل نعم ورأيتهم يطلبون الجبل فقال خالد لأصحابه ان القوم علموا أنهم لابد لهم من خيل تطلبهم وتتبعهم وقد عدلوا عن طريقنا حتى اذا هجم عليهم الليل رجعوا الى قلعتهم فعولوا على المسير في طلبهم ثم انهم أرخوا الاعنة وخالد يقدمهم وقد أخذ معه رجالا من المعاهدين يقفون بهم أثر الطريق والقوم فلما حصلوا على الطريق قال خالد لواحد من المعاهدين ألهم طريق الى قلعتهم غير هذا قال نعم ولكن اكمن ههنا فانك تفوز بهم ان شاء الله تعالى فنزل خالد ومن معه في الوادي وهم يرقبون الطريق فما مضى من الليل الا قليل اذ سمع وقع حوافر الخيل والبطريق امامهم والخيل من ورائه وهو يزجرهم ويحثهم على المسير فلما توسطوهم صاح خالد صيحة شديدة ووثب خالد كأنه الاسد وخرج عليهم هو وأصحابه فما كان قصد خالد غير البطريق وظن أنه يوقنا فضربه ضربة رماه نصفين وقد وضعوا السيف فيهم وجعلوا يطلبونهم وهم في الهرب فلم ينج منهم الا من أطال الله أجله وحازوا جميع ما معهم وأتوا برأس البطريق الى أبي عبيدة على رأس رمح فوجدوه متلهفا على قدومهم فلما أشرف خالد بمن معه من الاسارى والاسلاب والدواب هللوا وكبروا فاجابهم العسكر بالتهليل والتكبير قال وأتى خالد ومن معه بالرأس والاسلاب والاسارى فكانوا أزيد من ثلثمائة أسير ورؤس القتلى سبعمائة فعرضوا عليهم الاسلام فأبوا وقالوا نحن نعطيك الفداء فقال خالد نضرب رقابهم قبال القلعة انوهن بذلك عدو الله قال فضربت رقابهم قبال القلعة فقال خالد انا كنا نظن انا محاصرون القوم واذا نحن بخلاف ذلك وهم يرقبون غفلتنا وينتظرون غرتنا وقد قتلوا جمالنا والدواب والصواب أن نجعل عليهم حرسا في كل طريق عكننا ولا نمكنهم أن يخرجوا من قلعتهم ونضيق عليهم ما استطعنا قال أبو عبيدة جزاك الله خيرا يا أبا سليمان ما أبصرك بالامور فلما كان من الغد صلى أبو عبيدة بالناس صلاة الفجر دعا بعبد الرحمن بن أبي بكر وبضرار بن الازور وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق ففرقهم حول القلعة ومعهم من اختاروا وأمرهم أن يمسكوا الطريق والمسالك على يوقنا حتى لو طار طائر منها أو اليها اقتنصوه وأقام القوم على ذلك مدة فلما طال عليهم ذلك ضجر أبو عبيدة لطول مقامه فأمر الناس بالرحيل عنهم وعزم أن يتباعد عنهم أي عن القلعة لعل أن يجد منهم غفلة فينتهزها قال فبعد عن المدينة فنزل بقرية بقرب منها يقال لها النيرب وهو يريد حيلة يصل بها الى يوقنا قال ويوقنا لا ينزل من القلعة ولا يفتح بابها فافتكر أبو عبيدة غاية الفكرة وقال لخالد يا أبا سليمان ان جواسيس عدو الله تكشف أخبارنا وتوصلها اليه وتخوفه فاني أقسم عليك يا أبا سليمان الا ما جلت في عسكرنا جولة واختبرت أمر الناس فلعلك تقع بأحد من جواسيسه قال فركب خالد وأمر الناس أن يدوروا في عسكرهم وأن يقبضوا على كل من أنكروه قال فبينما خالد في طوافه اذ نظر الى رجل من العرب المتنصرة وبين يديه عباءة يقلبها فجعل خالد يرمقه فاستراب الرجل منه فناداه وقال من أي الناس أنت يا أخا العرب قال أنا رجل من اليمن قال من أيها قال فأراد أن يقول وينتمي الى غير قبيلته فجرى الحق على لسانه فقال أنا من غسان فلما سمع خالد كلامه قبض عليه وقال له يا عدو الله أنت عين علينا لعدونا قال ما أنا متنصر وانا مسلم فأتى به الى أبي عبيدة وقال أيها الامير قد رابني أمر هذا لاني ما رأيته قط الا يومي هذا وقد ذكر أنه من غسان ولا شك أنه من عباد الصليب فقال أبو عبيدة اختبره يا أبا سليمان قال وكيف أختبره قال اختبره بالقرآن والصلاة فان أجابك والا فهو كافر فقال له خالد فصل ركعتين واجهر بالقراءة فيهما فلم يدر ما يقول فقال له خالد أنت يا عدو الله عين علينا ثم استخبره عن شأنه فأخبره وأقر أنه عين عليهم فقال له خالد أنت وحدك قال لا ولكنا ثلاثة أنا أحدهم والاثنان قد ذهبا الى القلعة ليخبرا يوقنا بخبركم وأنا قد تخلفت لانظر ما يكون من أمركم فقال أبو عبيدة اخبرني أيما أحب اليك القتل أو الاسلام فليس بعدهما شئ فقال الغساني أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم رجع أبو عبيدة الى حلب ومازالت القلعة محاصرة أربعة أشهر وقيل خمسة أشهر وابطا خبر أبي عبيدة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب الى أبي عبيدة يقول بسم الله الرحمن الرحيم من

الكامل أبو الفتح ناصر الدين محمد) فعمر قبة الامام الشافعي والمدرسة التي بين القصرين المعروفة بالكاملية وأقام عشرين سنة وشهرين وتوفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بدمشق (وتولى من بعده ولده العادل أبو بكر) وعمره ثماني عشرة سنة فأقام سنة وشهرين وأياما وقيل

والنصر على أعدائكم ومن قتل من الشهداء وأما ماذكرته من انصرافك الى البلاد التى بين حلب وانطاكية وتترك القلعة ومن فيها فهذا رأى غير صواب تترك رجلا قد دنوت من دياره وملكت مدينته ثم ترحل فيبلغ الى جميع النواحى أنك لم تقدر عليه ولم تصل اليه فيضعف ذكرك ويعلو ذكره ويطمع من يطمع ويجترئ عليك أجناد الروم خاصتهم وعامتهم وترجع اليه الجواسيس وتكاتب ملوكها فى أمرك فاياك أن تبرح من مجاهدته حتى يقتله الله أو يسلم اليك ان شاء الله تعالى أو يحكم الله وهو خير الحاكمين وبث الخيل فى السهل والوعر والضيق والسعة وأكناف الجبال والاودية وشن الغارات فى حدود الغارات ومن صالحكم منهم فاقبل صلحه ومن سالمك فسالمه والله خليفتى عليك وعلى المسلمين وقد أنفذت كتابى اليك ومعه عصبة من حضرموت وغيرهم وأهل مشايخ اليمن ممن وهب نفسه لله تعالى ورغب فى الجهاد فى سبيل الله وهم عرب وموال فرسان ورجال والمدد يأتيك متواترا ان شاء الله تعالى والسلام وختم الكتاب وسلمه لعبد الله بن قرط وجعدة وجعل القوم يجدون فى سيرهم ومع ذلك يسألون عبد الله بن قرط وصاحبه عن بلاد الشام وفتح البلاد وقتل الروم الى ان سألوهما عن مستقر العسكر فقال لهم عبد الله ان جميع المسلمين وأميرهم محاصرون لقلعة حلب وفيها أعظم من عظماء الروم ومعه أعلاج من أصحابه وقد تحصنوا فى رأس قلعته فقالوا له يا ابن قرط ماهؤلاء لا يدخلون فى جملة من صالح من أصحابهم فقال لهم يامعاشر العرب انا لم نر بعد وقعة اليرموك رجالا أشجع من هذا فلقد قتل رجالا وجندل أبطالا وانه ليغير على أطراف العسكر فى وقت صلاتهم فيقتل رجالهم وينهب أموالهم ويرجع الى قلعته وربما أنه يستتر فى سواد الليل فى طلب العلافة فيقع بهم فيأسرهم ويأخذ دوابهم وجميع زادهم وميرتهم ثم يعود الى قلعته ونحن لا نعلم به وان المسلمين له محاصرون ومنه خائفون حذرون قال وكان فيمن سمع كلامه وفهمه مولى من موالى بنى طريف من ملوك كندة يقال له دامس ويكنى بأبى الاهوال مشهور بامه وكنيته وكان أسود كثير السواد بصاصا كأنه النخلة السحوق اذا ركب الفرس العالى من الخيل تخط رجلاه بالارض وان ركب البعير العالى تقارب ركبتاه رجلى البعير وكان فارسا شجاعا قويا قد شاع ذكره وعلا أمره وعلا قدره فى بلاد كندة وأودية حضرموت وجبال مهرة وأرض الشحر وقد أخاف البادية ونهب أموال الحاضرة وكان مع ذلك لا تدركه الخيل العتاق وكان اذا أدركته العرب فى باديتها تعجبت من صولته وشجاعته وبراعته فلما سمع دامس أبو الهول بذكر يوقنا وما فعل بالمسلمين كاد أن يتمزق غيظا وحنقا وقال لعبد الله بن قرط أبشر يا أخا العرب فوالله لاجتهدن فى ان يخذله الله على يدى فلما سمع عبد الله كلامه جعل ينظر اليه شزرا وقال يا ابن السوداء لقد حدثتك نفسك آمالا لا تبلغها وأشياء لا تدركها ياويلك ألم تعلم أن فرسان المسلمين وأبطال الموحدين بأجمعهم له محاصرون ولاصحابه محاربون ومع ذلك لا يقدر أحد له على شر وقد كاد ملوكا وقهرها فلما سمع دامس كلام عبد الله بن قرط غضب وقال والله ياعبد الله لولا ما يلزمنى لك من أخوة الاسلام لبدأت بك قبله فاحذر ان تزدرى بالرجال وان احببت أن تعرفنى فسل عنى من حضر من أهلى وما تقدم من فعلى الذى من ذكره تطيش العقول وتضيق الصدور كم من عساكر قتلتها وجموع فرقتها ومحافل بددتها وغارات شننتها ولا يضام لى جار ولا يلحقنى عار وبحمد الله أنا فارس كرار غير فرار ثم تركه مغضبا وسار امام الناس وان قوما من العرب قالوا لعبد الله بن قرط يا أخا العرب ارفق بنفسك فانك وأيم الله تخاطب رجلا يقرب اليه البعيد ويهون عليه الصعب الشديد وانه لجليد فريد لا تهوله الرجال ولا تفزعه الابطال ان كان فى حرب كان فى أولها لا يدركه من طلب ولا يفوته من هرب فقال عبد الله لقد كثر وصفكم وأطنبتم فى ذكركم وان يجعل الله فيه خيرا وفرجا للمسلمين قال ثم أخذ القوم فى جد السير حتى قدموا حلب الى أبى عبيدة وهو بمنازل أهل قلعة حلب ومحاصرها وقد احاط المسلمون بالقلعة من كل جانب فلما اشرف القوم عليهم اخذوا فى زينتهم وجردوا سيوفهم وأشهروا اسلاحهم ونشروا راياتهم وكبروا باجمعهم

واسكنهم بها وسماهم المماليك البحرية وهو الذى أكثر من شراء الترك وعتقهم وتأميرهم وفى ايامه فى سنة سبع وأربعين هجمت الافرنج على دمياط فهرب من كان فيها وملكوها والملك الصالح مقيم بالمنصورة فقاتلهم فأدركه أجله ومات فأخفت جاريته شجرة الدر

وصلوا على نبيهم فاجابهم أهل العسكر بالتكبير من كل جانب واستقبلهم أبو عبيدة وسلم عليهم وسلموا
عليه ونزل كل قوم عند بني عمهم وعشيرتهم ويوقنا مازال في كل ليلة ينشط اليهم برجاله ويناوشهم وذلك
انه كان لا يقاتلهم الا قليلا ولا يظهر من القلعة نهارا أبدا وكان أكثر خروجه في وقت خروج الناس فلما
بات المسلمون القادمون في تلك الليلة ونظرت طي وسنبس ونبهان وكندة وحضرموت الى شدة الحرس
وعظم حرسهم وحذرهم أقبل دامس أبو الهول على أهله الذين نزل عليهم من طريف وكندة فقال لهم
دامس والله ما أنتم محاصرون لا محالة فقالوا له وكيف ذلك قال لان العدو في رأس قلعة وأنتم قدام العدو
من الارض لقربكم ولا عسكر بازائكم تخافونه فما هذا الخوف فقالوا يا أبا الهول ان صاحب هذه القلعة علج
مشوم يرتقب غفلتنا ويغير على اطرافنا ويأتينا من مأمننا فبينما دامس يخاطب القوم واذا بالضجة قد
وقعت في طرف عسكر المسلمين ولها جلبة عظيمة فوقف دامس منتضيا حسامه متنكبا حجفته وطلب
الناحية التي سمع منها الصوت حتى بلغ اليها واذا بيوقنا في خمسمائة رجل أبطال أمجاد وليوث شداد وقد
وجد غرة من القوم فلما نظر دامس الى الروم وقع في وسطهم وجعل يقول

أنا أبو الهول واسمي دامس * أكر في جمعهم مداعس
ليث هزبر بطل ممارس * مدمر كل عدو ناكس

قال وجعل يضرب في أعراضهم بسيفه ومعه طائفة من بني طريف من شجعانهم وفرسانهم فلما نظر يوقنا
مانزل به تقهقر الى ورائه وقد قتل من رجاله مائتان ودامس يكر عليهم ويتبعهم الى رأس درب القلعة
وكندة من ورائه فناداهم أبو عبيدة عزيمة مني عليكم أن لا يتبعهم منكم أحد في ظلمة هذا الليل فقال
الناس يا أبا الهول ان الامير يعزم علينا وعليك بالرجوع فارجع رحمك الله فرجع دامس الى رحله
وتراجع القوم الى رحالهم وقد ابلت كندة بلاء حسنا والناس قد خرجوا فلما أصبح الناس اجتمعوا للصلاة
مع أبي عبيدة فلما قضيت الصلاة تفرقوا ولم يبق الا نفر يسير من امراء المسلمين فجلسوا يذكرون ليلتهم
فقال خالد أصلح الله الامير لقد رأيت كندة وقد ابليت بلاء حسنا وقد تقدمت رجالها وثبتت أبطالها
ومازالت تضرب حتى أزالت عنا حامية الكفر والعدو فقال أبو عبيدة صدقت والله يا أبا سليمان والله
لقد اسعدت الناس كندة بثباتها والله لقد سمعتهم يقولون أحسن دامس وأجاد أبو الهول فقام الى أبي
عبيدة رجل من رؤساء كندة يقال له سراقة بن مرداس بن معديكرب فقال أصلح الله الامير دامس هو
أبو الهول وهو مولى طريف قدم مع هذا الوفد الذي ورد بالامس وهو رجل يجري ويهول على الابطال
ويفضح الشجعان ويذل الاقران لا يهوله جمع ولا يصعب عليه غارة فقال أبو عبيدة لخالد أما تسمع كلام
سراقة في عبدهم دامس فقال خالد يوشك أن يكون صادقا في قوله ولقد سمعت بذكره وحديثه وشجاعته
وبراعته ولقد اخبرني رجل يقال له النعمان بن عشيرة المهري ان دامسا هذا أغار وحده وهم على ساحل
البحر في سبعين رجلا من أهل مهرة وكان دامس هذا يطالبهم لاجل ثار كان له عند القوم وكانوا يخافون
منه ومن شره وبأسه فكانوا مع ذلك يفتقدون باموالهم ودوابهم ويهربون الى اطراف الجبال وسواحل
البحر حذرا منه وكان مع ذلك يسأل عن اخبارهم ويطلع على آثارهم فلما صح عنده نزولهم على ساحل
البحر استصرخ قومه للغزو فتشاغلوا ولم ينفر منهم أحد معه وكان خبيرا بالبلاد سهلها ووعرها
وبحرها فلما أيس من قومه دخل الى خبايته واحتمل رزمة على عاتقه فاتاه أناس من قومه وقالوا له الى
اين تريد وما هذا الذي معك فقال ياقوم أنا أريد الغارة على بني الشعر وآخذ بالثار وأكشف العار فقال له
مشايخ الحي ما رأينا أعجب من أمرك وانت تعلم ان بني الشعر سبعون فمن يريد أن يغير عليهم وحده ويأخذ
منهم بالثار وما سمعنا بهذا أبدا وانا نرى أن تقصد جوادا وكانت جواد هذه أمة لبني حياس من الحضارمة
وكانت بقرية من قرى حضرموت يقال لها أسفل وكان سامس هذا يهواها وكل ما يأخذه من الاموال
والخيل والابل يدفعه اليها ولا يعظم عليه كثرته وكان لا يرضى لها بالقليل ولا يشبع لها بالكثير فظن

موته وصارت تعلم بعلامته
سرا وحمل من المنصورة الى
القاهرة ودفن بقبة بنيت
له بجوار مدرسته وساست
شجرة الدر الناس أحسن
سياسة واعلمت أعيان
الامراء فأرسلوا الى ابنه
توران شاه وأحضروه وكان
بديار بكر فلما كوه فركب في
عصائب الملك وقاتل

القوم أنه مضى اليها وقصد نحوها بحملته التى معه من رزمته فقال لهم وأيم الله انى بطل فما تظنون وسوف تعلمون أن ما أفعله الحق واليقين قال فرجع قومه وتركوه وسار الى أن أتى الى مرعى قومه فأخذ راحلته من ابلهم ورحلها وأخذ سيفه وحجفته وجعل الرزمة تحته وسار بقية يومه وليلته حتى اذا كان آخر الليل عطف بالراحلة الى بعض الاودية فأبركها وحل رحلها وعقلها وتركها وهى معقولة ثم كمن بين حجرين وكان قريبا من القوم ويخاف أن يدور وابه فلما مضى عليه نهاره وأقبل ليله أتى الى راحلته وأبركها ورحلها واستوى فى كورها وسار حتى أشرف على نار القوم فعدل بناقته حتى أشرف على الحى وكان فى ذلك الشرف شجر من الطلح فأبرك ناقته وزم شدقها الثلاث غوفيسمع القوم رغاءها ثم عمد الى رزمته فحلها واستخرج منها الثياب وأتى الى تلك الشجرة فجعل على عود منها مثل عمامة الرجل ويأتى بالعود ينصبه ويسنده بالحجارة ويطرح عليه الازار ولم يزل حتى أقام أربعين عودا على هذه الصفة وجعل عليه حلة حمراء أرجوانية وهبط من ذلك الشرف الذى عليه الثياب وقصد الحى ودار حول بيوتهم وتفكر فى أمره وكيف يحتال وقد مضى أكثر الليل ثم صبر الى ان طلع الفجر وسار نحو الساحل فلما اقرب منهم صاح فيهم وقال دنا أجلكم انا أبو الهول ولقد أصبحتم بالويل وأخذتم من البر والبحر وجعل ينادى يالثار طريف يا آل طريف يا آل كندة فلما وقع صوته فى أسماعهم ذهلت رجالهم وتصارخت نساؤهم وفزع القوم بين يديه من البيوت هاربين والى الساحل نحو الجبل طالبين وهو من خلفهم فلما راوه وحده شجع بعضهم بعضا ورجعوا اليه يقاتلونه وطمعوا فيه لما رأوه وحده ولم يروا احدا من ورائه وأخذوا فى طلبه فجعل يكر عليهم ويرجع عنهم ويقتل رجلا بعد رجل فلما نظروا الى شدة بأسه وعظم مراسه وهول صولته وشدة حملته ارادوا أن يسبقوه الى الشرف ليأتوا اليه من ورائه فلما علم انهم قد قاربوا الاعواد التى عملها وعليها الثياب خاف ان ينظروا اليها ويعلموا ما فعله من المكر فسبقهم الى الشرف وسار امامهم واقبل على الاعواد مخاطبا لها كأنه يخاطب الرجال وهو يقول يا أهل كندة يا اهل طريف اياكم والقوم قد اتتكم الرجال فلا تحملوا عليهم وأنا افديكم بنفسى فان رأيتم على الحيف فاحملوا على القوم فمد القوم أبصارهم اليه فوجدوا عنده الثياب على الاعواد فى انشقاق الفجر فلم يشكوا انهم رجال فانقلبوا راجعين نحو البحر وجعل دامس ينادى ألا يا قوم اقسمت عليكم أن لا تبرحوا من اماكنكم وانا اكفيكم مؤنة القوم وحدى فرجعت بنو مهرة ناكصين على اعقابهم هذا قد اردف زوجته وهذا ولده وهذا امته وهذا أخذ ما قدر عليه من اثاثه ورجع أبو الهول الى الحى فلم يصادف فيه الا العبيد والصبيان والمشايخ والعجائز فأمر العبيد أن يوقروا الجمال فحملوها وكتفهم وساق الجميع قدامه وعاد واخذ الثياب من على الاعواد ولحقهم وأتى بهم ديار قومه فعجبوا منه ومن فعاله فلما سمع أبو عبيدة ذلك من خالد اقبل على سراقة وقال له ادع لى عبدكم حتى انظر اليه واسمع كلامه فأتى به سراقة فقال له أبو عبيدة أنت دامس قال نعم أصلح الله الامير فقال له بلغنى عنك عجائب وأنت وأيم الله أهلها الا انك رجل من الرجال واعلم انك وقومك تقاتلون فى بلاد سهلة لا تأتون الجبال ولا القلاع ولقد اقتحمت البارحة اثر القوم اقتحاما منكرا فارفق بنفسك واحذر من هذا البطريق يوقنا فقال له دامس اصلح الله الامير لقد غزوت مهرة وأخذت أموالها وان جبالها منيعة شامخة رفيعة ذات وعر وحجر وما هذه بامنع من تلك الجبال فقال أبو عبيدة أنا اراك نجيبا فهل حدثتك نفسك من أمر هذه القلعة بشىء فقال دامس اصلح الله الامير انى لما قدمت عليك فى هذا الوقت كنت رأيت فى نومى رؤيا فقال أبو عبيدة وما الذى رأيت اراك الله الخير قال رأيت كأنى سائر فى وطاة من الارض وأنى مجد أطلب قومى فبينما انا فى مسيرى اذ أشرفت عليهم وهم حائرون لا يتقدمون ولا يتأخرون فناديتهم يا قوم ما شأنكم وأى شىء عرض عليكم فى طريقكم فقال لى القوم ما ترى هذا الجبل كيف قد عرض لنا فى آخر هذا الطريق وليس لنا فيه مسلك ولا مطلع فقلت على رسلكم الا ترون هذه الفجوة فى هذا الجبل فقالوا هيهات ليس لنا فيه منفذ ولا مطلع فقلت ولم ذلك قالوا الان فيه ثعبانا عظيما

الافرنج وكسرهم وقتل منهم ثلاثين الفا واسر الفرنسيس ملك الافرنج وحبس مقيدا ووكل بحفظه طواشى يقال له صبيح وبقى أسيرا الى ولاية شجرة الدر فاتفقت مع الامراء على اطلاقه بشرط أن يردوا دمياط الى المسلمين ويعطوا ثمانية آلاف دينار عوضا عما نهب من

لا يعرف به أحد الا واهلكه وقد قتل رجالا وجندل ابطالا فقلت يا قوم ألا تهجمون عليه باجمعكم قالوا
لا نقدر على ذلك لان النار تخرج من انفاسه وليس لنا عليه من سبيل فقلت لهم فالتمسوا لكم طريقا من
وراء ظهره فقالوا لا نقدر على ذلك من عظم جثته فتركتهم والتمست لي طريقا فلم اجد الا طريقا صعبا حرجا
فاقتحمته فسلكته الا بعد المشقة واتيت الى الثعبان من ورائه فقتلته ثم اشرفت على قومي فاتبعوني
فوصلوا الا بعد جهد جهيد وهم آمنون من عدوهم ثم استيقظت فرحا مسرورا فقال أبو عبيدة خيرا
رايت وخيرا يكون يا دامس أما رؤياك هذه فانها للمسلمين بشارة ولعدونا خسارة ثم قال له اجلس مكانك
وأمر أبو عبيدة أن ينادي المسلمين فحضر رؤساء المسلمين وأعيانهم فلما حضروا قال أبو عبيدة الله اكبر فتح
الله ونصر ووعدنا بالظفر وخذل من كفر ثم قال يا معاشر المسلمين اسمعوا رؤيا اخيكم دامس فانها عبرة لمن
اعتبر وموعظة لمن افتكر قال فاقبلوا يسمعون له فعندها قام أبو عبيدة على قدميه وقال الحمد لله وصلى
الله على رسوله وسلم ثم معاشر الناس ان الله سبحانه وتعالى له الحمد قد وعدنا في كتابه على لسان نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم الغلبة على اعدائنا والظفر بمرادنا وما كان الله ليخلف وعده واني نذرت ان فتح
الله هذه القلعة على يدي اصنع من البر ما استطعت والآن قد هجس في نفسي ووقع في قلبي انا ظافرون
بهذه القلعة ومن فيها ان شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لانه قد دلني على ذلك رؤيا
هذا الغلام ثم قبض بكفه على زند ابي الهول وقال له رحمك الله حدث اخوانك بما رأيت في منامك فقام
دامس قائما وقال اعلموا اني رأيت في منامي كذا وكذا وجعل يقص على الناس رؤياه من أولها الى
آخرها فلما فرغ منها اقبل المسلمون على ابي عبيدة وقالوا له ايها الامير قد سمعنا قوله وحفظنا شرحه فما
تأويل رؤياه قال أبو عبيدة اعلموا رحمكم الله أما الجبل الذي رآه عاليا شامخا شديد الامتناع بين الشعاب
والقلاع فذلك دين الاسلام بلا شك وسنة محمد صلى الله عليه وسلم واما الثعبان الذي رآه وقد منع الناس
وقد هجم عليه بسيفه فامر حسن هوان يفرج الله على يديه عن المسلمين ففرح الناس بتأويل أبي عبيدة
وقالوا أيها الامير فما الذي تأمرنا فقال آمركم بتقوى الله سرا وجهرا ثم المكيدة على الاعداء طوعا
وصبرا فارجعوا الى رحالكم حفظكم الله وأصلحوا شأنكم وآلة حربكم وما تحتاجون اليه فاني أقدمكم
غداة غد الى أعاديكم الى أن يحدث لي رأي غير هذا فاني لست أدع الاجتهاد في الرأي والمشاورة لمن أثق
به وبرأيه من المسلمين فقالوا باجمعهم وفق الله رأيك أيها الامير وظفرك باعدائك انه سميع عليم فعاد
الماير يدومضوا الى رحالهم فجعل هذا يحد سيفه وهذا يصلح آلة حربه وفرسه وهذا يتفقد درعه وهذا
قوسه ونشابه ومازالوا كذلك بقية يومهم فلما أصبح وادعا أبو عبيدة بدامس فقال له أيها الولد المبارك
ماذا ترى في أمر هذه القلعة وما عندك من الحيلة فقال دامس اعلم أيها الامير انها قلعة منيعة شامخة
حصينة تعجز الوافد وتمنع القاصد في أهلها محاصرة ولا تضيق صدورهم من قتال غير اني أفكر في حيلة
احتالها أو بلية أعملها وأرجو من الله ان يتم ذلك عليهم فيكون ما فيه تبديدهم وغلبتهم بمشيئة الله ديارهم
ونقلع آثارهم فقال أبو عبيدة يا دامس وما هي فقال أصلح الله الامير أنت تعلم ما في اذاعة الاسرار من
الشر والاضرار ومن كتم سره كانت الخيرة فيه لديه ويقال ان دامسا هذا أول من تكلم بهذه
الكلمة فصارت مثلا فقال ابو عبيدة فما الذي تشير اليه وما الذي تعتمد عليه قال تزحف بعسكرك وجملة
من معك من اصحابك حتى تنزلوا بازاء القلعة ليظهر لهم منك الحرص والهيبة واعلم ان في ذلك من الحيل
ما ارجو من الله أن يتمها ان شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فامر أبو عبيدة عسكره
بالرحيل فارتحلوا ونزلوا تحت القلعة وهللوا وكبروا واظهروا سلاحهم وأرهبوا اعداء الله تعالى قال
فاشرف عليهم الروم ونظروا الى جيعهم فهابوهم وألقى الله الرعب في قلوبهم حتى انهم اضطربوا في
قلعتهم وماجوا وجعل كبراؤهم يتشيرون فيما بينهم فقال قوم نقاتلهم وقال قوم بل نقعد في قلعتنا
فانهم لا يقدرون علينا ثم اجتمع رأيهم على القتال من فوق القلعة وقعدوا على الابراج والبنيان وجعلوا

دمياط وبطلقوا أسرى
المسلمين التي بايديهم ففعلوا
وأقام توران شاه في المملكة
شهرين ثم قتل وتولت من
بعده شجرة الدر أم خليل
سرية الملك الصالح لحسن
سيرتها وجودة تدبيرها ودعي
لها على المنبر بعد الدعاء
للخليفة العباسي ونقش
اسمها على الدراهم والدنانير

يرمون المسلمين بالحجارة والسهام وقد أقاموا على ذلك ليلا ونهارا ودامس مع ذلك يعمل حيلة يصل بها اليهم بسوء قال فلما كان بعد السبعة والاربعين يوما أقبل دامس على ابى عبيدة وقال له أيها الامير قد عجزت وانا أعمل حيلا فما صدر من يدى فى حقهم شئ وقد افتكرت فى شئ وأرجو من الله ان يكون به الظفر والظهور على أعداء الله فقال ابو عبيدة وما الذى دبرت قال تضيف الى من صناديد الرجال ثلاثين رجلا وتأمرهم بالطاعة وترك المخالفة والاعتراض على فيما آمرهم به وافعله وأراه فقال ابو عبيدة سأفعل ذلك ثم ضم اليه ثلاثين رجلا من الشجعان حتى اذا اجتمعوا قال لهم ابو عبيدة معاشر المسلمين انى قد أمرت دامسا عليكم وأمرتكم بالطاعة والقبول لامره واعلموا رحمكم الله انى ما أمرته عليكم لكونه أجل منكم حسبا ونسبا ولا أعظم موكبا ولا أشد بأسا ولا أكثر مراسا فلا يقل أحدكم انى قد أمرت عليكم عبدا احتقارا بكم وبالله أحلف مجتهدا لولا ما يلزمنى من تدبير هذا العسكر لكنت أول من ينطلق معه فى جمعكم وأنا أرجو من الله أن يفتح على يديكم فاقبلوا عليه بجمعهم وقالوا أصلح الله الامير ما نشك فى اعظامك ايانا ومعرفتك بسابقتنا ولقد كان كلامك الاول أثر فى نفوسنا وها نحن لك وبين يديك ولو أمرت علينا علجا أغلف لم نخرج لك من أمر ولا رأى اذ علمنا انك لا تريد الا نصحا للدين وحياطة فالسمع والطاعة لله ثم لك ثم لمن وليته علينا من قبلك كائنا من الناس أجمعين قال ففرح أبو عبيدة بما قالوه ووثق بكلامهم وجزاهم خيرا وقال لهم اعلموا رحمكم الله تعالى ان نفسى تحدثنى ان الله تعالى يفتح هذه القلعة على يد هذا العبد المقبل لانه دقيق الحيلة حسن البصيرة فسيروا معه وثقوا بالله وتوكلوا عليه وقد تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى فوادا على سادات العرب من المسلمين والاشراف من عشيرته ثم أقبل على دامس فقال له يا دامس ما الذى تحب بعد هذا قال ترحل أنت بجيشك من وقتك هذا فتكون منا على مسيرة فرسخ فتنزل بالعسكر وتأمرهم بقلة الحركة وان يختفوا ما استطاعوا ويكون لك رجال تثق بشدتهم ونصحهم للمسلمين يتجسسون عن أخبارنا وآثارنا من غير أن يعلم بهم وبنا أحد ويكونون بغير سلاح سوى الخناجر فاذا عاينوا منا الظهور على أعدائنا والظفر بهم لحقوك وبشروك بذلك فتلحق بنا ان شاء الله تعالى وليكونوا متفرقين فى موضع واحد فان ذلك أسلم لهم وابلغ لما يريدون من أمورهم والله المستعان فى جميع الامور والاحوال فعلم أبو عبيدة انه نصيح من الرجال صاحب رأى وبصيرة ثم ان دامسا أقبل على رفاقه الذين ولى عليهم وقال لهم يا فتيان العرب انهضوا بنا بارك الله فيكم حتى نكمن فى بعض هذا الوادى ما دام الناس عازمين على الرحيل لئلا تشرف الروم فينظر والى رحيلنا فلا يتفق لنا أن نطلب لنا مكمنا اذا أشرفوا من اعلى حصنهم وليكن مع كل رجل منكم سيفه وجحفته وخنجره لا غير ففعلوا ذلك فلما تكاملوا لبس دامس لامة حربه وجعل خنجره تحت أثوابه وأخذ جماعته وخرج بهم حتى اذا فارق العسكر جعلوا يخفون آثارهم واشخاصهم وهو سائر بهم حتى أتى بهم كهفا فى الجبل فامرهم بالدخول اليه وجلس على بابه قال وأما أبو عبيدة فانه أمر الناس بالرحيل بعد ما رتب الرجال كما وصاه أبو الهول فارتحل العسكر وأشرف عليهم أهل القلعة فرأوهم يرحلون ففرحوا بذلك وسروا سرورا عظيما وساروا يصيحون على المسلمين من أعلى القلعة وقالوا البطريقهم ايها السيد افتح لنا الباب حتى نخرج وراء العرب فلعل ان نقتل منهم أحدا أو نأسره فنهاهم عن ذلك قال وداموا بقية يومهم الى العشاء فقال دامس لاصحابه من فيكم ينهض الى تحت القلعة ويأتينا بخبر منها او يقدر على رجل يأسره فيأتينا به فنأخذ منه خبرا فلم يجبه أحد فقال أنا اعلم ان ما فى هذه الجماعة الا من هو ضنين بنفسه كاره للموت وأنا لكم الفداء فانظروا كيف تكمنون ثم تركهم دامس ومضى فغاب عنهم ساعة واذا به قد أتى ومعه علج وقال لهم يا فتيان العرب دونكم هذا فاسألوه فسألوه فلم يفقهوا قوله فقال على رسلكم فغاب غير بعيد وأتى بثلاثة أخر فلم يكن فيهم من يفهم بلغة العرب فقال دامس لعن الله هؤلاء ما افظع لغتهم وأكثر طمطمتهم ثم أوثقهم كتافا وغاب الى ان مضى من الليل نصفه ولم يأت فقلق عليه اصحابه قلقا شديدا واغتموا عليه وقال

ولم يزل مصر فى الاسلام امرأة قبلها فأقامت فى المملكة ثلاثة أشهر ثم عزلت نفسها وتولى الملك الاشرف موسى ابن الملك الكامل وكان يخطب له وللمعز أيبك التركمانى معا على المنابر لانه كان تولى قبله بخمسة أيام فقال الناس لابد من سلطان غير هذا يكون من بنى أيوب

بعضهم لبعض أنا اقول ان دامسا قد فطن به فقتل أو أسر وما جوا في ذكره وهموا ان يرجعوا الى العسكر فبينما هم في ذلك اذ دخل عليهم دامس وهو يقود رجلا من الروم فتواثبوا اليه وقبلوه بين عينيه وسألوه عن ابطائه وقالوا له يا دامس لقد حدثتنا نفوسنا بالعظائم وصعب علينا ابطاؤك عنا فقال اعلموا رحمكم الله تعالى انى لما فارقتكم سرت الى قريب من سور القلعة وكمنت لهم وهم يمرون على وهم يرطنون بلغتهم وأنا لا أتعرض للقوم كل ذلك وانا اطلب من يتعرض للعربية ويتكلم بها فلم أر احدا حتى أيست وهممت بالرجوع خائبا اذ سمعت هدة شديدة قد وقعت من أعلى السور فاسرعت اليها لانظر اليها ما هى فاذا أنا بهذا الرجل وقد ألقى نفسه من القلعة الى اسفل السور فبادرت اليه وأخذته وأتيت به اليكم فانظروا ما هو فدنوا اليه وخاطبوه فلم يكلمهم الا بلغته واذا به قد انفتحت جبهته فقال لهم دامس اعلموا ان له شأنا وأى شأن وانى أظنه هاربا من القوم وليس فيكم من يفهم ما يقول ولكن على رسلكم فانا آتيكم بمن يتكلم بلسانه وبالعربية ثم اسرع دامس من عندهم فلم يكن الا قليل واذا به قد عاد ومعه رجل قد نزلت عمامته فى رقبته وهو يقوده حتى مثله عند ناقة الواله من المدينة انت أم من القلعة فقال له دامس ممن انت تكون أم من الروم أم من العرب المتنصرة قال ولكنى من العرب المتنصرة فقالوا يا هذا هل لك أن تطلعنا على عورات القلعة أو عورة من عوراتها ونحن نطلق سبيلك ولا يتعرض اليك أحد بسوء فقال يا هؤلاء لست أعرف لهذه القلعة عورة ولا طريقا ولو عرفت لما وسعنى فى دينى ولا رأيت أن ادلكم عليها وحق المسيح قال فاغتاظ منه دامس وقال له اسأل هؤلاء الاسارى هل فيهم أحد من أهل الربض فان بيننا وبينهم صلحا قال فسألهم فلم يجد فيهم أحد من اهل الربض بل كلهم من أهل القلعة وأنا أعرفهم فقال له دامس فاسأل هذا الرجل لم طرح نفسه من السور وما دعاه الى ذلك فسأله فقال له انه يقول ان الملك يوقنا غضب على اهل الربض لاجل صلحهم لكم وبعث يتهددهم فلما انصرفت العرب نزل يوقنا فجمع رؤسهم واصعدهم الى القلعة وأنا فى جملتهم وطلب منا من الاموال مالا طاقة لنا به ولا نقدر عليه فلما رأيت ما قد نزل بنا هربت وألقيت نفسى من القلعة اطلب الفرج والنجو من العقوبة فلم أشعر الا وأنت قد قبضت على وانا من اهل الربض فان كنتم من العرب فانا فى ذمتكم وأمانكم فلا تنكثوا ولا تغدروا وان كنتم من غيرهم فاطلبوا منى ما اردتم من الفداء فانى قد هربت من العقوبة فقال له دامس قل له نحن من العرب ولا بأس عليك ولا خوف ولا ينالك منا سوء وأراد دامس ان يرى الربضى ما يفعل باعدائه فاخرج الروم والمتنصرة وضرب رقابهم ولم يدع غير الربضى ثم أطلقه واستمر والى الليل وعمد دامس الى مزوده فاستخرج منه جلدا ماعزا والقاه على ظهره واخرج كعكا يابسا وقال لاصحابه بسم الله استعينوا بالله وتوكلوا عليه واخفوا انفوسكم وقدموا الحزم فى أموركم فانى معول على فتح هذه القلعة ان شاء الله تعالى فقالوا اسر على بركة الله تعالى فقاموا واسرعين وتقدم دامس وبعث رجلين من أصحابه يعلمان أبا عبيدة بشأنهم ويقولان له ابعث الخيل عند طلوع الفجر قال فانطلق الرجلان وصعد دامس ومن معه تحت الظلام ودامس على المقدمة يمشى على أربعة والجلد على ظهره وكلما احس بشئ قرض فى الكعك كأنه كلب يقرض عظما وهم من ورائه يقفون اثره وهم يستترون بين الاحجار فلا زالوا كذلك حتى لاصقوا السور وسمعوا اصوات الحرس وزعقات الرجال من أعلى القلعة والحرث شديد فلم يزل دامس دائرا بهم حول السور الى أن اتى الى مكان لم يجد به حسا واذا بحرسه قد ناموا وراء المكان ولم يروا فى السور أقرب منه فقال دامس لاصحابه أنتم ترون هذه القلعة وعلوها وتحصينها وليس فيها حيلة لشدة الحرس ويقظة القوم فما الذى ترون من الرأى أن نصنع بها وكيف الحيلة فى الصعود اليها الى أن نحصل فى وسطها فقالوا يا دامس ان الامير أمرك علينا وأنت أدرى منا وأجرا جنانا ونحن لك بين يديك فهما رأيت فيه الصلاح للمسلمين فلا نتأخر عنه ووالله ان قتل نفوسنا وذهاب أرواحنا أسهل علينا من الرجوع بغير فائدة فملك الامر ومنا السمع والطاعة فليس منا من يتأخر عنك

فأرسلوا الى الاشرف وأحضروه وسلطنوه ولم يعزلوا أيبك بل كانا شريكين وكان آخر الدولة الكردية الايوبية وجملة ولايتهم احدى وثمانون سنة ثم جاءت الدولة التركية مماليك الاكراد فى حدود خمسين وستمائة (فاولهم الملك المعز عز الدين ايبك

ولا غوت الا تحت ظلال السيوف وفى طاعة الله ونصرة دين الاسلام فقال دامس شكر الله فضلكم ورزقكم النصر على أعدائكم فان كانت هذه نيتكم فالتصقوا بنا الى هذا المكان قال وكانوا ثمانية وعشرين رجلا واثنان كانوا أرسلوهما الى الامير يعلمانه بأن يأتى اليهم فى الصبح فقال لهم دامس أفيكم من يقدر على الصعود على هذه القلعة فقلنا له يا ابا الهول وكيف لنا أن نرقى اليها وعلى أى شئ نصل الى أعلاها بغير سلم فقال على رسلكم ثم انه اختار منا سبعة رجال كالاسد الضوارى لو كلفوا حمل ذلك البرج على مناكبهم لما عظم ذلك عليهم ثم جلس على قرافيصه وقال لأحد السبعة اجلس على منكبى وارم بحيلك الى الجدار واجلس كما أنا جالس ففعل الرجل ما أمر به وامر آخران يفعل ويصعد على منكبى الآخروان يرمى بقوته على الجدار قال ففعل ثم انه لم يزل يصعد واحد بعد واحد الى أن صعد الثامن بقوته على الجدار وهم متمسكون به فعند ذلك أمر الاعلى أن يقوم قائما وان يطرح حبله على الجدار فقام الاول وقام الثانى ثم قام الثالث ثم قام الرابع والخامس والسادس وكل واحد منهم قد طرح نفسه على الجدار ثم قام دامس آخرهم فاذا الاعلى قد وصل الى شرافة السور وتعلق بها فاستوى على السور ونظر الى حارس ذلك المكان فوجده نائما وهو ثمل من الخمر فاخذ بيده ورجله ورماه فلما وصل الى الارض قطعوه واخفوا جسده ووجد من اصحابه اثنين سكارى وهم رقود فذبحهم بخنجره ورمى بهم ثم أرخى عمامته لصاحبه ونشله اليه فاذا هو معه على السور وكان دامس قد اعطاه حبلا فبقوا ينشلون به بعضهم الى ان تكاملوا على السور واصعدوا من بقى معهم على الارض وكان آخر من صعد أبا الهول فقال لهم مكانكم حتى اقفو الخبر وا كشف لكم الاثر ثم انه اتى الى دار البطريق وهو فى وسط القلعة واذا عنده سادات البطارقة وأكابرهم وهم جلوس وبين ايديهم بواطى الخمر ويوقنا جالس فى وسطهم على بساط من الديباج منسوج من الذهب وعليه بدنة من اللؤلؤ ومعصب بعصابة من الجوهر والقوم يشربون والمسك والبخور يفوح عندهم فعاد دامس الى أصحابه وقال اعلموا ان القوم خلق كثير وان هجمنا عليهم فلا نأمن الغلبة من كثرتهم ولكن ندعهم فيما فيه فاذا كان وقت السحر هجمنا على يوقنا ومن معه من الملوك نقتلهم بسيوفنا فاذا ظفرنا بهم واذلهم الله لنا وعلى أيدينا فهو الذى تريدون وان كان غير ذلك فيكون الصباح قد قرب ولا شك أن الرجلين من اصحابنا قد أعلما خالد بن الوليد فيأتينا فقالوا اما نخالف لك أمرا ونحن قد صرنا فى قلعة هؤلاء الاعداء وليس ينجينا الا صدق جهادنا والعزم والشدة من قوتنا فقال لهم مكانكم فلعل ان افتح الباب قال وكان للقلعة بابان وبينهما دهليز والبوابون داخلهما والرجال تنام عندهم بالنوبة فلما وصل دامس الى الباب وجده مغلقا واذا بالقوم رقود من السكر فعالجهم بالذبح ثم فتح البابين وتركهما مردودين ورجع الى أصحابه وقد قرب الفجر فقال لهم ابشروا فانى قد فتحت البابين وقتلت من كان وراءهما فدونكم والباب فاسبقوهم اليه وخذوه عليهم فقد بقى القوم حصيدا باسياف المسلمين ان شاء الله تعالى قال وارسل من يستعجل خالدا ويبشره بذلك ثم ارسل خمسة من اصحابه يمسكون الباب واخذ الباقين ومشى نحو دار يوقنا فصاحوا عليه ووقع الصائح فى القلعة فرجعوا باجمعهم الى الباب واخذ كل واحد منهم مكانا يحميه فعندها جاءتهم الابطال وصاحت الروم ويلاه كيف تمت علينا هذه الحيلة وصرخ يوقنا باصحابه فاتوا من كل جانب فعندها كبر المسلمون ونادوا بلسان واحد الله أكبر نخيل للروم ان القلعة ملآنة منهم قال ابن أوس وقاتلت الروم قتالا شديدا وأما المسلمون فكانوا كالاسد الضارية فما رأيت أقوى باسا ولا أشد مراسا من دامس أبى الهول فى ذلك اليوم فلقد عددنا فى بدنه بعدما انفصلنا ثلاثة وسبعين جرحا كلها فى مقدم بدنه قال فبينما نحن فى أشد القتال ونحن يحمى بعضنا بعضا وقد بقى منا ثلاثة وعشرون وقتل منا أربعة وهم أوس بن عامر الحزمى من بنى حزم وأبو حامد بن سراقة الحميرى والفارع بن مسيب التيمى وفزارة بن مراد العوفى ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ لقد حدثنى نوفل بن سالم عن جده غوبلم بن حازم وكان ممن صحب دامسا فى قلعة حلب قال لما قتل من قتل

التركمانى الصالحى) فاقام ست سنين وتزوج شجرة الدر ثم تزوج بنت صاحب الموصل فغارت شجرة الدر فقتلته فى شهر بيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة ثم حدثت امور أدت الى قتلها فقتلت بايدى مماليك المعز وهو الذى بنى المدرسة المعزية برحبة الحناء وفى

منا وقد قتل أيضا ملاعب بن مقدام بن عروة الحضرمي وكان ممن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحديبية وتبوك ومرارة بن ربيعة العامري وهلال بن أمية وهو ابن أخي كعب الذي تخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في تبوك وأنزل الله فيه ما أنزل قال وبقينا عشرين رجلا وتكاثرت الروم علينا في أزيد
من خمسة آلاف وهم سد من حديد قال ونحن قد أيسنا من الحياة اذ دخل علينا خالد بن الوليد ومعه جيش
الزحف فوجدونا ونحن في اشد ما يكون من القتال فلما دخلوا علينا صاح فيهم خالد فجفلت الروم عنا قال
أوس فلما رأيناهم كذلك وانفرج عنا ما كنا فيه اشتدت قلوبنا فعندها كبرت المسلمون ودخل ضرار
وأمثاله يضربون رقابهم فلما رأى الروم ذلك وعلموا انهم لا طاقة لهم بما وقع بهم القوا السلاح ونادوا
الغوث الغوث وكفوا أنفسهم عن القتال فكفت المسلمون أيديهم عنهم فبينما هم كذلك اذ أقبل أبو
عبيدة ومعه عساكر الاسلام فاخبروه أن الروم يطلبون الامان وان المسلمين قد رفعوا عنهم القتل الى
أن تأتي وترى فيهم رأيك فقال أبو عبيدة قد وفقوا وسددوا فأمر باحضار رجالهم ونسائهم فعرض عليهم
الاسلام فكان أول من اسلم بطريقهم يوقنا وجماعة من ساداتهم قال فرد عليهم أموالهم وأهاليهم
واستبقى منهم الفلاحين وعفا عنهم من القتل والاسر واخذ عليهم العهود أن لا يكونوا الا مثل أهل الصلح
والجزية واخرجهم من القلعة قال ثم أخرج المسلمون من الذهب والاواني ما لا يقع عليه عدد فاخرج منه
الخمس وقسم الباقي على المسلمين وأخذ الناس في حديث دامس وحيله وعجائبه وعالجوا جراحته حتى
برأت قال واعطاه أبو عبيدة سهمين ثم ان أبا عبيدة طلب أمراء المسلمين واكابرهم وشاورهم في أمره
وقال ان الله وله الحمد قد فتح هذه القلعة على أيدي المسلمين وما بقي لنا موضع نخافه فهل نقصد انطاكية
وهي دار الملك وكرسي عزهم وفيها بقية ملوكهم مع هرقل فما ترون من الرأي قال فعندها قام البطريق
يوقنا وتكلم بلسان عربي فصيح وقال أيها الامير ان الله تبارك وتعالى قد أيدكم واظفركم بعدوكم ونصركم
وما ذاك الا أن دينكم هو الدين القويم والصراط المستقيم ونبيكم هو المشهور في الانجيل وهو لا محالة
الذي بشر به المسيح ولا شك فيه ولا امراء وهو الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وهو النبي الكريم
اليتيم الذي يموت أبوه وامه ويكفله جده وعمه فهل كان ذلك أم لا أيها الامير فقال أبو عبيدة نعم هو نبينا
صلى الله عليه وسلم واني يا يوقنا قد حرت في أمرك وأنت بالامس تقاتلنا ومرادك أن تكسر عسكرنا
وتقطع الطريق على علوفتنا واليوم تقول مثل هذا القول وقد بلغني انك لا تفهم بالعربية شيأ فمن أين
لك حفظها فقال لا اله الا الله محمد رسول الله وانك تعجب أيها الامير من هذا الامر قال نعم قال له اعلم أيها
الامير أني كنت البارحة مفكرا في أمركم وقد وصلتم الى قلعتنا ونصرتم علينا وانه لم يكن عندنا أمة أضعف
منكم وتوسوست في ذلك فلما نمت رأيت شخصا أبهى من القمر وأطيب رائحة من المسك الاذفر ومعه
جماعة فسألت عنه فقيل لي هذا محمد رسول الله فكأني أقول ان كان نبيا حقا فليسأل ربه أن يعلمني
العربية وكان يشير الي وهو يقول يا يوقنا أنا محمد الذي بشر بي المسيح وأنا لا نبي بعدي وان أردت فقل
لا اله الا الله واني محمد رسول الله فاخذت يده فقبلتها وأسلمت على يديه واستيقظت وفي من تلك الليلة
كالمسك الاذفر وأنا أتكلم بالعربية ثم انى قمت الى منزل أخي يوحنا وفتحت خزانة كتب فوجدت في بعض
الكتب صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره ووجدت كل الصفات صحيحة وان أبغض الخلق
اليه اليهود أكان ذلك أيها الامير أم لا فقال أبو عبيدة نعم كانت اليهود تطلبنا أشد الطلب حتى نصرنا الله
عليهم وأخذنا حصونهم وقتلنا ابطالهم قال يوقنا وجدت هذا في سيرته وجملة أخباره وأن الله تعالى كان
يوصيه باصحابه وبالمسلمين وبالايتام والمساكين أكان ذلك أم لا قال أبو عبيدة نعم اما وصيته من الله على
أصحابه فقد قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال في حق اليتيم والمسكين فاما
اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فقال يوقنا كيف قال ووجدك ضالا فهدى فما معنى وصفه بالضلال
وهو عند الله كريم فقال له معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه وجدناك ضالا في تيه محبتنا فهديناك الى

ايامه ظهرت النار بالمدينة
المنورة وسارت هكذا وهكذا
كأنها الجبال واستمرت
أكثر من شهر واحترق
منها المسجد النبوي وكان
صلى الله عليه وسلم أخبر عن
ظهورها ولما صفا الوقت
لايبك وكثرت عساكره
قبض على شريكه في
السلطنة وسجنه بالقلعة

مشاهدتنا وأيضا سهل لك الوصول الى سبل المكاشفة ووفقك للوقوف فى مقام المشاهدة ووجدك ضالا
فى بحار الطلب على مركب العطب فهداك الى سواحل الحق وقربك الى ظل حقائق الصدق لتكون
بقلبك مائلا عن الاغيار أو تهيم فى قيعان الاختيار متمنيا ساعات الوصول والتلاق وليس لك منا خبر
ولا معك منا اثر الحنا لك لوائح الرضا وكشفنا لك عن واضح القضا اما علمت يا يوقنا انه لا شئ عند المؤمن
أوفى من العلم ولا أربح من الحلم ولا حسب أوضح من الدين ولا قرين أزين من العقل ولا رفيق أشر من
الجهل ولا شئ أعز من التقوى ولا شئ أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أعلى من
الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر ولا دواء الين من الرفق ولا داء أوجع من الخرق ولا رسول اعدل من
الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا فقر أذل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياة أحسن من
الصحة ولا معيشة أهنا من العفة ولا عبادة أفضل من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس أحفظ
من الصمت ولا غائب أقرب من الموت فلما سمع يوقنا هذا الكلام من معاذ تهلل وجهه وقال هكذا قرأته فى
كتب اخى يوحنا وهو مذكور فى الانجيل والتوراة ثم خر ساجدا وقبل الارض شكرا وقال الحمد لله الذى
هدانى الى هذا الدين و والله لقد رسخ هذا الدين فى قلبى وعلمت انه الحق وسأقاتل فى الله كما كنت أقاتل
فى طاعة الشيطان و والله لانصرن هذا الدين حتى ألحق باخى يوحنا ثم انه بكى بكاء شديدا على ما فرط فى
أمر أخيه فقال له أبو عبيدة قال الله فى حق اخوة يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم
الراحمين وقال له ان أخاك فى عليين مع الحور العين وأما أنت فساعة اسلمت خرجت من ذنوبك كيوم
ولدتك أمك فبكى لذلك وقال أشهد على المسلمين انى كل ما جاهدت وقتلت من المشركين فثوابه فى صحيفة
أخى يوحنا ولا بد أن اقاتل فى سبيل الله وأمحو ما سلف من الفعال فقال أبو عبيدة يا عبد الله دلنا أين نسير
فقال يوقنا اعلم أيها الامير ان حصن أعزاز حصن منيع وهو قوى بالرجال والعدد والزاد وفيه ابن عم لى
اسمه دراس بن جوفناس وهو ذو شدة و بأس وقوة ومراس جلد فى الحرب قوى عند الطعن والضرب وان
أنتم تركتموه ومضيتم الى نحو انطاكية أغار على حلب وقنسرين واذاقهم شرا فقال أبو عبيدة يا عبد الله
قد انطق الله لسانك بالحق والصواب فما عندك من الحيلة فقال يوقنا عندى من الرأى أن أركب جوادى
وتضم الى مائة فارس من المسلمين ولكن على زى الروم ولباسهم وأتقدم بهم ثم يتقدم أمير من العرب
ومعه ألف فارس على خفاف الخيل وأنا فى المقدمة بالمائة فارس على مقدار فرسخ كأننا هاربون منكم
وأوائل الخيل الالف فى طلبنا فاذا أشرفنا على اعزاز نلقى الصوت فاذا نظر الينا صاحبها دراس لا بد أن
ينزل الينا ويلقانا فاذا سألنى أخبرته أنى أسلمت زورا ثم هربت فخرجت العرب فى طلبى فانه اذا سمع منى
ذلك يصعد بنا الى حصنه وليكن مقدم الالف بالقرب منا فى قرية هناك فاذا كان نصف الليل سرنا فى وسط
الحصن ونضع السيف فى أعدائنا فاذا كان عند صلاة الفجر يأتينا أمير العرب بالالف الذى معه فلما
سمع أبو عبيدة ذلك استنار وجهه واستشار خالدا ومعاذا فى ذلك فقال يا أمين الامة رأى سديد ان لم يغدر
هذا الرجل ويرجع الى دينه فقال ابو عبيدة ان ربك لبالمرصاد فقال يوقنا أنا والله رجعت عن دينى الى
دينكم بعد ما كنت اعظم من تلك الصور والصلبان وما بقى فى قلبى سوى محبة الرحمن ومحمد سيد ولد
عدنان والجهاد عن أفضل الاديان والله على ما اقول وكيل وحق الذى لا اله الا هو وحق محمد عبده
ورسوله صلى الله عليه وسلم الذى رأيته وعاينته فى المنام ان كنتم تظنون فى غير ذلك فلا تتركونى
افعل شيأ ما ذكرته لكم فقال أبو عبيدة يا عبد الله ان انت نصحت للمسلمين ولم تغدر بهم كان الله لك معينا فى
كل ما تحاوله فاتبع الصدق تنج به فان ديننا مبنى على الصدق واتبع سنن اخوانك المؤمنين واعلم أن
المؤمن الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه ما وجد فلا يحزنك ما تركت من ملكك وحكمك
وأمارتك فان الذى تركته فان والذى تطلبه باق لان نعمة الدنيا فانية والآخرة خير وأبقى واعلم أنك فى
يومك هذا عار من الشرك واعلم ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والمؤمن يتيقن أن القبر مضجعه

وانفرد وحده وكانت مدة
ملكه سبع سنين ومدة
شريكه سنة وشهرا (ثم تولى
من بعده ولده الملك المنصور
نور الدين على) الثانى من
ملوك الترك وكان عمره نحو
خمس عشرة سنة فاقام
سنتين وثمانية أشهر ثم
حبس بأمر قطز المعزى
لصغره وعدم صلاحيته

والخلوة مجالسه والاعتبار فكره والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه
والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده
والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة داره واعلم يا يوقنا
أن المسيح قال عجبت لمن ليله غافل وليس بمغفول عنه ومؤمل دنيا والموت يطلبه وبان قصرا والقبر مسكنه
وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم من أعطى أربعا أعطى أربعا وتفسير ذلك في كتاب الله تعالى من
أعطى الذكر ذكره الله عز وجل لان الله تعالى يقول اذكروني أذكركم ومن أعطى الدعاء أعطى
الاجابة لان الله تعالى يقول ادعوني أستجب لكم ومن أعطى الشكر أعطى الزيادة لان الله تعالى يقول
لئن شكرتم لأزيدنكم ومن أعطى الاستغفار أعطى المغفرة لان الله تعالى يقول استغفروا ربكم انه
كان غفارا (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني عامر بن قبيصة اليشكري قال حدثني يونس بن
عبد الاعلى قراءة عليه قال شهر بن حوشب عن جده عامر بن زيد قال كنت ممن شهد فتوح الشام وكنت
في فتوح قنسرين وحلب مع أبي عبيدة وكنت كثيرا ما أصحب الروم الذين دخلوا في ديننا فلم أر منهم أشد
اجتهادا ولا أخلص اعتقادا ولا أعظم نية ولا أحسن في الجهاد حمية ولا أبلغ في قتال الروم من
يوقنا ولقد نصح والله للمسلمين وجاهد في الكافرين وأرضى رب العالمين ولقد فعل في الروم ما لم
يقدر أحد عليه من أبناء جنسه من بعد ما قاسى المسلمون منه على قلعة حلب وما تركهم ينامون ولا
يقرون ليلا ولا نهارا وما قتل من المسلمين رضي الله تعالى عنهم أجمعين

ذكر فتح اعزاز

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) ورضي عنه لما وعظ أبو عبيدة يوقنا وفرغ من وعظه ضم اليه مائة فارس
وألبسهم زي الروم قال وكان كل عشرة من قبيلة قال وهم من طي وفهر وخزاعة وسنبس وغير والحضارمة
وحمير وباهلة وتميم ومراد وجعل على كل عشرة نقيبا فأما نقيب طي فخزعل بن عاصم وعلى فهر بن
مزاحم وعلى خزاعة سالم بن عدي وعلى سنبس مسروق بن سنان وعلى غير أسد بن حازم وعلى الحضارمة
ماجد بن عميرة وعلى حمير ملكهم ذو الكلاع الحميري وعلى باهلة سيف بن قادح وعلى تميم سعد بن حسن وعلى
مراد مالك بن فياض فلما كملوا قال لهم أبو عبيدة اعلموا رحمكم الله اني مرسلكم مع هذا الرجل الذي وهب
نفسه لله ورسوله وكل مائة منكم عليها نقيب وقد وليته عليكم فاسمعوا له وأطيعوا ما دام في مرضاة الله
عز وجل قال فلبسوا وركبوا وساروا معه فلما بعدوا بفرسخ أرسل وراءهم ألف فارس وأمر عليهم مالك
الاشتر النخعي وقال له سر في أثر القوم وانظر ما يكون من أمر هذا العبد الصالح فاذا قربت من هذا الحصن
فاكمن الى وقت السحر ثم تظاهر لاخوانك سر وفقك الله وأرشدك فسار مالك يقدم قومه فساروا بقية
يومهم فلما جن عليهم الليل كمنوا في قرية بالقرب من الحصن وهي خالية من السكان وأما ما كان من
يوقنا فانه أخذ على غير طريق وسار طالبا اعزاز (قال الواقدي) حدثني سليمان بن عبد الله اليشكري
حدثني الشديد بن مازن عن جده خزعل بن عاصم قال كنت في خيل يوقنا لما وجهنا أبو عبيدة معه قال
لما شارفنا اعزاز قال لنا يوقنا اعلموا يا فتيان العرب انا قد شارفنا هذا العدو فاياكم أن يتكلم أحد منكم
فان لغتكم لا تخفى على الروم وأنا المترجم عنكم وكونوا على يقظة من أمركم فاذا رأيتموني وقد بطشت
بصاحب الحصن فثوروا على اسم الله تعالى ثم ساروا وليس عنده خبر من تواتر القدر (قال الواقدي)
حدثني سليمان بن عبد الله اليشكري قال حدثني عبد الرحمن المازني وكان ممن يكتب فتوح الشام
قال حدثني الاكوع بن عباد المازني قال كنت مع مالك الاشتر من جملة الالف حين سرنا في أثر يوقنا
صاحب حلب حتى اذا كنا في تلك القرية ونحن ننتظر الصباح واذا نحن بجيش من ورائنا من غربي
القرية فسار مالك الاشتر وقصد الحصن فغاب عنا غير بعيد وعاد ومعه رجل من العرب المتنصرة وقد
أقبل به فلما صار بيننا قال يا فتيان اسمعوا ما يقول هذا الرجل فقلنا وما الذي يقوله قال سألوه فانه

لقتال التتار وتملك مكانه
ولقب بالملك المظفر قطز
المعزي فلم يلبث ان جاء
رجل وبيده كتاب فيه من
ملك الملوك شرقا وغربا
الخاقان العظيم هلاكوخان
ووصف نفسه بأوصاف
عظيمة وسطوة شديدة وفيه
يا أهل مصر لا تقابلوني
فانه ليس لكم قدرة على

يخبركم فسألناه وقلنا من أى الناس أنت قال من غسان من بنى عم جبلة بن الايهم فقال له مالك ما اسمك قال اسمى طارق بن شيبان فقال له يا طارق بحق ذمة العرب لا تكتمنا أمرا تعرفه من أعدائنا قال والله لا أكتم أمرا أعرفه ولكن خذوا على أنفسكم قبل قدوم عدوكم قال مالك وكيف ذلك قال لانا البارحة ورد علينا جاسوس من عندكم وهو منا اسمه عصمة بن مرخة وكان يسمع ما تناجيتم به من الحيلة التى أرادها يوقنا على صاحب اعزاز فلما سمع الجاسوس منكم ذلك كتب رقعة وربطها تحت جناح طير كان معه وأطلقه الى صاحب اعزاز فلما قرأها أرسلنى الى صاحب الراوندات لوقا بن شامس يستنجده عليكم فمضيت اليه بالرسالة وهو قادم فى خمسمائة فارس وكأنكم بهم وقد هجموا فخذوا حذركم (قال الواقدى) وأما ما كان من أمر يوقنا فانه سار حتى وصل الى الحصن فوجد صاحبه قد تجهز بنفسه ومعه أصحابه وهو خارج الحصن وكان اللعين يركب فى ثلاثة آلاف فارس من الروم وألف من العرب المتنصرة غير من التجأ اليه من السواد فلما قدم عليه يوقنا لم يوهمه فى شىء من أمره بل استقبله وترجل اليه وأقبل كأنه يقبل ركابه وكان فى يده سكين أمضى من القضاء فقطع بها حزام فرس يوقنا وجذبه اليه واذا به قد وقع على أم رأسه فأطبق الاربعة آلاف على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمهلوهم حتى أخذوهم قبضا بالكف وشدوهم كتافا وبصق دراس فى وجه يوقنا وقال لقد غضب عليك المسيح والصليب اذ فارقت دينك ودخلت فى دين أعدائك وحق المسيح لا بد لى أن أبعثك الى الملك الرحيم هرقل يصلبك على باب انطاكية بعد ما أضرب رقاب هؤلاء العرب ثم انه أصعدهم الى الحصن (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ومن خيرة الله للمسلمين أن الجاسوس لم يكتب لصاحب اعزاز فى مكاتبته بسير مالك الاشتر قال وان مالكا الاشتر لما سمع كلام المتنصر أيقظ أصحابه وربط المتنصر عنده وأقاموا ينتظرون صاحب الراوندات فلما راق الليل سمعوا وقع حوافر الخيل فلم يمهلهم مالك حتى توسطوا الكمين وأطبقوا عليهم فكل اثنين ربطوا واحدا من الروم واخذوهم بالكف ولم ينفلت منهم أحد ولبسوا ثيابهم ورفعوا راياتهم وصلبانهم كما كانت ثم ان مالكا الاشتر قال للمتنصر هل لك ان ترجع الى دين الله عز وجل ودين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيمحو عنك ما سلف من الكفر بالايمان وتبقى لنا من جملة الاخوان فقال ان قلبى ولبى عندكم فلا جزى الله من ألجأنا الى الدخول فى هذا الدين خيرا وأنا والله من الطائفة التى هى أول من أسلم على يد عمر بن الخطاب وقد سمعنا عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال من بدل دينه فاقتلوه فقال له مالك لقد صدقت فى قولك ولكن نسخ هذا الحديث بقول لا اله الا الله فقد قال الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات الآية وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبة وحشى قاتل عمه حمزة فأنزل الله فيه الآيات فلما سمع الغسانى ذلك فرح وقال أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والآن والله يا مالك قد طاب قلبى وانجبر كسرى أخذ الله بيدك وأنقذك الله يوم القيامة قال ففرح مالك باسلامه وقال له وفقك الله وثبت ايمانك ثم قال له يا عبد الله انى أريد أن تمحو ما سلف منك بما تفعله فقال وما تريد أيها الامير قال تمضى الى صاحب اعزاز وتبشره بقدوم صاحب الراوندات الى نصرته فقال أفعل ذلك ان شاء الله تعالى وان كنت فى شك من أمرى فارسل معى من تثق به حتى يسمع ما أقول فان الليل قد تنصف والحرس شديد وباب الحصن مقفول وأنا أخاطبهم من شفير الخندق قال فأرسل معه مالك ابن عم له يقال له راشد بن مقيس ووصاه أن يكون مستيقظا فسارا جميعا الى أن وصلا الى الحصن فوجدا الحرس شديدا والروم تضرب بوقاتها والصوت عالى فى وسط الحصن فقال طارق لابن عم مالك ما هذا وحق أبى الا قتال وضرب وحرب فأنصتا فاذا هو كما قال طارق (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان السبب فى ذلك أن ابن صاحب أعزاز شاب شجاع يقال له لاوان كان أبوه دراس فى كل وقت يرسله الى يوقنا بالهدايا والتحف لما بينهم من القرابة وكان يقيم عنده أشهرا فى أعز مكان وانه حضر عنده

ملاقاتى فصونوا دماءكم ولا تكونوا مثل أهل بغداد واهل حلب وغيرهم وقد كان قتل من تلك البلاد خلائق لا تحصى وقتل الخليفة المستعصم بالله ببغداد كما مر فلما سمع الملك المظفر قطز هذه الالفاظ عسر عليه ذلك ثم جاء الخبر بان التتار قد

فى بعض المرات فى عيد الصليب فى البيعة التى هى اليوم الجامع وكان يدخل فى كل وقت فرأى يوما ابنة يوقنا وهى بين جواريها وخدمها وحشمها فوقع بقلبه حبها فكتم أمرها وعاد الى أعزاز وشكا حاله الى أمه وما كان لابيه ولد غيره وهى تجد له محبة عظيمة فقالت له أنا أخاطب أباك فى ذلك وألزمه أن يرسل ليخطبها من أبيها ويزوجك بها ونبذل له من المال ما أراده وطلبه واشتغل قلب الشاب بحب الجارية وفى أثناء ذلك جاءت العرب الى بلادهم واشتغلت خواطرهم فلما وقع يوقنا فى يد أبيه وكان من أمره ما كان وقبض عليه وعلى المائة من المسلمين وحبسهم جميعا فى دار ولده لاوان ووصاه بحفظهم فقال لاوان فى نفسه وحق دينى ان ابن عمنا يوقنا اعلم من أبى بالاديان ولولا انه رأى الحق مع هؤلاء العرب ما تبعهم بعدما قاتلهم أشد القتال وأيضا ان جيوش الملك ما ساوتهم وان الله قد نصرهم على ضعفهم وانا قلبى متعلق بابنته وانى أرى من الرأى السديد أن أحل هؤلاء القوم من الوثاق وأرجع الى دينهم بعد أن أثق من ابن عمى أن يزوجنى ابنته فانه على الحق وأنال ما أطلب بعدها وأتزوج ابنته فلما حدثته نفسه بذلك أقبل الى يوقنا وجلس بين يديه وقال له ياعم انى عولت على ان احل وثاقك أنت وأصحابك وقد اخترتك على أهلى وأبى وملكى وأنت تعلم ان فراق الاهل صعب واخترت الايمان على الكفر وقد علمت ان دين هؤلاء صحيح ولكن لى عليك شرط ان تزوجنى ابنتك ومهرها عتقك أنت وهؤلاء الناس الذين معك فقال يوقنا يابنى مالك الى زواجها من سبيل اذا كنت تدخل فيه لاجل غرض الدنيا وليكن دخولك فيه خالصا من قلبك حتى ان الله يأجرك على ما تفعله وانا ان شاء الله تعالى أبلغك ما تروم وتنال عز الدنيا والآخرة فقال لاوان انا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم حل وثاق يوقنا وأعطاه سلاحه وحل المائة وأعطاهم سلاحهم وقال لهم كونوا على أهبة وانا أمضى الى أبى وهو ثمل بالخمر فاقتله وثوروا على بركة الله تعالى فى رضا الله فعندها قال يوقنا للمائة اشهدوا على أنى زوجتها ابنتى وجعلت صداقها عتقنا فقبل منه ومضى الى دار أبيه فوجد أباه مقطوع الرأس وأخوته عنده فقال لهم من فعل هذا بأبى قالوا نحن قال ولم ذلك قالوا أردنا بذلك وجه الله وقد سمعناك وما تحدثت به مع يوقنا وأصحابه فخفنا عليك ان لا يتم لك هذا الامر ويتكاثر الجمع على القوم ويبلغ أبانا خبرك فيقتلك فبطشنا به قبلك قال ففرح لاوان بذلك ورجع الى يوقنا وأصحابه وأعلمهم بما جرى فخرجوا من دار لاوان وتوسطوا الحصن ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير والسراج المنير ووضعوا السيف فى الروم قال ووقع الصائح فى الحصن كما وصفنا وتبادرت الروم لقتال المسلمين وفى تلك الساعة قدم طارق ورفيقه قال فسمعنا الاصوات قال فرجعنا الى مالك وأعلمناه بما سمعناه فقال مالك لاصحابه اركضوا لاصحابكم فركضوا خيولهم وخلف منهم مائة يحفظون الاسرى فلما قربوا من الحصن وكان يوقنا قد قال للاوان ان نجدة من المسلمين تأتينا فأتى لاوان فرأى المسلمين قد أتوا ففتح لهم باب الحصن من باب السر وأدخلهم فلما حصل مالك الاشتر فى حصن اعزاز نادى هو ومن معه الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر فلما رأى أهل الحصن ذلك رموا سلاحهم ونادوا الغوث الغوث فرفعوا عنهم السلاح وأخذوهم أسارى وشكر واليوقنا ومن معه قال فحدث يوقنا مالكا الاشتر بحديث الغلام لاوان فقال مالك اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى قيس عن عقبة عن صفوان عن عمرو بن عبد الرحمن عن جبير عن أبيه قال سألت أبا لبابة بن المنذر وكان ممن حضر فتوح الشام كيف كان فتوح اعزاز وقتل دراس فان نفسى تنكر هذا وأريد صحته فقال لما وضعت الحرب أوزارها وجمع مالك الاشتر الاسارى والمال والثياب والذهب والفضة والآنية وأمر باخراج ذلك من الحصن ووكل به قيس ابن سعد وكان ممن حضر وأصابه سهم فعوره وكذلك أبو لبابة بن المنذر وكلاهما حضر بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق أحد فى اعزاز ثم قام مالك فمشى فى الحصن وتفقد دراس فوجده مقتولا فقال من قتل هذا اللعين فقال لاوان قتله أخى لوقا وهو أكبر منى سنا فأمر مالك باحضاره وقال له لم قتلته وهو

وصلوا البلاد الشامية وجاء أهلها الى مصر يطلبون النجدة وأراد قطز أن يأخذ من الناس شيأ يستعين به على قتالهم فجمع العلماء وحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال لا يجوز أن يؤخذ من الرعية شئ حتى لا يبقى فى بيت المال شئ وتبيعوا أموالكم من

أبوك وماسمعناولدا اقتل أبامن الروم سوالك فقال حملني على ذلك محبة دينكم لان فى بيعة هذا الحصن قسا من المعمرين وكانقرأ عليه الانجيل ويعلمنا بعلم الروم وانى كنت فى بعض الايام فى البيعة أناوهو وليس عندنا أحد وكان اسمه أباالمنذر فقلت له ياابا المنذر ألاترى الى بلاد الشام كيف استولت عليها العرب وملكوا أكثرها وهزموا جيوش الملك وما كنانظن ان العرب تقدر على ذلك لانه ليس فى الامم اضعف منهم وان الله تعالى نصرهم على ضعفهم فهل قرأت ذلك فى كتب الروم أوملاحمهم أوملاحم اليونانية فقال يابنى نعم انى قرأت ذلك ولقد اخبرنا الملك هرقل بذلك قبل وقوع هذا الامر وجمع اليه الملوك والاساقفة والبطارقة وغيرهم واخبرهم ان العرب لابدأن علكوا ماتحت سريرى هذا ولقد بلغنا عن نبى القوم انه قال زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى مازوى لى منها فقلت له ياابانا فماتقول فى نبى القوم قال له يابنى ان فى كتبنا ان الله تعالى يبعث نبيا بالحجاز وقد بشر به عيسى المسيح بن مريم ولاندرى أهو هذا أم لافعلمت انه كتم عنى أمره مخافة ان أذيع سره فكتمت ماقال لى البارحة فلما رأيت يوقنا واصحابه أسرى قلت هذا يوقنا قد قتل أخاه يوحنا وعاند العرب وقاتلهم ثم انه رجع الى دينهم وماذاك الاانه قد علم الحق معهم فقلت انا لنفسى قم انت واقتل أباك وخلص يوقنا واصحابه وارجع الى دين هؤلاء فهو الدين الحق لاشك فيه فلما نام أبى بعد ماشرب الخمر وسكر قتلته وصرت الى خلاص يوقنا ومن معه فوجدت أخى لاوان قد سبقنى الى ذلك فقال له مالك ياغلام لم فعلت ذلك قال محبة فى دينكم وأنا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقال له مالك قبلك الله ووفقك ثم خرج مالك من الحصن وولاه سعيد بن عمرو الغنوى وترك معه المائة الذين كانوا مع يوقنا وقدموا اليه صاحب الراوندات ومن معه فعرض عليهم الاسلام فابوا فضرب رقابهم (قال الواقدى) حدثنى عبد الملك بن محمد عن ابيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد عن عبد الله بن قرط الازدى ان فتح اعزاز كان هكذا والذى ذكر أن بنات دراس وزوجته قتلنه لم يصح والله أعلم ثم ان مالكا الاشتر أراد أن يرحل فعرض عليه سبى اعزاز فكان ألف رجل من الشباب ومائتين وخمسة وأربعين رجلا من الشيوخ والرهبان وألفى امرأة من النساء والبنات ومائة وثمانين عجوزا ونظر الى شيخ من الرهبان مليح الشيبة واضح الهيبة فقال ان صدقت الفراسة فهذا القس الذى أخبرنى به لوقا وأخوه لاوان فدعا بهما وقال هذا هو القس الذى أخبرنى به لوقا فقال نعم فقال له ياشيخ اذا كنت من علماء أهل الكتاب فكيف تكتم الحق عن مستحقيه فقال والله ما كتمت الحق عن مستحقيه ولكن خفت من الروم ان يقتلونى لان الحق ثقيل وقد قتلوا الابناء والاخوة وذلك لاجل الحق فكيف أنا فقال له مالك أفتدخل فى ديننا فقال لست أدخل فيه الا اذا سألتكم عن مسائل وجدتها فى الانجيل فقال له مالك هات ماعندك فلما أراد القس أن يتكلم وقع الصائح فى الحصن فارتاع الناس ووثب مالك لينظر ماخبر الناس وظن ان الروم قد غدرت بهم واذا بناس من المسلمين الذين بالحصن يقولون أيها الامير خذوا حذركم فانا نرى غبرة على طريق منبج وبزاعة ولاندرى ماهى فركب مالك ومن معه ووقفوا ينتظرون ماذاك واذا قد لاح من تحتها خيول الاسلام وهم يسوقون السبايا والاموال والرجال وهم مشدودون فى الحبال ووراءهم ألف فارس من المسلمين وأميرهم الفضل بن العباس رضى الله عنه وكان قد أرسله أبو عبيدة حتى غازى منبج والباب وبزاعة فوقع التكبير فى الفريقين وسلم بعضهم على بعض وسأل الفضل مالكا عن قصته فحدثه أن الله قد فتح اعزاز وأذل من فيها وحدثه بما كان من حديث يوقنا وانى ما منعنى من الرحيل الا هذا القس وسؤاله فقال له الفضل أيها القس قل ما أنت قائل فقال القس اخبرنى عن أى شئ خلقه الله تعالى قبل خلق السموات والارض فقال الفضل أول ماخلق الله اللوح والقلم ويقال العرش والكرسى ويقال الوقت والزمان ويقال العدد والحساب ويقال أول ماخلق الله جوهرة فنظر اليها فصارت ماء ثم خلق العرش ياقوتة وكان عرشه على الماء وانه نظر الى الماء فاضطرب وارتعد وصعد منه دخان فخلق الله منه السماء

المواشى والآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه فاتفق انه أخذ من كل رأس دينار او أخذ من الاملاك أجرة شهرين ومن الغيطان كذلك فكان جملة ماجمعه ستمائة ألف دينار ثم جمع الامراء والعساكر والعربان وخلقا لاتعد ولاتحصى وصرف

ثم خلق الارض وقيل خلق اولا العقل لانه أراد أن ينتفع به الخلق وقيل اول ماخلق الله نور وظلمة ثم دعاهما الى الاقرار فانكرت الظلمة وأقر النور فخلق منه الجنة لرضاه عنه وخلق النار من الظلمة لسخطه عليها وخلق أرواح السعداء من النور وأرواح الاشقياء من الظلمة فلاجل ذلك كل منهم يرجع الى مستقره ويقال اول ماخلق الله نقطة فنظر اليها بالهيبة فتضعضعت وسالت ألفا فجعلها مبدأ كتابه العزيز فسبحان من ألف كتابه من نقطة وخلق خلقه من نقطة ثم يميتهم بقبضة ويحييهم بنفخة فلما سمع القس ذلك من كلام الفضل بن العباس قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله هذا هو العلم الذى استأثر به أنبياء الله تعالى فلما نظر أهل اعزاز الى قسهم وقد أسلم أسلموا عن آخرهم الا قليلا منهم والله أعلم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عامر بن يحيي عن أسد بن مسلم عن دارم بن عياش عن جده قال لما اسلم أهل اعزاز باسلام قسهم الذى كان معتقدهم عول الفضل ومالك على المسير الى حلب فقال يوقنا أنا والله مالى وجه أقابل به المسلمين لانى كنت قلت قولا ودبرت أمرا فلم يتم لى وانى سائر الى انطاكية فلعل الله ان يظفرنى بالاعداء وينصرنى عليهم فقال له الفضل ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شىء فلا تحمل قلبك هما فقال ودين الاسلام لا أرجع الا بأمر يبيض الله به وجهى عند اخوانى المسلمين فنظر وقد صحبه مائتان من بنى عمه ممن قد رسخ فى قلوبهم الايمان ولهم عيال واولاد فى حلب فاخذهم يوقنا وسار يريد انطاكية فلما اقترب من أرضها أخذ منهم أربعة وأمر الباقى ان يتعوقوا خلفه أربعة أيام ثم يأتوا كانهم هاربون من العرب ليتم مادبره فى خاطره وسار هو والاربعة على طريق حارم والباقى على طريق أرتاح وقال لهم الميعاد بيننا انطاكية ففعلوا ذلك وساروا وسار هو الى أن أشرف على دير سمعان المشرف على البحر فوجد هناك خيلا ورجالا يحفظون الطرقات فلما رأوا يوقنا والاربعة معه بادروا اليهم واستخبروهم عن حالهم فقال لهم يوقنا أنا صاحب حلب وقد هربت من العرب فوكل به صاحب الدرك جماعة وأمرهم ان يسيروا بهم الى الملك فاخذتهم الخيل واتوا بهم اليه فوجدوه فى كنيسة القسيان يصلى فوقفوا حتى فرغ من صلاته فاوقفوا يوقنا بين يديه وقالوا أيها الملك ان بطرس صاحب الحرس الذى عند دير سمعان قد وجه بهذا ومن معه اليك ويزعم أنه صاحب حلب فلما سمع هرقل ذلك قال له يا يوقنا ما الذى أتى بك وقد بلغنى انك دخلت فى دين العرب فقال أيها الملك لقد بلغك الحق وذلك انى ما أسلمت الا مكيدة القوم حتى أتخلص من شرهم ومن كراهة منظرهم ونتن رائحتهم وانى قلت لهم أسلم اليكم حصن أعزاز وأقتل صاحبها وأخذت منهم مائة سيد من ساداتهم وسرت بهم وأمرت ان ينفذوا الى ألف حتى اذا صاروا داخل الحصن أقبض عليهم وأرسلهم اليك فعجل دراس على ولم يفهم ما أضمرته ووثق بكلام جاسوسه ولم يثق بكلامى فقبض علينا فاتت العرب ووضعت السيف فى أهلها وذلك ان لو قاتل أباه رجل من العرب وانا من جملتهم فلما اشتغلوا بالقتال والنهب هربت أنا وهؤلاء الاربعة وجئنا اليك ولولا محبتى فى دينى ما كنت قتلت أخى يوحنا وصبرت على قتال العرب وحصارهم سنة كاملة (قال الواقدى) فاعانته البطارقة والملوك الذين كانوا حاضرين وقالوا صدق يوقنا أيها الملك وسيظهر لك فعله وعمله وجهاده فانبسط وجه الملك لذلك وخلع عليه من لباسه الذى هو عليه وسوره ومنطقه وتوجه وقال له ان كانت حلب أخذت منك فانى وليتك على انطاكية وأعطاه وظيفة دمستقها وسكندرها يعنى واليها (قال الواقدى) فسمع يوقنا له ودعا له فبينما هو كذلك اذ أتى اليه الموكل بجسر الحديد وأخبر الملك انه قد قدم عليهم مائتا بطريق من فرسان حلب وهم يزعمون أنهم من بيت واحد من الرومية من بنى عم يوقنا وأنهم قد هربوا من العرب فلما سمع ذلك قال ليوقنا أيها الدمستق والسكندر قم واركب وأشرف على هؤلاء القوم فان كانوا من بنى عمك فاهل بهم وضمهم اليك ليكونوا عسكرك وان كانوا غير ذلك فاتنى بهم لأرى فيهم ما أرى واياك ان يكونوا من قبل العرب ممن رجع الى دينهم من اهل شيزر وحماة والرستن وجوسية وبعلبك ودمشق

عليهم الجوامك وخرج فى آخر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة وجد فى السير الى أن وصل عين جالوت من أرض كنعان فالتقى مع التتار هناك ووقع بينهم القتال فقتل منهم خلق كثير وانكسر هلاكو ومن معه من التتار وهربوا ثم رجعوا واقتتلوا

وحوران فقال نعم أيها الملك فركب وركبت معه الفرسان من الملكية والسريرية وأتوا الى جسر الحديد
وامروا اصحاب الدرك ان ياتوا بالمائتين فلما رآهم يوقنا رحب بهم ونظروا اليه وهو فى ذلك الزى والحشمة
وخلعة الملك عليه فترجلوا وقبلوا ركابه فقال لهم كيف خلصتم من أيدى العرب فقالوا أيها السيد اننا
خرجنا مع امير من أمرائهم واغرنا على منبج وبزاعة فلما رجعنا نريد حلب أخذنا على اعزاز فوجدناهم
قد ملكوها فلما كان الليل تركناهم وأتينا (قال الواقدى) وهذا كله وحجاب الملك يسمعون فلما
حضروا أخبروا الملك بذلك ودخل يوقنا بهم على الملك فخلع عليهم وأنزلهم وامرهم أن يكونوا فى خدمة
يوقنا واعطاه دارا بازاء قصره فقال يوقنا ايها الملك أنت تعلم ان هذه الدار لا يدوم نعيمها وان السيد المسيح
شبهها بالجيفة وطلابها بالكلاب يتجاذبونها كما روى عن المسيح أنه رأى طائرا حسنا مزينا بكل
زينة فنزع جلده فرآه أقبح ما يكون منظرا فقال له من أنت قال انا الدنيا ظاهرى مليح وباطنى قبيح وانما
ضربت لك هذا المثل ايها الملك لتعلم انه ما خلا جسد من حسد واذا أقبلت الدنيا على احد كثرت حساده
وانا أخاف من الحساد ان يتكلموا فى عند الملك ويرمونى بالبهتان وبما لا أفعله فان كان الملك ينفرمنى
فليول هذه الوظائف غيرى وانا ما أبرح عن ركابك ثم انه بكى فقال له الملك ايها الدمستق ما وليتك هذا
الامر الا وقلبى وخاطرى واثق بك ومن تكلم فيك بشئ سلمته اليك تفعل به ما تريد فشكره يوقنا وأراد
الخروج الى وظيفته التى ولاه اياها واذا بخيل البريد قد أقبلت من مرعش وهم رسل ابنته زيتونة وانها
خائفة من العرب وهى تريد القدوم عليك حتى ترى ما يؤل من الامر وأنها تسألك ان ترسل لها جيشا
يوصلها اليك فلما سمع الملك ذلك قال ليس لهذا الأمر الا الدمستق يوقنا فقبل الارض وقال السمع
والطاعة لامرك فضم اليه ألف فارس ومائتين من اصحابه من المدبجة والقياصرة (قال الواقدى)
فسار بالالفين والمائتى فارس وقد رفع الصليب فوق رأسه وجنبت الجنائب وعليها الرخوة المذهبة وسار
يجد السير الى ان وصل الى مرعش واخذ زيتونة بنت هرقل وهى الصغرى وكان الملك قد ولاها على تلك
البلاد وزوجها بنوسطير بن حارس وكانوا يسمونه سيف النصرانية لشجاعته وكان قد قتل على اليرموك
من جراحات اصابته (قال الواقدى رحمه الله ورضى عنه) فلما اخذ يوقنا ابنة الملك وعاد يطلب بها
انطاكية أخذ على الجادة العظمى لعله يلتقى أحدا من جواسيس المسلمين او يرى معاهدا فيرسله ليعلم
أبا عبيدة انه قد تمكن من الملك ومن البلد فلما وصل مرج الديباج وكان ليلا واذا بخيله التى على مقدمته
قد أتته وهم مذعورون فقال لهم ما بالكم فقالوا له أيها السيد الدمستق ان هناك عسكرا نازلا فقربنا منهم
فاذا هم عرب وهم نيام ولا شك انهم مسلمون فقال لهم خذوا أهبتكم وايقظوا خواطركم وانصحوا لدينكم
وجاهدوا عدوكم وقاتلوا عن ابنة الملك ولا تسلموها الى أعدائها وكونوا خير جند قاتل عن نعمة صاحبه
واذا تمكن الحرب بيننا وبينهم فاعمدوا الى الاسر واياكم والقتل واعلموا ان العرب واميرهم لابد لهم
أن يقصدوا الملك ومن معه فان أسروا منا احدا يكن عندنا الفداء فقد وجدت فى كتاب حرفناس الحكيم
ان من نظر فى عواقب زمانه توشح بوشاح أمانه ومن اهمل أمره خاف حذره ومن أكثر الغدر حل به
الامر سيروا على بركة الله (قال الواقدى) فشرعوا الاعنة وقوموا الاسنة وقصدوا ذلك العسكر
فلما احسوا بهم بادروا اليهم واستقبلوهم وهم ينادون بعيسى بن مريم والصليب المفخم من انتم فقال
لهم يوقنا ومن انتم فقالوا نحن اصحاب جبلة بن الايهم فلما سمع يوقنا ذلك ترجل عن دابته وسلم عليه وسلمت
العرب المتنصرة على الروم فقال جبلة من أين جئتم فقال له من مرعش ومعى ابنة الملك وانتم من أين
جئتم فقال جبلة من العمق وقد اتينا عبيرة أهلها فلما رجعت ووصلت الى مرج دابق لقيت كتيبة من
فرسان المسلمين وهم زيادة عن مائتى فارس وهم لابسون زينا فلما وصلنا اليهم ابتدرونا بعزم شديد وحرب
عتيد واقدامهم لا يصطلى له بنار فلقد أبادوا منا رجالا وجندلوا منا أبطالا ونحن فى الفى فارس وهم مائتان
وكان فينا كالنار المحرقة فنازلناهم وقاتلناهم حتى أسرناهم بعدما قتل الفارس منهم الفارس والاثنين

حتى قتل منهم النصف ورجعوا هاربين وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة وكان بيبرس عين أعيان دولة الملك قطز وقد ساق وراء التتار الى حلب وطردهم عن البلاد ووعده السلطان بحلب ثم رجع فى ذلك فتأثر بيبرس ووقعت الوحشة بينهما فاضمر كل لصاحبه

والثلاثة منا وبقى اميرهم الى آخر الناس فقصدنا جواده بالسهام حتى قتلناه ووقع فهجمنا عليه واخذناه اسيرا فاذا هو من اصحاب محمد وهو ضرار بن الازور ونحن قاصدون بهم الى الملك هرقل ليرى فيهم رأيه فاظهر لهم بوقنا الفرح وقال وحق دينى لقد فزت بالفخر باسرك لهؤلاء وهذا الغلام فلقد بلغنى عنه مافعل بابطال الشام وفرسان الروم ثم سار القوم جميعا يطلبون انطاكية (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى الشريد بن عاصم عن شمران بن مجزل عن قادم بن بشر عن زائدة بن عمر قال حدثنا بشار عن عوف عن صالح بن عبد الله عن جده مسروق قال المؤلف وحدثنى هذا الحديث عباد بن عاصم عن عمران ابن حصين قال لما فتح المسلمون حصن اعزاز وترك مالك الاشتر عليها سعيد بن عمر والغنوى والتقى بالفضل بن العباس ورجعا بالغنائم الى حلب استبشر أبو عبيدة بسلامة الناس وبفتوح اعزاز فسأل مالكا عن بوقنا فحدثه فيما بينه وبينه سرا وانه قصد انطاكية ليدخل على كلب الروم بحيلة ولم يكن له وجه يعود اليك به فقال أبو عبيدة الله ينصره ويظفره ويغفر له فلقد ظهر لنا منه مالم يكن لنا فى حساب ثم انه كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من ابى عبيدة عامر بن الجراح الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فان الله سبحانه له المنة علينا التى يستوجب بها الحمد من جميع المسلمين اذ فتح علينا مستصعب قلاع الكفر وحصونه واذل لنا ملوكهم وأورثنا أرضهم وديارهم وان الله سبحانه قد فتح علينا قلعة حلب وأردفها بحصن اعزاز وان البطريق بوقنا صاحب حلب قد اسلم وحسن اسلامه وقد صار عونا للمسلمين على الكافرين من بعد ماقاسينا منه ما الله عالم به فالله يجازيه فلقد نصر الله به الدين ونصح للمسلمين واباد المشركين وقد دخل انطاكية يدبر حيلة على كلب الروم وقد التقى بنفسه الى الهلاك فى طاعة الله ورسوله ولقد كتبت هذا الكتاب ونحن معولون على المسير الى انطاكية نقصد طاغية الروم فمابقى حصن سواه لاعدائنا فى ايمامنا ونحن طامعون بأخذه وأخذ سريره وكنوزه كما وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزودنا بالدعاء منك فانه سلاح المؤمنين ودمار الكافرين والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم انه اخرج الخمس وسلمه الى رباح بن غانم اليشكرى وضم اليه مائتى فارس من المسلمين فيهم قتادة وسلمة بن الاكوع وعبد الله بن بشار وجابر بن عبد الله ومثل هؤلاء رضى الله تعالى عنهم فاخذوا الخمس وساروا ثم ان ابا عبيدة دعا بضرار بن الازور وضم اليه مائتى فارس وامره ان يشن الغارة فركب ضرار وكان معهم سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل ضرار سائرا هو ومن معه ومعهم رجال من المعاهدين يدلونهم على الطرق حتى وصلوا الى مرج دابق وكان وقت السحر فقال لهم المعاهد ارفقوا على خيولكم فنزلوا وأراحوها بقية يومهم وليلتهم حتى اذا كان وقت السحر فاشعروا الا وجملة كبسهم فلما وقع الصياح ركب ضرار وركب معه نحو مائة فارس واما المائة الاخرى فقد دهمتهم خيول المتنصرة فلم يتمكنوا من الركوب فقاتلوا رجالا فنفرت خيولهم ووصل اليهم عدوهم حتى انه قتل كل واحد خصمه وتكاثرت عليهم الخيل فاسروا المائة واما ضرار فانه صاح بالمائة الثانية وقال يافتيان العرب ان أعداءكم قد هاجوكم على حين غفلة منكم وهم عرب مثلكم وهذه افضل الساعات عند الله فقووا عزمكم ولا تفشلوا فانتم تعلمون ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت ظلال السيوف وقد قال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين قال ميسرة بن عامر وكان من جملة من حضر معنا فى مرج دابق ربيعة بن معمر بن ابى عوف وهو ابن عمر بن ربيعة الشاعر وكان ربيعة من فصحاء العرب لايتكلم الا بالسجع كلامه ينتظم بحسن مقاله وكنا نصغى اليه اذا سجع ونحفظ منه فلما سمع ضرارا وهو يحرضنا قال يافتيان العرب لن تنالوا الجنة الا بالصبر على المكاره والله لن يدخلها من هو للجهاد كاره

ولله فى عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

الشر فاتفق بيبرس مع جماعة من الامراء وقتلوا المظفر فى الطريق بين الغزالى والصالحية فعظم على الناس قتله لحصول النصرة على يده وذلك سنة ثمان وخمسين وستمائة (ثم تولى من بعده الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى)

وأعلى الدرجات درجة الشهادة فارضوا عالم الغيب والشهادة فهذا الجهاد قد قام على ساقه وكسد النفاق فى اسواقه واختفى بنفاقه فى أنفاقه اماانتم أصحاب نبى العصر ولم يشتم من الثبات والنصر بشر وروح المصطفى بشباتكم وقووا العزم بصفاء نياتكم واياكم أن تولوا الادبار فتستوجبوا غضب الجبار واعلموا أن النصر والثبات جندان منصوران فى طلب دار البقا هان عليه الملتقى فصححوا طلبتكم تنالوا رحمة ربكم وحققوا حملتكم تنالوا بغيتكم واطعنوا النحور تنالوا الحور وتسكنوا القصور وقوموا الاسنة تنالوا الجنة واعتمدوا على الصبر تنالوا النصر واياكم أن توافقوا الكفار فى حالهم واعدلوا عن طريق قولهم قال العالم بحالهم وفعلهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم قال سمرة بن غانم والله لقد دهشت أنفسنا بقوله وحملنا على المتنصرة وضرار ينشد

ألا فاحملوا نحو اللئام الكواذب * لترووا سيوفا من دماء الكتائب
وردوا عن الدين المعظم فى الورى * وأرضوا اله العرش رب المواهب
فمن كان منكم يبتغى عتق ربه * من النار فى يوم الجزا والمآرب
فيحمل هذا اليوم حملة ضيغم * ويرضى رسولا فى الورى غير كاذب

(قال الواقدى) ثم حمل ضرار ونحن من ورائه وبذلنا نفوسنا ورويناسيوفنا ورماحنا من المتنصرة وجرى الحرب عالا يوصف وضرار فيهم كانه النار فى الحطب اليابس وجبلة بن الايهم يتعجب من حملاته وضرباته فامر قومه أن يقصدوا جواده بسهامهم ففعلوا ذلك فانصرع الجواد ووقع ضرار فتكاثروا عليه وأخذوه أسيرا وأخذوا بقية أصحابه وساروا بدون انطاكية فالتقوا بيوقنا وابنة الملك كما ذكرنا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد حدثنى معمر بن رواحة عن موسى بن القاسم عن خزامة بن عمرو عن أبى المنذر أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى حرب ضرار بن الازور وأسر فلما كان الليل انطلق هاربا يلتمس الوصول الى أبى عبيدة فاذا هو بأسد قد عارضه فقال سفينة يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أمرى كيت وكيت فقرب منه وهو يبصبص بذنبه حتى وقف الى جانبه وأشار اليه برأسه أن سر فسرت وهو الى جانبى حتى أتى بى الى بلد من صلحنا فتركنى ومضى (قال الواقدى) فلما وصل سفينة الجيش حدث الناس باسر ضرار ومن معه فصعب ذلك على المسلمين وبكى أبو عبيدة وخالد بن الوليد على اسرهم وقالا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وبلغ ذلك اخته خولة فقالت انا لله وانا اليه راجعون يا ابن أمى ليت شعرى فى السلاسل أوثقوك ام بالحديد قيدوك أم فى البيداء طرحوك ام بدمائك خضبوك وانشدت تقول

ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا * فمن ذا الذى يا قوم اشغلكم عنا
فلو كنت ادرى انه آخر اللقا * لكنا وقفنا للوداع وودعنا
الا يا غراب البين هل أنت مخبرى * فهل بقدوم الغائبين تبشرنا
لقد كانت الايام تزهو لقربهم * وكنا بهم نزهو وكانوا كما كنا
الا قاتل الله النوى ما أمره * واقبحه ماذا يريد النوى منا
ذكرت ليالى الجمع كنا سوية * ففرقنا ريب الزمان وشتتنا
لئن رجعوا يوما الى دار عزهم * لنمشى خفافا للمطايا وقبلنا
ولم أنس اذ قالوا ضرار مقيد * تركناه فى دار العدو وعمنا
فما هذه الايام الا معارة * وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى
أرى القلب لا يختار فى الناس غيرهم * اذا ماذكرهم ذا كر قلبى المضنى
سلام على الاحباب فى كل ساعة * وان بعدوا عنا وان منعوا امنا

صاحب الفتوحات وهو الرابع من ملوك الترك أصله تركى اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب واعتقه ولازالت الاقدار تساعده حتى وصل الى ماوصل وكان ملكا شجاعا مقداما يباشر الحروب بنفسه له الوقائع الهائلة مع التتار ثم الافرنج وهو الذى بنى المدرسة

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى عن واصل بن عوف انه قال اجتمعت النساء من العربيات ممن كان لهم أسير مع ضرار عند خولة ومن جملتهم مزروعة بنت عملوق الحميرية وكانت من فصحاء زمانها وكان ولدها صابر بن أوس فيمن أسر مع ضرار فجعلت تندب ولدها وتقول

أيا ولدى قد زاد قلبى تلهبا • وقد أحرقت منى الخدود المدامع
وقد أضرمت نار المصيبة شعلة * وقد حميت منى الحشا والاضالع
وأسأل عنك الركب كى يخبرونى * بحالك كيما تستكن المدامع
فلم يك فيهم مخبر عنك صادقا * ولا منهم من قال انك راجع
فيا ولدى مذ غبت كدرت عيشتى * فقلبى مصدوع وطرفى دامع
وفكرى مقسوم وعقلى موله * ودمعى مسفوح ودارى بلاقع
فان تك حيا صمت لله حجة *وان تكن الاخرى فما العبد صانع

فقالت لهن سلمى بنت سعد بن زيد بن عمر بن نفيل وكانت من الزاهدات العابدات أبهذا أمركن الله انما أمركن بالصبر ووعدكن على ذلك الاجر أما سمعتن ما قال الله سبحانه وتعالى الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فاصبرن تؤجرن فسكتن على البكا (قال الواقدى) ولما ورد الخمس على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكتاب ابى عبيدة مع رباح بن غانم اليشكرى وقع الصائح فى المدينة بقدومه فاجتمع الناس الى المسجد ليسمعوا ما تجدد من أمر المسلمين فلما دخل رباح المسجد بدأ بالسلام على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قبر أبى بكر وصلى ركعتين وأتى الى عمر وقبل يده وعرض عليه الكتاب فقرأه على المسلمين فضجوا بالتهليل والتكبير وصلوا على البشير النذير وأخذ الخمس وكتب الى أبى عبيدة يأمره بالمسير الى انطاكية ولا يصده عن ذلك شئ ورد الجواب مع رباح اليشكرى (قال الواقدى) أخبرنى مازن بن عبد ربه عن مالك ابن اسيد عن جده مروان بن الجريران الجواب لما ورد على أبى عبيدة سار من يومه يطلب انطاكية قال وأما ما كان من أمر يوقنا رحمه الله تعالى وجبلة بن الايهم لعنه الله فانهم ساروا الى انطاكية وسبق البشير الى الملك هرقل بقدوم ابنته مع يوقنا وقدوم يوقنا ومعه المائتا أسير من المسلمين فامر بتزيين البلد والبيع فاظهرت الروم زينتها ودفعت الصدقات الى الفقراء واخرج موكب الروم الى لقائهم مع ابن أخيه فى زينة عظيمة ودخل القوم وهم فى زيهم وحشمهم وكان يوما مشهودا وقد ترجلت الملكية والسريرية بين يدى ابنة الملك وخرج كل من بانطاكية وقدموا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم امامهم وهم مشدودون والروم تشتمهم وتبصق عليهم وقد دارت بهم الرجال والبطارقة ودخلت ابنة الملك الى قصر أبيها (قال الواقدى) ودخل جبلة بن الايهم ويوقنا على الملك فخلع عليهم وعلى كبار أصحابهم ثم انهم أحضروا الصحابة وأوقفوهم بين يديه وهم فى الحبال فلما وقفوا صاحت بهم الحجاب اسجدوا الى الارض تعظيما للملك فلم يلتفتوا الى قولهم ولا اعتنوا به فقال لهم الحاجب الكبير ما منعكم أن تعظموا الملك بالسجود بين يديه فقال لهم ضرار لا يحل لنا أن نسجد لمخلوق وقد نهانا نبينا صلى الله عليه وسلم عن ذلك (قال الواقدى رحمه الله) حدثنى سهل بن برقان رضى الله عنه عن السائب بن حازم عن الحكم بن مازن قال لما وقف ضرار والصحابة بين يدى هرقل خاطبهم من غير ترجمان وأراد الملك أن يسمع بطارقته وحجابه بما كان يحدثهم به حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم وذلك انه جمعهم اليه لما بلغه ان النبى صلى الله عليه وسلم قد ظهر وقال هذا هو النبى المبعوث الذى بشر به عيسى بن مريم وهو صاحب الوقت ولا بد لدينه أن يظهر حتى علا المشرق والمغرب ثم ان هرقل دعاهم لاداء الجزية فارادوا قتله فاراد ذلك اليوم أن يبين لهم حقيقة قوله وانه أراد بذلك الاصلاح لهم ولحالهم فقال لضرار ومن معه من يخاطبنى منكم عما أسأله من العلم فاشاروا الى قيس بن عاصم الانصارى رضى الله تعالى عنه وكان شيخا معمرا وقد شاهد جميع احوال رسول الله صلى

بالقاهرة تجاه البيمارستان عام اثنين وستين وستمائة والجامع الكبير بالحسينية سنة خمس وستين وستمائة وتم فى سنة سبع وهو الآن أعنى سنة ثلاث عشرة بعد المائتين والالف قلعة للافرنج اختاروه لصلابته واتقان بنائه وقطعوا ما حوله من الاشجار

الله عليه وسلم ومعجزاته وغزواته فلما اشار واليه قال للملك قل ما انت قائل أيها الملك قال هرقل كيف
نزل على نبيكم الوحى أول مبتدا أمره فقال قيس بن عاصم سأل هذا السؤال لنبينا صلى الله عليه وسلم رجل
من مكة يقال له الحرث بن هشام فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأتينى أحيانا مثل صلصلة الجرس وهو أشد على فينفصم عنى وقد وعيت عنه وأحيانا
وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول قال قيس ولقد كان ينزل عليه فى اليوم الشديد البرد
فينفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا فاول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا
الصادقة فى النوم فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء
فيتحنث فيه أى يتعبد الليالى ذوات العدد فلم يزل كذلك حتى جاءه الملك وقال له اقرأ فقال لست بقارئ
قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى وقال لى اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى حتى بلغ
منى الجهد ثم أرسلنى وقال لى اقرأ فقلت لست بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى
فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان
مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف بها فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد
رضى الله تعالى عنها فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فأخبر خديجة وقال لها لقد خشيت
على نفسى فقالت له خديجة كلا لايخزيك الله أبدا انك تصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر والحق وذكر الحديث بطوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينما أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا أنا بالملك الذى جاءنى بحراء وهو جالس
على كرسى بين السماء والارض فخشيت منه رعبا فرجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فانزل الله
تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر الآية ثم حمى الوحى وتتابع ولقد كنت معه يوما فى المسجد اذ دخل رجل ومعه
بعير له فاناخه بالباب وعقله ودخل وقال السلام عليكم فرددنا عليه السلام فقال أيكم محمد فقلنا هذا
الأبيض الوجه فقال له الرجل يا ابن عبد المطلب قد أتيت أسألك مشددا عليك فلا تجد على فى نفسك
فقال له سل عما بدا لك فقال بربك ورب من قبلك آلله الذى أرسلك الى الناس كلهم كافة قال اللهم نعم
قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة قال اللهم نعم قال أنشدك بالله
آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة فقال اللهم نعم فقال أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه
الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال اللهم نعم فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول
ومن ورائى من قومى أنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر فقال هرقل بحق دينك ما الذى رأيت
من معجزاته قال كنت معه فى سفر فأقبل اليه اعرابى فدنا منه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أتشهد
أن لا اله الا الله وأنى محمد رسول الله قال الاعرابى ومن يشهد بما تقول فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذه
الشجرة ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا الشجرة وهى بشاطئ الوادى فاقبلت اليه وهى تخط الارض
حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاث مرات فقالت أنت محمد رسول الله ثم أمرها فرجعت الى منبتها
فقال هرقل انا نجد فى كتابنا ان الرجل من أمته اذا عمل السيئة كتبت عليه واحدة وان عمل الحسنة
كتبت له عشرا قال قيس بن عامر هذا فى كتابنا قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فقال هرقل اعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم الذى بشر به عيسى المسيح هو
الشاهد على الناس يوم القيامة فقال قيس هو نبينا قال الله تعالى فى كتابه العزيز يا أيها النبى انا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الآية أما شهادته فى العقبى فهو قول ربنا فى كلامه القديم وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا فقال هرقل ان الذى وصفته لك هو الذى يأمر العباد أن يصلوا اليه فى حياته ويصلوا
عليه فى حياته وبعد وفاته فقال قيس هو نبينا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى فى كتابه العزيز ان الله
وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال هرقل ان الذى وصفه المسيح

وهدموا البنيان الذى حول
الاشجار فلا حول ولا قوة
الا بالله وبنى أيضا قناطر
أبى المنجى بالقليوبية وقناطر
السباع بطريق مصر وغير
ذلك من قلاع وحصون
وقناطر وخانات بالشام
وغيرها واكمل عمارة المسجد
النبوى من الحريق وحج
سنة سبع وستين وستمائة

يعرج به الى السماء ويخاطبه العلى الاعلى فقال قيس هو والله نبينا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى في حقه سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان فى ذلك الوقت بترك الروم وهو راس دينهم جالسا فسمع هذا الكلام فالتفت هذا البترك الى الملك وقال له ايها الملك ان الذى ذكره عيسى لم يبعث بعده ولا قبله بل هى تأويل كاذبة فقال ضرار بن الازور كذبت فى وجهك وكذبت هذه اللحية الملعونة المخزية يا كلب الروم انت من امثالك من يكذب عيسى عليه السلام وينكر بعث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام اما تعلم ان عيسى قرأه فى الانجيل وموسى قرأه فى التوراة وقرأه داود فى الزبور وان نبينا المبعوث بخير الاديان المشهود له بالنبوة والرسالة فى كتاب الله العزيز وجميع الكتب المنزلة على الانبياء من قبله وهو نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المكى ولكن حجاب الكفر منعكم عن معرفته فلما أن سمع هرقل من ضرار هذا الكلام قال له لقد اسأت الادب فى المجلس اذ خرقت بعمدة دين النصرانية فمن انت فقال له قيس بن عامر هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ضرار بن الازور لا تتكلم فى حقه بكلام قبيح فقال الملك هذا الذى بلغنى عنه انه يقاتل مرة راجلا ومرة فارسا ومرة عاريا ومرة لابسا قال نعم فعندها سكت ولم يتكلم (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) ولقد بلغنى ان البترك لما سمع خرق ضرار به ابدى الغضب بعد الابتسام ولحقه غيظ شديد ماعليه من مزيد وقام من حضرة الملك قال وغضب البطارقة والحجاب لغضب البترك فلما رأى الملك غضبهم خاف على نفسه منهم فقال قطعوه بسيوفكم وامحوا أثره قال فنزلوا عليه بالسيوف وضربوه ضربات شديدة وكانت عدة تلك الضربات مائة وأربع عشرة ضربة الا انها غير قاتلة لما يريده الله من لطفه الخفى فى حياته ونجاته فلما رأى البترك هذه الفعال سكن غضبه وقال اقطعوا لسانه فلما أن راى يوقنا ذلك الامر وتحقق هذا الكلام منهم قال فى نفسه والله لا أترك هذا اللعين يتمكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الى الملك وقبل الارض ودعا بدوام الملك والنعم وقال أيها الملك ان هذا ليس بصواب وان من الرأى السديد عندى أن نترك هذا الغلام حتى يصح فاذا عاد الى صحته أخرجناه الى باب المدينة وصلبناه لتشفى صدور الروم لانه قد أثر فيهم كلامه الذى تكلمه وقد قتل من آبائهم وأبنائهم واخوانهم وأيضا يبلغ الخبر الى المسلمين باهانته وضربه فيوهنوا بذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) انما أراد يوقنا بذلك أن يخلص ضرارا منه وقال فى نفسه اذا بات تلك الليلة انكسرت حدة الغيظ من الملك فيطلقه فقال الملك ليوقنا خذه واحفظه الى غد فأخذه يوقنا الى داره وافتقد جراحاته فاذا بها كلها سليمة ما قطع له عصب ولا عرق وذلك من لطف الله الخفى ولما أن رأى يوقنا جراحاته خاطها وداواها وأطعمه وأسقاه ففتح عينيه فرأى يوقنا وولده ولم يكن عنده علم بان يوقنا قد أتى الى هذا المحل ليحتال على الملك فلما أن رآهما قال لهما ان كنتما كافرين فقد سخركما الله لى حتى داوتمانى وان كنتما مؤمنين فمرحبا بكما وهنيأ لكما واعل الله يبركتكما يجمع شملى بعجوز فى الحجاز قد أعلها البكاء والعويل ليلا ونهارا من أجلى وأجل أختى خولة وهى فى العسكر ولقد كانت تحسب هذا الحساب لانى بقية من مضى لها من الاحباب ولقد خفى عليها خبرى وأمرى فان قدرتما ان تبلغاها سلامى وتعلماها مقامى وكيف كان للكافرين كلامى فهى ترسل وتعلم أمى وتكاتبها بامرى فلما استراح فى الليل قال بالله عليكما كتبا عنى ما أقول لكما فكتب عنه ابن يوقنا وهو يملى له ويكتب حرفا بحرف شعرا

الأ أيها الشخصان بالله بلغا * سلامى الى أهلى بمكة والحجر
تلقيتما ماعشتما ألف نعمة * بعز واقبال يدوم مع النصر
ولا ضاع عند الله ما تصنعانه * فقد خف عنى ماوجدت من الضر
بصنعكما لى نلت خيرا وراحة * كذلك فعل الخير بين الورى يجرى
ومابى وأيم الله موتى وانما * تركت عجوزا فى المهامه والقفر

فغسل الكعبة بيده بماء الورد وله فتوحات كثيرة فتح النوبة ودنقلة ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها وملك الروم وجلس بقيسارية ولبس التاج وضرب باسمه الدراهم والدنانير وجدد عمارة الجامع الازهر بعد أن خرب وانقطعت منه الخطبة مدة

ضعيفة حال ما لها من جلادة * على نائبات الحادثات التي تجري
تعوّدها حب القفار مقيمة * على الشيح والقيصوم والنبت والزهر
وكنت لها ركنا تعدر حاله * واكرمها جهدي وان مسني فقري
وأطعمها من صيد كفي أرانبا * من الوحش واليربوع والظبي والصقر
من الضب والغزلان والبهت بعده * مع البقر الوحش المقيمات في البر
وأحمي حماها أن تضام ولم أزل * لها ناصرا في موقف الخير والشر
واني أردت الله لا شيء غيره * وجاهدت في جيش الملاعين بالسمر
وأرضيت خير الخلق أعني محمدا * لعلي أنال الفوز في موقف الحشر
فمن خاف يوم الحشر أرضى الهه * وقاتل عباد الصليب بني الكفر
كذا جلت يوم الحرب في كل كافر * وجندلته بالطعن في الكر والفر
تقول وقد حان الفراق لحينه * ألا يا أخي مالي على البين من صبر
ألا يا أخي هذا الفراق فمن لنا * بحسن رجوع قادم منك بالبشر
اذا سافر الانسان عن أرض اهله * فاما رجوع او هلاك مدى الدهر
ألا بلغاها عن أخيها تحية * وقولا غريب مات في قبضة الكفر
جريح طريح بالسيوف مشرح * على نصرة الاسلام والطاهر الطهر
ألا يا حمامات الاراك تحملي * رسالة صب لا يفيق من السكر
حمائم نجد بلغى قول شائق * الى عسكر الاسلام والسادة الغر
وقولي ضرار في القيود مكبل * بعيد عن الاوطان في بلد وعر
حمائم نجد اسمعي قول مفرد * غريب كئيب وهو في ذلة الاسر
وان سألت عني الاحبة خبري * بأن دموعي كالسحاب وكالقطر
حمائم نجد خبري الاخت أنني * قتلت بحد المرهفات من البتر
حمائم نجد عددي عند موطني * وقولي ضرار قد يحن الى الوكر
وقولي لهم اني أسير مقيد * له علة بين الجوانح والصدر
له من عداد العمر عشر وسبعة * وواحدة عند الحساب بلا نكر
وفي خده خال محته مدامع * على فقد أوطان وكسر بلا جبر
مضى سائرا يبغي الجهاد تطوعا * فوافاه أبناء الشام على غدر
ألا فادفناني بارك الله فيكما * ألا واكتبا هذا الغريب على قبري
ألا يا حمامات الحطيم وزمزم * ألا خبرا أمي وولا على أمري
عسى تسمح الايام منا بزورة * لقلب غريب لا يرام من الفكر

(قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه) لما كتب ابن يوقنا هذه الابيات كتب أبوه يوقنا الى أبي عبيدة يعلمه بما يريد أن يدبره وسلمه الى رجل يثق به وبعثه الى المسلمين قال المؤلف حدثني جابر بن عمران الدوسي ونحن في أرض يقال لها البلاط اذ جاء معن بن أوس من آل مخزوم ولقد تركه أبو عبيدة في المقدمة فجاء برجل من الروم فقال لابي عبيدة خذ هذا اليك فهو يزعم انه رسول فاستخبره ابو عبيدة في السر فقال أنا رسول اليك بكتاب فقال ممن قال من يوقنا ومن أسيركم بانطاكية يقال له ضرار بن الازور فاخذ أبو عبيدة الكتاب وقرأه على من يعز عليه فبكوا من أبيات ضرار وبلغ الخبر أخته فاتت الى أبي عبيدة وقالت يا أمين الامة اسمعني ابيات أخي فقرأ البعض عليها ولم يتمها فاسترجعت وقالت انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فوالله لآخذن بثاره ان شاء الله تعالى

طويلة فأعادها كما كانت وله صدقات وأوقاف كثيرة ولما خرج الى قتال التتار بالشام استفتى العلماء في أخذ أموال من الرعية فأفتوه الا النووي فانه امتنع وكلمه كلاما شديدا فغضب منه وأمره بالخروج من الشام فخرج الى بلده نوى ثم رسم

وحفظ الناس أبيات ضرار وتداولوها بينهم فكان أشد الناس عليه حزنا خالد بن الوليد (قال الواقدي)
رحمه الله تعالى ورضي عنه حدثنا عبد الملك بن محمد عن أبيه حسان بن كعب عن عبد الواحد بن عون
عن موسى بن عمران اليشكري عن عامر بن يحيي عن أسد بن مسلم عن دارم بن عياش ان أهل حازم فتحوا
قلاعا كثيرة وحصونا منها الراوندات وما سواها من قورص وباسوطا ولم يزل ابو عبيدة سائرا بالمسلمين الى
ان نزل على جسر الحديد وبلغ الخبر هرقل فتمكن الخوف من قلبه وأمر بطارقته بالتأهب للقتال ونصب
سرادقاته على جسر الحديد وضربت الملوك خيامها وفتح الملك هرقل خزائن السلاح وفرقها على رجاله
وأبطاله وخلع على يوقنا وقال له أيها الدمستق قد وليتك على جيشي هذا كله فكن أنت مدبره وسلم اليه
صليبا كان في بيعة القيسان لا يخرجونه الا في الايام العظام عندهم وقال له أيها الدمستق قدم هذا
الصليب بين يديك واعتمد على نصرته فهو ينصرك فأخذه وسلمه الى ولده وأمره أن يحمله بين يديه
فعندها ركب الملك هرقل الى كنيسة القيسان ومعه الملوك والحجاب حتى يصلوا صلاة النصر فلما وصلوا
وصلى الملك جلس وأمر باحضار المائتين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقربهم قربانا فقبل
يوقنا يده وقال له يا عظيم الروم ما ولاك الله على البلاد والعباد الا وقد علم ان عقلك يسع ذلك وقد قال
ديسقور الحكيم ان العقل مرقى جليل وصاحبه نبيل لانه عز الانسان ومصباح الانام واعلم أيها
الملك ان العرب قد قصد تتابع عددها وعديدها وقد نزلوا على جسر الحديد ولا بد لنا من القتال والمصاف
معهم ولا ندري على من تكون الدائرة فان قتلت هؤلاء الاسرى ووقع أحد منا بايديهم فانهم لا يبقون
عليه والصواب تركهم الى ان نرى ما يؤول من أمرنا فان أسروا من اصحابنا أحدا أو من أعياننا نفاديه به
فقالت أرباب الدولة صدق الدمستق في قوله قال البترك أيها الملك أحضرهم الى هذه الكنيسة فانها
أحسن كنائس بلادنا وأمر النساء والبنات يتزين ويحضرن هنا فاذا هم نظروا الى نسائنا وحسنهن
وجمالهن وطيب رائحتهن مالت أنفسهم اليهن فيرجعون الى ديننا فيكون ذلك وهنا على المسلمين قال فأمر
بذلك فلما احضروا رفعت القسوس أصواتهم بقراءة الانجيل فرفع المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير
وقالوا كذب الجاحدون وضلوا ضلالا بعيدا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله وكان في الاسرى
رجل من اليمن من فضلائهم وعلمائهم من علم الحميريين وقرأ الكتب السالفة وكان اسمه رفاعة بن زهير
يقول الشعر وينظم الكلام وانه لما نظر الى الكنيسة ملآنة بأهل الكفر ورآهم يعظمون الصلبان
ويسجدون للصور قال الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله كذب العادلون عن الله اصحاب الشيطان ولا اله
الا الله الواحد الرحمن الذي ليس له أب محسوب وانه فرد صمد لا الى شئ منسوب ليس له ضد ولا ند
ولا حد أوجد الموجودات وصور المخلوقات وخلق الكائنات ودبر الارض والسموات أول
لا افتتاح لوجوده وآخر لا عدم لشهوده لا يموت ولا يفنى ولا يزول ولا يبلى لا شريك له ولا وزير له
ولا صاحبة له ولا مشير له ليس كمثله شئ وهو السميع البصير قال فاضطربت الكنيسة لقوله ومالت
القسوس بعكاكيزها اليه فأشارت الحجاب اليهم ان لا يكلموه ويتركوه فتفرقوا عنه فقال له الملك هرقل
ما اسمك يا أخا العرب قال أيها الملك وما تريد من اسمي ولست من جنسكم فتستخبروني فقال البترك صدق
أيها الملك ليس هو من جنسنا ولا له علم ولا خبرة فعلام تسأله انما هو بدوي يعلم بسكنى القفار وصحبة
الاشرار والحكمة من بلادنا ظهرت وفي حكمائنا اشتهرت لانها نبعت من اليونانيين ووعاها جدودنا
السريانيون من أين للعرب حكمة يتوارثونها او علوم يتدارسونها ارباب الفضائل كلها من علمائنا اولو العدل
في ملوكنا الاسكندر وبطليموس وموريق ويوسطنيوس وأرمويل وانطاميس وأرجاس وجرجس
واسطوس واسطانيس وسارغورس النوصيدي وهو الذي بنى انطاكية وسفليوس وأريسا وكان
نبيا ملكا وبلينوس وهو الذي بنى الرها ومنبج واسطيس وكان كاهنا وهو الذي أخبر ملك زمانه انه
قد ولد مولود يخاطب الرب ويكون له شأن ونبأ عظيم يهلك على يديه أفلاطون وهو فرعون ومنافسطين

برجوعه فامتنع وقال
لا أدخلها والظاهر بها
فمات الظاهر بعد شهر
سنة ست وسبعين وستمائة
بدمشق وفي أيامه انتقلت
الخلافة الى الديار المصرية
فكان أول خليفة بمصر
المستنصر ووصل الى مصر
في سنة تسع وخمسين
وستمائة فاجتمع بالملك

الحكيم ومنا الخفر العلوم ومنا بينهو وهو الذي بنى رومية الكبرى وياسمة ومناسطانيوس وهو
الذي وضع الكتاب الاول الذي فيه حوزة الارض بجبالها وبحارها وبنائها وصوانها ووصف أمة
كل اقليم بالوانها وخواصها ووصف مافى كل اقليم من معدن ذهب أوفضة أوجوهر واحصى عيون
الارض جميعها باسمائها وجبالها وأوديتها وشعابها وغدرانها وعجائبها ومنا ابردروس القلنسب الرومى
وهو الذي يقول لاحشرنى الله مع الذين يقال لهم فى المعاد أدبر وامع ابليس وجنوده الى النار ألم
تطهر نفسك أيها المسكين الناظر فى كتابي القارى لآيي من ادناس الدنيا وشهواتها المظلمة للنفوس
المعوقة للحس الروحانى النورانى أن ترقى الى عالم عليين فانظر فى الحكمة فانها سلم العالم الروحانى
فمن عدمها فقد عدم القرب الى بارئه ومصوره ومنشه ﴿قال الواقدى﴾ رحمه الله تعالى وانما تكلم
البترك بهذا الكلام بين يدى الملك هرقل وهو يظن انه يطعن فى العرب ليسمع جبلة بن الايهم حكمته
وكان جبلة وولده حاضرين وكان بين البترك وبينه عداوة سببها أن البترك كان بنى له ديرا عظيما وجعل
له عيدا فى السنة تقصده الروم من كل مكان بالنذور والاموال والستور والشموع وكان ذلك كله
برسم البترك قال فاعطى الملك لجبلة تلك الارض التى فيها الدير فتغلب جبلة على الدير وبنى حوله
مدينة وسماها باسمه وهى جبلة هذه * حدثنا سليمان بن عامر عن منصور الجونى قال حجاج بن جريج
أخبرنى يحيي بن عمارة بن ابى الحسن قال لما سمع رفاعة بن زهير كلام البترك تبسم من قوله وقال أيها
البترك لقد مدحت أقواما ليس لهم الى الفضل سبيل ولا فيهم فاضل ولا نبيل ولا من وحد الملك الجليل
الذي ليس له مثيل ولا عديل وما الفضل الا لولد اسمعيل بن ابرهيم الخليل الذين لهم البيت
الحرام وزمزم والمقام والمشعر الحرام ومنهم التبابعة والاقيال والحماة والاشبال الذين ملكوا
الارض فى الطول والعرض ومنهم الملك الصعب الاسكندر الذي ملك قرنى الارض ودخل الظلمات
ودخل فى طاعته أهل الارض وبلغ مطلع الشمس ومغربها وأذل ملوكها وجعل له منهم جندا وأعوانا
وسماه الله ذا القرنين ومنهم سبا بن يعرب بن قحطان وشداد بن عاد وشديد بن عاد وعمر وذو الاذقان وهو
ابن سكسك والهدهد بن عاد ولقمان بن عاد وشبعان بن اكسير بن تنوخ وعماد بن رقيم وهاديل بن عتبان
وكان يتكلم بالحكمة ومناجاة موسى بن جلهمة بن سياسة بن عجلان بن يافد بن رخ وثمود بن كنعان
ومنا سبا بن يشجب وهو أول متوج منا ثم ولى بعده حمير ثم منا تبع وهو متوج ومنا واثل بن حمير متوج
ومنا عاد بن حمير متوج ومنا نبى الله حنظلة بن صفوان من أهل الرس ومنا نفيل بن عبد المدان بن خشدم
ابن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود عليه السلام عاش خمسمائة سنة وهو الذي بنى المصانع واستخرج
الكنوز وقاد الجيوش وورثه الله علم نبيه حنظلة بن صفوان وقد ختم الله شرفنا ورفع قدرنا اذ جعل
محمدا صلى الله عليه وسلم منا فنحن السادة وأنتم العبيد * حدثنا سفيان عن عبد ربه قال أخبرنا رحيم قال
حدثنا الوليد بن زياد عن حزام بن حكيم قال بلغنى أن هذا الرجل يعنى رفاعة بن زهير بن زياد بن عبيد بن
مرية الجرهمى كان عالما بانساب العرب واخبارهم وملوكهم وكان طالع كتب هود وصالح وحنظلة عليهم
السلام فلما تكلم بحضرة الملك هرقل بهذا الكلام أراد البترك أن يعجزه بسؤال يلقيه عليه فقال ياذا
الهمم العلية والقرائح الذكية بم تصل القلوب الى نسيم العقل الروحانى وترقى الى ملكوت اللاهوت
والطيور الخفية الغائبة عن الابصار المحيطة بالاقطار وترقى فى رياضات الالباب المصفاة من الادناس
والافكار النورانية بصفوا كدار الاخلاق المحيطة بالافكار من الهيا كل الجسمانية فعند الصفو من
مفارقة الكدر تعيش الارواح عيشة الابد الذي لا يصل اليه انحلال ولا اضمحلال فحينئذ يختلط العنصر
بالعنصر ويطفو الصفو بالصفو ويرسب الكدر الى الكدر فقال رفاعة بن زهير ما أصبت أيها البترك
فى مقالتك قال ولم قال رفاعة كيف تدل القلوب الى علام الغيوب وقد حجب عنها صواب المصيب أم
كيف يتخلص الصفو من الكدر بغير تهذيب من الكفر وكيف تجلى الافكار من غوامض الاسرار

الظاهر بيبرس وأثبت
نسبه عند قضاة الشرع
وبايعه بالخلافة وأجرى
عليه نفقة وليس له من
الامر الا اسم الخليفة
وأولاده من بعده على هذا
المنوال ويأتون الى السلطان
الذي يريدون توليته
ويقولون وليناك السلطنة
هكذا كانوا بألقاب

وهى

وهى فى حجب الاغترار اذا تناهت الاهوال الى مفازاتها وقربت الهمم من مواضعها وعادت الفكر الى عناصرها وعادت متحركات الفكر الى مساكنها وغاليات الاذهان الى أماكنها فانحازت الاشكال عن الاشكال بلطف تأثير الهوى فيها وانكبت مشرفة على هيا كلها من أقطار عناصرها قال أيها البترك هذا كلام العرب الذى زعمت أن الحكمة ليست من أخلاقهم ولا تباع فى أسواقهم ولقد كان ملك من ملوك اليمن اسمه سيف بن ذى يزن الذى بشر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يتكلم بغوامض العلوم الحكمية ووشح بوشاح شكر النعمة ومن جملة ما قال فصيح من فصحائنا اسمه قس بن ساعدة هذه الابيات

ألا اننا من معشر سبقت لهم * ايادمن الحسنى فعوفوا من الجهل
ولم ينظروا يوما الى ذات محرم * ولا عرفوا الا التقية فى الفعل
وفينا من التوحيد والفعل شاهد * عرفناه والتوحيد يعرف بالعقل
نعاين ما فوق السماء جميعها * معاينة الاشخاص بالجوهر المجلى
ونعلم ما كنا ومن أين بدؤنا * ومانحن بالتصوير فى عالم الشكل
وانا وان كنا على مركز الثرى * فارواحنا فى عالم النور تستجلى
وما صعدت كى تستريح وانما * حقيقة مثول وجلت عن المثل

﴿قال الواقدى﴾ رحمه الله ورضى عنه قال أبو سعيد حدثنا شيبة بن أبى عبد الله بن عيسى عن لقية ابن هند عن عبد الله بن ربيعة قال قلت لرفاعة بن زهير لما خلص من قبضة الروم يا عم كيف كان البترك يفهم ما تقول وتفهم ما يقول فقال يا بنى ما رأيت أفصح من اللعين بلسان العربية ولقد سألت عن ذلك من عبد الله يوقنا فقال أما علمت أن ملوك الروم والبطارقة لا يستقيم ملكهم الا أن يتعلموا لسان العربية قال ولما حدث رفاعة المسلمين بمناظرة البترك كتبها كثير من الناس ﴿قال الواقدى رحمه الله﴾ وكان لرفاعة بن زهير الجرهمى ولد جاهل قال وكان أسر معه قال وكان قلبه يميل الى الكفر وكان رفاعة يدعو عليه فلما حضر الاسارى فى كنيسة القيسان واشتغل رفاعة مع البترك بالمناظرة اقبل ولده عامر يحدق بنظره الى البيعة وزينتها وصورها وصلبانها ويتأمل نساء الروم وزينتهن فبادر الى تقبيل الصلبان والاشراك بالرحمن فلما رآه أبو رفاعة بكى وقال يا ويلك أكفرت بعد الايمان يا ويلك طردت عن باب الرحمن يا ويلك كفرت بالملك الديان يا طريد القدرة يا من بعد عن الحضرة فيا ولدى ما بكائى على فراقك وانما اذا سلكت أنا فى طريق وأنت فى طريق اذا مضيت أنت الى دار الابالسة وحشرت مع الرهبان والشمامسة وتكون فى طبقة النار السادسة وأنا أمضى مع محمد الى دار فيها الارواح مستأنسة يا بنى لا تطلب حياة الدنيا يا بنى لا تختر شهوتها على الآخرة واخجلتى من فعالك اذا وقفت بين يدى العزيز الجبار يا بنى لقد فضحت شيبة ابيك اذ كفرت بعالم السر والنجوى يا بنى لقد خاب أملى فيك والرجاء يا بنى كيف طاب قلبك ان تتبرأ من محمد المصطفى يا بنى ممن تطلب الشفاعة غدا يا بنى غرتك الحياة فصرت تكفر بالعليم يا بنى صرت الى الشقاء من بعد كونك فى النعيم يا بنى أما تخشى العذاب فى الجحيم أما تستحى من احد يوم القيامة أما تعلم ان أباك قد غدا من أجل كفرك فى هموم أين المفر اذا دعاك الله فى اليوم العظيم ويقول يا عبدى كفرت بواحد فرد يا بنى انت فى عيش ذميم أما ابوك فانه يبقى بعزم مقيم اسألك يا ولدى عما قد كان فى الزمن القديم من حنوى وتعطفى فى حال الرضاعة والفطام الا رجعت الى الذى غطاك بالستر العميم قال فقيل له ان ولدك قد أغلق الباب عليه وأرخى الحجاب فامر به البترك فحل من الوثاق وأمر به الى جرن ماء المعمودية فغمسوه فيه ودارت به القسوس والشمامسة وبخروه ووقعت عليه الخلع من البطارقة والملوك ووهب له البترك مركبا وجارية ومنزلا وضمه الى عسكر جبلة بن الايهم ثم قال البترك يا هؤلاء ما منعكم أن تدخلوا فى ديننا كما فعل صاحبكم قالوا منعنا من ذلك صحة ديننا وثبات يقيننا وما نحن من الذين يبدلون ايمانهم بالكفر ولو قتلنا فقال لهم البترك طردكم المسيح عن بابه وأبعدكم عن جنابه

الخلفاء واحدا بعد واحد وكانت سلاطين الاقاليم تتبرك بهم ويرسلون اليهم أحيانا يطلبون السلطنة باللسان فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء بمصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب ولقب بالمتوكل ولما دخلت الدولة العثمانية وافتتحت مصر أخذ

فقال له رفاعة الله يعلم أينا المطرود ومن هو عن رحمة ربه مبعود فقال هرقل يا معاشر العرب وقد وصل
الينا أن خليفتكم وأميركم يلبس مرقعة وقد وصل اليه من أموالنا وذخائرنا ما يكل عنه الوصف فما منعه
ان يتزيا بزي الملوك فقال رفاعة يمنعه من ذلك طلب الآخرة والفزع من جبار الجبابرة فقال هرقل ما صفة
دار امارته فقال رفاعة مبنية بالطين خالية من الحجاب آنسة بالفقراء والمساكين قال فما بساطه قال
العدل والتمكين قال فما سريره قال العقل واليقين قال فما بدلة ملكه قال الزهد والدين قال فما
خزائنه قال الثقة برب العالمين قال فمن جنده قال ابطال الموحدين أما علمت أيها الملك أن جماعته
قالوا له يا عمر قد ملكت كنوز القياصرة وذلت البطارقة والاكاسرة فهلا لبست ثيابا فاخرة قال أنتم
تريدون زينة الحياة الظاهرة وأنا أريد رب الدنيا والآخرة فلما أبدى هذا القول وأضمر اشار اليه منادى
القدرة وبشر الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
قال ثم ان الملك هرقل أمر بهم الى السجن الذى هو فى كنيسة القيسان وخرج الى عسكره ليشرف على
الخيام فرأى السرادقات قد ضربت لان البطارقة ضربت سرادقاتها عند خيامه ونوتيا الملوك وقد نصبت
بازاء كل نوتية كنيسة من الخشب المدهون بسائر الاصابيع والنواقيس على ابوابها وكان زى الروم ذلك
وهذه البيع الخشب كانوا يتنافسون فيها وفى صنعتها وتكون معهم فى أسفارهم وعساكرهم وطاف
هرقل على عسكره جميعه وأراد الدخول الى انطاكية واذا بفوارس تركض اليه فقالت لهم الحجاب واصحاب
السرير ما وراكم قالوا ايها الملك جسر الحديد منا وقد حصلت العرب منا على داخل الجسر قال فايقن الملك
بزوال ملكه وقال وكيف ملكت العرب الجسر والبرجين وفيهما ثلثمائة من البطارقة الشداد قالوا أيها الملك
ان المقدم الذى على الابراج هو الذى سلمهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ومن حسن لطف الله بالمسلمين
ان صاحب الملك كان فى كل يوم يمضى الى الجسر ويوصى من فى البرجين باليقظة والحرس الشديد
وانه مضى فى بعض الايام على عادته فوجدهم يشربون الخمر وليس عندهم حفظ ولا حرس فاخذهم
وضرب كبراءهم وهم بقتل مقدمهم ثم انه أمسك عنه خوف الملك فعمل الحقد فى قلوبهم فجاءهم يوقنا
فى بعض الايام يتجسس ليدبر فيه حيلة فرآهم حنقين من صاحب الملك فسألهم فانكروا فأمنهم فقال لهم
اطلعونى على خبركم فقالوا له أتعطينا منك أمانا فاعطاهم فقالوا نحن نسلم هذا الجسر للعرب فلما صح عنده
ذلك قال لهم ما مرادكم قالوا نأخذ أمانا من المسلمين فقال يوقنا أنا أكتب لكم كتابا الى أميرهم بان يعطيكم
أمانا وان دخلتم فى دينهم فهو خير لكم فقالوا له وكيف انت دخلت فى دينهم ثم رجعت فقال حاش لله وانما
انت أدبرهم على تسليم انطاكية لهم فلما صح عندهم ذلك قالوا ونحن نسلم اليهم الجسر فلما وافقهم على
ذلك كتموا امرهم فلما قدم المسلمون مضى اليهم صاحب الجسر من غير أن يعلم به أحد وأخذ له ولمن معه
امانا وناوله كتاب يوقنا ففرح المسلمون بذلك بان يأخذوا جسر الحديد من غير قتال فاعطوا للمقدم أمانا
فلما وصل عسكر المسلمين الى الباب الذى على الجسر فتح لهم فدخلوا فلما سمع هرقل بذلك أمر الناس ان
يتأهبوا للحرب قال ففعلوا ذلك (قال الواقدى رحمه الله) حدثنا ياسر بن عبد الرحمن عن منازل بن
نزاف الصيد لانى وكان أعرف الناس بفتوح الشام قال بلغنى انه لما صار المسلمون بارض انطاكية
قال ابو عبيدة لخالد يا ابا سليمان قد صرنا بارض انطاكية بلد ملك الروم والساعة يأتينا عسكره فما ترى
من الرأى قال خالد ان الله قال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الآية فأمر أصحابك ان يتأهبوا ويظهروا
زينة الاسلام وقوة الايمان وسير كل أمير بجيشه ولتكن الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضا قال
ففعل ابو عبيدة ذلك وأول من سير سعيد بن زيد احد العشرة ومعه ثلاثة آلاف فارس فيهم المهاجرون
والانصار وجعله على مقدمة الجيش وسير وراءه رافع بن عميرة الطائى ومعه ألف فارس وسير وراءه
ميسرة بن مسروق العبسى فى ثلاثة آلاف فارس وسار وراءه خالد فى جيش الزحف وسار وراءهم
ابو عبيدة فى بقية العسكر وكان معه عمرو بن معديكرب الزبيدى وذو الكلاع الحميرى وعبد الرحمن بن

المرحوم السلطان سليم
فاتح مصر الخليفة المذكور
متبركا به فلما توفى السلطان
سليم عاد الى مصر واستمر
بها الى أن توفى بها سنة
خمسين وتسعمائة فى زمن
المرحوم داود باشا وبموته
انقطعت الخلافة العباسية
فرحم الله تلك الارواح
الطاهرة ومتعها بالنظر

أبي بكر وعبد الله بن عمر وابان بن عثمان بن عفان والفضل بن العباس وأبو سفيان صخر بن حرب وراشد بن ضمرة وسعيد بن رافع وزيد بن عمرو ومثل هؤلاء السادات وسار وراءهم النساء اللاتى لهن الاسرى وفيهم خولة بنت الازور وعفيرة ابنة عفان وخزرعة ابنة عملوق وأم ابان بنت عتبة وليس فيهم أشد حزنا من خولة بنت الازور (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ومما بلغنى انها قالت فى أسر أخيها من المراثى المبكيات

أبعد أخى يلذ الغمض عينى * فكيف ينام مقروح الجفون
سأبكى ما حييت على شقيق * أعز على من عينى اليمين
فلو انى لحقت به قتيلا * لهان على اذهو غير هون
وكنت الى السلو أرى طريقا * وأعلق منه بالحبل المتين
وانا معشر من مات منا * فليس يموت موت المستكين
وانى أن يقال مضى ضرار * لباكية بمنسجم هتون
وقالوا كم بكاؤك قلت مهلا * أما أبكى وقد قطعوا وتينى

قال فسار أبو عبيدة فى مواكبه كما ذكرنا فبينما الروم فى خيامها وعسكرها اذ وقع فيهم الصائح بقدوم العرب فركزوا خيولهم وصفوا صفوفهم فاول من أشرف عليهم برايته سعيد بن زيد وبعده المسيب بن نجبة الفزارى وبعده ميسرة بن مسروق العبسى وبعده أتى خالد بن الوليد وبعدهم أبو عبيدة فى مواكبه فنزل كل أمير بقومه فلما نظر هرقل اليهم وانهم قد نزلوا بفنائه وبنائه ترك على حفظ جيشه صاحبه الاكبر قسطاروس بن روميل وكان من شجعان الروم ودخل الى كنيسة القيسان وجمع الملوك والبطارقة والسريرية والحجاب وقام هرقل فيهم خطيبا وقال يا أهل دين النصرانية ويابنى ماء المعمودية قد قرب ما حذرتكم منه من زوال ملككم وذهاب عزكم من أرض سورية وقد كنت حذرتكم من زوال ملككم ومن هذا المقام فلم تقبلوا منى وأردتم قتلى وهؤلاء القوم قد دخلوا بدار ملككم ورياح عزكم فقاتلوا عن حريمكم وأموالكم وأنفسكم واياكم والفشل لا يلحقكم فى الجهاد فقد جاهدت عنكم جهدى واتلفت أموالى وخزائنى ورجالى عن دينكم وملككم فلم تصادفنى مساعدة ولا أدركت من القوم فائدة فان أنتم فشلتم وتقاعستم ولم تجردوا لهؤلاء العرب سيوف العزم والا كان العار عليكم والذلة تصل اليكم أين ابناؤكم ومن سلف من آبائكم ماتوا كراما غير لئام وسكنت ديارهم العرب اللئام وكنائسهم صيروها جوامع وأخربوا البيع والصوامع وأزالوا ملوككم واستعبدوا أبناءكم ونساءكم وملكوا قلاعكم واستولوا على حصونكم ومدائنكم وقد مضى ما مضى فاستأنفوا الأمر وقاتلوا فكم هلك من الامم قبلكم على عمالكهم وعلى الغيرة على حريمهم ولقد كانت حكمتى أنتجت لكم أن تنسجوا على منوال المصالحة بينكم وبين هؤلاء العرب فأبيتم ذلك لان ظلمة جهلكم قد أطفأت نور الحكمة أما علمتم انه قد وجد لوح من الحجر على قبر طيماون تلميذ أفيانوس وفيه مكتوب الحكمة سلم العالم الاعلى من عدم مهافقة عدم القرب الى بارئها الحكمة حياة القلوب وبغية الازهان ونزهة النفوس ونور العقول من لم يكن حكيما لم يزل سقيما من تدبر نظر ومن نظر عرف ومن عرف عمل ومن عمل انفتح ذهنه وعقله ومن انفتح عقله صفت نفسه فقام اليه جبلة بن الايهم وقال يا عظيم الروم اغا اقتال هؤلاء العرب بقتل خليفتهم عمر بالمدينة فلو أنت أرسلت اليه رجلا من آل غسان يقتله فيكون سبب فشلهم وانتزاع الشام من أيديهم فقال هرقل هذا شئ لا يمح أمله ولا ينقضى أجله لان الآجال مقدرة والانفاس مقررة ولكن هو شئ تطيب النفس عند سماعه فافعل ما أردت قال فارسل جبلة من قومه رجلا يقال له واثق بن مسافر الغسانى وكان جريئا مقداما فى الحروب فقال له انطلق الى يثرب فلعلك تقتل عمر فان أنت فعلت ذلك فانا أعطيك ما أردته من الاموال قال فانطلق واثق بن مسافر حتى دخل المدينة ليلا فلما كان الغد صلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

الى وجهه الكريم فى الدار الآخرة وبعد أن توفى السلطان بيبرس المذكور سنة ستمائة وست وسبعين تولى من بعده ولده (محمد بركة خان) وكان سنه ثمان عشرة سنة وكان أبوه عقد له فى حياته ولقبه بالملك السعيد واستنابه على مصر أيام سفره واستقل

بالناس صلاة الصبح ودعا وخرج الى ظاهر المدينة يتنسم أخبار المجاهدين بالشام قال فسبقه المتنصر
وجلس له بأعلى شجرة من حديقة ابن الدحداح الانصارى واستتر باغصانها ثم ان عمر قام عن ظاهر
المدينة حين حميت الرمضاء وعاد وهو وحده فقرب من الحديقة ودخلها ونام فى ظلها فلما نام هم المتنصر
بالنزول من الشجرة وجرد خنجره واذا هو بأسد أقبل وهو بقدر البقرة الكبيرة وطاف حول عمر
وجلس عند قدميه يلحسهما وأقام حتى استيقظ فعندها نزل المتنصر وقبل يد عمر وقال له يا عمر قد عدلت
فأمنت بأبى والله من الكائنات تحفظه والسباع تحرسه والملائكة تصفه والجن تعرفه ثم حدثه
بامره وأسلم على يديه (قال الواقدى) رحمه الله وكانت هذه الفعلة قبل نزول المسلمين على انطاكية
(حدثنا) أبو محمد قال أخبرنى أبى عن حسان عن السدى عن يحيى الواقدى عن شهر بن عباس البيروتى
أن عمر حدثه عن نزول أبى عبيدة بالمسلمين على انطاكية قال وعظ هرقل قومه بكنيسة القسيان
واستحلفهم انهم لا ينهزمون أو يموتوا عن دم واحد فحلفوا وخرجوا مع الملك الى عسكره وقد رفعت الصلبان
وقرأت القسوس والرهبان وارتفع الضجيج من أهل الكفر والطغيان واصطفوا للقتال وكان
المسلمون قد رتبوا صفوفهم وأوقفوا كل أمير فى مكانه ونشرت الرايات والاعلام وأشار أبو عبيدة الى
ربيعة بن معمر الشاعر وكان لسنا فصيحا لا يتكلم الا بالكلام المنظوم فقال له يا ربيعة فوق سهام
الفاظك ووعظك الى المجاهدين وحرض المسلمين على قتال المشركين قال فتقدم ربيعة امام الصفوف وكان
جهورى الصوت يسمعه القريب والبعيد فقال أيها الناس الى متى هذه المهلة فتأهبوا للحملة فهذه طيور
الارواح قد عولت على فراق أقفاص الاشباح وقد ارتاحت الى باريها وأجابت صوت مناديها وها هى
تخاطبنا بلسان اشارتها عن نطق عبارتها ما هذا الوقوف عن بذل أنفسكم وقد اشتراها مؤيدكم
أفركنتم الى حب الحياة الفانية والانفس الدانية وهذه أوقاتكم بالنصر مؤيدة وهمتكم عن طلب زينة
الدنيا محيدة والمواعظ الصادقة بكلام الحق مقيدة أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج
مشيدة وهذه طوالع سعودنا بالاقبال طالعة وشجر آمالنا بالتأييد يانعة فلله درهم فلقد ظهرت زهرة
نجوم المحبة فى أفلاك راياتهم وتبلج فجر العشق فى سماء سماتهم وأشرقت شموس المعرفة فى مشارق
عشقهم فلما هموا بالحملة بأجمعهم واصطفوا وقدموا هم النفوس فى رضا الملك القدوس واستبقوا وزاحم
بعضهم بعضا ولم يرفقوا ونودوا من صفاء اسرارهم من المؤمنين رجال صدقوا (قال الواقدى) رحمه الله
حدثنى زيد بن اسمعيل الصائغ عن جعفر بن عون عن عياش بن ابان عن جابر بن اوس قال كنت حاضرا
فى مصاف أبى عبيدة على انطاكية حين وعظنا بسجعه ربيعة بن معمر فكان أول من خرج من الروم للبراز
شجاع الروم نسطاروس بن روبيل وهو كانه برج من حديد فلما توسط الميدان طلب البراز فخرج اليه
دامس أبو الهول مولى بنى طريف فاتح قلعة حلب وهو يومئذ فارس غطريف فحملا على بعضهما فلما
اشتعلت نار الحرب بينهما عثر جواد دامس فسقط من على ظهره فانقض عليه نسطاروس وأخذه
أسيرا وقاده ذليلا ورجع الى الميدان فخرج عليه الضحاك بن حسان الطائى وكان يشبه خالدا فى حملاته
وخفته فلما برز قال قائل من الروم ممن شاهد قتال خالد فى المواطن وعرفه هذا فارس الشام والمسلمين الذى
فتح بلادنا فصار كل من فى انطاكية ينظر اليه وهم يظنون أنه خالد فازدحمت خيل المشركين من كثرة
النظر اليه فقطعت حبال السرادقات التى لنسطاروس وغيره واسيره فخاف الغلمان على أنفسهم
وسرادقاته على ذلك واذا رآها على تلك الحالة قتلهم ولم يجدوا أحدا يعينهم على رفع السرادق لان كل من فى
العسكر مشغول بالفرجة على نسطاروس مع خصمه فاتفق اثنان من الفراشين وكانوا ثلاثة على حل
دامس أبى الهول وقالوا له نحن نحلك من وثاقك وتعيننا على شيل عمود هذا السرادق ونعيدك الى الوثاق
فاذا جاء البطريق نشفع فيك فانه يخلى سبيلك فقال نعم فحلوه من وثاقه فعندها قبض على الاثنين كل واحد
بيد وضرب واحدا بواحد فصرعهما فاتا فهجم على الثالث فقتله وفتح صندوقا من الصناديق فوجد فيه

ثياب

بالسلطنة بعد أبيه الى سنة ثمان وسبعين فاختلف عليه الامراء وقاتلوه فخلع نفسه من السلطنة وأشهد بذلك ثم ذهب الى الكرك ومات بها سنة ثمان وسبعين وستمائة فكانت مدة اقامته سنتين وثمانية أشهر وتولى من بعده أخوه (بدر الدين الملك العادل سلامش)

ثياب نسطاروس فلبسها وركب من الطوالة جوادا من خيارها وأخذ بيده قنطارية وسيفا والثم وجهه
وقصد عسكر المتنصرة ووقف الى جانب حازم بن عبد يغوث وهو ابن عم جبلة وكان قدمه على عسكر المتنصرة
جبلة وولده وبنو عمه فى موكب الملك (قال الواقدى) رحمه الله تعالى ولم يزل القتال بين نسطاروس
والضحاك بن حسان الى أن كل الجودان ولم يقدر أحد منهم على صاحبه فافترقا وعاد نسطاروس الى سرادقاته
ليستريح فوجد السرادق على الارض والفراشين قتلى ولم يرد امسافعلم أن المصيبة من قبله فمضى الى
الملك وأعلمه بذلك فقال وحق المسيح ماهؤلاء العرب الا شياطين قال وهرج العسكر بصنع أبى الهول فقال
الملك هو الآن فى عسكرنا ومارأيناه خرج وما هو الا مختف فى عسكر المتنصرة لانه من جنسهم فلما رأى
دامس هرج عسكر الروم وأن ذلك بسببه انتضى سيفه على حين غفلة وضرب به حازم بن عبد يغوث فرمى
رأسه عن بدنه فبهتت المتنصرة من فعله وأمسك الله عنه أيديهم ودهشوا لذلك وأطلق جواده وطلب عسكر
المسلمين فلما رأوه صاحوا بالتهليل والتكبير فاتى الى ابى عبيدة وأخبره بما وقع له مع القوم فقال لاشلت
يداك قال وبلغ الخبر جبلة من قتل ابن عمه حازم فغضب وأتى الى هرقل وصفق له وقال ياعظيم الروم أنا لا
أقدر على الصبر ولا بد لنا من الحملة على هؤلاء الذين قد تعدوا طورهم وجهلوا قدرهم فاراد الملك ان
يأمرهم بالحملة واذا قد اقبلت عليه خيل تركض فقال لهم ماوراءكم قالوا ايها الملك انه قد قدم الى نصرتك
فلنطانوس بن سطانيوس بن ارمونيا صاحب المدائن ورومية الكبرى وباسم جده سميت وكان قد
وضع فيها هيكلا عظيما يسمى أبا سرفيا وكان به صورة من نحاس مطلية بالذهب الاحمر ولذلك الهيكل سبعة
أبواب من الذهب على كل باب هيكل مدور على رأسه شخص آدمى وبيده عدة الواح من الذهب وفى كل
عام يعلق منها لوح على الهيكل تلقاء الشمس ثم ينظر كاهن ذلك الهيكل فى ذلك اللوح فيعلم مايجرى فى
الاقليم المختص بذلك اللوح وكان كل لوح مختصا باقليم من الاقاليم السبعة وكذلك لكل هيكل من تلك
السبعة هيا كل فيعلم اهل رومية الكبرى مايجرى فى العالم بما وضعه حكماؤهم الاقدمون وفى وسط تلك
السبعة هيا كل قبة مثمنة على ثمانية عمد من نحاس أصفر مطلية بالذهب محوط به سور مرقط ببياض
وفيه بابها الاعظم وعلى رأسها صورة من حجر لا يعلم ماهو بل الحجر اسود فاذا كان استواء الزيتون فى
مشارق الارض ومغاربها يسمعون من تلك الصور صوتا هائلا تكاد القلوب تتفطر منه فاذا كان الغد
تأتى من آفاق الارض زرازير ها وكل زرزور حامل ثلاث زيتونات واحدة فى منقاره واثنان فى رجليه
فيلقونها على رأس تلك الصورة فلا تزال كذلك حتى يمتلئ ذلك المكان العظيم قال فيعصرون منه زيتهم
ومايا كلون من العام الى العام وكان فى داخل الهيكل الاعظم بيت مقفل لم يفتح منذ بنيت رومية ولما
اراد فلنطانوس الملك النهوض الى نصرة هرقل احتاج الى مال يصرفه على عسكره فاتى الى ذلك البيت
المقفل وهم بفتحه فقال له عظماؤه وعظماوس وهو القيم على امر الهيا كل كلها أيها الملك ان هذا البيت
منذ أقفل تاريخه سبعمائة سنة وذلك من قبل ظهور المسيح بمائة سنة وسبعين وما أحد من أجدادك
تعرض اليه ولا احد ممن ولى أمر هذه الكنيسة الا ويوصى على هذا البيت أن لا يفتح فلا تزل حكمة
أسسها من كان قبلك من الحكماء والملوك وقد بنى هذه المدينة وأسس هذا الهيكل وهذا البيت وهو بيت
جدك رسيوى بن قطاوس وبقى فى ملكه على مابلغنا ثلثمائة وسبعين سنة ووصى كوصية أبيه وتولى
عليه اجدا اجدادك حتى وصل اليك هذا الملك ولك فيه مائة سنة فلا تزل حكمة اجدادك الذين اسسوها
وطلاسم وضعوها قال فاخذه اللجاج فى فتحه فلما فتحه لم يجد فيه شيئا الا انه رأى فى البيت صورة القدس
ومدن الشام وصفة ملوكهم وعددهم وفى آخرهم صورة ليطن وهو هرقل كأنه ينظر فى اللوح مكتوب
باليونانية ياطالب العلم عليك بكثرة القراءة فانه كلما تكرر مرور النكت على مسامع من يتعلمها كان
ذلك اشد لثبوته وأحكم لتصريفه اذ العلوم كلها انما تستخرج بالعقل والقياس وانما يكون بكثرة
الرياضة والعلم مطية التدبير والتدبير موضع العلم والعلم موضع العقل هذا هو المتمم لاشكال العلوم وقد

وكان يسمى ابن البدوية
فاقام خمسة اشهر ثم جاءت
الدولة القلاوونية الصالحية
وهى من الدولة التركية
المتقدمة فاولهم (الملك

رأينافى الحكم والاسرار الخفية ان صاحب الغمامة اذا خيمت على صفحة الارض وحلت الضلالة خرج
مصباح الهداية من أرض تهامة فيذهب بظلام الجهل المظلم للحس ويدعو الناس بدينه الى توحيد الصانع
وهو صاحب الجمل الاورق فيذهب بالاديان والملك يضيق لدعوته السهل والجبل فاذا غلب نوره على كل
كثيف انتقل الى العالم الروحانى وولى بعده رجل نحيف الصورة قلبه منور بنور الصدق بشيد ملته
ويصدق شريعته وويل للشام مما يحل بها من الرجل الاحور الذاهب بملك قيصر وهو الرجل الكثيف
صولته الربعة صورته العدل صفته والحق منقبته جبته مرقعة وسيفه درته فى أيامه تذهب الدول
وتحول وتضمحل وتزول وأوانه اذا فتح هذا البيت المصور بالحكمة المحفوظ بحفظ النعمة فطوبى
لمن رسخت الحكمة فى قلبه وأشرقت مصابيحها فى لبه واتبع الحق وعرفه وجانب الباطل وخالفه
قال فلما قرأ أفلنطانوس مافى اللوح أخذه العجب وقال لعطماوس قيم الهيا كل أيها الاب الشفيق ماتقول
فى هذه الحكمة قال أيها الملك وماعسى أن أقول فى حكمة وضعتها العظماء وعلمت بها الحكماء وانما
العلوم غامضة يصل اليها الحبر الجوهرى بنور العقل وانما أرى أن دولة هرقل وهى عز دولتها وانهدت
أركان ملكه من أرض سوريا وانتقل ملك الروم الى أرض اسطور يعنى قسطنطينية وبذلك أخبر
مهرابيس الحكيم فى كتابه العزيز الذى وضعه وسماه اسلاووس يعنى جواهر الحكمة ومن جملته اذا
ظهر نور اليتيمة المصفاة من الادناس من جبال فاران تصفت الاذهان بنور حكمته وانصرفت الظلمة
المتكاثفة فى سماء الجهل بقوة عزيمته ودعا الناس الى لطيف دعوته وقادهم بأزمة لطافته فيعلو على
الافلاك فويل لارض ايليا من صولة صاحبه المتوشح بوشاح الهيبة المتوج بتاج العقل صاحب فتوح
الارض ومذل ملوكها العدل فسطاطه والمرقعة لباسه وفى زمانه ينكسر الصليب وتخرج الهيا كل
وتندرج المذابح وينضب ماء المعمودية فلا نجاة من صولته الا باتباع شريعته وصاحبه قال فلما سمع ذلك
فلنطانوس من القيم على الهيا كل كتم الامر فى نفسه وقال لابد لى من النظر الى العرب والمسير اليهم والى
نصرة الملك هرقل وقد وصل الى كتاب البترك وندبنى الى نصرة دين المسيح فان تأخرت حرمنى ثم انه اختار
من جيشه فى رومية ثلاثين ألفا وهم الكرجية وولى فى موضعه ولده استفليوس وهو مثلث النعمة
واستخرج من بيت الحكمة رايات الاسكندر اليونانى وكانت منسوجة بالذهب واللؤلؤ التى نشرها يوم فتحت
الواحات من ارض بالبوس وكانت لاتنشر الا فى يوم واحد فى السنة ببيعة ايا سوفيا وهو يوم عيد الصليب
والشعانين قال فلما رفعت على رأس فلنطانوس سار حتى ورد انطاكية ونزل على باب هاوس ومعناه
باب فارس قال وركب الملك هرقل فى موكبه الى لقائه وضربت سرادقاته بازاء سرادقات هرقل وفرحت
الروم وتفاءلت بالنصر وضربت النواقيس ووقعت ضجة عظيمة فى جيوشهم وارتفعت أصواتهم وجاءت
عيون المسلمين فاخبروهم بقدوم صاحب رومية فرفع أبو عبيدة كفه الى السماء وقال اللهم ان اعداءك
يستنصرون علينا بكثرة عددهم وترايد مددهم فشتت كلمتهم ودمر جيوشهم وزلزل أقدامهم وعسر
أيامهم واجعل كلمتنا العليا وكلمتهم السفلى وانصرنا كنصر نبيك فى يوم الاحزاب اللهم رد كيدهم فى
نحرهم وانصرنا عليهم قال وأمنت المسلمون على دعائه (قال الواقدى) رحمه الله تعالى حدثنا ابراهيم
ابن العلاء عن أبى يوسف الكندى عن أبى جعفر الدارمى عن الربيع بن أنس عن جعفر بن ميسرة قال
لى عمى لما قدم صاحب رومية بجنوده خاف المسلمون ولكن ثبتهم الله وبعث ابو عبيدة معاذ بن جبل ومعه
ثلاثة آلاف وقال له ياصاحب رسول الله ان الروم قد تجمعت من سواحل البحر لنصرة دينها فانهض وشن
الغارات على بلاد السواحل واحتفظ أن تؤتى المسلمون من قبلك قال ففعل ذلك معاذ وسار الى جبلة
واللاذقية فاحتوش أموالها وأخذ غنائمها ووجد على باب جبلة عثمان بن جرهم الغسانى ابن عم جبلة بن
الايهم ومعه ألف دابة محملة برا وشعيرا العسكر الكفر وقد جمعها من طرابلس وعكا وصور وصيدا وقيسارية
وقد بعث بها قسطنطين بن هرقل الى أبيه فلما وصلت الى مدينة جبلة سلمها العرب المتنصرة لابن عم جبلة

المنصور ابو المعالى قلاوون الصالحى النجمى) وقيل له الالفى لانه اشترى بالف دينار فاقام احدى عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفى

وعادوا فوقع بها معاذ رضى الله عنه فاخذها ورجع قافلا الى عسكر المسلمين فلما رأوها رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير فسأل هرقل عن ذلك فاخبروه بما وقع فغضب على اخذ الميرة التى تتقوت بها عسكر اعدائه فقال لبطارقته ما بقى بيننا وبين هؤلاء الا المصاف ويعطى الله النصر لمن يشاء ثم انه أمر عساكره بالأهبة للقتال ثم انه ركب والى جانبه فلنطانوس صاحب رومية وصاحب مرعش وصاحب قلعة اسكندنيس وهى قلعة الروم وصاحب طرطوس وصاحب مصيصة وصاحب قونية وصاحب ماصر وصاحب اقصرا وصاحب قيسارية الروم الاقصى وصاحب قوماظ وصاحب انطراته وصاحب طبرزند وجبلة بن الايهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأقبل يوقنا يرتب الصفوف فى الحرب فلما وقف كل ملك بجيشه وكل بطريق بأصحابه أراد فلنطانوس ملك رومية أن يتقرب الى هرقل بمبارزة العرب فصقع له على قربوص سرجه وقال أيها الملك ما تركت ملكى وأتيت الى خدمتك من مائتى فرسخ الا حتى أرضى المسيح وأخدمه بين يديك وان كل عسكرك قد قاتلوا وجاهدوا وأريد أن أبرز فى هذا اليوم الى هؤلاء المحمديين وأشفى فؤادك وفؤادى منهم فأراد الملك أن يطيب قلبه فقال له الزم مكانك ولا تخرق بحرمتك وحشمتك حشمة الملوك فانت أقدم منى فى المملكة فدع غيرك يكون له هذا الامر فما بلغ من شأن العرب أن تخرج أنت اليهم بنفسك فقال فلنطانوس أيها الملك وأى حشمة بقيت لنا مع هؤلاء وقد أهملوا عزنا وأذلوا عز ديننا والجهاد مفروض على كبيرنا وصغيرنا أما علمت أيها الملك انه من نظر الى الدنيا بعين المحبة جذبته الشهوات الى الغلو فى محبتها والتعلق بزخارفها فاذا فعل ذلك ركب غيم كثافة الجهل على صفحة صدره فنعه ذلك عن طلب معاده ومن سارع الى طاعة خالقه بترك شهواته ارتقى الى دار دائرة القدس فى محل الانس ولما علم القديم الأزلى بركون أنفسكم المحجوبة بحجاب الغفلة الى طلب ما يفنى سلط عليكم أضعف أمة قد أخرجتكم من دياركم وأبعدتكم عن أوطانكم وما ذاك الا لخلودكم الى الاهواء الجاذبة الى مهاويكم والى ادراك دركة المهالك لانكم حكمتم بغير الحق واجترأتم على الرعية بطلبكم منهم ما ليس لكم بحق والجور فى أخذ أموالهم وفساد أحوالهم وكثرة الزنا واتباع الخنا فلأجل ذلك لم تنصروا ودارت دائرة السوء عليكم قال ثم تكلم صاحب الملك هرقل الكبير واسمه مرونة وصاح عليه وقال له أيها السيد لا تحمل على قلب الملك من كلامك ما لا يطيق فى مثل هذه الساعة فقد وعظه من هو أكبر منك فلم يسمع قوله قال فغضب فلنطانوس من صياح الحاجب عليه وكتم أمره الى الليل فلما مضى من الليل ربعه طلب حجابه وخواصه وقال لهم أرضيتم أن يزعق على حاجب هرقل ويوبخنى بين الملوك وأنتم تعلمون أن بيتى أعظم من بيته ونسبه أدنى من نسبى وملكى أقدم من ملكه ولقد قال قسيس حكيم بلاد الذكر المشهور بحكمته وهو الذى وضع المنار الاعظم فى يوم كبير كان بين بلاد الجرامقة وبلاد الانجار وهى مسيرة اثنى عشر يوما ولا يصل الى أرضها الا بعد عناء كبير فاحتفر لها بئرا ووضع فى وسطها عمودا على رأسه حجر يدور من صنعة حكمته يسمع له من حدة النداء من حوله ويرشح له بقدر ما علا ذلك الحجر العظيم فانه قال لا تسع بقدمك الا من يراك دونه فتصغر عنده واجعل عز نفسك فى مقابلة كبريائه وعجبه فان عزة النفوس تقابل جاه الملوك ولا تصنع صنيعك لغير مستحقه لانها تجلب عليك السوء من قبل ذلك فان ذلك الاحسان لا يزكو الا عند ذوى الاصول فانه يندمج عند السفهاء والاراذل لا تصنع اليهم النصيحة فانك أنت تطلب منفعته وهو يريد هوى نفسه بأذيتك وقد جئتنا من مائتى فرسخ وأكثر الى خدمة رجل يرى اننا قد قصدنا داره وتاج عزه واننا نحن من جملة خدمه وان نور العقل المجوهر للحس يمنعنى من اتباع الجهل المظلم للحواس وان نفسى تأبى ذلك والعز محل جليل ومقام نبيل والذل وبيل وصاحبه قليل وقد عولت أن أسير الى هؤلاء العرب وأختبر ملتهم فانها هى الملة الواضحة بالحق المؤيد بالصدق ومن كان عليها أمن فى معاده من الهول الاكبر فما أنتم قائلون قالوا أيها الملك وكيف تطيب نفسك بترك دينك وملكك وعزك وتتبع هؤلاء وهم لا فضل لهم ولا عندهم حكمة فقال

بالقرب من المطرية سنة تسع وثمانين وستمائة وهو الذى بنى البيمارستان وجعله مباحا للفقير والامير والمدرسة المنصورية التى

فلنطانوس أما الحكمة البالغة فعندهم مقرها وفى نفوسهم موطنها لان نور توحيدهم صفى اذهانهم
ونور ايمانهم ببركة صاحبهم المسمى فى علوم الغيوب لان مغناطيس حكمته الربانية جذب جوهر عقولهم
الى متابعته والاقتداء بشريعته ومن أراد أن يلقى عالم عليين فلا يقعد على محفة لمرض الجهل أما علمتم
أن النور أنور من الظلمة والموت ثمار الحياة قال فلما سمعوا قوله قالوا أيها الملك نحن ما منعك من عزائم
بحر جنا من الذل ومهابة الغلبة فاذا كنت تطلب بناظر بقا يؤدى الى البقاء ويذهب بالشقاء فالحق
اتباع الحق ونفى الباطل فنحن لك وبين يديك قال فخذوا على أنفسكم فاذا كانت ليلة غد ركبنا كأنا
نطوف حول البيت نحرسه ونطلب جيش العرب قال ففعلوا ذلك وأخذ فلنطانوس فى أمره قال ابن
وهب وابن صالح عن أبى موسى الاشعرى قال لما عزم أن يسير الى جيش المسلمين أتى اليه يوقنا برسالة
الملك هرقل فلما أدى الرسالة وهم بالقيام قال له فلنطانوس من أنت من الحجاب قال أنا يوقنا صاحب حلب
قال وكيف تركت بلدك قال استولت عليها العرب وحدثه بحديثه فقال فلنطانوس وما الذى ظهر لك من
هؤلاء العرب قال أيها الملك انى دخلت فى دينهم واطلعت على أمرهم وكشفت سرهم فرأيت القوم
لا يسعون الى الباطل ولا يحيدون عن الحق ولا ينامون الليل من كثرة اجتهادهم ولا يتكلمون بغير ذكر
ربهم ينصفون المظلوم من الظالم ويواسى غنيهم فقيرهم الامراء منهم فى زى المساكين والعزيز والذليل
عندهم سواء فقال له فلنطانوس فاذا وقفت على سرهم ورأيت فضلهم فما منعك أن تقيم عندهم بينهم
فقال يوقنا منعنى من ذلك محبة دينى ومحبة قومى لانى لم أرفراقهم قال فلنطانوس ان النفوس الزكية
الباقية اذا رأت الحق جذبها جاذب اليقين الى حضرة طلب الاخلاص من المعيشة الذميمة الى أن ترقى
الى أعلى عليين قال فخرج يوقنا وقد رسخ كلام فلنطانوس فى قلبه فقال والله ما تكلم بشئ الا وهو منقوش
على صفحة صدرى وكلامه يشهد بقبول عقله لصحة دين الاسلام وأقام يوقنا على قلق من ذلك حتى أقبل
الليل فأتى الى فلنطانوس فرآه وهو على نية الركوب الى ما ذكرناه فلما وقف بين يديه صفق له فقال له
فلنطانوس بأى حجاب حجب الله الظالمين عن اتباع سبيل المتقين فالحق واضح لمن طلبه والباطل
خفى عن من اتبعه فقال يوقنا أيها الملك ما معنى هذا الكلام الذى أشرت اليه فقال لو أنك رأيت بعين
البصيرة لما رجعت عن ملتهم ولا أردت بدلا غيرهم وانما أنت طلبت نعيما يؤول الى الزوال ويفضى
بصاحبه الى النكال قال فسكت يوقنا وخرج من عنده وجعل يتجسس عليه ومضى ووقف على الطريق
الذى يمضى الى المسلمين فركب فلنطانوس وخرج من سرادقه فوجد بنى عمه قد أخذوا أهبتهم وهم أربعة
آلاف فارس وقدموا عزمهم وساروا يدا واحدة يطلبون جيش الموحدين وقد تركوا عزهم وفارقوا دينهم
فلما قربوا من جيش المسلمين ظهر لهم يوقنا وبنو عمه المائتان فقال يوقنا لفلنطانوس أيها الملك عولت
على أن تكبس المسلمين فقال لا والقديم الازلى وانما أنا قاصد اليهم وداخل فى دينهم وملتهم وأكون من
جملتهم فمن نظر الى الدنيا بعين الفناء عمل للآخرة فما الذى يمنعك يا يوقنا عن نحن عولنا عليه فقال يوقنا
أيها الملك لقد جذبك جاذب الحق عن طريق الضلال ثم انه حدثه بحديثه وانه عازم على أن يغدر بالروم
فقبله فلنطانوس وفرح بمقالته وقال له كيف تقدر على ذلك وما أرى معك الا نفرا يسيرا فقال أيها الملك
ان فى داخل بيتى مائتين من المسلمين من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقام عشرين
ألفا من الروم وقد رأيت أن تعود أنت وقومك ولا تستعجل ونبعث رجلا الى أمير المسلمين يخبره بما نحن
معولين عليه فاذا كان غدا تقف أنت وجيشك حول الملك هرقل وأدخل أنا البلد وأطلق المائتى أسيرا
وأعطيهم سلاحا ويحمل جيش العرب وتحمل أنت وعسكرك على مركب هرقل وتقصده أنت بنفسك
فتقبض عليه وتكون قد جاهدت وأسرأنا ومن معى فى داخل البلد فنملكها ان شاء الله تعالى وان أردت
أن ترجع الى دار ملكك ويكون أمرك مكتوما علينا فحول أمر جيشك لمن تثق به من بنى عمك قال
فلنطانوس ما فعلت هذا ولى نية فى ملكى ولا فى ملك الدنيا بل اذا قضى هذا الامر ونصر الاسلام قصدت

دفن بها ولده وله الفتوحات
بساحل البحر الرومى منها
طرابلس وكانت بايدى
الافرنج من سنة ثلاث
وخمسمائة وعكا وبيروت

مكة فأحج وأزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم أرجع الى بيت المقدس فأقيم فيه الى أن
أموت فمن يذهب الى أمير العرب برسالتى ويخبرهم بما قد عولنا عليه فقال له يوقنا اعلم ان لهم
عندنا عيونا وجواسيس ممن هو تحت ذمتهم وأنا أعلمهم بما قد وقع قال فبينما هم فى الكلام تحت ستر
الليل واذا بشبح قصد اليهما فتأمله يوقنا فاذا هو عمرو بن أمية الضمرى ساعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسلم على يوقنا وعلى من معه وقال ليوقنا ان الامير ابا عبيدة يقول لك جزاك الله خيرا عن الاسلام
وانه رأى فى المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما كان من أمر صاحب رومية وما تجدد ثم ما به
وما وقع له مع قومه وما عزمتم عليه وبشره بان الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد تفتح انطاكية
ويزول عز الروم عنها وينتزع ملك صاحبها (قال الواقدى) رحمه الله تعالى فتهلل وجه فلنطانوس فرحا
وازداد ايمانا وقالوا الحمد لله الذى هدانا للاسلام والايمان (قال الواقدى) رحمه الله تعالى وذلك ان ابا
عبيدة رضى الله عنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم وهو يقول يا أبا عبيدة ابشر برضوان الله
ورحمته وغدا تفتح انطاكية صلحا وان صاحب رومية المدائن الكبرى قد جرى من أمره كيت وكيت هو
ويوقنا صاحب حلب وهما بالقرب منك فانفذ اليهما بنجاز الامر قال فاستيقظ أبو عبيدة وقص رؤياه
على خالد وانفذ عمرو بن امية كما ذكرنا قال فلما سمع فلنطانوس ذلك اقشعر جلده وارتعدت فرائصه وقال
اشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله واشهد ان هذا الدين هو الحق اليقين ثم انهم عادوا
وطافوا بجيش الملك كأنهم يحرسون فبينما يوقنا قد ذهب باصحابه من عند صاحب رومية وقد قوى عزمهم
على ما ذكرنا من أمر كبسهم الملك واذا بالحاجب قد لقيه والمشاعل بين يديه وقد خرج من انطاكية ومعه
ضرار بن الازور ورفاعة بن زهير والمائتا اسير وقد عول على قتلهم وان يرمى غدا برؤسهم الى المسلمين
فلما سمع يوقنا ذلك ضاقت الدنيا عليه وقال له أيها الحاجب الكبير أنت تعلم ان المصاف غدا واقع بيننا
وبينهم فان أنتم قتلتم هؤلاء ورميتم برؤسهم الى المسلمين فانهم لا يقعون باحد منا فيه قوا عليه فاتق الله
ولا تعجل بذلك ودعهم عندى وراجع الملك فى أمرهم الى أن ترى ما يؤول أمرهم اليه قال فتركهم الحاجب
عند يوقنا ومضى الى الملك وأخبره بما قال يوقنا فقال له دعهم عند الدمستق فرجع اليه وقال له الملك يقول
لك احتفظ عليهم فامرهم لك فأخذهم يوقنا وسار بهم الى خيمته وصعب عليه اخراجهم من انطاكية لانه
كان قد عول على ان يملك بهم البلد فلما حلوا فى خيمته حلهم من الوثاق وسلم اليهم العدد وأخبرهم بما
قد عزم عليه هو وصاحب رومية من القبض على الملك هرقل فقال ضرار والله لا رضين الرب غدا بجهادنا
وكانت قد ختمت جراحاته لانه كان له فى الاسر ثمانية أشهر وفرقهم مع بنى عمه (قال الواقدى رحمه الله تعالى)
حدثنا أبو محمد عن سعيد بن أبى مريم عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن مسعود ان الذى أمر باخراج
الاسرى لم يكن هرقل وانما كان مملوكه الخاص واسمه تاليس بن رينوس وكان قد ألبسه تاجه ومنطقته
وكان أشبه الخلق به وقال له كن غدا مكانى فانى أريد ان أكيد العرب وأكمن خلفهم وما ذاك الا انه رأى
فى نومه كأن شخصا قد نزل من السماء وقلبه عن سريره وكأن تاجه قد طار من على رأسه وكأن شخصا يقول
له قد قرب ما بعد وقد زال ملكك من سورية وقد ذهبت دولة الشقاق والنفاق وجاءت دولة الوفاق وكأن
ذلك الشخص قد نفخ فى عسكره فأوقد نارا فاستيقظ مرعوبا وفسر منامه على نفسه بزوال ملكه وكان
قبل نزول العرب قد عبى خزائنه وجمع ما يخاف عليه من التحف ووضعها فى المراكب من حيث لا يعلم
بذلك أحد من دولته وعبى الزاد والماء ثم انه أرسل اهل بيته فى تلك الليلة بعد ما رآى فى المنام ولم يدع من
حريمه وأولاده وعياله أحدا وبعده أمر مملوكه تاليس بن رينوس بما أمره أن يفعله قال فلما ركب تاليس
فما كان من أمره الا أن قال للحاجب أخرج الاسارى واضرب رقابهم فأخرجهم وأخذهم يوقنا كما وصفنا
قال حدثنا يامر عن سليمان بن عبد الواحد عن صفوان بن بشر عن عروة بن مذعور عن محمد بن على
عن عدى عن شعبة بن قتادة عن أبى الصديق التاجى عن ابن سعد قال ما خرج هرقل من انطاكية الا وهو

وصيدا وغير ذلك وبلغت
مماليكه اثنى عشر الفا وفى
ايامه وصل عسكر التتار
الى الشام وحصل الرجف
والخوف فالتقاهم بعساكره